إهـــــــداء ٢٠٠٧

اسرة المرحوم الدكتور / عبد الجليل عبده شلبي

جمهورية مصر العربية

تراثنا

مختار الأغاني في الأخبار والتهاني

اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ — ٧١١ هـ

الجزء الأول

حققه وقدم له

إبراهيم الأبياري

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر

الدار المصرية للتأليف والترجمة

القاهرة
١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م
طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه
ج٠ع٠م٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم وتعريف

هذا الـكتاب « مختار الأغانى فى الأخبـار والتهانى » الذى كان إلىّ تحقيقُ الجزء الأول منه ، أحد كتابين قديمين بين أيدينا عرَضا كتابَ الأغانى لأبى الفرَج الأَصبهانى فى صُورتين مُيَسَّرتين على نَهْجين مُختلفين .

ولقد طُبِـع كتاب الأغانى طبعات ، أُولاها طبعة بُلَاق سـنة ١٢٨٥ هـ ، ثم طبعة مطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٣ هـ .

وعلى هاتين الطبعتين السقيمتين عاش القارئون لـكتاب الأغانى عمراً يتعثَّرون ، يَقْوَى له القليلون ويَعْجِز عنه الـكثيرون ، إلى أن شَمَّر لإخراجه فى طَبعة مُحقَّقة مَشْرُوحة مَضْبوطة القِسم الأدبىّ بدار الـكتب المصرية ، وكان ذلك منـذ نحو أربعين عاماً .

وكان ظهور الجزء الأول من هذه الطبعة سنة ١٣٤٥هـ ، فإذا الـكتاب يَجد إقبالا ، وإذا هو يجمع عليه قُرَّاءً كثيرين .

غير أن هذه الطبعة الجديدة المُحقَّقة لم تـكن لتَسُدّ حاجة العامة إلى حاجة الخاصة ، وكان لا بُدّ من وصل الناس كافةً بكتاب الأغانى ، يَقرؤه الخاصَّة على صُورته الأولى ، ويقرؤه العامّة على صورة من صُورتيه المُيَسَّرتين .

ذلك شيء عاشت عليه قُرون التأليف كلها منذ أن كان تأليف ، لا تـكاد تَسْتثنى ، يُحمِّـل المؤلِّف نفسَه عِبء هذا التَّيسير ، أو يَحْمِـله عنه غيرُه من المعاصرين

أو اللاحقين ، فالناس دوماً لا يَسْتَوُون فى التَّحصيل كما لا يَسْتَوُون فى الرَّغبة ، فقُدرة البادئْ دون قُدرة الرَّاسخ ، ورَغبة الإخْصائى ، فيما هو بَعيد عن ميدانه دون رَغبته فيما هو فى مَيدانه . ولكنهم ـ أعنى الناس ـ مَوْصولون بالقِراءة العامّة ، وهم أوصل بهذه القراءة العامة ما تَيَسَّرت لهم الأسباب ، فإن هى صَعُبَت عليهم أَلْفيناهم مُنصرفين إلّا عمّا لا بُدّ لهم منه .

والحِرص فى جَمع الناس على القِراءة ، الذى ألفناه من المؤلِّفين السالفين ، وجدنا مِثْلَه من المَعْنِيِّين اليومَ بالتُّراث العربى ، فهم يَحْرِصون على أن يَنْشُروا أصولَه فى طَبعات مُحقَّقة ، وهم يَحْرِصون على أن يَنْشُروا مع أُصوله مُيَسَّراته ، ليعرفَ الناس جميعاً الكتابَ العربىّ ، يَعرفه خاصَّتُهم مُستوعبين ، ويَعرفه عامَّتُهم مُلمِّين ، فيجتمع الناس على ثَقافة واحدة لا يَبْدو فيها الخاصّة غُرباءَ عن العامّة ، ولا يبدو فيها العامّة بعيدين عن الخاصّة .

لمثل هذه كان حِرْص عَميد الأدب « السيد الدكتور طه حسين » على نَشر كتابين يَتَّصِلان بكتاب الأغانى اُختياراً وتجريداً ، هما : الكتاب المُختار ، وثانيهما « تجريد الأغانى » لابن واصل .

ولقد قُدِّر لثانيهما أن يَخْرج قبل أولها ، فظهر الجزء الأول من التَّجريد سنة ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) ، ومع هذا العام سوف يخرج الجزء السادس منه ، كما سوف يخرج الجزء الأول من المُختار إن شاء الله تعالى ، وسوف يجد القارئْ كتابَين إلى جانب كتاب الأغانى يعرضانه فى صُورتين مُيَسَّرَتين مُخْتلفتين .

ولكن أمَا كان فى واحدٍ منهما ما يَغنى ؟

إن الحديث عن هذا يجب أن يَسبقه الحديث عن كتاب الأغانى . والناظرون فى الكتب مُجمعون على أنه لم يؤلَّف مثله ، جَمعه صاحبه أبوالفرج الأصبهانى(٣٥٦هـ)

فى نحو من ٥٠ سنة ، وحَسبك خمسون عاماً يَفرُغ فيها مؤلِّف كَبير لـكتابٍ كَبير ، ثم حسبك أن الصاحب بن عبّـاد كان يقول : لقد أشتملت خِزانتى على مائة ألف وسَبعة عشر ألف مجلد ما فيها سَميرى غيره ـ وهو يَعنى كتاب الأغانى . ثم حَسبك أن عَضد الدولة كان لا يفارقه فى سفره ولا فى حَضَره ، ثم حَسبك بعد هـذا كله أن الـكتاب منذ أن تَركه مؤلِّفُه إلى اليـوم لا يزال المرجعَ الأول ، ثم لا يزال الـكتابَ الأُم فى الأَدب القديم وما يَتَّصِل به .

وهذا الـكتاب الجامع الـكبير ـ كما تعلم ـ لم يخرج فيه أبو الفرج عن مَنهج عصره ، يسوق الأخبار مُسندة ـ أعنى معها أسانيدها ـ وقد يروى الخبر مرتين إذا تعدَّد رُواتُه ، ثم هو قد حشا كتابَه بالألحان ورُواتها، يَشغل ذلك كله حيزاً منه ليس بالصغير ، وبعـد هذين فالـكتاب مَسوق على وفق الأغانى المُختارة ، وهى الأصوات المائة .

فأنت ترى أن الـكتاب بهذا الذى أودعه فيه أبو الفرج ، وبهذا المنهج الذى وضعه عليه ، يحمل شيئاً كثيرا لايَعنى كثيراً من الناس ، ولقد أحسّ بهذه أبوالفرج فـكانت يَدُه أولَى يَدٍ أمتدّت إلى كتابه تُجَرِّده من المَزيد ، وتُقَرِّبه إلى مَزيد ، وإذا هو يخرج من هذا الـكتاب الـكبير بكتاب صغير يُسميه « مُجرد الأغانى » يخُصّه بكلّ ما غُنِّىَ فيه دون الأخبار .

والمؤلِّف حين يؤلِّف أو يَختار أو يجرِّد يُصْدِر عن نَزعتين ، نَزعةٍ تَستجيب لِمَنطقه ، ونَزعة تَستجيب لِمَنطق الناس ، وكذا رأى أبو الفرج أولًا بمَنطقه فسدّ هذا الفراغ الواسع بكتاب الأغانى ، ثم رأى بمنطق الناس فسدّ هذا الفراغ الضيق بكتابه « مجرد الأغانى » .

ولـكن منطق الناس حول كتاب الأغانى لم يُسْـكِتْه هذا المجرَّد الذى جرَّده

أبو الفرج بيده ، وإذا هذا المنطق يُطالب بمزيد من التجريد والاُختيار والاُختصار ، وإذا الوزير اُبن المغربى أبو القاسم اُلحسين بن على بن حسين (٤١٨ هـ) يختار من كتاب الأغانى مُختاره أو مُختصره ، وكما فعل اُبن المغربى فعل الأمير الكاتب عِز الملك محمد بن عبد الله الحرانى المُسبحى (٤٢٠ هـ) ، والكاتب الحلبى اُبن باقيا أبو القاسم عبد الله بن محمد (٤٨٥ هـ) ، وأبو اُلحسين أحمد بن الرشيدى .

غير أن شيئا من هذه الاختيارات والاختصارات لم يَصل إلينا ، وما بين أيدينا اليوم من هذا النحو كتابان ـ كما قلت لك ـ هما : تجريد الأغانى لابن واصل الحموى محمد بن سالم (٦٩٧ هـ) ، ومختار الأغانى فى الأخبار والتّهانى ، لابن منظور جمال الدين محمد بن مُكرَّم (٧١١ هـ) .

وهذه المحاولات لم تنته عند ابن منظور بل امتدت شيئا ، فلقد رأينا الأب أنطون صالحانى (القرن التاسع عشر) يضع كتابه « رنات المثالث والمثانى ، فى روايات الأغانى » جمعه من كتاب الأغانى وجعله على جزءين : الأول منهما فى أخبار المُغنين والشُّعراء ، والثانى فى أيام العرب فى الجاهلية والإسلام . ثم رأينا محمدا اُلخضرى يضع كتابه « مهذِّب الأغانى » فيوزع التراجم على القبائل ، ويجعل لكل قبيلة شُعراءها ، ثم تأتى بعد هذه المحاولة محاولة أخرى تكمل مرحلة اُلخضرى بوَضع أجزاء خاصة بالمُغنين .

فها أنت ذا ترى أن هذه المحاولات حول كتاب الأغانى لم تَمنع السابقةُ منها اللاحقةَ ، ومضى الأمر يُمليه ـ كما قلت لك ـ مَنطق الناس ، وليست بين أيدينا تلك المُحاولات كلها ، ولكن بين أيدينا اثنتان منها ، كما حَدَّثتك ، هما التجريد ، والمختار ، وسأعرض نَهْجيهما ، لنخلص إلى جواب ما أثرتُ من سؤال .

يقول ابن واصل فى مقدمته لكتاب « التجريد » : « غير أنه قد شانه بذكر

الأصوات ـ يقصد أبا الفرج فى كتابه الأغانى ـ وما احتوت عليه من أنواع النغم والإيقاعات ، مما لا فائدة فى ذكره ، إذ كان المباشرون لهذه الصناعة فى زَمننا هذا إنما يَعرفونها عملًا لا علما ، وغيرهم فلا ينتفعون بشيء ممّا ذكر ولا يُحيطون به فهماً ، فخرج أمره المُطاع ، أعلاه الله ـ يعنى الملك المنصور الأيوبى ـ بأن يُجرِّد من ذلك كله ، ومن الأسانيد والتكرارات ، ومما لا فائدة من ذكره من الأخبار والأشعار المُشتركات ، ويقتصر على غرر فوائده ، ودرر فرائده ، فبادر المملوك ـ يعنى نفسه ـ إلى امتثال مرسومه العالى ، وأضاف إليه فوائد أخر تتعلق به ، وشرح بعض المُستغلق من ألفاظه » .

فابن واصل قد تخفف :

ا) من أنواع النغم والإيقاعات .

ب) من الأسانيد .

ج) من التكرار .

د) من الأخبار المشتركة ، وكذلك الأشعار .

كما أضاف إليه :

هـ) فوائد تتعلق به .

و) شروحا لما استغلق من ألفاظه .

ويكاد يكون نهج ابن منظور غير بعيد من نهج ابن واصل ، وإن كان لم يَستأنس به فيما نَظن ، بل كان أستئناسه بمختصر رجل آخر ، هو أبو الحسين أحمد بن الرشيدى .

والمختصرون لهذا الكتاب مُتَّفقون جميعا ، فيما يبدو ، فى التخفُّف مما تخفف منه ابن واصل ، ثم هم مختلفون بعد هذا فى أشياء :

ا) مختلفون فى القدر الذى تخففوا منه .

ب) مختلفون فى سوق الحديث بعد حذف التكرار .

ج) مختلفون فى ترتيب الكتاب ، فمنهم من تركه كما وضعه أبو الفرج ، مثل ابن واصل ، ومنهم من رتبه على حروف الهجاء ، مثل ابن منظور .

د) ثم هم مختلفون بعد هذا حين أضافوا وحين لم يضيفوا ، فابن واصل أضاف الكثير من تعليقات والكثير من شروح ، وابن منظور يكاد يكون لم يضف شيئا .

و) كما هم مختلفون فى سَوق الأخبار ، فإنَّ لكُل منهم أسلوبه الخاص به ؛ خذ لذلك مثلا من ترجمة إبراهيم بن العباس الصولى :

١) فلقد ساقها ابن واصل فيما لا يزيد على سبع صفحات قصار ، وساقها ابن منظور فيما يزيد على خمس عشرة صفحة .

٢) وقد تخفف ابن واصل من أخبار غير مكررة ، ولم يتخفف ابن منظور من هذه الأخبار .

٣) وحذف ابن واصل مع الأخبار شعرا ، ولم يحذف ابن منظور هذا الشعر .

ثم انظر معى إلى هذه الأسطر القليلة لتتبين مساق الاثنين :

يقول ابن واصل :

« هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، وكان صول رجلا من الأتراك ، ففتح يزيد بن المهلب بن أبى صفرة بلده ، وأسلم على يده ، فهُم موالى يزيد .

ولما ظهر يزيد بن المهلب بالعراق ودعا إلى نفسه وخلع يزيد بن عبد الملك ، أتاه صول لينصره ، فصادفه وقد قتل » .

ويقول ابن منظور :

« هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، وكان صول تركيا ، فتح يزيد بن

المهلب بلده وأسلم على يده ، فهم موالى يزيد . ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به صول وغيره لينصره ، فصادفه وقد قتل » .

وبعد هذا يقول ابن واصل فى خبر من أخبار الصولى :

« وكان دعبل يستحسن قول إبراهيم بن العباس » ثم ساق بيتين له .

ويقول ابن منظور فى هذا الخبر نفسه :

« وكان دعبل يقول : لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا فى غير شىء ، وكان يستحسن قوله » ، ثم ذكر البيتين اللذين ذكرهما ابن واصل .

ولقد سقت هذين المقتطفين لأنتهى بك إلى شىء :

وهو أن ابن واصل كان إذا عرض لنص تاريخى كان حريصا ألا يحذف منه ماينقص معالمه ، لذا كان حريصاً على أن يذكر أن ظهور يزيد بن المهلب كان بالعراق، على حين لم يجد ابن منظور حرجاً من إهمال هذا .

أما عن الأخبار الأدبية ، فقد كان ابن واصل يتخفف ما وسعه التخفف ، لذا تخفف من رأى دعبل فى الصولى ، على حين لم يتخفف منه ابن منظور .

والمتصفح للكتابين ، أعنى كتاب ابن واصل وكتاب ابن منظور ، يلمس نهجين مختلفين :

١) فابن واصل يكاد يكون مؤلفا دخل إلى كتاب الأغانى بفنه التاريخى فحوّره تاريخا ، لذا كان حريصاً أن يزيد شيئاً فات الأصبهانى ، وأن يزيد شيئاً آخر حدث بعد عصر الأصبهانى .

٢) وابن منظور يكاد يكون مختصرا فحسب ألتزم بنهج معيَّن فى الاختصار ، ويظهر لى أنه كان نهج الرشيدى صاحب المختصر الذى أخذه هو عنه ، وأن كل ما فعله ابن منظور هو هذا الترتيب الهجائى الذى وَضع عليه التراجم ، وقد يكون هذا الترتيب أيضاً من صُنع الرشيدى .

فأنت بهذين النهجين تقرأ كتابين لا كتابا ، يعيش لهذا ناس ولذاك آخرون ، لذا كان لابد من أن يخرج التجريد ، وأن يخرج المُختار .

وثمة شيء آخر جدير بالذكر أفدناه من إخراج الكتابين : التجريد والمختار ، فلقد كانت لابن واصل فى كتاب الأغانى نظرة ، ولقد كانت لابن منظور فى كتاب الأغانى نظرة ، وهاتان النظرتان صوّبتا الكثير وحرّرتا الكثير ، وجلَتا الكثير ، وهذا كله كان له نفع كبير .

ابن منظور :

وأرانى حدثتك عن الكتاب قبل أن أحدثك عن صاحبه ، فإليك الحديث عن ابن منظور .

حياته :

هو محمد بن جلال الدين مكرّم بن نجيب الدين أبى الحسن على بن أحمد بن أبى القاسم بن حبقة بن محمد بن منظور بن معافى بن خمّير بن ريام بن سلطان بن كامل ابن قُرة بن كامل بن سرحان بن جابر بن رفاعة بن جابر بن رويفع بن ثابت بن سكن ابن عدى بن حارثة الأنصارى ، من بنى مالك .

شهر بنسبته إلى جده السابع منظور ، إذ عنده يقف أكثر من ترجموا له . ثم يرفعونه بعد ذلك إلى رويفع جده الأعلى . لم يذكر هذه السلسلة متصلة غير ابن منظور نفسه نقلا عن جده الأدنى نجيب الدين فقال فى كتابه لسان العرب (جرب) : « رويفع بن ثابت هذا هو جدنا الأعلى من الأنصار كما رأيته بخط جدى نجيب الدين والد المكرّم » . ثم مضى يذكر النسب على النحو الذى مر بك .

وعلى حين لم يُذكر حول هذا النص المكتوب بخط الجد خلاف ما حول الأسماء

ذكر السيوطى فى كتابه « البغية » شيئاً من هذا الخلاف ويكاد يكون هو الوحيد من بين المترجمين المعتد بهم فى هذا الصدد الذى استطرد فى سرد نسب صاحب هذه الترجمة إلى أن بلغ به جده منظورا ، فنجده ينقل : « محمد بن مكرم بن على ـ وقيل رضوان » كما نجده لا يذكر بين « حبقة » ومنظور محمدا ، وقد تكون هذه الأخيرة من سبيل الاختصار ولكن الأولى تلفت النظر لانفراد السيوطى بها ولخلو نص الجد منها .

ورويفع هذا الذى ينتسب إليه ابن منظور نزل مصر وولاه معاوية طرابلس ، أمّره عليها سنة ست وأربعين . وفى سنة سبع وأربعين خرج رويفع فغزا إفريقيا ثم عاد من سنته .

ويذكر ياقوت فى كتابه معجم البلدان فى رسم « جربة » نقلا عن حنش الصنعانى يقول : « غزونا مع رويفع بن ثابت قرية بالمغرب يقال لها : جربة ، فقام فينا خطيباً فقال : « أيها الناس ، لا أقول لكم إلا ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله لنا يوم خيبر ، فإنه قام فينا خطيباً فقال « لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ما زرعه غيره . يعنى إتيان النساء الحبالى » .

ويقول ابن عبد البر فى كتابه الاستيعاب : إنه ـ أعنى رويفعا ـ مات ببرقة وكان يليها من قبل مسلمة بن مخلد .

ويزيد ابن منظور فيما نقله عن جده : « وقبره بها » . كما يزيد رواية أخرى عن مكان موته فيقول : « وإنه مات بالشام فيما يقال » .

ومحمد هذا صاحب هذه الترجمة يكنى : أبا الفضل ، ويلقب « جمال الدين » . وقد أجمع المترجمون له على أن مولده كان سنة ٦٣٠ هـ .

وقال ابن شاكر الكتبى فى كتابه « فوات الوفيات » (٢ـ٣٣١) : «فى أولها».

وقال السيوطى فى كتابه « البغيــة » وابن حجر فى كتابه : « الدرر الـكامنة » (٤ : ٢٦٢) « فى المحرم » .

وقال الصفدى فى كتابه « أعيان العصر » : ومولده فى أول سنة ثلاثين وستمائة ثم زاد فقال نقلا عن شيخه أثير الدين قال : ولد المذكور يوم الاثنين الثانى والعشرين من المحرم من السنة المذكورة .

وقد اقتصر الصفدى على هذه الرواية الأخيرة فى كتابه « نـكت الهميان ص ٢٧٥ » وهذا ما ذكره أيضاً ابن تغرى بردى فى كتابه « المنهل الصافى » .

وبعد هذا الإجماع على مولد ابن منظور نرى أحمد فارس فى مقدمته على لسان العرب يذكر أن مولد ابن منظور كان فى المحرم سنة ٦٩٠ هـ ويجىء فى إثره الدكتور عبد الله درويش فى كتابه « المعاجم العربية » (صفحة ١٠٠) فيقول « إنه ولد عام ٦٨٠ هـ » .

ولم يعرض لمكان مولد ابن منظور غير اثنين : الزركلى فى « الأعلام » حيث قال « ولد بمصر . وقيل: بطرابلس الغرب » ثم الدكتور درويش فى كتابه « المعاجم العربية » حيث يقول : « ولد فى تونس حيث نشأ بها » .

وما نرى أن كليهما نقل ما نقل عن مرجع بل نراهما قد اجتهدا فى الاستنباط فالمراجع كلها لم تذكر عن هذا البلد الذى ولد فيه ابن منظور شيئاً صريحاً ، غير أن المعتمد منها ـ أعنى أعيان العصر والنكت والفوات والدرر والمنهل الصافى والبغية تقول : « إنه خدم بديوان الإنشاء بمصر وولى قضاء طرابلس . ولعل هذه العبارة هى التى أوحت بهذا الاستنباط يرى فيها كل رأيه .

ولـكننا إذا قرأنا لابن منظور مقدمة كتابه « نثار الأزهار » الذى اختصر فيه كتاب « فصل الخطاب فى مدارك الحواس الخمس لأولى الألباب » لشرف الدين

أحمد بن يوسف التيفاشي ، نجده يقول : وكنت فى أيام الوالد ـ رحمه الله ـ أرى تردد الفضلاء إليه ، وتهافت الأدباء عليه ، ورأيت الشيخ شرف الدين أحمد بن يوسف بن أحمد التيفاشي العبسي فى جملتهم ، وأنا فى سن الطفولة لا أدرى [1] ما يقولونه ، ولا أشاركهم فيما يلقونه ، غير أنى كنت أسمعه يذكر للوالد كتاباً صنفه أفنى فيه عمره ، واستغرق دهره ، وأنه سماه «فصل الخطاب فى مدارك الحواس الخمس لأولى الألباب» وأنه لم يجمع ما جمعه فيه كتاب . . . وكنت شديد الشوق إلى الوقوف عليه . وتوفى الوالد رحمه الله فى سنة خمس وأربعين وستمائة ، وشغلت عن الكتاب . وتوفى شرف الدين التيفاشي بعده بمدة . فلقد كانت وفاة التيفاشي سنة ٦٥١ هـ

وابن منظور فى هذا الذى أورده يشير إلى مركز أبيه فى مصر ، ويشير إلى فترة استقراره بها ، تلك الفترة التى امتدت بعد أن ولى الإنشاء بمصر إلى أن مات .

وفى تلك الفترة كان يختلف إليه التيفاشي وغيره . ونحن نعرف أن ابن منظور ولد سنة ٦٣٠ هـ ولقد عرفنا من تصريحه هذا الذى مر بك أن أباه مات سنة ٦٤٥ هـ ومن هنا نفيد أن عمر ابن منظور كان يوم مات أبوه نحواً من خمسة عشر عاماً ، من هنا نستطيع أن نجد ما يفيد ـ دون قطع ـ أن ميلاد ابن منظور كان بمصر .

والذين يقولون إن مولده كان بطرابلس يذكرون اختلاف أبيه إليها لولاية قضائها ، ولا يجدون مايدفع أن يكون ميلاد ابن منظور سبق مجىء الأب إلى مصر . فالأمر كما يحتمل الأولى يحتمل الثانية . ولكننا إلى الأولى نميل لهذا الذى ذكره ابن منظور عن طفولته .

وليس عندنا بعد هذا الكثير عن تنشئة ابن منظور ، ولكننا نكاد نلمح شيئاً فى تلك الكلمة التى قدم بها لكتابه « نثار الأزهار » . فلقد عرّفنا بطفولته وأنها

---

(١) مخطوطة دار الكتب المصرية (١٠٩١ تاريخ) المجلد الأول من الجزء السابع .

كانت طفولة مشغولة بالعلم والتحصيل ، وعلى ما كان عليه الأب وكان عليه الجد نشأ ابن منظور ، جذبته هذه الحركة العلمية التي صخب بها بيته منذ أن دبّ. ولقد عرفنا من هذا البيت قبل ابن منظور جده الأول نجيب الدين والد المكرم ، وقد ذكر لنا ابن منظور نقله عنه ما يتصل بسلسلة نسب هذا البيت ، وحدثتك أنا حديث الأب أو بعضه وحسبه أنه كان يلقب جلال الدين .

وبعد، هذا الذي ذكره ابن منظور عن تطلعه إلى التحصيل يذكر لنا الذين حدثونا عنه شيوخا له سمع منهم لا يكادون يختلفون فيهم ، هم ابن المقير ، ومرتضى بن حاتم ، وعبد الرحمن بن الطفيل[1] ، ويوسف بن المخيلي .

والغريب أن ابن منظور لم يعرض لواحد منهم بتعريف أو إشارة وهو يستطرد فى ثنايا المواد اللغوية كما أنه لم يفسح لهم مكاناً فى مقدمته التى قدم بها اللسان ، والتى كانت تتسع لهذا دون غيرها من مقدمات أخرى كثيرة قدم بها كتباً اختصرها .

ولعل إغفال ابن منظور لما أغفل يدلنا على أنه لم يجلس لهؤلاء الشيوخ جلوساً منتظما لم يدن هو منه بشىء كبير يحمله على أن يشير إليه ويقرّ به ، كما يدلنا على نوع من الاعتزاز بالنفس يزيدنا إصراراً عليه ما وجدناه له من نيل أو شبه نيل من أصحاب الكتب التى اختصرها ، فهو حين يذكر السبب الذى حمله على اختصار كتاب التيفاشى يقول : ورأيته قد جمع فيه أشياء لم يقصد بها سوى تكبير حجم الكتاب ، ولم يراع فيه التكرار ولا ما تمجه أسماع ذوى الألباب « إلى أن يقول : فأخذت زُبْده ، ورَميت زَبَده ، وأوردت مكرَّره ـ أى صافيه ـ وتركت مكرَّره ـ من التكرار » .

ثم هو حين يقدم للسان العرب ويذكر الكتب التى نقل عنها لا يكاد يعطى

---

(١) الدرر الكامنة : « عبد الرحيم » .

أصحابها حتى يَسلبهم ، وكان فيما أعطى أقلّ منه حين سَلب ، فنسمع إليه يقول :

« ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى ولا أكمل من المحكم لأبى الحسن على بن إسماعيل الأندلسى رحمهما الله ، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق ، وما عداها بالنسبة إليهما ثنيات للطريق ، غير أن كلا منهما مطلب عسير المهلك ، ومنهر وعر المسلك . وكأن واضعه شرع للناس مورداً عذباً وحلأهم عنه ، وارتاد لهم مريعاً ومنعهم منه ، قد أخر وقدم ، وقصد أن يعرب فأعجم ؛ فرق الذهن بين الثنائى والمضاعف والمقلوب ، وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعى والخماسى فضاع المطلوب ، فأهمل الناس أمرهما وانصرفوا عنهما ، وكادت البلاد لعدم الإقبال عليهما أن تخلو منهما ، وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب .

ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى قد أحسن ترتيب مختصره ، وشهره بسهولة وضعه شهرة أبى دلف « بين باديه ومحتضره » ، فخف على الناس أمره فتناولوه وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه ، غير أنه فى جو اللغة كالذرة ، وفى بحرها كالقطرة ، وإن كان فى نحرها كالدرة ، وهو مع ذلك قد صحف وحرف ، وجزف فيما صرّف ، فأتيح له الشيخ أبو محمد بن برى فتتبع مافيه وأملى عليه أماليه مخرجاً لسقطاته مؤرخاً لغلطاته » .

بمثل هذا الأسلوب تناول ابن منظور من أفاد منهم لم يعطهم إلا وهو يمهد للأخذ منهم ، ولقد كان له فى تلك الأساليب التى اعتدناها ممن عرفوا بالاختصار قبله أسوة . وكان معتزاً بنفسه كما قلت لك ، يجب أن يبرر اختصاره .

وابن منظور الذى أهمل شيوخه لم يهمله تلاميذه ، فالمؤرخون لابن منظور يذكرون من بينهم السبكى والذهبى .

يقول الصفدى فى « أعيان العصر »و« النـكت » : وكتب عنه شيخنا الذهبى .
ويزيد السيوطى واحداً آخر فيقول فى « البغية » : وروى عنه السبكى والذهبى .

وما أظن السيوطى أراد بالسبكى غير تقى الدين ، والد تاج الدين ، لا تاج الدين نفسه ، فتاج الدين عبد الوهاب كان مولده سنة ٧٢٧ هـ أى بعـد وفاة ابن منظور بنحو من ستة عشر عاماً ، على حين كان مولد أبيه تقى الدين فى سنة ٦٨٣هـ كما كانت وفاته سنة ٧٥٦ هـ ، أى إنه عاصر ابن منظور نحواً من ثمانية وعشرين عاماً .

وما من شك فى أن الذهبى أفرد لشيخه ابن منظور مكانا فى تاريخه ، أشار إلى ذلك الصفدى فى « أعيان العصر » والسيوطى فى « البغية » وتـكاد تـكون نقول المراجع جميعها عن الذهبى على الرغم من إهمال بعضها الإشارة إلى ذلك . ونقرأ فى هذا الذى خص به الذهبى أستاذه الإنصاف له حين يقول عنه : تفرد فى العوالى وكان عارفاً بالنحو واللغة والـكتابة .

ولو كان السبكى مثل الذهبى مؤرخا لوفّى شيخه ابن منظور حقه كما وفاه الذهبى ، ولـكنه مات عن كتب كثيرة ليس من بينها كتاب يضم تراجم .

وبعد هذين التلميذين نجد ذكراً لثالث هو قطب الدين ، ولد ابن منظور هذا ، وكان قطب الدين كاتب الانشاء بمصر . وذكروا له أنه روى عن أبيه شيئاً .

وبهذا نختم صفحتين لابن منظور : صفحة شيوخه وصفحة تلاميذه . ولا ندرى هل انطوى بانطواء صفحات الذهبى عن ابن منظور مزيد بعد هذا عن ابن منظور والذى يحملنى على أن الذهبى كان عنده المزيد أن النقول كلها تـكاد تكون عنه هو وحده .

والغريب أن ابن تغرى بردى لم يشر إلى ابن منظور فى كتابه النجوم الزاهرة عند ذكر وفيات سنة ٧١١ هـ على حين أفرد له ترجمة فى كتابه المنهل الصافى وكان

كل ما كتبه عنه المقريزى فى السلوك (٢ : ١١٤) : « ومات جمال الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ جلال الدين المكرم بن على فى ثالث عشرى المحرم عن بضع وثمانين سنة ودفن بالقرافة وكان من أعيان الفقهاء الشافعية ورؤساء القاهرة وأوائل كتاب الإنشاء ومن رواة الحديث » .

وقد دخل علينا المقريزى بهذا القليل الذى رواه عن ابن منظور بجديدين : أولهما أنه جعل وفاته فى المحرم وفى ثالث عشره ، على حين جعلها من ترجموا لابن منظور جميعا فى شعبان .

وثانى الجديدين أنه كان شافعيا ، وكان هذا يعنى أن يترجم له تاج الدين السبكى فى طبقاته ، وابن منظور أستاذ والده . ولكننا لم نجد لابن منظور ذكراً فى طبقات الشافعية لتاج الدين السبكى .

ونحن لهذا لا ندرى أحين وهم المقريزى فى الأولى وهم فى الثانية ؟ وما من شك فى أنه ناقل نقل عن غيره وما من شك فى أن هؤلاء المؤرخين الذين أرخوا لابن منظور كانوا عالة على الذهبى ، فلقد كانت وفاة الذهبى سنة ٧٤٨ هـ ، وكان وفاة الصفدى وابن شاكر الكتبى سنة ٧٦٤ هـ ، ووفاة المقريزى سنة ٨٤٥ هـ ، ثم كانت وفاة ابن حجر سنة ٨٥٢ هـ . وما نظن أنه كان للمقريزى مرجع نقل عنه غير الذهبى ثم الصفدى من بعده ، لكنا نراه يذكر ما لم يذكراه وما لم يذكره معاصر له وهو ابن حجر .

ابن منظور الأديب :

ويكاد يكون الذى رُوى لنا من شعر لابن منظور شيئاً واحداً ، فما روى هنا روى هناك مع اختصار أو تفصيل ، هذا غير تعليق انفرد به ابن حجر ، فما يروونه لابن منظور قوله :

ضَع كتابى إذا أتاك إلى الأر　　ض وقلّبه فى يديك لِماما
فعـلى خَتمه وفى جانبيْـه　　قُبَلٌ قـد وضعتهنّ تُؤاما
كان قصدى بهـا مباشرة الأر　　ض وكفيك بالتثام إذا ما

كما يروون له :

بالله إن جزت بـوادى الأراك　　وقبّلتْ عيدانُـه الخضرُ فاك
فابعث إلى المملوك من بعضه　　فإننى والله مالى سِـواك

والرواية فى ابن حجر : « فابعث إلى عبدك » . ويروى ابن حجر وابن شاكر لابن منظور :

الناس قـد أثِموا فينا بظَنهمُ　　وصَدّقوا بالذى أدرِى وتَدْرينا
ماذا يَضُرّكِ فى تصديق قولهمُ　　بأنْ نُحقق مافينا يَظُنّونا
حَملِي وحَملك ذنباً واحداً ثقة　　بالعَفو أجملُ من إثْم الوَرى فينا

وروى له الصفدى كما روى له ابن شاكر الكتبي :

توهّم فينا الناسُ أمراً وصَمّمت　　على ذاك منهم أنفسٌ وقُـلوبُ
وظَنُّوا وبعضُ الظن إثمٌ وكلهم　　لأقـواله فينا عليـه رَقيب
تعـال نُحقِّق ظنهم ونُريحهم　　من الإثم فينـا مرةً ونتوب

ثم يمضى الصفدى وابن شاكر يقولان : وأخذ هذا من قول الأول :

ما أنس لا أنس قولهـا بجَنًى　　ويحك إن الوشاة قـد علموا
ونمّ واش بنـا فقلت لهـا　　هل لك يا هند فى الذى زعموا ؟
قالت لمـاذا ترى فقلت لهـا　　كى لا تضيع الظنون والتهم

ولا ندرى أيهما التفت إلى هذا أولا ؟ ولكنا نكاد نجزم أن الصفدىّ كان أسبق ؛ فإنا نقرأ له : يقول بعد هـذا : وقلت أنا : كنانى قد حضرتهما وسمعت خطابهما :

هـــذا محب وما يخلصه في دينه أنْ وشاته أثمـــوا
فواصليــــه واصغى لمغلطة يقيلها من طباعـــه الـــكرم
يا ويح وصــــل أتى بمغلطة إن كنت لم ترع عندك الذمم

ثم يعقب الصفدى : « ولـكن « المـكرم » فى معناه زيادة على من تقدمه . وقوله « ثقة بالعفو » من أحسن متممات البلاغة » وهذا يؤكد ما ذكره قبل .

ويروى له « الصفدى » فى كتابه « أعيان العصر » برواية هذين البيتين له قال : وأنشدنى شيخنا أثير الدين قال : أنشدنا فتح الدين أبو عبد الله للبـكرى له قال : أنشدنا ابن المـكرم لنفسه :

وفاتِر الطَّرف ممْشوق القوام له فِعْــل الأَسِنّة والهِنْدِيّة القُضُب
فى حُسنه الفرْد وأوصافٌ مُركَّبة اَلخلْق للتُّرك والأخـلاقُ للعرَب

هذا ما روى لنا من شعر ابن منظور ، ولا نحب أن نعقب فهو قليل ثم هــو لا يستقيم مادة للحكم على صاحبه .

وقد مر بك طرف من نثره فيا سقناه لك من مقدمته فى « نثار الأزهار » . ومن مقدمته فى اللسان ، وهو بهذا وذاك قد بلغ أن يكون كاتب إنشاء فى مصر ، وأن يلى نظر طرابلس .

مؤلفاته :

وتـكاد مؤلفاته تملى علينا نهجه وتحدد غرضه . يقول الصفدى فى « أعيان العصر » : واختصر كتباً وكان كثير النسخ ذا حظ حسن ، وله أدب ونظم ونثر .

ويقول أخرى : « وكان فاضلا وعنده تشيُّع بلا رفض ، خدم فى ديوان الإنشاء بالقاهرة وأتى بعمله بما يخجل النجوم الزاهرة ، وله شعر غاص على معانيه وأبهج به

نفس من يمانيه . وكان قادراً على الكتابة لا يمل من مواصلتها ، ولا يولِّى عن مناضلتها . لا أعرف فى الأدب وغيره كتاباً بطوله إلا وقد اختصره وروّق عنقوده واعتصره ، تفرد بهذه الخاصة البديعة وكانت همته بذلك فى بدر الزمان وشيمة » .

ويقول ابن حجر : وكان مغرماً باختصار كتب الأدب المطولة والتواريخ ، وكان لا يمل من ذلك .

وينقل الصفدى عن ولده ـ أى ولد ابن منظور قطب الدين ـ أن والده ـ أى ابن منظور ـ ترك بخطه خمسمائة مجلد .

فهذا لا شك يشير إلى قدر ابن منظور وجهده .

وإليك ما نقله إلينا المؤرخون من كتب اختصرها ابن منظور :

١ — زهر الآداب وثمر الألباب لأبى إسحاق إبراهيم بن على بن تميم الحصرى القيروانى (٤٥٣ هـ) فى أربعة أجزاء .

ولم نقع على اختصار ابن منظور لهذا الكتاب ولم نعلم أن إنساناً آخر غير ابن منظور عنى نفسه باختصاره .

٢ — يتيمة الدهر فى شعراء أهل العصر للثعالبى أبى منصور عبد الملك بن محمد ابن إسماعيل النيسابورى (٤٢٩ هـ) .

ولقد عنى باليتيمة مؤلفون فأتموا وذيلوا . وكما فعل الثعالبى وجعل كتابه يتيمة الدهر ذيلا لكتاب البارع فى أخبار الشعراء لهارون المنجم جاء بعده من ذيل على يتيمته فوضع الباخرزى أبو الحسن على بن الحسن (٤٦٧ هـ) كتابه : دمية القصر وعصرة أهل العصر « ثم جاء العماد الأصفهانى أبو عبد الله محمد بن محمد (٥٩٧ هـ) ووضع كتابه ، خريدة القصر وجريدة أهل العصر » .

ولكن جهد ابن منظور كان غير جهد هؤلاء ، جهد تيسير وتذليل لا جهد

إضافة وتكميل ، وكان بعد ابن منظور غيره . هو تقى الدين بن عبد القادر (١٠٠٥ هـ) فلقد اختصر هو الآخر اليتيمة إلى نصفها .

٣ — نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (جامع التواريخ) للتنوخى أبى على المحسن ابن على (٣٨٤ هـ) .

٤ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر أبى القاسم على بن محمد الحسن بن عبد الله (٥٧١) وهو كتاب كبير يقع فى نحو من ٤٨ مجلداً .

وكما شغل ابن منظور بهذا التاريخ فاختصره إلى ربعه كما يقول حاجى خليفة فى كتابه « كشف الظنون » شغل العينى بدر الدين محمود (٨٥٥ هـ) فاختصره . وكذلك شغل السيوطى جلال الدين عبد الرحمن (٩١١ هـ) فاختصره وسمى اختصاره: تحفة المذاكر المنتقى من تاريخ ابن عساكر . ولكن هذه المختصرات كلها لا وجود لها وليس بين أيدينا منها إلا كتاب حديث هو : تهذيب تاريخ مدينة دمشق لابن بدران عبد القادر بن أحمد السورى ، ولكنه لم ينته فيه إلى آخره بل أتم منه خمسة مجلدات تنتهى إلى حرف الزاى .

٥ — تاريخ بغداد للسمعانى أبى سعد عبد الكريم بن محمد (٥٦٢هـ) ولقد كان هذا الكتاب أعنى كتاب — السمعانى — ذيلا على كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (٤٦٣ هـ) كما جاء بعد السمعانى من ذيل عليه فكان أبو عبد الله عماد الدين محمد بن محمد (٥٩٧ هـ) ثم ابن الدبيثى أبو عبد الله محمد بن سعيد (٦٣٧ هـ) ثم ابن القطيعى ثم ابن النجار البغدادى (٦٤٣ هـ) ثم الذهبى (٧٤٨ هـ) ثم ابن رافع (٧٧٤ هـ) .

ووسط هذه الجهود المضنية المكملة ظهر قبل ابن منظور مختصرون منهم أبو اليمن مسعود بن محمد البخارى (٤٦١ هـ) فقد اختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ثم كان ابن منظور الذى اختصر تاريخ بغداد للسمعانى .

٦ — صفوة (صفة) الصفوة لابن الجوزى أبى الفرج عبد الرحمن بن على (٥٩٧ هـ) والكتاب مختصر لحلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى أحمد بن عبد الله (٤٣٠هـ) وقد قدم ابن الجوزى مختصره بأسباب عشرة حملته على هذا الاختصار . ومن بعد ابن الجوزى جاء مختصرون لهذا الكتاب ـ أعنى الحلية ـ منهم أبو المعالى الوراق سعد بن على (٥٢٨ هـ) ثم ابن مرزوق المصرى (٥٦٤ هـ) ثم ابن منظور . وليس بين أيدينا اليوم غير الأصل ـ أعنى الحلية ـ ثم صفوة الصفوة لابن الجوزى .

٧ — مفردات ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقى (٦٤٦ هـ) وهو كتاب فى الطب جامع لمفردات الأدوية والأغذية . وأنت ترى أن مؤلفه لم يبعد كثيراً عن عصر ابن منظور بل لقد أدركه ابن منظور .

٨ — فصل الخطاب للتيفاشى أحمد بن يوسف (٦٥١ هـ) وقد مر بك شىء عنه . اختصره ابن منظور فى كتاب كبير سماه « سرور النفس بمدارك الحواس الخمس » وجعل الجزء الأول منه فى كتاب سماه « نثار الأزهار فى الليل والنهار وأطايب أوقات الأصائل والأسحار وسائر ما يشتمل عليه من كواكب الفلك الدوار » .

٩ — الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ـ يعنى جزيرة الأندلس ـ لابن بسام أبى الحسن على (٣٠٣ هـ) وقد اختصر هذا الكتاب ابن منظور وسمى مختصره « لطائف الذخيرة » .

١٠ — الحيوان للجاحظ أبى عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ) ويقال إن ابن منظور اختصره ، إذ لم يجمع على هذا من ترجموا له ، ولقد سبق ابن منظور إلى اختصار هذا الكتاب اثنان : أحدهما هبة الله بن القاضى الرشيد جعفر وكانت وفاته سنة ٦٠٨ هـ والثانى ابن اللباد البغدادى موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف وكانت وفاته سنة ٦٢٩ هـ .

هذه جملة من الكتب الأدبية والتاريخية التى قام ابن منظور باختصارها وما نظن هذا هو ما اختصره ابن منظور كله ، وإلا فأين المجلدات الخمسمائة التى ذكرها ابنه قطب الدين ؟

١١ — لسان العرب : وتكاد تكون الفكرة التى أملت هذا كله هى الفكرة التى أملت لسان العرب ، ونخال الرجل حين دخل إلى صنع لسان العرب دخله بالفكرة نفسها التى دخل بها إلى غيره ولكنه حين طالعته الفكرة ، أعنى فكرة صنع لسان العرب ، وجد نفسه بين تيارات أخرى اضطرته إلى تعديل كثير .

وهكذا كان نمط ابن منظور فى اللسان نمطه فى غيره لم يخرج عن النقل من الكتب اللغوية التى اعتمد عليها ثم تبويب ما نقل وعرضه فى صورة ميسرة .

ولكن هذا لم يمض على إطلاقه بل لقد دخل على هذا الإطلاق ما قطعه شيئاً فلقد رأينا ابن منظور فى مادة « جرب » ينقل فى هذه المادة كلاماً يتصل بنسبه وما نظن هذا الكلام كان فى كتاب من الكتب اللغوية التى اعتمد عليها .

وما نرى ابن منظور ادعى غير هذا فهو يقول فى مقدمته على لسان العرب : « فجمعت منها فى هذا الكتاب ما تفرق » ثم يقول : « وأنا مع ذلك لا أدعى فيه دعوى فأقول شافهت أو سمعت أو فعلت أو صنعت أو شددت أو رحلت أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الأزهرى وابن سيده لقائل مقالا » ثم يقول : وليس لى فى هذا الكتاب فضيلة أمت بها ، ولا وسيلة أتمسك بسببها سوى أنى جمعت فيه ما تفرق فى تلك الكتب من العلوم ، ثم يقول أخيراً ليضع نفسه مكانها ، وليخليها من تبعات : وما تصرفت فيه بكلام غير مافيها من النص فليقيد من ينقل عن كتابى هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة .

١٢ — ثم مختار الأغانى ، وقد حدثناك عن شىء وبقى شىء .

مخطوطات المختار :

ومن هذا الكتاب أجزاء متفرقة تضم مكتبة كوبريلى بالآستانة منها شيئا ، وتضم مكتبة بلدية الإسكندرية منها شيئا ، وتضم مكتبة الأزهر منها شيئا ، تنفرد أجزاء عن أجزاء ، وتشارك أجزاء أجزاء . وليست ثمة نسخة كاملة غير تلك التى تحتفظ بها المكتبة التيمورية .

ولقد كانت هـذه النسخة التيمورية هى معتمدى ، وهى التى رمزت إليها بالحرف (ت) كما رجعت إلى كتاب الأغانى وجعلته هو الآخر أصلا ، ورمزت إليه بالحرف (غ) ، كما استأنست بتجريد الأغانى ، ولم أرمز إليه بل جعلته مع غيره من المراجع التى رجعت إليها .

وأحب أن أشير إلى أن مقدمة المؤلف ـ أعنى ابن منظور ـ التى تراها مع هذا الجزء لم تشر إلى شىء من منهجه فى الكتاب ، وقد لخصناه لك فيما سبق من هذه المقدمة استنتاجا .

ولكننا نجد الفهارس التى ذكرت هذا الكتاب تقول : إنه مرتب على الحروف دون أن تذكر شيئا عن هذا الترتيب ، وهذه العبارة كما يُفهم منها تَدُل على أن ابن منظور رتب التراجم حروفا ، ثم رتب تراجم كل حرف على ترتيب الحروف .

غير أن الناظر فى تراجم هذا الجزء يجدها لا تخضع لهذا الترتيب ، فتقدّم منها ما يستحق التأخير واستأخر منها ما يستحق التقديم ، لا ندرى أكان هذا من صنع ابن منظور وأنه اجتزأ بجمع تراجم كُل حرف معاً ولم يرتبها بعد هذا على الترتيب الثانى ، أم كان هذا صُنع الناسخين .

إن مقدمة المؤلف لا تشير إلى شىء ونكاد نراها مبتورة ، وليست تحكى غيرها من مقدمات المؤلف على كُتب أخرى غير الأغانى اختصرها .

وبعد، فهذا هو الجزء الأول من هذا المختار ليس لى فيه إلا عمل يسير، فما من شك فى أن الأغانى ثم التجريد يسّرا كثيرا وأعانا على كثير.

غير أنى بهذا الجهد اليسير سعيد إذ أقدِّم للذين يَرغبون فى التيسير، وما أكثرهم كتابا مُيسراً.

والله أسأل لى ولهم التوفيــــق والسداد.

المحرم ١٣٨٥هـ
مايو ١٩٦٥م

إبراهيم الأبيارى

بسم الله الرحمن الرحيم

بقية حرف الألف

مخطوطة بلدية الاسكندرية

مخطوطة المكتبة التيمورية

مختار الأغانى
فى
الأخبار والتهانى

الجزء الأول

حققه وقدم له
إبرهيم الابيارى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِين ، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا مُحَمَّد وعلى آله وصَحْبِه أجْمَعِين .

قال المُصَنِّف رَحِمَه اللهُ تَعَالَى :

أُقدِّم هُنَا حِكاية وجَدْتُها فى آخر مُخْتَصَر من هذا الكِتَاب ، اخْتَصَره الرَّشِيدى أَبُو الحُسَيْن أَحْمَدُ بْنُ الرَّشِيد بن الزُّبَيْر ، وهى : « قال أبو مُحَمَّد الحَسَن بن محمد المُهَلَّبِي : سألتُ أَبَا الفرَج الأصْبَهَانِي : فى كَمْ جَمَع كِتَابَه الأغانى ؟ فذكر أنه جَمَعه فى خَمْسِين سنة .

وقال أَبُو الفرَج : إنَّه كَتَبَ الأغانى فى عُمْرِه مرّة واحدة ، وأَهْدَاه إلى سَيْف الدَّوْلة ، فأَنْفَذَ له أَلْفَ دِينار . ولما حُدِّثَ الصاحبُ بْنُ عَبَّاد بذلك ، قال : لقد قَصَّرَ سيفُ الدَّوْلة وأنَّه يستَحِق أَضْعافَها ؛ إذْ كان كِتابُه مَشْحُونا بالمَحَاسِن المُنْتَخَبَة والفِقَر الغَرِيبَة ، فهو للزَّاهد فُكاهة ، وللعَالِم مادَّة وزِيَادَة ، وللكاتب والمُتَأَدِّب بِضَاعَة وتِجارَة ، وللبَطَل رُجْلَةٌ وشَجاعة ، وللمُتَظَرِّف[1] رِياضَةٌ وصِنَاعَة ، وللمَلِك طِيبَةٌ ولَذَاذَة ، ولقد اشْتَمَلَت خِزانتى على مِائَة أَلْف وسَبْعَةَ عشَر أَلْف مُجَلّد ، ما فيها مَنْ هو سَمِيرى غَيْرُه ، ولا رَاقَنى منها سِوَاه ؛ ولقد عُنِيتُ بامتِحَانِه فى أخْبارِ العَرَب وغيرهم ، فوجدتُ جميع ما نَفَر[2] عن أَسْمَاعِ مَنْ

(١) فى ت : للمضطر ، وفى غ : للمضطرب ، وما أثبتنا عن كتاب تجريد الأغانى .

(٢) فى غ : يعز .

قَرَفَه(١) بذلك قد أورده العلماء فى كُتُبِهم ، فَفَازَ بالسَّبْق فى جَمْعه وحُسن رَصْفِه وتأْلِيفه . ولله دَرُّ أَبِى الفَرَج ، فلقد أَبْقَى له ذِكراً لا يُنْسَى ، وبَسط نُمْرُقَةً(٢) لا تَبْلَى ، ولقد جَمَّل الدُّنْيا بفَضْلِه الذى أظهره فيه ، فهو حَقِيقٌ بتَسْمِيته الحاوِى لا الأغانى . ولقد كان عَضُد الدَّولة لا يُفارِقُه فى سَفَره ولا حَضَره . لقد كان جَلِيسَه الذى يأْنَس به ، وخِدْنَه الذى يَرْتَاح إليه ، فزادَه بذلك شَرَفاً إلى شَرَفه ، ونُبْلًا إلى نُبْله .

قال أبو جَعْفَر مُحَمَّدُ بنُ يحيى بنِ شيرزاد(٣) : اتَّصَل بى أنَّ أصْلَ أبى الفرَج من مُسَوَّدَةِ الأغانى أُخْرِجَت إلَى سُوقِ الوَرَّاقين لتُبَاع ، وأنَّها بلغَت فى النِّدَاء أربَعَةَ آلافِ دِرْهم ، وأنَّ أكْثَرها فى ظُهُور وبخَطِّ التعليق ، وأنها اشتُرِيَت لأبى أحمدَ محمد بن حَفْص .

---

(١) قرفه بكذا : اتهمه به .

(٢) النمرقة : الطنفسة .

(٣) فى ت : أبو جعفر محمد بن يحي بن سرزاد .

المختار من الأصوات

رُوِى أَنَّ الرَّشِيدَ أَمر المُغَنِّين أنْ يختاروا له مِائَة صوت ، فاُخْتَارُوها ، ثم أمرهم باُخْتِيار عشرة منها ، فاُختاروها ، ثم أمرهم باخْتِيار ثَلَاثة منها ، فاُختارُوها .

من الثَّلاثة فى شِعْر أبى قَطِيفة :

القَصْر فالنَّخل فالجَمَّاء بَيْنهما[1] أَشْهَى إلَى القَلْب من أبوابِ جَيْرُون

ومنها فى شِعْر عُمَر بنِ أبى رَبِيعَة :

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجرىَ لَمَّا جَهَدْتُه وبَيَّن لو يَسْطِيع أن يَتَكَلَّما

ومنها فى شِعْر نُصَيْب :

أَهَاجَ هواكَ المَنْزِلُ المُتَقَادِمُ نَعَم ، وبه مِمَّنْ[2] شَجَاكَ مَعالِم

وذَكَر جَحْظَةُ أَنَّ مِنَ الثَّلَاثَة الأَصْوَات فى شِعْر المَجْنُون :

إذَا ما طَوَاكِ الدهرُ يا أُمَّ مَالك فشأْن المَنَايا القَاضِيَاتِ وشَانِيَا

يُقَالُ : إنَّ هَذِه الثَّلَاثَةَ الأَصْوَات على تِلْك الطَّرائق لا تبقَى نَغْمَة فى الغِناء إلَّا وهىَ فيها .

قال إبْرَاهِيمُ بْنُ المَهْدِى :

أمر الرشيدُ المُغَنِّين أن يَخْتَارُوا له أَحْسَن صَوْت غُنِّىَ فيه ، فاُخْتَارُوا له لَحْنَ ابنِ مُحْرِزٍ فى شِعْر نُصَيْب :

أَهَاجَ هواكَ المَنْزِلُ المُتَقَادِمُ نَعَم وبه مِمَّنْ شَجاكَ مَعالِم

---

(١) فى ت : منزلة .

(٢) فى ت : مما .

الصوتُ المُختَار في شِعْر أبي قَطِيفة :

القَصْرُ فالنَّخلُ فالجَمَّاءُ بَيْنَهُمَا أَشْهَى إلى القلبِ من أَبْوَابِ جَيْرُونِ

إلى البَلَاطِ فما حازت قَرَائِنُه دُورٌ نَزَحْنَ عن الفَحْشَاءِ والهُونِ

قد يَكْتُمُ الناسُ أَسْرَارًا فأَعلَمُهَا ولا يَنَالُون حتى الموتِ مَكْنُونِي

القَصْرُ الذى عَنَاه ها هُنَا هو قَصْر سَعِيد بْنِ العَاصِ بالعَرْصَة ؛ والنخل هو نَخْلُ سَعِيد بَيْنَ قَصْره وبَيْنَ الجَمَّاء ، وهي أَرْض كانَت له ، فصار جَمِيع ذَلِك لمعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان بعد وَفَاة سعيد ، ابْتاعَه من ابنه عَمْرو باحْتِمَال دَيْنه عنه . وأَبوابُ جَيْرُون بِدِمَشْق . ويروى : « حَاذَتْ قَرَائِنُه » والقَرَائن : دُورٌ كانت لسَعِيد[1] بْنِ العَاصِ مُتَلَاصِقَة ، سُمِّيَتْ بذلك لاقْتِرَانِها ، ونَزَحْن : بَعُدْن . والمَكْنُون : المَسْتُور الخفيّ ، من الكِنّ . فهذه الثَّلاثَة الأَصوات هي المُخْتَارَة من كل صَوْت غُنِّيَ به ، واللهُ أَعْلَم .

الشَّرطُ في هذا الاخْتِيار تَرْكُ ذِكْر الأصوات ، وإنَّما ذَكرتُ هَذِه الثَّلاثَةَ الأَصْوَات منها لنُكْتَة أنها مُختَار ما غُنِّيَ من الأَصْوات التي غُنِّيَ فيها ، وما عسى أنْ تُطْرِب جودةُ التَّلْحِين مع سَمَاجَة هَذا الشِّعر ، فرَحِم اللهُ أبَا الفَرج ، أين هُوَ من صناعة أَهْلِ العَصْر في تَلْحِينِهم واخْتِيَارِهم له الشِّعْرَ الرقيقَ الفَائق . ولقد غُنِّيَ في عصرنا قولٌ في شعر أبي نُوَاس غَنَّاه شمسُ الدِّين بن بدل لغيره :

غَنِّنَا بالطُّلُول كيفَ بلِينَا واسقِنَا نُعْطِك الثَّنَاء الثَّمِينَا

فلو سَمِعَه أبو الفَرَج شَقَّق ثِيابه ، ومَزَّق كِتَابه ، وأَضْرب عن ذكر الغِنَاء والأَصْوَات ، وقال: هَيْهَات !

(١) في غ : لبني سعيد .

وغنى أيضا فى زماننا خفيفٌ فى شعر البُحْترِى ، صَنَّفَه الأميرُ شهاب الدين أحمد ابن يَغمور :

ضَمَانٌ على عَيْنَيْكِ أَنِّىَ لا أسلُو ... وأَنَّ فؤادى مِنْ جوًى بِكِ لا يَخْلُو
ولو شِئتِ يومَ البَينِ بَلَّ غليلَه ... مُحِبٌّ بوَصْلٍ منكِ إن أمْكَنَ الوَصْلُ
وَمَا النَّائلُ المَطْلوب منكِ بمُعْوِزٍ ... لَدَيْك بل الإسْعَافُ يُعْوِزُ والبَذْلُ
أَطَاعَ لها دَلٌّ غَرِيرٌ وَوَاضِحٌ ... شَنِيب وقَدٌّ مُفعَم وشَوًى جَدْلُ
وأَلْحَاظُ عَيْنٍ ما عَلِقْنَ بِفَارِغٍ ... فَخَلَّيْنَه حتى يكُونَ له شُغْلُ

لو طَرَقَ أُذُنَ الأصْبهَانِى نَسِى أصبهان ، وقَضَى على سَائِرِ الألْحان .

ولقد عَرَضَ علىَّ بعضُ أعداءِ الدولة الظَّاهِرِيَّة التركية نُسخة مِن مَصارع المُشَّاق ، وكنتُ حاضرا عنده ، فارْتَجَلْتُ بَدِيها :

إن جُزْتَ سَلْماً سَلْ عن المُشْتاق ... ماذا صنعتْ بِهِ يَدَ الأشْوَاقِ
واكتُب حديثَ العِشْق عن جِيرَانِهِ ... فهُمُ رُوَاةُ مَصارِعِ(١) المُشَّاقِ

وكان فى المجلس بعضُ المُغَنِّين ، فأخذ آلتَه وأصْلَحها ، ولَحَّنَه فى أسرع من نظمى وغَنَّاه ، فلم يَبْقَ فى المَجْلِس مَنْ لا غَلَبَه الطرَب واستفزَّه ، وحركه السرورُ وهَزَّه . وغُنّى أيضاً فى شِعْر لى :

وفَاتِنِ القَدِّ فَاتِرِ اللَّحْظ ... أَغْيَدَ حُلْو العِتَاب واللَّفْظ
رَضِيتُ عن قِسْمَة الزَّمان وقَدْ ... أصبحَ مِنْ سَائِرِ الوَرَى حَظِّى

فى تصنيف لو سَمِعَه أحْمَد لأَحْمَدَه ، أو مَعْبَد لاَسْتَعْبَدَه ، صنَّفَه شمسُ الدِّين ابن بدل . ولعَمْرِى كما يَنْبَغِى أن تُتَخَيَّرَ الألحانُ المُعجِبَة ، لذلك يَنْبَغِى أن يُتَقَدَّم باخْتِيَار الأشعَار المُطْرِبة ، فإنّ الشِّعرَ الطَّيِّب لو أُورِدَ إيرَادًا بغير تَلْحين ، بلَغَ

(١) ت : « واستمل حديث العشق من جيرته ... فالقوم رواة مصرع » .

فى الإطراب ما لا تَبلُغُه صَنْعَة المُغنِّين ، وإنَّمَا يُستَدرَك بالألحان بَعد اللَّذَّة بالمَعَانى العَجيبَة ، والأشعَارِ الغَرِيبَة ، فَحِينئذٍ تَجْتَمِعُ اللَّذَّتان ، ويَتَضَاعَفُ الطَّرَبان .

ولم أَذْكُر هَذِه النبذَة إلّا لأن زَمانَنا ، وإن قصُرَت قُدرةُ أهلِيه عن قُدْرة أَهْل ذَلِك الزمان ، فِيهِ مِن الإخوان المتنوعين فى التَّنَعُّم والتَّلذُّذ ، ولو تـكَمَّل بالإمكان ، لشَغَل أهْلِيه بإخْوَانِهم عن ذَلِك الزَّمَانِ وأُولَئِك الإخْوَان .

حَرْفُ الألِف

أَبُو العَتَاهِيَة إسْمَاعِيل

أبو العَتَاهِيَة لَقَبٌ غَلَبَ عليه ، وهو إسْمَاعِيل بن القَاسِم بن سُوَيْد بن كَيْسان ؛ وكُنْيَتُهُ أَبُو إسْحَاق، وأُمُّه أُمّ زَيْد بنت زِيَاد المُحَارِبى ، مَوْلَى بَنِى زُهْرَة .

وفى ذلك يقول أَبُو قَابُوس النَّصْرَانِى ، وقد بَلَغَه أَنَّ أَبَا العَتَاهِية فَضَّل عليه العَتَّابِى ، فقَال :

قـــل للمُـكَنّى نَفْسَه مُتَخَـــيِّرًا بعَتَاهِيَـــه
والمُرْسِل الـــكَلِم القَبِيـ ـح وَعَتْه أُذْنٌ وَاعِيَـهْ
إنْ كنتَ سِرًّا سُؤْتَـنِى أو كَانَ ذَاكَ عَـــلَانِيَه
فعلَيْك لعنةُ ذِى الجــلَا ل وأُمُّ زيـــدٍ زَانِيَه

أُمُّ زَيْد هى أُمُّ أَبِى العَتَاهِية . ومَنْشَؤُه بالـكُوفَة ، وبِهَا تأَدَّب . وكان فى أوَّل أَمْرِه يَتَخَنَّث[1] ويَحْمِل زَامِلة المُخَنَّثِين ، وكان يَبِيعُ الفَخَّار بالـكُوفة ، ثم قَالَ الشِّعْر وبَرَع فيه فتَقَدَّم .

ويقال : أَطْبَعُ النَّاسِ بَشَّار ، والسيد[2]، وأَبُو العَتَاهِيَة ، وما قَدر أحدٌ قَطّ على جَمْع شِعْر هَؤُلاء الثَّلاثَة لِـكَثْرَتِه .

وكان لَطِيفَ المَعَانِى ، سهلَ الأَلْفَاظ ، كَثِيرَ الافتِنَان ، قَلِيلَ التَّـكَلُّف ، غَزِيرَ البَحْر ، إلَّا أَنَّه كَثِيرُ السَّاقِطِ المَرْذُول مع ذَلِك . وأَكْثَرُ شعره فى الزُّهْد

---

(١) فى ت : مخنث .

(٢) السيد : هو السيد الحميرى ، واسمه إسماعيل بن محمد أبو هاشم .

والأَمْثَال ، وكان يُنسَبُ إِلَى القول بمَذْهَب الفَلاَسِفَة مِمَّن لا يُؤْمِنُ بالبَعْث ، ويحتَجُّون بأَنَّ شعرَه ، إِنَّما هو فى ذِكْرِ المَوْت والفنَاء ، دُونَ ذِكْرِ النُّشُور والمَعَاد . ولَهُ أوزَان ظَرِيفَة[1] قالها ، مِمَّا لم يَتقَدَّمْه الأَوائِلُ فِيها .

وكان مِن أَبْخَل النَّاسِ مَعَ يَسَارِه وكثرةِ ما جَمَعَه من الأَمْوَال . وكان سببُ تَكَنِّيه بأَبِى العَتَاهِية ، أَنَّ المَهْدِى قال له يوما : أنتَ مُتَحَذْلِق مُعَتَّه ، فاستوَتْ له من ذَلِك كُنْيَةٌ غَلَبَت على اسمِه وسَارَتْ فى النَّاس . قال : ويُقَال للرَّجُل المُتَحَذْلِق : عتَاهِيَة ، كما يُقَالُ للرَّجُل الطَّوِيل : شَنَاحِيَة .

ويقال : أَبُو عَتَاهِية ، بغَيْر ألف ولاَم . وقيل : كُنى بذلك لأنه كان يُحِبُّ الشهرَةَ والمُجُون والتَّعَتّه . فكُنى لعَتَهه[2] بأَبى العَتَاهِيَة .

وكان محمد بن أَبِى العَتَاهِية يَذْكُر أَنَّ أَصْلَهم من عَنَزَة ، وأَنَّ جَدَّهم كَيْسان كان من أَهْل عَيْن التَّمْر ، فلما غزاها[3] خالد بنُ الوليد كان جَدُّهم كَيْسان هَذَا يَتيما صَغِيرا ، يكفُلُه قرَابَةٌ له من عَنَزَة ، فَسَباه خَالد مع جَمَاعَةِ صِبْيَان من أَهْلِها ،

وَوَجَّه بِهم إلى أَبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فوصلوا إليه بِحَضْرة عَبَّاد ابن رِفَاعة العَنَزى أحد بنى معدم بن عنزة بن أَسَد بن رَبِيعة بن نِزَار ، فجعل أبو بكر رضى الله عنه يسألُ الصِّبْيَان عن أنسابهم ، فيُخبره كُلُّ واحد منهم بمبلغ مَعْرِفَته. حَتى سأَل كَيْسان ، فذكر أَنَّه من عَنَزَة . فلما سمعه عَبَّاد يقول ذلك أستوهَبَه من أَبِى بكر رضى الله عنه ، وأنه قد صَارَ خَالِصاً له ، فوَهَبه له وأعتقه.

---

(١) فى غ : طريفة .
(٢) فى ت : لعتوه .
(٣) فى ت : عزله .

فتوَلّاه من عَنَزَة مندل وأخوه، فقيهان من بني عمرو بن عامر، فظن من تقدم أنه من عنزة، وكانا من سادات أهل الكوفة .

قال أَبُو دُؤَيْل مصعب بن برد : لم أَرَ قطّ مَنْدَلَ بن عَلىّ وأَخَاه حَيَّان بن علىّ غَضِبا من شيء إلَّا يوماً واحدا ، دَخَل عليهما أَبُو العَتَاهِية وهو مُضَمَّخٌ بالدِّماء فقال لهما : مَنْ أَنَا ؟ فقَالا له : أنتَ أَخُونَا وابنُ عَمِّنا ومولانا ؛ فقال : إنَّ فُلاَنًا الجزّار قاتلني[1] وزَعَم أَنَّني نَبَطِيّ[2] ، فإن كنتُ نَبَطِيًّا هربتُ على وجهي ، وإلَّا فَقُومَا وخُذَا لِي بحَقِّي ؛ فقام معه مَنْدَل بنُ عَلِي ، وما تَعَلَّق نعله[3] غضباً ؛ وقال : والله لَوْ كَانَ حَقُّك على عِيسَى بن مُوسَى[4] لأَخَذْتُه لَكَ منه، ومَرَّ معه حَافِياً حتى أَخَذَ له بِحَقِّه .

وقيل : أَبُو العَتَاهِية مَوْلَى عَطَاء بن مِحْجَن المَنَزِىّ .

وكان أَبُو العَتَاهِية وإبْرَاهيم المَوْصِلِي من أَهْلِ المَذَار . وكان أَبُو العتاهية وأَهْلُه يعملون الجِرَار الخضْر . فقَدِما إلَى بَغْدَاد . فنزل إبرَاهِيمُ المَوْصِلِيُّ بَغْدَاد . ونَزَل أَبُو العَتَاهِية الحِيرَة .

وَوَلَاء أَبِي العَتَاهِية من قبل أَبيه لعنَزَة . ومِنْ قِبَل أُمِّه لبَنِي زُهْرة، ثم لمُحَمّد ابن هاشم بن عُتْبَة بن أَبِي وَقَّاص . وكانت أمه مولاةً لهم يقال لها : أُمّ زَيد .

قال الخليلُ بنُ أَسَد : وكان أَبُو العَتَاهية يستأذِن ، ويقول : أَبُو إسحاق الخزّاف . وكان أَبُوه حَجَّاماً من أهل ورجه[5]، ولذلك يقول أَبُو العَتَاهِيَة :

---

(١) في غ : قتلني .

(٢) النبط : جيل من الناس ينزلون بالبطائح بين العراقين .

(٣) ما تعلق نعله ، أي ما لبسه .

(٤) في ت : على بن عيسى .

(٥) في ت: ورحه .

أَلَا إنَّمَا التَّقْوى هو العِزُّ والـكَرَم وحُبُّك للدُّنيَا هـو الفقْر والعَدَم
وليس عَلَى عَبْدٍ تَقِي نَقِيصَةٌ إذَا صحَّحَ التقوَى وإنْ حَاكَ أو حَجَم

قال مُحمَّد بن أَبِى العَتَاهِية : جاذب رجل من كِنَانَة أَبِى : أَبَا العَتَاهية، فى شىء فخر عليه الـكِنانِىّ واستطال بقوم من أَهْله ؛ فقال أبو العتاهية :

دَعْنِيَ من ذِكْرِ أَبٍ وجَـدٍّ ونَسَبٍ يُعْليك سُـورَ المَجْد
ما الفَخْرُ إلَّا فِى التُّقَى والزُّهْدِ وطاعةٍ تُعطى جِنَانَ الخُلْد
لا بُـدَّ من وِرْدٍ لأَهْـلِ الوِرْدْ إمَّا إلى ضَحْـلٍ وإمَّا عِدٍّ(١)

وكان مَذهب أبى العتاهية التَّوْحيدَ وأَنَّ الله خَلَقَ جَوْهَرَيْنِ مُتَضَادَّيْن لَا مِنْ شَىْء ، وبَنَى العَالَم هَـذِه البِنْيَة مِنْهُمَا ، وأن العَالَم حديثُ العَيْنِ(٢) والصَّنْعَة لا مُحْدِثَ لَه إلَّا المتعـالى ، وزعم أَنَّ اللهَ تَعَالى سيُعِيد كلَّ شَىْء إلى الجوْهرين المتضادين(٣) قبل أن تَفنَى الأَعْيَانُ جميعا . وكان يَذْهَبُ إلى أَنَّ المَعَارف واقِعَة بقَدْر الفِـكْر والاستِدْلَال والبَحْثِ طِبَاعا . وكان يقول بالوَعِيد وبِتحْرِيم المـكاسب ويَتَشَيَّـع على مَذهب الزَّيْدِية لاينتقص أحدا ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان . وكان جَبْرِيًّا(٤) .

قال أَبُو العَتَاهِية لثُمَامَةَ بَيْنَ يَدَى المَأْمُون ــ وكان كثيراً مايُعَارِضُ فى الإجْبَار ــ : أَسْأَلك عَنْ مَسْأَلة ؟ فقال له المَأْمُون : عليك بشِعْرِك ؛ فقال : إن رَأَى أَمِيرُ المؤمنين أنْ يأذَنَ لى فى مَسْأَلَته ويَأْمُرُه بإجابتى ! فقال : أَجِبْه إذَا سألك ، فقال : أَنا أَقُولُ :

---

(١) الضحل : الماء القليل على الأرض لا عمق له ، والعد : الماء الجارى لا ينقطع .

(٢) فى ت : المعنى .

(٣) فى ت : الجوهر المعتاد من قبل ..

(٤) الجبرى : المنسوب إلى الجبر، وهو القول بأن الله يجبر العباد على الذنوب .

إنَّ كلَّ ما يَفْعَلُه العِبَاد من خَيْرٍ وشَرٍّ فهُوَ من الله تَعالَى ، وأنتَ تأْبَى ذَلِك ، فمَنْ حرَّكَ يدِى هَذِه؟ ـ وجَعَل أَبُو العَتَاهِية يُحرِّكُ يدَه ـ فقال له ثُمَامَةُ : حرَّكَها مَنْ أُمُّه زَانِيَة ؛ فقال : شَتَمَنى والله يا أَمِيرَ المؤمنين ؛ فضحك المأْمُونُ وقال له : ألم آمركَ أَن تشتَغِل بشِعْرِكَ وتدَع ما ليْسَ مِن عملك[1] ! قال ثُمَامَة : فَلَقِيَنى بَعْدَ ذَلِك فقال : يا أبا مَعْن ، أما أَغْنَاكَ الجوَابُ عن السَّفَه ! فقلت : إنَّ مِن أَتَمِّ الكَلَام ما قَطَع الحجَّة ، وعاقَبَ على الإسَاءَة وشَفَى الغَيْظ وانْتصَرَ مِنَ الجَاهِل .

وكان أَبو العَتَاهِية مُذَبْذَباً فى دِينِه ، فإذا سَمِع طَاعِناً عليه تَرَكَ اعتِقَادَه إياه وأَخَذَ فى غَيْرِه .

قال أَبُو الشَّمَقْمَق : رأيتُ أبا العَتَاهِية يَحْمِل زَامِلَةَ المُخَنَّثِين . فقلتُ له : أَمِثْلُك يَضَعُ نفسَه [هذا الموضع][2] مع سِنّك وقَدْرِكَ وشِعْرِكَ ؟ ! فقال : أُرِيدُ أنْ أتعلَّمَ كِيَادَهم[3] وأحْفَظَ كَلَامَهم .

قال بِشْر بنُ المُعْتَمِر لأبى العَتَاهِية : بلَغَنى أنَّك لما نَسَكت جلست تحجُم اليتامى والفقراء للسَّبِيل ، قال : نعم . قال : فما أردتَ بِذَلِك ؟ قال : أردتُ أن أَغُضَّ[4] من نفسى حسبما رَفَعَتْنى هذه الدنيا ، وأضع منها ليَسْقُط عنى الكِبْر ، واكتسب بما فعلتُه الثوابَ . وكنت أحجُم الفقراءَ واليتامى خاصة ؛ فقال له بشر : دَعْنِى من تَذْلِيل نَفْسِك بالحِجَامَة ، فإنه ليس بحُجَّة لك أن تُؤَدِّبها وتُصْلِحَها بما تُفْسِد به غيرَها . هل كنتَ تعرِفُ الوقتَ الذى يَحْتَاجُ فيه من تحجُمه إلى إخْرَاج الدَّم ؟ قال : لا . قال : فهل كنتَ تعرِف مقدار ما يحتاجُ كلٌّ واحِدٍ إلى

---

(١) فى ت : علمك .

(٢) ساقطة من ت .

(٣) كيادهم : مكرهم .

(٤) فى ت : أضع .

ما يُخرجه على مِقْدَارِ طَبْعه ، ممَّا إذا زدت عَلَيْه أو نَقَصْتَ منه ضُر المَحْجُوم ؟ قال : لا . قال: فما أَرَاكَ إلّا أردتَ أن تتَعَلَّمَ الحجامة على أقْفَاء اليتامى والمَسَاكين!

وكان حَمْدويه صاحبُ الزنادقة أراد أن يأخُذَ أبَا العَتَاهية ، ففزع مِن ذَلِك ، فقعد حَجَّاماً . وقيل : كان لأبى العَتَاهِيَة جارة تشرف عليه فرأته ليلةً يقنُت فروت عنه أنه يكلّم القمر . واتَّصَلَ الخَبَرُ بحَمْدويه فمضى إلَى مَنْزلها وبَاتَ وأشرَف على أبى العَتَاهِيَة فرآه يُصَلّى ولم يزَل يرقبُهُ حتى قَنَت وصار إلى مَضْجَعِه فانصرف حَمْدويه خَاسِئاً .

ولمَّا أُخْبِرَ يحيى بن خَالد أنَّ أبا العَتَاهِيَة نَسَك ، وأنَّه قعد يَحْجُم اليَتَامَى للأَجْرِ تَوَاضُعا بذلك ؛ قال : ألَمْ يَكُن يَبيعُ الجِرارَ قبل ذَلك ؟ فقيل : بَلَى ؛ قال : أمَا فى بَيْعِ الجِرار مِنَ الذُّلِّ ما يَكْفيه ويَسْتَغْنى به عن الحِجَامة !

قال أبو شُعَيْب صاحبُ ابن أبى دَاوُد[1] : قلتُ لأبى العَتَاهِيَة : القرآنُ عِنْدَكَ مَخْلُوق أو غيرُ مَخْلُوق ؟ فقال لى : أَسَأَلْتَنى عَنِ اللهِ أو عَن غَيْرِ الله ؟ فأمسكتُ ثم أعَدْتُ عَلَيْه ، فأجابنى هذا الجوابَ نفسَه حتى فعل ذلك مِرَارًا ؛ فقلت له : مالك لا تُجيبُنى ؟ فقال : قد أجَبْتك ولكنَّك حِمَار .

وكان أبو العَتَاهِيَة قَضِيفا أبيضَ اللونِ أسودَ الشَّعر ، له وَفْرَةٌ جَعْدَة وهَيْئَة حَسَنَة ولَبَاقَة ، وكان له عَبِيدٌ من السُّودَان ولأَخِيه زَيْد أيضا عبيدٌ منهم يعملون الخزَف فى أتُون لهم ، فإذَا اجتَمَع منـه الشىء ألْقَوْه على أجير لهم يقال له أبُو عبّاد من أَهْل طَاقِ الجِرَار بالكوفة ، فيبيعه على يده ويردّ فضلَه إليهم . وقيل : بل كان يَفْعَلُ ذَلِك أخوه زيدٌ لا هُوَ . وسُئِل عن ذلك فقال : أنا جَرَّار القَوَافِى وأخى جَرَّار التِّجَارة .

(١) فى ت : صاحب أبى داود .

قال عَبْدُ الحميد مَوْلَى بَنى عِجْل : رأيتُ أبَا العَتَاهِيَة ، وهو جَرَّارٌ يأتِيهِ الأَحْدَاثُ والمُتَأَدِّبُون يُنشِدُهُم أشعارَه فيأخُذُون ما تَكَسَّر من الخزَف فيكتُبُونَها فيه .

وكانَ يُهاجِى وَالِبَةَ بْنَ الحُباب ، فقال فيهِ وَالِبَةُ :

كان فِينا يُكْنَى أبَا إسحاقِ ‏ ‏ وَبِهَا الرَّكْبُ سَارَ فى الآفَاقِ
فتَكَنَّى مَعْتُوهُنا بعَتَاهٍ ‏ ‏ يا لَهَا كُنْيَةً أَتَتْ باتِّفَاقِ
خلق اللهُ لِحْيَةً لَكَ لا تَنْـ ‏ ‏ ـفكُّ مَعْقُودَةً لَدَى الحلّاقِ(١)

قال النوشَجَانى : أتَانِى البَوَّابُ يوماً فقال : أَبُو إسْحَاق الخزَّاف بالبابِ . فقلتُ : إيذَنْ(٢) له، فإذا أَبُو العَتَاهِيَة ، فوَضَعْتُ بين يديه قِنوَةً من مَوْز ؛ فقال : قد صرتَ تَقْتُلُ العُلماءَ بالمَوْز ، قتلت أبَا عُبَيْدَة بالمَوْز ، وتُرِيد أيضا أن تَقْتُلَنى به ! لا واللهِ لا أذُوقهُ . وكان أَبُو عُبَيْدَة قد رُئِىَ خَارِجاً من دار أبى إسحاق فى شِقّ مَحْمِل ، إلّا أنّه حَىّ ، وعند رأسه قِنْو مَوْز وعند رجليه قِنْو مَوْز آخر ، يذهَبُ به إلَى أَهْله ؛ فقال لَمَّا دَخَلْنَا عليه نَعُودُه وقُلْنا له : ما سَبَبُ عِلَّتك ؟ فقال : هذا النُّوشَجَانِىّ جاءَنِى بمَوْزٍ كأَنَّه أيُور المَسَاكِين ، فأكثرتُ منه ، فكان سَبَب العِلَّة، ومات فى تِلْك العِلّة .

وكان مُصْعَبُ بنُ عَبْدِ الله الزُّبَيْرِى يَقُول : أبوالعَتَاهِيَة أشعرُ النَّاس ؛ فقيل له : بأَىِّ شَىْء استحَقَّ ذلك عِنْدَكَ ؟ قال : بِقَوْله :

تعَلَّقت بآمـــالٍ ‏ ‏ طِوالٍ أىَّ آمالِ
وأقبلتُ على الدُّنيا ‏ ‏ مُلِحًّا أىَّ إقبَالِ

---

(١) كذا فى ت والديوان . وفى غ : بداء الحلاق .
(٢) فى ت : فأذن له .

أَيَا هَـذَا تَجَهَّز لـ ... فِرَاقِ الأَهْلِ والمَالِ

فلا بُدَّ من المَوْت ... على حَالٍ من الحَالِ

قال مُصْعَب : هذا كلام حَقٌّ لا حَشْوَ فيه ولا نُقْصَان ، يَعْرِفُه العاقل ويُقِرُّ به الجاهل .

وكان الأصْمَعِي يَسْتَحْسِن قولَ أبى العَتَاهِيَة :

أنتَ ما اُستَغْنَيْتَ عَنْ صا ... حبك الدهرَ أَخُــوه

فإذَا احْتَجْتَ إليــه ... ساعةً مَجَّـك فُوه

قال صَالِحٌ الشَّهْرَزُورِى(١) : أتيت سَلْماً الخاسِر فقلتُ له : أنشدنى لنفسك ، فقال : لا ، ولـكنى أُنْشِدكَ لِأَشْعَر الجِنّ والإنْس ، لأبى العَتَاهِيَة ، ثم أَنْشَدَنى له :

سَكَنٌ يَبْقَى له سَكَن ... ما بِهَـذَا يُؤْذِن الزَّمَنُ

نحن فى دار يُخَبِّرُنَا ... ببِلَاهَا نَاطِقٌ لَسِنُ

دارِ سَوء لم يَدُم فَرَحٌ ... لامرِئٍ فِيهاَ ولا حَزَنُ

فى سَبِيل اللهِ أنفسُنا ... كُلُّنا بالمَوْت مُرتَهَنُ

كُلُّ نَفْسٍ عند مِيتَتِها ... حَظُّها من مَالِها الكَفَنُ

إنَّ مَالَ المرءِ لَيْسَ لَه ... منه إلَّا ذِكْرُه الحَسَن

قال محمد الأَنْمَاطِى : قلتُ لداوُدَ بْنِ رَزِين الشَّاعِر : مَن أَشْعَرُ أَهْلِ زَمَانِه(٢) ؟ قال : أَبُو نُوَاس ، قلت : فما تَقُول فى أبى العَتَاهِيَة ؟ فقال : أبو العَتَاهِيَـة أَشْعَرُ الجِنّ والإنْس .

---

(١) كذا فى غ . والشهرزورى : نسبة إلى شهرزور؛ وهى كورة واسعة فى الجبال بين إربل وهمدان « معجم البلدان ٣ / ٣٤٠ » وفى ت : السهروردى « تحريف » .

(٢) كذا فى غ، وفى ت : زماننا .

وقال عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْد العَزِيز العُمَرِى(١) : أَشْعَرُ النَّاسِ أبو العَتَاهِيَة حَيْثُ يَقُول :

ما ضَرَّ مَنْ جَعَلَ التُّرابَ مِهادَه ... أَلَّا يَنَامَ عَلَى الحَرِيرِ إذَا قَنِع

صَدَقَ واللهِ وأَحْسَن .

قال المُعَلَّى بنُ عُثْمَان : قِيلَ لأَبِى العَتَاهِية : كيفَ تَقُول الشِّعر ؟ قال: ما أردته قطّ إلَّا مثَل لى ، فأَقُولُ ما أريد وأَتْرُكُ ما [لا] أريد .

وكان أَبُو العَتَاهِيَة يَقُول : لو شِئْتُ أن أجعلَ كَلَامى كُلَّه شِعْراً لفعلتُ .

جَلَس المَهْدِى يوماً للشُّعَرَاء ، فأَذِن لَهُم وفِيهِم بَشَّار وأَشْجَع ، وكان أَشْجَع يأْخُذ عن بَشَّار ويُعَظِّمه ، وكان أَبُو العَتَاهِيَة فِيهِم ، فلمَّا سَمِع بَشَّار كلامَه قال لأَشْجَع : ياأَخَا سُلَيْم ، أَهَذَا ذَلِك الكُوفِى المُلَقَّب ؟ فقلت : نعم ، فقال : لا جَزَى اللهُ خَيْراً مَنْ جَمَعَنَا معه ، ثم قال له المَهْدِى : أَنْشِد ، فقال بَشَّار : ويحك ! ويقدَّم فيُسْتَنْشَد قَبْلَنا أَيْضا ! فقلت : قد تَرَى ؛ فأنشد :

أَلَا ما لِسَيِّدَتِى مَالَهَا ... أَدَلًّا(٢) فأَحْمِلَ إدْلَالَها

وإلَّا فَفِيمَ تَجَنَّت وَمَا ... جنيتُ سَقَى اللهُ أَطْلَالَها

أَلَا إنَّ جَارِيَةً للإمَا ... مِ قد أُسْكِنَ الحسنَ(٣) سِرْبَالَها

مَشَت بَيْن حُورٍ قِصَارِ الخُطَا ... تُجَاذِبُ فى المَشْىِ(٤) أَكْفَالَها

وقد أَتْعَبَ اللهُ نَفْسِى بِهَا ... وأَتْعَبَ باللَّوم عُذَّالَها

---

(١) كذا فى غ ، وفى ت : القمى .

(٢) فى ت : دلالا .

(٣) فى غ : الحب .

(٤) فى ت : الحسن .

فقال بَشَّار : وَيْحَك يا أَخَا سُلَيم ! ما أَدْرِي من أيِّ أَمْرِيه أعجَب : أَمِن ضَعْفِ شِعْرِه أم من تَشْبِيهِ بِجَارِيةِ الخليفة يَسْمَع ذَلِك بأُذُنه ، حتى أَتَى عَلَى قَوْله :

أَتَتْكَ[١] الخِـلافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْكَ[٢] تُجَـرِّرُ أَذْيَالَهَـا
ولَمْ تَكُ تَصْلُح إِلَّا لَـه ولم يَـكُ يَصْلُح إِلَّا لَهَـا
ولو رَامَها أَحَـدٌ غيرُه لَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَـا
ولَوْ لَم تُطِعْه بَنَاتُ القُلوبِ لَمَا قَبِـل اللهُ أَعْمَالَهَـا
وإِنَّ الخَلِيفةَ مِنْ بُغْضِ لَا إِلَيْه لَيُبْغِض مَن قَالَهَـا

فقال بَشَّار وقد اهْتَزَّ طَرَبا : وَيْحَك يا أَخَا سُلَيم ! أَترى الخَلِيفَةَ لم يَهْتَزّ[٣] عن فَرْشه طَرَبا لِمَا يَأْتِي به هَذَا الكُوفي ؟ قال أبو عُمَر[٤] القُرَشي : لما قَصَّ[٥] مَنْصُور بنُ عَمَّار على الناس مجلسَ[٦] البَعُوضة قال أَبُو العَتَاهِيَة : إنما سَرَقَ منصورٌ هَذَا الكَلَام من رجل كُوفِي ؛ فبلغ قولُه مَنْصُوراً فقال : أبو العتاهية : زِنْدِيقٌ ، أما تَرَوْنَه لا يَذْكُر في شِعْرِه قطّ الجَنّة[٧] ولا النار ، إنّما يذكُر الموتَ فَقَط ! فبَلَغ ذَلِك أَبَا العَتَاهِية ، فقال :

يا واعظَ النَّاس قد أَصْبَحْتَ مُتَّهَماً إذ عِبتَ منهم أموراً أَنْتَ تَأْتِيهَا
كالمُلْبِس الثوبَ من عُرْيٍ وعَوْرَتُه للناس بَادِيَةٌ ما إِنْ يُوَارِيهَا
وأعظم الإِثْمِ بَعْدَ الشِّرْكِ نَعْلَمُه في كُلِّ نفسٍ عَمَاها عن مَسَاوِيهَا

(١) في غ : أتته
(٢) في غ : إليه .
(٣) في غ : يطر .
(٤) في ت : أبو عمرو .
(٥) في ت : قضى « تحريف » .
(٦) في ت : بمجلس « تحريف » .
(٧) في ت : لا الجنة .

عرفانُها بعيُوبِ النّاسِ تُبصِرُها ... منهم ولا تُبصِر العَيبَ الّذِى فِيها

فلم تمض إلّا أيامٌ يَسيرة حتى مَاتَ مَنْصُور بنُ عَمَّار ، فوقفَ أبُو العَتَاهِيَة على قَبْرِه وقال : يَغْفِر اللهُ لكَ أبَا السَّرِىّ ما كنتَ رَمَيْتَنِي بِه .

قال الخَلِيلُ بنُ أسَد النُّوشَجَانِىّ : جاءنا أبُو العَتَاهِيَة إلَى منزلنا فقال : أيَزعُمُ الناسُ أنّى زِنْدِيق ! واللهِ ما دِينِى إلا التَّوْحِيد . فقلت : قل شيئا نتحدَّث به عنك . فقال :

ألا إننـــا كُلُّنا بَائِدُ ... وأىُّ بَنِى آدمٍ خَالِدُ

وبَدْؤُهُم كان من رَبّهم ... وكلٌّ إلَى رَبِّه عَــائِدُ

فيا عَجبًا كَيْفَ يُعصَى الإلَـ ... ـه أم كيف يَجْحَدُه الجَاحِدُ

وفى كُلِّ شَيْءٍ له آيَـةٌ ... تدُلُّ عَـــلَى أنَّه وَاحِدُ

قال أبو دُلَف محمدُ بنُ هاشم الخُزَاعِىّ[1] : تَذَاكَرُوا يوما شِعْرَ أبِى العَتَاهِيَة بحَضْرَةِ الجاحِظ إلَى أن جرَى ذِكْرُ أُرْجُوزَته المُزْدوَجَة التى سمَّاهــا « ذَاتَ الأَمْثَال » فأخذَ بعضُ مَنْ حَضَرَ يُنْشِدها حَتَّى أَتَى إلَى قوْلِه :

يَا لَلشَّبَاب المَرِح التَّصَابِى ... رَوَائِحُ الجَنَّة فى الشَّبَاب

فقال الجَاحِظ للمُنْشِد : قف ، ثم قال : انظروا إلَى قوله :

* رَوَائِح الجَنَّة فِى الشَّبَاب *

فإن لَهُ مَعْنًى كَمَعْنَى الطَّرَب ، لا يقْدِرُ أحــدٌ على مَعْرِفَته إلّا بالقُلُوب ، وتَعْجِز عن تَرجمته[2] الألْسُن إلّا بعدَ التَّطوِيلِ وإدامَةِ التَّفَكُّر ، وخَيْر المَعَانِى ما كانَ القلبُ إلَى قبُولِه أسْرَعَ مِنَ اللِّسَانِ إلَى وَصْفه .

---

(١) فى ت : هاشم بن محمد الخزاعى .

(٢) فى ت : معرفته .

وهــذه الأُرْجُوزَة من بَدَائِعِ الشِّعْر يقال إنَّ فيها أربعةَ آلافِ مَثَل . منها قَوْلُه :

حسبُك مِمَّا تَبْتَغِيه القُوتُ ... ما أكثَرَ القُوتَ لمن يَمُوتُ
هِيَ المَقَادِير فلُمْنِي أو فَذَرْ ... إنْ كنتُ أخطأتُ فما أَخْطا القدَرْ
لـكُلِّ ما يُؤْذِي وإنْ قَلَّ أَلَمْ ... ما أطولَ اللَّيــلَ على مَن لم يَنَمْ
ما انتفَعَ المــرء بِمِثْل عَقْلِه ... وخيرُ ذُخْر المرء حُسْن فِعْلِه
مَن جَعَل النَّمَّام(١) عَيْناً هلَـكا ... مُبْلِغُك الشرَّ كَبَاغِيه لَـكا
إنَّ الفسادَ ضِدُّه الصَّــــلاحُ ... ورُبَّ جِدٍّ جَــرَّه المُزَاحُ
إنَّ الشَّبَابَ والفرَاغَ والجِــدَهْ ... مَفْسَدَةٌ للمرءِ أَيُّ مَفْسَــدَهْ
ما عَيْشُ مَنْ آفتُــه بَقَاؤُهُ ... نَغَّصَ عَيْشاً كُلَّه فَنَاؤُهُ
ما زَالَتِ الدُّنْيَا لنَا دَارَ أَذَى ... مَمْزُوجَةَ الصَّفْوِ بأَلْوَان القَذَى
مَنْ لك بالمَحْضِ ولَيْسَ مَحْضُ ... يَخْبُثُ(٢) بعضٌ ويَطِيبُ بَعْضُ
يا رُبَّ مَن أَسْخَطَنا بجُهْدِه ... قد سَرَّنَا اللهُ بغَــير حَمْدِه
ما تَطْلُعُ الشمسُ ولا تَغِيبُ ... إلَّا لأَمْــرٍ شأْنُه عَجِيبُ
لـكُلِّ إنْسَانٍ طَبِيعَتَان ... خَــيْرٌ وشَرٌّ وهُمَا ضِدَّانِ
والخَــيْرُ والشَّرُّ إذا ما عُدَّا ... بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيــدٌ جِدًّا
إنَّك لو تَسْتَنْشِقُ الشَّحِيحَا ... وجدتَه أَنْتَنَ شَيْءٍ رِيحَا
كَذَا قَضَى اللهُ فـكَيْفَ أَصْنَعُ ... الصَّمْتُ إنْ ضَاقَ الـكلامُ أَوْسَعُ

---

(١) في ت : النام « تحريف »

(٢) في ت : يخيب .

قال رَوْحُ بْنُ الفرَج : شاوَرَ رجُلٌ أبَا المَتَاهِيَة فِيماَ يَنْقُش على خاتمه ، فقال : انقُش عَلَيْه : لَعْنَةُ اللهِ عَلَى النَّاسِ ، ثم أنْشَد :

برمتُ بالنَّاسِ(١) وأخْلاقهم فصِرْتُ أَسْتأْنِس بالوُحْدَه

ما أكثرَ النَّاس لعَمْرِى وَمَا أَقلَّهُم فى حَاصِلِ العِدَّه

قيل إنَّ عَمْرو بْنَ العَلاء مَوْلَى عَمْرو بنِ حُرَيْث صاحبَ المَهْدِى كان مُمدَّحا ، فمدَحَه أبُو العَتَاهِيَة فأَمَر له بسَبْعِينَ(٢) ألْفَ دِرْهَم ؛ فأنـكَر ذَلِك بَعْضُ الشُّعَرَاء وقال : كَيْفَ فَعَل هَذا بِهَذَا الـكُوفِىّ ، ولَيْسَ مِقْدَارُ شِعْرِه هَذا ، فبلَغَه ذَلِك فأَحْضَره وقال : إنَّ الوَاحِدَ منـكم ليَدُور على المَعْنَى فلا يُصِيبه ويَتَعَاطَاه فلا يُحْسِنه حتى يُشَبِّب بخَمْسِين بَيْتاً ثُمَّ يمدَحُنا ببَعْضِها ، وهذا كأنَّ المَعَانِى تُجْمَع له ، مَدَحَنى فقَصَّر التَّشْبيب ، وقال :

إنِّى أمِنْتُ من الزَّمَان ورَيْبِـه لَمَّا عَلِقْتُ من الأَمِيرِ حِبَالا

لو يستطيع الناسُ مِـن إجْلاَله جعلوا(٣) له حُرَّ الوُجُوهِ نِعَالا

إنَّ المَطَايَا تَشْتَـكِيك لأَنَّهـا تَطْوِى(٤) إلَيْـك سَبَاسِباً ورِمَالا

فإذَا وَرَدْنَ بنا وَرَدْنَ خَفَائفاً(٥) وإذا رَجَعْنَ بنَا رَجَعْنَ ثِقَالا

أَخَذَ هَذا المَعْنَى من قَوْل نُصَيْب :

فَعَاجُوا فأَثْنَوْا بالَّذِى أَنْتَ أَهْلُه ولو سكتوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحقَائبُ

قال مُحَمَّد بن النَّضْر : أَخْرِجْتُ رَسُولًا إلَى عَبْـدِ اللهِ بْنِ طَاهِر وَهُو يُرِيدُ

---

(١) كذا فى غ والتجريد . وفى ت : برئت من الناس .

(٢) كذا فى غ والتجريد . وفى ت : بعشرين .

(٣) كذا فى ت : وفى غ والتجريد : لحذوا .

(٤) كذا فى ت ، وفى غ والتجريد : قطعت .

(٥) كذا فى ت والديوان طبع بيروت ٣٢٤ ، وفى غ والأمالى ١/٢٤٨ والتجريد : مخفة

مِصْر ، فنزَلْتُ على العَتَّابى ، وكان لى صَدِيقا فقال : أَنْشِدْنى لِشَاعِرِ العِرَاق ـ يَعْنِى أَبَا نُوَاس وكانَ قَدْ ماتَ ـ فأنشدتُه ما كنتُ أحفظُ من شِعْرِه ومُلَحِه وقلتُ له : ما ظَنَنْتُك تَقُولُ هَـذا إلّا لأَبِى العَتَاهِيَة ؛ فقال : لو أردتُ أَبَا العَتَاهِيَة لقُلْتُ : أَنْشِدنى لأَشْعَرِ النَّاس ولم أَقْتصِر على العِرَاق .

قال أَبُو العَتَاهِيَة : أَكثَرُ النَّاسِ يَتَكَلَّمُون بالشِّعر ولا يعْلَمُون ، ولو أَحْسَنُوا تأْلِيفَه لَكانُوا شُعَرَاء كُلُّهم . فبَيْنَما هُمْ كَذَلِك إذْ قَالَ رَجُل لآخَر مَعَه مِسْح :

يا صَاحِبَ المِسْحِ تَبيعُ المسحا .

فقال أَبُو العَتَاهِيَة : هذا مِنْ ذَلِك . أَلَمْ تَسْمَعُوه يَقُول :

يا صَاحِبَ المِسْح تَبِيعُ المِسْحا .

فقد قال شِعْراً وهولا يَعْلَم ، ثم قال له الرجل :

تَعَالَ إنْ كُنْتَ تُرِيدُ الرِّبْحَا .

فقال أبو العَتَاهِيَة : قد أجازَ المِصْراع بِمِصْرَاع آخَرَ وهو لا يَعْلم ، قال :

تَعَال إن كنتَ تُرِيد الرِّبحَا .

قال الأَصْمَعِى : شِعْرُ أَبِى العَتَاهية مثلُ كُسَاحَةِ[1] المُلُوكِ يَقَعُ فِيهَا الجَوْهَرُ والذَّهَبُ والتُّرابُ والخَزَفُ والنَّوَى .

وقال مُحَمَّد بنُ أَبِى العَتَاهِيَة : سُئِل أَبِى : هَلْ تَعرِف العَرُوض ؟ فقـال : أنا أَكْبَرُ[2] مِنْ العَرُوض . قال : وله أَوْزَان لا تَدْخُلُ العَرُوض .

قال أبو عِكْرِمَة : حُمَّ الرشيدُ فصَارَ أَبُو العَتَاهِيَة إلَى الفَضْل[3] برُقْعَة فيها :

(١) الكساحة : الكناسة . وفى غ : شعر أبى العتاهية كساحة الملوك.

(٢) فى ت : أكثر .

(٣) هو الفضل بن الربيع .

لو عَلِمَ الناسُ كيف أنتَ لَهُم ... مَاتُوا(١) إذا ما أَلِمتَ أَجْمَعُهُم
خَلِيفَةَ اللهِ أنتَ تَرجَحُ بالنّـ ... ـاس إذا ما وُزِنت أنت وَهُم
قد عَلِم الناسُ أنَّ وَجْهَكَ يَسْـ ... ـتَغنى إذا ما رآه مُعدِمُهم

فأنشدَهَا الفضْلُ الرشيدَ ، فأمَر بإحْضَارِ أَبِى العَتَاهِيَة فما زال يُسَامرهُ ويُحَدِّثُه إلى أن بَرِئَ وَوَصَله بمَالٍ جَزِيل .

قال ابنُ الأَعْرَابِى وقد حُدِّثَ هَذَا الحديث ، فقَالَ له رجل فى المَجْلِس لمَّا أُنْشِدَ هَذَا الشِّعْرُ : ماهذاالشِّعْر بمُسْتَحْسَن(٢) وهوضَعِيف. فقَالَ ابنُ الأَعْرَابِى : الضَّعِيفُ والله عقْلُكَ ، أَلأَبِى العَتَاهِيَة تَقولُ : ضَعِيفُ الشِّعر ! واللهِ مارأيتُ شاعِراً أَطْبَعَ ولا أَقْدَرَعلى بيت شعر منه ، ولا أَحْسَبُ مَذْهَبَه إلَّا ضَرْباً من السِّحْر . ثمَّ أَنْشَدَ لَه :

قَطَّعْتُ منكَ حَبَائِلَ الآمالِ ... وَحَطَطْتُ عن ظَهْر المَطِىِّ رِحَالِى
وَوَجَدْتُ بَرْدَ اليَأْس بين جَوانِحى(٣) ... فأَرَحْتُ من حِلٍّ ومن تَرْحَال
يا أيُّهَا البَطِر(٤) الَّذى هُوَ فى غَدٍ ... فى قبره مُتَمزِّقُ الأوْصَال
حذَفَ المُنَى عنه المُشمِّرُ فى الهُدَى(٥) ... وأَرى مُنَاكَ طَويلَةَ الأَذْيَال
حِيَلُ ابنِ آدم فى الأمور كَثيرَةٌ ... والموتُ يَقْطَعُ حِيلَةَ المُحْتَال
قِسْتُ السُّؤَالَ فكانَ أَعْظَمَ قِيمَةً(٦) ... من كل عارِفَةٍ جَرَت بسُؤَال
فإذَا ابْتُلِيت ببَذْلِ وَجْهِك سَائِلا ... فابذُلْه للمُتَكَرِّم المِفْضَال

(١) كذا فى غ والتجريد . وفى ت : مات .
(٢) فى غ : بمستحق لما قلت .
(٣) فى ت : جوارحى « تحريف » .
(٤) فى ت : البطل « تحريف » .
(٥) فى ت : حذر المنى عنه المشمر فى الهوى .
(٦) فى ت : حيلة .

وإذا خَشِيتَ تَعَذُّرًا فى بَلْدَة فاشدُدْ يَدَيْك بعاجِلِ التَّرحَالِ
واصْبِر عَلَى غِيَرِ الزَّمَان فإنَّمَا فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ

ثم قال للرَّجُل : هل يُحسِنُ أحَدٌ [أن](1) يقولَ مِثْلَ هَذا ؟ فقال له الرَّجُل : لم أَرْدُدْ عليك [ما قلتَ] ولكنّ الزُّهْدَ مَذْهَبُ أبى العَتَاهِيَة ، وشِعْرُه فى المَدِيح ليس كَشِعْرِه فى الزُّهْد . فقال لهُ ابنُ الأعْرَابى : أليْسَ هُوَ الّذِى يَقُولُ فى المَدِيح :

وهَارونُ ماءُ المزن يُشْفَى به الصَّدَى إذا ماالصَّدِى بالريق غَصَّت حنَاجِرُهْ
وأَوْسَطُ بَيْتٍ(2) فى قُرَيْش لَبِنْتُه وأَوّلُ عِزٍّ فى قريش وآخِــرُهْ
وزَحْفٍ له تَحْكِى البُرُوقَ سيوفُهُ وتَحْكِى الرعودَالقَاصِفَاتِ زَمَاجِرُهْ(3)
إذا حَمِيتْ شَمْسُ النَّهَارِ تَضَاحَكَت إلى الشَّمْسِ فيه بَيْضُه ومَغَافِرُهْ
إذا نُكِبَ الإسلامُ يومًا بنَكْبَــة فهَارُونُ من بــين البَرِيَّة ثَائِرُهْ
ومَنْ ذا يَفُوتُ المَوْتَ والموتُ مُدرِكٌ كذا لَمْ يفُتْ هَارونَ ضِدٌّ يُنافِرُهْ

فتخلّص الرجل من شَرّ ابْنِ الأَعْرابِىّ بأَنْ قَالَ : القولُ كما قُلْتَ ، وما كنتُ سَمِعتُ له بمثل هَذَا ، وكتبهما عنه .

قال هَارونُ بنُ سَعْدَانَ بنِ الحَارِث مولى عَبَّاد : حَضَرْتُ بالأَمْسِ مَجْلِسا فأَنْشِدْتُ شِعْراً ، فقال بعضُ مَنْ حَضَرَ المَجْلِس : أنت أَشْعَرُ النَّاسِ ، فقلت : أما والشَّيْخ حَىّ فَلاَ (يَعْنِى أَبَا العَتَاهِيَة) .

قال ثُمامَةُ بنُ أَشْرَس : أَنْشَدَنِى أَبُو العَتَاهِيَة :

إذَا المرءُ لم يُعْتِق من المال نفسَــه تملّكَه المَــالُ الّذى هو مالِكُه

---

(١) ساقطة من ت .
(٢) كذا فى غ والتجريد . وفى ت : وأوسط عز .
(٣) زمجرة كل شىء صوته . وفى غ والتجريد : حوافره .

أَلاَ إنَّمَا مَــــالِي الَّذِي أنَا مُنفِقٌ ... ولَيْسَ لِيَ المَــالُ الَّذِي أنا تَارِكُه
إذَا كُنتَ ذا مَالٍ فبــادِرْ به الَّذِي ... يَحِقُّ وإلا استَهْلَكَتْــه مَهالِكُه.

فقلت له : من أين قضيت بهذا؟ فقال : مِن قَوْلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِك ما أَكَلْتَ فأَفْنَيْتَ أو لَبِسْتَ فأبلَيْتَ أو أعطيْتَ فأمْضَيْت». فقلت له أتؤمن بأنّ هَذا قولُ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عليه وسَلّم وأنّه الحَقّ؟ فقال : نعم. قلت : فلِمَ تَحْبِس عِندَك سَبْعًا وعِشْرِينَ بَدْرَةً في دَارِك ، لا تأكُلُ مِنْهَا ولا تَشْرَب ، ولا تُزَكّي ولا تُقَدِّمُها ذُخْرًا لِيَوْم فَقْرِك وفَاقَتك؟ فقال : يا أَبَا مَعْن، واللهِ إنَّ ما قُلْتَ لَهُوَ الحَقُّ ولـكِنِّي أَخَافُ الفقرَ والحاجةَ إلى النَّاس ؛ قلتُ : وبِمَا تزيدُ حالُ مَنِ افْتَقَرَ عَلَى حَالِكَ وأَنْتَ دائِمُ الحِرْصِ دائِم الجَمْع شَحِيحٌ على نَفسِك لا تَشْتَرِي اللحْمَ إلا من عِيدٍ إلى عِيد؟! فترك جوابَ كلامي كُلِّه ثم قال : واللهِ لقد اشتريتُ يوم عَاشُوراء لَحْما وتوَابِلَه وما يَتْبَعُه بخَمْسَةِ دَرَاهِم ؛ فلما قَالَ لِي ذَلِكَ أَضْحَكَنِي حتَّى أَذْهَلَنِي عن جوَابِه ومُعَاتبَتِه ، فأَمسَكْتُ عَنْه وعلمت أنَّه لَيْس مِمَّن شرَحَ اللهُ صَدرهُ للإسْلَام.

كان مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى في جَارَةِ أَبِي العَتَاهية ، قال : كَانَ لأَبِي العَتَاهية جَارٌ يلتَقِط النَّوَى ضَعِيفٌ سَيِّئُ الحَالِ ، وكان يَمُر بأَبِي العَتَاهية طرَفَي النَّهارِ فيَقُول أَبُو العَتَاهِيَة: اللَّهُمَّ أَعِنْه على مَا هُوَ بِسَبِيله ، شَيْخٌ ضَعِيف سَيِّئُ الحَالِ عليه ثياب مُتَجَمِّل ، اللَّهُمَّ اصنَعْ له ؛ فبَقِي عَلَى هَذَا الحَالِ إلَى أَنْ مَاتَ الشيخُ نحوًا من عِشْرِين سَنَة ، لَا واللهِ ما تَصَدَّق عَلَيْه بِدِرْهم ولا دَانِق قَطّ ، ولا زاده على الدُّعَاء شَيْئًا ، فقلتُ له يوما : يا أَبَا إسْحَاق : إني أَراكَ تُكْثِرُ الدعاءَ لهَذا الشَّيخ وتَزْعُم أَنَّه فَقِير مُعْيل(١) ، فلِمَ لا تَتَصَدَّق عليه بشَيء؟ فقال : أخشَى أن يَعْتَاد الصَّدَقَةَ والصَّدَقَةُ آخرُ مَكَاسِب العَبْد ، وإنَّ في الدُّعَاء لخيرًا كَثِيرًا.

---

(١) في غ : مقل.

قال الخُزَيْمى(١) : كانَ لأَبى العَتَاهِية خادمٌ أسودُ طَويلٌ كأنَّه مِحْرَاكُ أَتُّون، وكان يُجْرِى عليه فى كلّ يوم رَغيفَيْن ، فجاءَنى الخادمُ يوما فقال لى : واللهِ ما أشبَع ؛ فقلتُ : وكيفَ ذلك ؟ قال : لأنى ما أَفْتُر من الكَدّ وهو يُجْرِى علىّ رَغيفَيْن بغير أُدْم(٢) ، فإنْ رأيتَ أن تُكَلِّمَه حتى يَزيدَنى رَغيفاً فتؤْجَر ! فوعدتُه بذلك ؛ فلما جلستُ معه مرَّ بنا الخادم فكرهتُ إعلامَه أنَّه قد شكَاه إلىَّ . فقُلْتُ له : يا أبا إسْحَاق : كم تُجْرِى على هَذا الخادِمِ كلَّ يوم ؟ فقال : رَغيفَيْن ؛ فقلتُ : لا يَكْفِيانه(٣) ؛ فقال : مَنْ لَمْ يَكْفِه القليلُ لم يَكْفِه الكَثيرُ ، وكلُّ مَن أعطى نفسَه شهوتَها هلكَ [و] هذا خادم يَدْخُل عَلَى حُرَمى وبناتى ، فإنْ لم أُعوِّدْه القنَاعةَ والاقْتِصَاد أهلكَنى وأهْلَكَ عِيالى ، ثم ماتَ الخادِمِ بعد ذلك فكَفَّنه فى إزارٍ [و] فراشٍ ـ كانَ لَهُ ـ خَلَقٍ ؛ فقلتُ له : سُبْحَان الله ! خَادِمٌ قَدِيمٌ(٤) الحُرْمَةِ طَويلُ الخِدْمَة وَاجِبُ الحقّ تُكَفِّنه فى خَلَق ، وإنَّما يَكْفِيه كَفَنٌ بدينار ! فقال: إنه يَصِير إلى البلَى ، والحىُّ أوْلَى بالجديدِ من الميِّت ؛ فقلتُ : يرْحَمُك الله ! فلقد عوَّدْتَه الاقتصادَ حيًّا وميِّتاً .

وقال الخُزَيْمىُّ : وقف سَائِلٌ من الظُّرَفَاء العَيَّارِين يَوْمًا عَلَى أبى العَتَاهِيَة [وجماعةٌ من جيرَانه حَوْلَه ، فسأله مِنْ بَيْنِ الجِيرَانِ ؛ فقَالَ : صَنَعَ اللهُ لَكَ](٥) فأعَادَ السُّؤال فردَّ عليه مثلَ ذَلِك ، فأعاد الثَّالثَةَ فردَّ عليه مثل ذلك ، فغَضِبَ وقال له : ألستَ الذى تقُول :

---

(١) فى ت : الحرق « تحريف » .
(٢) فى غ : إدام .
(٣) فى ت : لا يكفيه .
(٤) فى ت : متهم « تحريف » .
(٥) بياض بالأصل والتكملة من غ .

كُلُّ حي عنـد مِيتَتِه حَظُّه مِنْ مَالِهِ الـكَفَنُ

قال : نعم. قال : فبِاللهِأَتُرِيدُ أن تُعِدَّ مالَكَ كلَّه لثَمَن كَفَنك ؟ قال : لا ؛ قال : بِاللهِ فـكَمْ قَدَّرْت لـكَفَنِك؟ قال : خمسةُ دَنَانير ؛ قال: فَهِى حَظُّك إذًا من مالك . قال : نعم . قال : فتصدَّقْ عليَّ من غَيْرِ حَظِّك بدِرْهَم وَاحِد ؛ فقال : لو تَصَدَّقْتُ عليك لَـكان حَظِّى ؛ قال : فاُعْمَلْ عَلَى أنَّ دِينَارًا من الْخَمْسة وَضِيعَةُ قيرَاط ، وادْفَعْ لى قِيراطًا ، وإلا فوَاحِدَةً أُخْرَى [قال : وما هى ؟ قال :][1] القبورُ تُحْفَر بثَلَاثَة دَرَاهم فأَعْطِنى دِرْهَماً وأُقِيمُ لَكَ كَفِيلًا بأَنِّى أحْفِر لَكَ به قبرك متى مُتَّ ، وترْبَحَ دِرْهَمَيْن لم يَـكُونَا من حِسَابِك ، فإنْ لَمْ أحفر لك به رَدَدْتُه عَلَى وَرَثَتِك أو رَدَّه كَفِيلِى عَلَيْهم ؛ فخَجِل أبو العَتَاهِيَة وقَالَ : اعزُبْ عَنِّى وضَحِك جَمِيعُ مَنْ حَضَر ، ومَرَّ السَّائِلُ يَضْحَك فاُلتفت إلَيْهم أبو العَتَاهِيَة وقد اُغْتَاظَ وقَالَ : مِنْ أَجْلِ هَذا وأَمْثَالِه حُرِّمَت الصَّدَقَة ؛ فقُلْتُ له : ومَنْ حَرَّمها ؟ ومتى حُرِّمَت ؟ فما رأيتُ أَحَداً ادَّعَى أَنَّ الصَّدَقَة حُرِّمت قَبْلَك ولا بَعْدَك ! .

وقال الْخزَيْمِىّ هَذا : قلتُ لأَبِى العَتَاهِيَة : أتُزَكِّى مَالَك ؟ فقال : واللهِ ما أُنْفِق عَلَى عِيَالى إلَّا من زَكَاةِ مَالِى ؛ فقلتُ له : سُبْحَانَ الله إنَّمَا ينبغى أن تُخْرِجَ زَكَاةَ مالِكَ إِلَى الفُقَرَاءِ والمساكِين ؛ فقال : لو اُنقطَعَتْ زَكَاةُ مَالِى عن عيالى لم يَـكُن أفقرُ منهم .

قِيلَ لأَبِى العَتَاهِيَة : أَىُّ شِعْر قلتَه أَحْكَم ؟ قال : قَوْلِى:

• علِمتَ يا مُجَاشِـعُ بنُ مَسْعَدَه أن الفَرَاغَ والشَّبَابَ والجِدَه[2]
مَفْسَدَةٌ للمَرْءِ أَىُّ مَفْسَدَهْ

---

(١) ساقط من ت .

(٢) فى غ : أن الشباب والفراغ والجده .

قال أبو غزيّة : كَانَ أَبُو العَتَاهِيَة إذا قَدِم المَدِينَةَ يَجْلِس إِلَيَّ ؛ فأَرَادَ مَرَّةً الخُرُوجَ إِلَى المَدينة ، فَوَدَّعَني ثمّ قال :

إن نَعِشْ نَجْتَمِعْ وإِلَّا فَمَا أَشْـــغَلَ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيع الأَنَام

كان لبَعْضِ تُجَّار بَابِ الطَّاق[1] على أَبِي العَتَاهِيَة ثمنُ ثِيَاب أخذها منه ؛ فمرَّ به يوما، فقال لِغُلَامٍ له حَسَنِ الوَجْه: أَدْرِكْ أَبَا العَتَاهِيَة ولا تُفَارِقه حتَّى تأخذَ منه ما لَنا عليه ؛ فأدْرَكَه على رَأْس الجِسْر ، فأخذ بِعِنَان حِمَاره وَوَقَفَه ؛ فقال له : ما حَاجَتُكَ يا غُلَام ؟ فقال له : أنا رَسُولُ فُلَان بَعَثَني إِلَيْك لآخُذَ ماله عَلَيْك ، فأَمْسَكَ عنه أَبُو العَتَاهِية ، وجعل كُلُّ مَنْ يَمُرّ فيَرى الغُلَام متعلِّقاً بِهِ يَقِفُ وَيَنْظر، فلمّا اجتَمع النَّاس وتَكَاثَروا قال أَبُو العَتَاهِية :

واللهِ رِبِّـــك إنَّـــنِي لأُجِلُّ وَجْهَـــكَ عَنْ فِعَالِكْ

لَوْ كَانَ فِعْلُكَ مثلَ وَجْـــهك كنتُ مُكْتَفِيًا بِذَلِكْ

فَخَجِلَ الغُلَامُ وأرسَل عِنَان الحِمَار ، ورجَع إِلَى صَاحِبه وقال بَعَثْتَنِي إلى شَيْطَان جَمَعَ عليَّ النَّاس وقَالَ فِيَّ الشِّعْرَ حتَّى أَخْجَلَني فهرَبْتُ مِنْه .

قال أبو عِكْرِمة : كَانَ الرَّشِيدُ إِذَا رَأَى عبدَ الله بن مَعْن بن زائدة تَمَثَّل قَوْلَ أَبِي العَتَاهِيَة فيه :

أختُ بني شيبان مرَّتْ بنـــا مَمْشُوطَةً كُورًا على بَغْـــلِ

وأَوَّلُ هَذِه الأَبْيَاتِ الَّتِي هَجَاهُ بِهَا :

يا صاحِبَيْ رَحْلِيَ لا تُـــكْثِرَا في شَتْم عبـــد الله من عذْلِ

سبحانَ من خَصَّ ابنَ مَعْنٍ بما أرى به من قلَّة العَقْـــلِ

قال ابنُ مَعْن وجَـــلَا نفسَـــه على مَنِ الجَلْوَةُ يا أَهْـــلي

(١) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد .

أنا فتاةُ الحَىِّ مِنْ وَائِــل … فى الشَّرفِ الشَّامِـخِ والنُّبْـل
ما فى بَنِى شَيْبَان أَهْلِ المَلَا[1] … جَارِيَةٌ وَاحِــدَةٌ مِثْــلِى
[يا ليتــنى أبصرتُ دَلَّالة … تَدُلُّنى اليومَ على فَحْــل][2]
وَيْلِى ويا لَهْفِى عــلى أَمْرَدٍ … يُلزِق[3] منّى القُرْطَ بالحِجْل
صَافحتُــه يَوْمًا على خَلْوَةٍ … فقال دَعْ كَفِّى وخُذْ رِجْلى
أختُ بنِى شَيْبَان مَرَّتْ بِنَـا … مَمْشُوطَةً كُورًا على بَغْــل
تُكْنَى أبا الفضل ويامَنْ رأى … جاريةً تُـكْنَى أَبَا الفَضْــل
قد نقَّطت فى وَجْهِها نُقْطَةً … مخافةَ العينِ من الكُحْل
إنْ زُرتموها قال حُجَّابُها … نَحْنُ عن الزُّوَّار فى شُغْل
مولاتُنـا مَشْغُولةٌ عنـدها … بَعْـلٌ ولا إذْنَ على البَعْـلِ
يا بنتَ مَعْنِ الخَيْرِ لا تَجْهَلى … وأَيْنَ تَقْصِـيرٌ عن الجَهْلِ[4]
أتَجْلِدُ الناسَ وأنتَ امْرُؤٌ … تُجْلَد فى دبْرك والقبْـل
ما ينبغى للناس أن يَنْسُبُوا … مَنْ كانَ ذَا جُود إلى البُخْل
يبذُل ما يَمْنَـع أهلُ النَّدَى … هــذا لعَمْرِى مُنْتهَى البَذْل
ما قلت هذا فِيكَ إلَّا وقَد … جَفَّتْ به الأقلامُ من قَبْـلى

فبعث إليه عبد الله بنُ مَعْن ، فأُتِىَ به ، فدَعَا بغِلْمان له ثم أَمَرَهم أن يرْتَـكِبوا مِنْه الفَاحِشَة ، ففَعَلُوا ذَلِك ، ثم أَجْلَسَه وقال له : لقــد جَزَيْتُك على قولك فِىَّ ، فهل لَكَ بَعْدَ هَذا فى الصُّلح ومعه مَرْكَبٌ وعَشْرَةُ آلاف دِرْهم أو تُقِيم على الحَرْب ؟

---

(١) فى غ : الحجا .
(٢) لم يرد البيت فى غ ولا فى التجريد .
(٣) فى غ والتجريد : يلصق .
(٤) فى غ : وأين إقصار عن الجهل .

فقال : بل الصُّلْح ؛ قال : فأسمِعْنِى ما تقُولُه فى مَعْنَى الصُّلْح ، فقال :

ما لعُذَّالِى ومَالِى أَمَرُونى بالضَّلال
عَذَلُونى فى اغتِفارِى[1] لابْنِ مَعْنٍ واحْتِمالِى
إنْ يَكُن ما كانَ مِنه فبجُرْمى وفِعالى
قل لِمَنْ يَعْجَب من حُسْـ ـن رُجُوعى ومَقَالى
رُبَّ وُدٍّ بَعْدَ صَدٍّ وهَوًى بَعْدَ تَقَالِى[2]
قد رأينا ذا كَثِيرًا جارِيًا بين الرِّجَال
إنَّما كانَتْ يَمينى لطمَت منِّى شِمَالى
[مالهُ بَلْ نَفْسُه لِى ولَهُ نَفْسى ومَالِى
أنا منه كنتُ أُكْنَى زَيْدُه فى كُلِّ حَالِ][3]

وكان أبو العَتَاهِيَة فى حَداثته يَهوَى امرأةً نائِحَةً من أَهْل الحِيرة لها حُسْن وكِفَاية يُقَالُ لهَا سُعْدَى ؛ وكان عَبْدُ الله بن مَعْن بن زَائِدَة يَهْوَاها أيضا ، وكانت مولاةً لهم ، ثم اتَّهمها أبو العَتَاهِيَة بالنِّسَاء ؛ فقال فيها :

ألا ياذَوات السَّحْق فى الغرب والشَّرْق أَفِقْنَ فإنَّ النَّيْكَ أَشْفَى من السَّحْق
أَفِقْن فإنَّ الخبْزَ بالأُدْمِ يُشْتَهَى وليس يَسُوغُ الخبْزُ بالخبْزِ فى الحَلْق[4]
أَراكُن تَرْقَعن الخُروقَ بِمِثْلِهَا وأىّ وما يُسْتَرْقَع الخَرْقُ بالخَرْقِ[5]
وهل يصلُح المِهْراسُ إلَّا بعُوده إذا احتِيجَ منه ذاتَ يوم إلَى الدَّقِّ

---

(١) فى ت : اعتقادى .

(٢) فى ت : رب صد بعد ود .

(٣) ما بين القوسين زيادة فى ت لم ترد فى غ .

(٤) فى ت : فإن الأدم بالخبز يشتهى !

(٥) فى غ والتجريد: وأى لبيب يرقع الخرق بالخرق .

تهدّد[1] عبدُ الله بنُ مَعْن أَبَا العَتَاهِيَة ونهاه أن يتَعَرَّض لسُعْدَى ؛ فقال :

أَلَا قل لابْنِ مَعْنٍ ذَا الَّـ ـذى فى الوُدِّ[2] قد حَالَا
لقــد بُلِّغْتُ ما قَال فــا باليتُ ما قَالَا
ولو كان من الأُسْــدِ لَمَا رَاعَ[3] ولا هَالَا
فصُغْ من حِلْيَة السَّيْفِ الذى قُلِّدْتَ خَلْخَالا[4]
وَمَا تَصْنَع بالسَّيْفِ إذَا لم تَكُ قَتَّالَا
أَرَى قومَك أَبْطَالا وقد أصبحتَ بَطَّالَا
ولو مَدَّ إِلَى أُذْنَيْـ ـه كَفَّيْـه لَمَا نَالَا
قَصِــيرُ الطُّولِ والطِّيلَـ ـة لا شَبّ ولا طالا[5]

ثم إنَّ عَبْدَ الله بنَ مَعْن احْتَال عَلَى أبى العَتَاهِيَة حَتَّى أَخَذَه فى مَكان فضَرَبَه مِائَةَ سَوْط لَيْسَ بالمبرّح غَيْظاً عَلَيْه ، ولم يَعنُف فى ضَرْبِه خَوْفاً مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يُعْنَى به ، فقال أبو العَتَاهِيَة يَهْجُوه :

جَلَدَتْنِى بكَفِّهــا بِنْتُ مَعْنِ بْنِ زائدهْ
جَلَدَتْنِى فأَوْجَعَتْ بِأَبِى تِلْكَ جَالِدَه
وَتراها مع الخَصِـ ـىِّ عَلَى البَابِ قَاعِدَهْ
تتكنّى كُنَى الرِّجَا لِ بعَمْدٍ مُكايِده
جَلَدَتْنِى وبالغتْ مِائَةً غــيرَ وَاحِدَه
إجلدِينِى وأَجْلِدى إنمــا أنتِ وَالِدَه

(١) فى ت : فتعهد .
(٢) فى ت : الوجد .
(٣) فى غ : صال .
(٤) فى غ : فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالا
(٥) فى ت : والطول بدل والطيلة .

وقال :

ضرَبتْني بكفِّها بنتُ مَعْن أوْجعتْ كفَّها وَمَا أوجَعَتْنى
ولعمْرِى لولا أذَى كفِّها إذْ ضَربتْنى بالسَّوط ما تَرَكتْنى

وهجا أخاه يزِيدًا معَه ، وكان زائدة أخوهما صديقا لأبى العَتاهِيَة فلمْ يُعِنْ إخوتَه عليه ، فلما ماتَ رثَاه أبو العَتاهِيَة بأبْيات .

قال أحمدُ بنُ أبى فَنَن : كنا يوماً عند أبْنِ الأعْرابى فذُكِرَ قولُ ابنِ نوْفَل فى عَبْدِ الملك بْنِ عُمَيْر القاضِى :

إذَا ذَاتُ دَلٍّ[1] كلمتْه لحاجَةٍ فهَمَّ بأن يَقْضِى تَنَحْنَحَ أوْ سَعَلْ

وأنَّ عبدَ المَلك قالَ : ترَكَنِى واللهِ وأن السُّعْلَة لتَعْرِض لِى فى الخَلاء فأذكُرُ قولَه فأهَاب أن أسعُلَ ؛ قال : فقلتُ لابْنِ الأعْرابى : فهذَا أبُو العتَاهية قال فى عبد الله بْنِ مَعْن :

فصُغْ ما كنتَ حلَّيْتَ بِــــهِ سيفكَ خَلْخَالا
وما تَصْنَــع بالسَّيْفِ إذا لَمْ تَــكُ قتَّالا

فقَال عَبْدُ الله بنُ مَعْن : ما لبِسْتُ سَيْفِى قطّ فرأيت إنْسَاناً يلمَحُنِى إلَّا ظَنَنْتُه يَحْفَظُ قولَ أبِى العَتاهِيَه فِيَّ فيتَأمَّلنى لِذَلِكَ فأخْجَل .

اجْتَمع أبُو العَتاهِية ومُسْلِمُ بنُ الوَليد فجرَى بَيْنَهُما كَلَام فقال مُسْلِم : والله لو كنتُ أرضَى أنْ أقولَ مِثْلَ قوْلك :

الحمــدُ والنعمةُ لَك والملكُ لا شَرِيكَ لَكْ
لَبَّيْك إنَّ المُلْكَ لك

لقلت فى اليوم عشرةَ آلاف بيت . ولــكِنِّى أقول .

(١) فى ت : يوم « تحريف » .

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يومِ ذِى رَهَجٍ كَأَنَّه أَجَـلٌ يَسْعَى إلى أمل

فقال أبو العَتَاهِية : يا بن أخي : قُلْ مِثْلَ قَوْلى :

* اَلحَمْدُ والنِّعْمَةَ لَكْ *

حتى أَقُولَ مِثْلَ قَوْلِك :

* كأَنَّه أجلٌ يَسْعَى إلى أَمَلِ *

قال مُحَمَّد بنُ سَابِق : قال بَشَّار لأَبى العَتَاهية : أنا أَستَحْسِن اعتذارَك حَيْثُ تَقُولُ :

كم مِنْ صَدِيقٍ لى أُسَا رِقُه البُكاءَ من الحياءْ
فإذا تأمَّلَ لا مَنِى فأقول ما بى من بُكَاء
لكن ذهبتُ لأرتَدِى فطَرَفتُ عينى بالرِّداء

فقال أَبُو العَتَاهِية : يا أبا مُعَاذ ما لُذتُ إلا بمَعْنَاكَ ولا جَنَيْتُ إلَّا من غَرْسِك حَيْثُ تقول :

شَكَوْتُ إلَى الغَوَانِى ما أُلَاقِى وقلتُ لهن ما يَوْمى بَعيدُ
فقُلْنَ بكيتَ قُلْت لهنّ كَلَّا وقد يَبْكى من الشَّوْقِ[1] الجليدُ
ولكنّى أصابَ سوادَ عَيْنى عُوَيْدُ قَذًى له طرَفٌ حَدِيدُ
فقُلْنَ فَمَا لِدَمْعِهِما سَواءٌ أكِلْتَا مُقْلَتَيْك أَصَابَ عُودُ

قال مُخَارِق : لما لَبِس أَبُو العَتَاهِيَة الصُّوفَ أمرَه الرشيدُ أن يَقُولَ شِعْراً فى الغَزَل ، فامْتَنَع ، فضرَبه سِتِّين عَصاً ، وحلَف لا يَخْرُج من حَبْسِه حتى يقول شِعْراً فى الغَزَل ، فلما ضُرِب قال أَبُو العَتَاهِيَة : كُلُّ مَمْلُوك له حُرّ وامرأتُه طَالِق إنْ

---

(١) فى ت : الطرب .

تَـكلَّمْ سَنَةً إلا بالقرآنِ أَو بِلَا إلهَ إلّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ . وكان الرشيدُ تحرَّج مِمَّا فَعَلَه فحبسَه فى دارٍ ووَسَّع عليه ، ولم يَمْنَع أحداً مِمَّن يُرِيد الدُّخُولَ عليه ، وكانت الحالُ بينه وبين إبْرَاهِيم الموصليِّ لَطِيفَةً ، وكان يبعثُ بِى إليه أتعرَّفُ خبرَه فإذا دخلتُ إليه وَجدْتُ بين يدَيْه ظَهْراً[1] ودواةً فيـكتُبُ إلَىَّ بجميع ما يُرِيدُ ، وأُكَلِّمُه أنا ، فـكَثتُ كذَلِكَ سَنَةً ، واتَّفَق أَنَّ إبْرَاهِيمَ صَنَع صَوْتَه :

أعرفتَ دار الحىّ بالحِجْرِ فشَرُو ربان فَقُنَّةَ الغَمْرِ[2]

وهَجَرْتَنَا وأَلِفْتَ رسْمَ بِلًى والرسمُ كان أحـقَّ بالهَجْرِ[3]

قال مُخَارِق : فقَالَ لِى إبْرَاهِيم : اذْهَب إلَى أَبِى العَتَاهِية وغَنِّه هَذَا الصوتَ فأتيتُه فى اليَوْم الَّذِى انْقَضَت فِيهِ يَمِينُهُ ، فَغَنَّيْتُه إيَّاه ، فـكَتَب إلَىَّ بَعْدَ أن غَنَّيْتُه : هذا اليومُ تَنْقَضِى فيه يمينِى ، فأُحِبّ أن تُقِيمَ عِندِى إلَى اللَّيْل ، فأقمتُ نَهارِى كُلَّه عِنده ، حتَّى إذَا أَذَّنَ [الناسُ][4] المغربَ كَلَّمَنِى فقال : يا مُخَارِقُ ، قلت : لبَّيْك ؛ [قال : قل لصاحبك : يا بن الزانية ، أما والله لقد أبقيت للناس فتنة إلى يوم القيامة ، فانظر أين أنت من الله غـدا !][5] قال فـكنتُ أوّلَ من أفْطَرَ عَلَى كَلَامه ، فقلت له : هل قلت شَيْئاً تَتَخَلَّصُ به مِنْ هَذَا المَوْضع ؟ فقال : نعم قد قُلْتُ فى امرأتى شِعْراً ؛ فقُلْتُ : هَاتِه ، فَأَنْشَدَنى :

مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيَّم مُشْتَاقِ شَفَّه شَوْقُه وطُولُ الفِرَاقِ

طَالَ شـوقى إلى قَعِيدَةِ بَيْتِى ليتَ شِعْرى فَهلْ لَنَا مِنْ تَلَاقِ

---

(١) فى ت : طهورا .

(٢) فى غ : فشدو ريان ، والعمر ، بدل الغمر .

(٣) فى ت : وهجرتها بدل وهجرتنا (تحريف) ورسما بأينا بدل : رسم بلى .

(٤) ساقطة من: ت .

(٥) كلام ساقط من « ت » لا يستقيم الـكلام إلا به والتـكملة من غ .

هِيَ حظِّي قد اقتصرتُ عليها   من ذَوَاتِ العُقودِ والأَطْوَاق
جَمَع اللهُ عاجلًا بِكِ شَمْلِي   عن قَرِيبٍ وفَكَّنِي مِنْ وَثَاقِ

فكتبتُها وصرتُ إلى إبْراهيمَ ؛ فصَنَع فيها لحْناً ، ثم دَخَل عَلَى الرشيد ، فكانَ أولَ صَوْتٍ غنَّاه فى ذلك المَجْلِس[1]، فأعجبه وسَأَله . لمَنْ هَذَا الشِّعرُ والغِنَاء ؟ فقال إبراهيم : أمَّا الغِنَاء فلى وأما الشعر فلأسيرك أبى العَتَاهِيَة ؛ قال : أو قد فعل ؟ قال : نعم . فدَعَا بِه ثمَّ قال لمَسْرُور : كم كُنَّا ضربنا أَبَا العَتَاهِيَة ؟ فقال ستِّينَ عصاً ، فأمر له بستِّين أَلْفَ دِرْهم وخَلَع عليه وأَطْلَقَهُ .

قال الفَضْلُ بن العَبَّاس : وجَدَ الرشِيدُ وهو بالرَّقَّة على أَبِى العَتَاهِيَة فى شىء ، وأَبُو العَتَاهِيَة فى مَدِينَةِ السلام ، وكان أَبُو العَتَاهية يرْجُو أن يتكلَّم فيه الفَضْلُ ابنُ الرَّبيع ، فأَبْطَأَ عليه فكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَجْفَوْتَنى فِيمَنْ جَفَانِى   وَجَعَلْتَ شَأْنَك غيرَ شَانِى
ولطَالمَا مَنَّيْتَنِى   مِمَّا أَرَى طُولَ الأَمَانِى
حتى إذَا انْقَلَبَ الزَّمَا   نُ علىَّ صِرتَ مَعَ الزَّمَانْ

فكلَّم الفَضْلُ فيه الرشيد ، فرضِيَ عنه ، وأرسل الفضلُ إلَيْه يأمُرُه بالشُّخوص ويَذْكُر له أنَّ الرَّشِيدَ رَضِي عنه ، فشَخَص ، فلما دَخَل على الفَضْل أنشده قوله فيه :

قد دَعَوْنَاهُ نَائِياً فوجدنَا   ه على نَأْيه قَرِيباً سَمِيعاً

فأدخَلَه إلى الرشيد ورَجَع إلَى حَالته الأُولَى .

وكان يَزِيدُ بنُ مَنْصُور خالُ المهدى يتعَصَّبُ لأَبى العَتَاهِية ، لأنه كان يمدح اليَمَانِيَةَ .

---

(١) فى ت : الشعر .

وكان أَبُو العَتَاهِية فى مُدَّة حَيَاة يزيد بن منصور يَدَّعى أَنَّه مولًى لِلْيَمَن وَيَنْتَفِى مِنْ غَيْرِهِم .

فلما مَات يَزِيدُ رجعَ إِلَى وَلاَئِه الأَوَّل . وسُئِل عن ذَلِكَ فقال: ذلك شَىْءٌ احتَجْنَا إِلَيْه فى ذَلِك الزمان « وكَانَ قَدِ ادَّعى وَلاَء اللَّخْمِيِّين » .

وكان يَزِيدُ بْنُ مَنْصُور من أكرم النَّاس وأَحْفَظِهم لحُرْمَةٍ ، وأَرْعَاهُم لعَهْدٍ ، وكان بارًّا بأَبِى العَتَاهِية ، كَثِيرَ الصِّلَة له[1] ، وكان أَبُو العَتَاهِيَة فى سَعَة ومَنَعَة من كَثْرَة ما يَدْفعه إليه ويَحْمِيه مِنَ المَكَارِه. ولما مَاتَ رَثَاه أَبُو العَتَاهِيَة فقَالَ :

أَنْعَى يَزِيدَ بْنَ مَنْصُورٍ إِلَى البَشَر ... أَنْعَى يَزِيدَ لأهل البَدْو والحَضَر
ياساكِنَ الحُفرةِ المَهْجُورِ ساكنُها ... بعد المَقَاصِير والأبواب والحُجَر
وَجَدْتُ فقدكَ فى مَالِى وفى نَشَبِى ... وجدتُ فقدكَ فى شَعْرِى وفى بَشَرى[2]
فلستُ أَدْرِى جَزَاكَ اللهُ صالحَةً ... أَمَنْظَرِى فيك أَسْوَا اليومَ أَمْ خَبَرِى[3]

ولما حَبَس المهدىّ أبا العَتَاهِيَة تَكَلَّمَ فيه يَزِيد بنُ مَنْصُور الحِمْيَرِى حتى أطلقه ؛ فقال فيه أبو العَتَاهِيَة :

ما قلتُ فى فضله شيئاً لأَمْدَحَه ... إِلَّا وفضلُ يَزِيدٍ فوقَ ما قُلْتُ
مازِلْتُ من صَرْفِ دَهْرِى خَائِفاً وجِلًا ... فقد كَفَانِى بعد الله ما خِفْتُ[4]

قال عبد الله بنُ الحَسَن[5] : جاءَنِى أبو العَتَاهِيَة وأنَا فى الدِّيوَان فَجلَس إلىّ ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، أمَا يصعُبُ علَيْك شىْء من الألفاظ تَحْتَاجُ فيه إلى اسْتِعْمَال

---

(١) فى غ : كثيرا فضله عليه .

(٢) فى ديوانه : « شعرى — بكسر الشين — وفى نثرى » .

(٣) فى غ : أمنظرى اليوم أسوافيك أم خبرى . وفى الديوان: أمنظرى أسوأ هو فيك أم خبرى .

(٤) فى غ : ريب بدل صرف .

(٥) فى ت : عبيد بن الحسن .

الغَرِيب كما يَحتاجُ إلَيْه سائرُ الناس مِمَّن يَقُولُ الشعرَ ؟ فقال : لا ؛ فقُلْتُ : إنى لأَحْسَبُ ذَلِك من كَثْرَة رِكُوبك القَوَافِيَ السَّهْلَة ؛ قال : فاعْرِضْ علىَّ ما شئتَ من القَوَافِى الصَّعْبَة ؛ فقلت : قُل أبياتا على مِثْل البَلَاغ ؛ فقال من ساعته :

أَىُّ عَيْشٍ يكون أفضلَ[(١)] من عَيْ ... شٍ كفافٍ قُوتٍ بقَدْر البَلَاغ

صاحبُ البَغْى ليسَ يَسْلَمُ منه ... وعلى نَفْسِه بَغَى كُلُّ بَاغِى

رُبَّ ذِى نِعْمَةٍ تَعَرَّض منهـا ... حائلٌ بينه وبين المَسَاغِ

أَبْلَغَ الدهرُ فى مَوَاعِظِه بـل ... زاد فيهنَّ لى عـلى الإبْلَاغِ

غَبَنَتْنِى الأيامُ عقـلى ومالى. ... وشَبَابِى وصِحَّتِى وفرَاغِى

قال مُسْلِمُ بنُ الوَلِيد : كنتُ مُسْتَخِفًّا بشِعْر أَبِى العَتَاهِية ، فلَقِيَنِى يوما فسألنى أن أَصِيرَ إليه، فصِرْتُ إليه فأحضَر لى لَوْنًا[(٢)] واحدا فأَكَلْنَاه ، وأحضر لى[(٣)] تمرا ، وجلسنا نتحدث ، وأنشدته أشعاراً لى فى الغزل ، واستَنْشَدْتُه[(٤)] فأنشدنى قـوله :

بالله يا قُـرَّةَ العَيْنَيْن زُورِينِى ... قبـل المَمَاتِ وإلّا فاسْتَزِيرِينِى

إنى لأَعْجَبُ من حُبٍّ يُقَرِّبُنِى ... مِمَّن يُبَاعِـدُنِى منْه ويُقْصِينِى[(٥)]

أَمَّا الـكثيرُ فلا أَرْجُوه مِنْك ولَوْ ... أَطْمَعْتِنِى فى قَلِيلٍ كانَ يَكْفِينِى[(٦)]

ثم أنشدنى :

رأيتُ الهوى جمرَ الغَضَا غير أنه ... على حَرِّه فى صدر صَاحِبِه حُلْوُ

(١) فى غ : أبلغ .

(٢) فى غ : فجاءنى بلون واحد .

(٣) فى غ : وأحضرنى .

(٤) فى غ : وسألته أن ينشدنى .

(٥) فى ت : فمن .. عنه .

(٦) فى غ : فما أرجوه .

أَخِلَّاىَ بى شَجْوٌ وليس بكم شجوُ وكل امرىءٍ من شَجْو صَاحِبِه خِلْوُ(١)
وما من مُحِبٍّ نال ممن يُحِبهُ هوًى صادقا إِلَّا سيدخُله زَهْوُ
بُلِيتُ وكان المَزْحُ بدءَ بَلِيَّتى فأحببتُ حقًّا والبَلَاءُ له بَدْوُ
وعُلِّقْتُ مَنْ يَزْهُو علىَّ تجبُّرًا وإنِّىَ فى كُلِّ الخِصَال له كُفْوُ
[أذابَ الهوَى عَظْمِى ومُخِّى وقوَّتى فلم يَبْقَ إلا الرُّوحُ والجسدُ النِّضْو](٢)

ثم أنشدنى أيضا :

صبرتُ ولا والله ما بى جَلَادَةٌ على الصبر لكنِّى صبَرْتُ على الرَّغْمِ(٣)
يُصَابُ فؤادى حين أُرْمَى ورَمْيَتِى تعودُ إلى نَحْرِى ويَسْلَمُ من أَرْمِى
أَلَا فى سبيل الله جِسمى وقُوَّتى أَلَا مُسْعِدٌ حتى أنوحَ على جِسْمِى

فقلت له : يا أَبَا إِسْحَاقَ ما يُبَالِى مَنْ أَحْسَنَ(٤) أن يقول مِثْلَ هـذا الشّعر ما فَاتَه مِنَ الدُّنْيَا ! فقال : يا ابْنَ أَخِى ، لا تَقُل هذا(٥) فإنَّ الشِّعْرَ أيضا من مَصَايِد الدُّنْيَا .

اجتمع الشعراءُ على بَابِ الرَّشيد فأَذِن لهم فدخلوا وأَنْشَدُوا ، وأنشد أبو العَتَاهِيَة:

يا مَنْ يُرَجِّى زمناً صَالِحاً هَارونُ لا شكَّ صلاحُ الزمن(٦)
كلُّ لِسَانٍ هو فى مُلْكِه بالشُّكْر فى إحسَانِه مُرْتَهَنْ

فاهتَزَّ الرشيد ، وقال له : أحسنتَ واللهِ ، ولم يخرج أحدٌ من الشُّعَرَاء فى ذلك اليوم بِصِلَةٍ غيرُه .

---

(١) فى غ : عن شجو .
(٢) لم يرد البيت فى غ .
(٣) فى غ : رغمى .
(٤) فى ت : حسن .
(٥) فى ت : كذا .
(٦) فى غ : تبغى بدل يرجى ، والشطر الثانى : صلاح هارون صلاح الزمن .

قال ابن الأعرابي : أَجْرَى الرَّشِيدُ الخيلَ فجاءَ فرسٌ له يُقَالُ له المُشَمَّرُ سابِقا ، وكان الرشيد مُعْجَبًا بذلك الفَرَس ، فأمر الشعراءَ أن يقولوا فيه فبدَرَهم أبو العتاهية، فقال :

جاء المُشَمَّرُ والأفراسُ يقدُمُها ... هَوْناً على رِسْلِه منها وما انْبَهَرَا

وخَلَّف الريحَ حَسْرَى وهي جاهِدةٌ ... ومَرَّ يَخْتَطِفُ الأبصارَ والنَّظَرَا

فأجزلَ صِلَتَه وما جسَر أحدٌ أن يَقُولَ بعده فى ذلك شيئا .

كان عليّ بن ثابت صديقاً لأَبى العتاهية وبينهما مُجَاوَبَات فى الزّهد والحِكَم ، فتُوفِّى عليّ بن ثابت، فقال أبو العتاهية :

مؤنِسٌ كَانَ لى هَلَكْ ... والسَّبِيل التى سَلَكْ

يا عَلِىّ بنَ ثَابِتٍ ... غفرَ اللهُ لى ولَكْ

كلُّ حَيٍّ مُمَلَّكٍ ... سوفَ يَفْنَى وما مَلَكْ

وحضر أبو العتاهية عَلِىّ بنَ ثَابِت هذا وهو يَجُود بنفسه فلم يزل مُلْتَزِمَه[1] ويبكى حتى فَاظَ ، فلما شُدَّ لَحْيَاهُ[2] بَكَى طَوِيلا ثم أنشأ يقول :

يا شَرِيكا[3] فى الخير قَرَّبك اللّه ... فنِعْمَ الشَّرِيكُ فى الخير كُنْتَا

قَدْ لَعَمْرِى حَكَيْتَ لى غُصَصَ المَوْ ... تِ فحَرَّكْتَنِى لها وسَكَنْتَا

ولما دُفِن وقف على قَبْره يبكى أحرَّ بكاء ويردد أبياتاً منها :

بكيتُك يا عَلِىُّ بدمع عَيْنِى ... فما أغنى البكاء عليك شيَّا

وكانَتْ فى حيَاتِك لى عِظاتٌ ... وأنتَ اليومَ أوعظُ منك حَيَّا

---

(١) فى ت : يلتزمه .

(٢) فى ت : شد لحييه .

(٣) فى غ : شريكى .

أخذ أَبُو العَتَاهِية هذَا المَعْنى من كلام الفَلاَسِفَةِ لَمَّا حضَر تابوت الإسكندر وأُخْرِج لِيُدْفَن قال : كان المَلِكُ أمسِ أهيبَ منه اليوم وهو اليوم أوعظُ منه أمسِ .
وقال آخر : سَكَنَتْ حركةُ الملك فى لذَّاته وحرَّكنا سُكُونه جزعا لفقده .

قال جعفرُ بنُ الحُسين المُهَلَّبي : لقيتُ أَبَا العتاهية فقلتُ له : يا أبَا إسْحَاق ، من أَشْعَرُ الناس ؟ قال الذى يقول :

اللهُ أنجـــحُ ما طلبتَ به ... والبِرُّ خـيرُ حَقِيبَـة الرَّحْلِ(١)

فقلت له : أنشدنى من شعرك شيئا ، فأنشدنى :

ياصاحبَ الروحِ ذِى الأنفاس فى البدن(٢) ... بين النهار وبين الليــــل مُرْتَهـن
لقَلَّ ما يتخطَّاك اختــــلافُهما ... حـتى يُفرِّق بين الرُّوح والبَدَنِ
لَتَجْذِبَنّى يَدُ الدنيـــا بقُوَّتِها ... إلى المَنَايا وإن نازعتُها رَسَنِى

قال: فكَتَبْتُها ، ثم قُلْت: أنشدنى شَيْئاً من شِعْرك فى الغَزَل ، فقال : يا بن أخى : إنَّ الغزَل يُسْرِع إلَى مثلك ؟ فقلت : أرجو عِصْمَةَ اللهِ عز وجل، فأنْشَدَنى:

كأنهــا من حُسْنها دُرَّةٌ ... أخرجها الموجُ(٣) إلى الساحل
كأنَّ فى فيهـا وفى طَرْفها ... سواحراً أقبلنَ من بَابِل
يا مَنْ رأى قبلى قَتيلًا بَكَى ... من شدَّة الحُبِّ إلى القـاتل(٤)

فقلت : يا أَبَا إسحاق ، هذا من قول صاحبنا جَميل :

خَلِيلَىَّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما ... قَتيلًا بـكى من حُبّ قَاتِله قبلى

قال : هو ذاك يا بْنَ أَخِى .

---

(١) فى بعض نسخ غ : الرجل بالجيم المعجمة .
(٢) كذا فى الديوان ، وفى ت : والأنفاس والبدن .
(٣) فى غ : اليم .
(٤) فى غ : من شدة الوجد على القاتل .

واجتاز أبو العَتَاهِيَة فى أول أمره وعلى ظَهْرِه قَفَصٌ فيه فَخّار يدور به فى الكوفة ويَبِيعُ مِنْه ، فمرّ بفتيان جلوس يتذاكرون الشعرَ ويتناشدونه ، فسلّم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال لهم : يا فتيانُ أراكم تَتَذَاكرون الشعرَ وتقولونه ، فأقول شيئاً وتُجيزُونه ، فإن فعلْتم فلكم علىّ عشرةُ دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم. فهَزِئُوا[1] منه وسخروا به وقالوا : نعم ؛ فقال : لابد أن نَشْتَرِى بأحد القِمارين رُطَباً يؤكل فإنه قمار[2] حاصل ، وجعل رَهْنَه على يد أحدهم ففعلوا . فقال : أجيزوا :

* ساكِنِى الأَجْدَاثِ أَنْتُم *

وجعل بينَه وبينهم وَقْتاً وعلامَةً فى موضع إذا بلغَتْه الشمسُ ولم يُجيزُوا البيتَ وَجبَت القمْرَة عَلَيْهم، فلم يأْتُوا بشىء ، فأخَذَ الدّرَاهم وجعل يَهزَأُ بهم وتَمَّمَه، فقال:

سَاكِنِى الأَجْدَاثِ أَنْتُم ... مثلَنا بالأمس كُنْتُمْ

ليتَ شِعْرِى ما صَنَعْتُم ... أَرَبِحْتُم أم خَسِرْتُمْ

وهى قصيدة طويلة من شعره .

ولما حَبَس الرشيدُ أبا العَتَاهِيَة وحَلَف ألّا يُطلِقَه أو يَقُولَ شِعْرًا ، قال أبو حَبَش : أسْمِعَ بأَعْجَبَ من هذا ، يقول الشعراء الشعرَ النَّادِرَ الجيِّدَ فلا يُسْمَعُ منهم ! ويقول هَذَا المُخَنَّثُ المُفَكَّك[3] تلك الأشعارَ بالشَّفَاعَة ، ثم أنشد أبياتا منها:

أَبَا إسْحاقَ راجعتَ الجَماعه ... وعُدْتَ إلَى القوَافِى والصِّنَاعَهْ

وكنت كَجَامحٍ[4] فى الغىِّ عاصٍ ... وأنت اليوم ذُو سَمْعٍ وطاعهْ

كَسَدنا ما نُراد وإنْ أَجَدْنَا ... وأنت تقول شعرَكَ بالشَّفَاعَهْ[5]

(١) فى ت : فهربوا .
(٢) فى ت وبعض نسخ غ : « القمرين . . قمر » .
(٣) فى ت : المجيب المشكل .
(٤) فى ت : كجامع .
(٥) فى ت : ما يراد .

قال أبو العتاهية : أخرجني المهديّ معه إلى الصّيد ، فوقعنا منه على شيء كثير ، فتفرّق أصحابه في طلبه وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يلتقوا ، وعرض لنا وادٍ عظيم ، جرّار وغيّمت السماء وبدأت تمطر ، وأشرفنا على الوادي فإذا فيه ملّاح يعبّر الناس ، فلجأنا إليه وسألناه عن الطّريق ، فجعل يضعّف رأينا ويعجّزنا في بذلنا أنفسنا في ذلك الغيم والمطر للصّيد حتى أبعدنا ، ثم أدخلنا كوخًا[1] له ، وكاد المهديّ يموت بردًا ؛ فقال له : أغطّيك بجبّتي هذه الصوف ؟ فقال : نعم ، فغطّاه بها ، فتماسك قليلًا ونام ، وافتقده غلمانه وتبعوا أثره حتى جاءونا ، فلما رأى الملّاح كثرتهم علم أنه الخليفة [فهرب][2] وتبادر الغلمان فنحّوا الجبّة عنه وألقوا عليه الوشي والخزّ ، فلما أنتبه قال لي : ويحك ! ما فعل الملّاح ؟ فقد وجب حقّه علينا ؛ فقلت : هرب خوفا من قبح ما خاطبنا به ؛ قال : والله لقد أردتُ أن أغنيه وبأيّ شيء خاطبنا ! والله نحن مستحقّون لأقبح ما خاطبنا به ! بحياتي عليك إلّا ما هجوتني ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تطيب نفسي أن تهجوك ! قال : والله لتفعلنّ فإني ضعيف الرأي مغرم بالصّيد ، فقلت :

يا لابس الوشي على ثوبه ... ما أقبح الأشيب في الرّاح[3]

فقال : زدني بحياتي ، فقلتُ :

لو شئتَ أيضا جُلتَ في خامةٍ[4] ... وفي وشاحين وأوضاح

فقال : ويلك ! هذا معنى سوء يرويه[5] الناسُ عنك ، وأنا أستأهل ؛ زدني شيئًا آخر ؛ فقلت : أخاف أن تغضب فقال : لا والله ، فقلتُ :

(١) في ت : لو كاله « تحريف » .

(٢) ساقطة من : ت

(٣) في ت : بالراح .

(٤) في ت : حلة .

كَمْ من عَظِيمِ القَدْرِ فى نَفْسِهِ قــد نَامَ فى جُبَّةِ مَلَّاحِ

فقال : معنى سَوْءٍ عليك لعنةُ الله ! وقمنا فركبنا وانصرَفْنَا .

كان عَلِيُّ بن يَقْطِين صَدِيقاً لأَبى العَتَاهِيَة وكان يَبَرّه كل سنة بِرًّا واسعاً ، فأبطأ عليه بالبِرِّ سنة من السنين وكان إِذَا لَقِيَه أبو العتاهية سُرَّ به ورفع مَجْلِسَه ، لا يَزِيدُه على ذلك ؛ فلقيَه ذَاتَ يوم وهو يريد الخَلِيفَةَ فاستوْقَفَه وأنشده :

حَتَّى مَتَى ليت شعرى يابْنَ يَقْطِين أُثْنِى عليك بما لا منك تُولِينِى

إنَّ السَّلَامَ وإِنَّ البِشْرَ من رجل فى مثل ما أنت فيه ليس يَكْفِينِى

أَمَا عَلِمْتَ جزاكَ اللهُ صَالِحَةً وزادكَ اللهُ فضلًا يا ابْنَ يَقْطِين

أَنِّى أُرِيــدُكَ لِلدُّنيا وعَاجِلِها وما أُرِيدكَ يــوم الدين لِلدِّين

فقال عَلِيُّ بنُ يَقْطِين : لستُ أَبرحُ ولا تَبْرَحُ من مَوْضِعِنا هَذَا إِلَّا رَاضيا ، وأمر له بما كان يَبْعَثُ إليه فى كل سنة ، فحُمِل مَعَه مِنْ وَقْته .

ولما ضَرَب الرَّشيدُ أبا العَتَاهِيَة وحَبَسه وكَّل به صَاحِبَ خَبَر يكتب ما يَقُول ويَسْمَعُه . فكتب بأنه سَمِعَه يُنْشد :

أَمَا واللهِ إِنَّ الظُّلْمَ لُومُ وما زَالَ المُسِيءُ هُوَ الظَّلُوم

إِلَى دَيَّان[1] يوم الدِّين نَمْضِى وعندَ اللهِ تجتمع الخُصُوم

فبَكَى الرشيد ، وأمر بإطْلَاقِ أَبِى العَتَاهِية وأحضَره وأمر له بأَلْفَى دِينَار .

وقال محمد بن أَبِى العتاهية : قال أبى فى عُتْبَةَ[2] :

كَأَنَّ عُتَّابَةً مِنْ حُسْنِها دُمْيةُ قَسٍّ فَتَنَتْ قَسَّهَا

يارَبِّ لو أَنْسَيْتَنِيها بِمَا[3] فى جَنَّةِ الفِرْدَوس لم أَنْسَهَا

(١) فى ت : ديوان .

(٢) هى عتبة جارية المهدى ، كان يحبها ويشبب بها .

(٣) فى ت : كما « تحريف » .

شَنَّع عليه مَنصُور بنُ عَمَّار بالزَّنْدَقَةِ وقال : يَتهاون بالجنَّة فى مِثْل هَذَا ، وشَنَّع عليه أيضا بقوله :

إنَّ المَلِيك رآكَ أَحـ سَنَ خَلْقِه ورأى جَمَالَك
فحـــذا بقُدْرَةِ نَفْسِه حُورَ الجِنَان على مِثَالِك

قال : نستغفرُ اللهَ العَظِيم أيُصَوِّر الله الحورَ على مِثَال امرأة آدَمِية ! واللهُ لا يَحْتَاج إِلَى مِثَال ! فأوقع له هَذَا على أَلْسِنَة العَامَّة ؛ فلَقِى مِنْهم بلاء .

قال أبو سَلَمَة البَاذَغيسى : قلت لأبى العتاهية : فى أَىّ شِعْرِك أَنْتَ أَشْعَر ؟ قال قَوْلِى :

النـــاس فى غَفَلاَتِهِم ورَحَـا المَنِية تَطْحَن
[ما دُونَ دَائِرَةَ الوَرَى حِصْنٌ لمن يَتَحَصَّن][1]

دخل أَبُو العَتَاهِيَة على المَأْمُون فأنْشَدَه :

ما أَحْسَنَ الدُّنْيَا وإِقبالَها إِذَا أطاعَ اللهَ مَن نَالَها
من لم يُوَاسِ الناسَ مِن فَضْلِها عَرَّض لـــلإِدْبَارِ إقْبالَهَا

فقال المَأْمُون : ما أجودَ البيتَ الأوَّل . فأمَّا الثَّانِى فما صَنَعْتَ فيه شيئا ، الدنيا تُدْبِر عَمَّن وَاسَى منها أو ضَنَّ بِهاَ ، وإنما يوجِبُ السَّمَاحَةَ بِهاَ الأَجْرُ والضَّنَّ بها الوِزرُ .

فقال : صدقت يا أَمِيرَ المُؤمنين ، أهلُ الفَضْل أَوْلَى بالفضل ، وأهلُ النَّقْص أَوْلَى بالنَّقْص . فقال المأمونُ : يا أبا ثَابِت ، ادفَعْ إليه عشرة آلافِ دِرْهم لاعتِرَافه بالحقّ .

---

(١) لم يرد هذا البيت فى غ .

فلما كان بعد أيام عادَ فأَنْشَدَه :

كَم غَافِلٍ أَوْدَى به المَوْتُ — لم يأْخُذِ الْأُهبةَ للفَوْتِ
مَنْ لم تَزُل نعمتُه قبلَه — زَالَ عَنِ النعْمَةِ بالمَوْتِ

فقال له : أحسنتَ ! الآن طَبَّقْتَ[1] المَعْنَى وأمر له بعِشْرِينَ ألف درهم .

كَان أَبُو العَتَاهِيَة يَحُجُّ كُلّ سَنَة ، فإذا قَدِم أَهْدَى إلى المأمون بُرْدًا ونَعْلا سَوْداء ومَسَاوِيكَ من أَرَاكٍ ، فيبعَثُ إِلَيْه بعِشرِينَ ألفَ دِرْهم ، وكان يُوَصِّل الهَدِيَّة من جهتِه مِنْجَاب مَوْلَى المأمون ويَجيء إليه بالمال[2] ؛ فأهدى له مرَّة كما كان يُهْدِي كُلَّ سَنَة إذا قدِم ولم يبعث إليه بالوَظِيفة فكتب إليه أَبُو العَتَاهِية :

خَبَّرُونِي أَنَّ من ضَرْبِ السَّنَهْ — جُدُدًا بيضًا وصُفْرًا حَسَنَهْ
أُحدِثَت لكنَّنِي لَمْ أَرَهَا — مِثْلَمَا كنتُ أرى كُلَّ سَنَهْ

فأمر المَأْمُون فحُمِل إليه عِشْرُون ألفا ، وقال : أَغفلْناه حتى ذَكَّرَنَا .

[ويقال: إنَّ المأمونَ كان يُوَجِّه إِلَى أمِّ جعفر زُبَيْدَة في كُلِّ سنة بمِائة ألف دينار ومائة ألفِ دِرْهَم جُدُد فأَغْفلَها سَنَة ، فتقَدَّمت إِلَى أَبِى العَتَاهيَة أن يَعْمَل أبياتًا يُذَكِّرُه بهَا ، فقال هذين البَيْتَيْن ، فحَمَل إليْها المَأْمُونُ عادَتَها][3] .

ولما وَلِيَ الهَادِي الخلافة كان واجدًا على أبي العَتَاهِيَة لمُلَازَمته أَخَاه هارُون وانقطاعه إليه ؛ واتفق أَن وُلِدَ للهادى ولدٌ فى أوّل يوم وَلِي الخلافة ، فدخل عليه أَبُو العَتَاهِيَة فأنشده :

أَكثَرَ موسى غيظَ حُسَّادِه — وزَيَّنَ الأرضَ بأَوْلَادِه

---

(١) فى غ : طيبت .
(٢) فى غ : ويجيئه بالمال .
(٣) ما بين القوسين لم يرد فى « غ »

وجاءنا من صُلبه سَيِّدٌ أَصيدُ فى تَقْطِيع أَجْدادِه
فاكتَسَتِ الأَرْضُ به بَهْجَةً واستبشر الملكُ بمِيلَادِه
وابتَسَم المِنبَرُ من فَرْحَةٍ[1] بقَائِمٍ من فَوْقِ أَعْوادِه
كأَنَّنِى بعد قليل بِه بين مَوَالِيه وقُوَّادِه
فى جَحْفَلٍ[2] تَخْفِقُ رَايَاتُه قد طَبَّقَ الأَرضَ بأَجْنَادِه

فأمر له مُوسَى بأَلْف دِينَار وطِيبٍ ورَضِىَ عنه بعد أَنْ كانَ ساخِطا عليه .

قال يَحْيَى بنُ الرَّبيع : دخل أبُو عُبَيْد الله على المهدىّ ، وكان قد وجَد عليه فى أمرٍ بلغَه عنه ، وأَبُو العَتَاهِيَة حاضر ، فجعل المهدى يشتُم أَبَا عُبيد الله ويتغَيَّظُ عليه ، ثم أمر به فجُرَّ برِجله وحُبِس ؛ ثم أَطْرَق المهدىّ طَوِيلًا ؛ فلما سكن غضبه أنشده أبو العَتَاهِيَة :

أَرَى الدُّنْيا لمَنْ هِىَ فى يدَيْه عذاباً كلما كَثُرَتْ لدَيْه
تُهِينُ المُكرِمين لها بِصُغْرٍ[3] وتُكرِم كُلَّ مَنْ هانت عليه
إذا استغنيت[4] عن شىء فدَعْه وخُذْ ما أنتَ محتاجٌ إِلَيْه

فتَبَسَّم المَهْدِى ثم قال لأَبِى العَتَاهية : أحسنتَ ! فقام أبُو العتاهية فقال : يا أمير المؤمنين ، ما رأيتُ أحدا أَشَدَّ إِكْرَاماً للدّنيا ولا أَضَنَّ[5] بِهَا ولا أشحَّ عليها مِنْ هَذَا الّذى جُرَّ بِرِجْله السَّاعة ، ولقد دَخَلْتُ على أمير المؤمنين ودَخَل وهو أَعزُّ

---

(١) فى غ : عن فرحة : والشطر الثانى فيه :

* عَلَت بِها ذِرْوَةُ أعوادِه *

(٢) فى غ : فى محفل .
(٣) كذا فى غ ، وفى ت : تهنى المكرمين لها بصفو .
(٤) فى ت : استغنيث « تحريف » .
(٥) فى غ : أصوت .

النَّاس فما بَرِحت حَتَّى رأيتُه أذلَّ الناس ، ولو رَضِي من الدُّنيا بما يَكفيه لاستَوَت أحوالُه ولم تتَفاوت ؛ فتبسَّم المَهْدِيّ ودعا بأبي عُبَيْدِ الله ورَضِي عنه ؛ وكان أبو عُبَيْدِ الله يشكر ذَلِك لأبي العَتَاهِية .

كان إسْحَاق بن عُزَيْز يتعشَّق عَبَّادة جارِيَة المُهَلَّبِيَّة ، وكانت المُهَلَّبِيَّة مُنْقَطِعَةً إلى الخيزُرَان ، فركِبَ إسْحَاق يوما ومعه عبدُ الله بن مُصْعَب يُرِيدَان المهدِيّ ، فلقيا عَبَّادة ؛ فقال إسْحَاق : يا أبا بَكْر ، هَذِه عبَّادة ، وحَرَّك دَابَّته حتى سبَقَها فنَظَر إليها ، فجعل عبدُ الله بن مُصْعَب يتعَجَّب من فِعْله ؛ ودخَلَا على المَهْدِيّ فحدَّثه عبدُ الله بنُ مُصْعَب الحديث فقال : أنا أشْتَرِيها لك يا أبا إسحاق ؛ فدخل على الخيزُرَان ، فدَعَا بالمُهَلَّبِيَّة فحَضَرت ، فأعطاها بعَبَّادة خَمْسِين ألف درهم؛ فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنْ كنتَ تُرِيدُها لنفسك فهي[1] لك ؛ فقال : إنَّما أُرِيدُها لإسحاق بن عُزَيز ؛ فبَكَت وقالت : أتُؤْثِر عَلَيَّ إسْحَاق وهي يَدِي ورِجْلي ولِسَاني في جميع حوائجي ! فقالت الخيزُرَان لها عند ذلك : ما يُبْكِيك ؟ واللهِ لا وَصَل إليها ابنُ عُزَيْز أبدًا ، صار يتعَشَّق جَوَارِيَ النّاس ! فخرج المَهْدِي فأخبر ابنَ عُزَيْز بما جرى وقال له : الخمْسُون ألفا لَكَ مكانَها ، فأخذها ولَهَا عن عَبَّادَة .

فقال أبو العتاهية يُعَيِّره بذلك :

مَنْ صَدَقَ الحبَّ لأحْبَابِه فإن حُبَّ ابنِ عُزَيْزٍ غُرُورْ
أنْسَاهُ عَبَّادَةَ ذاتَ الهوى وأذهبَ الحبَّ الذي في الضَّمِيرْ
خَمْسُونَ ألفًا كُلُّها رُجَّحٌ[2] خسْنًا[3] لها في كُلِّ كِيس صَرِيرْ

(١) في ت : هي بدون فاء « تحريف » .
(٢) في غ : راجح .
(٣) في ت : خشن .

قال مَسعُود بْنُ بِشْر المَازِنى : لَقِيتُ ابنَ مُنَاذِر بمَكَّة ، فقلتُ له : مَن أَشْعَرُ أَهْل الإسلام ؟ فقال : مَنْ إذَا شئتَ هَزَل ، و إذا شِئْت جدَّ . قُلْتُ[1] : مَنْ ؟ قال : مثلُ جَرِير حَيْثُ يَقُولُ فى النَّسِيب[2] :

إنَّ الّذِين غدَوْا بلُبِّك غَادَرُوا ... وَشَلًا بعَيْنِك ما يَزَالُ مَعِينا
غَيَّضْنَ من عَبَرَاتِهن وقُلْنَ لِى ... ماذا لَقِيتَ من الهوَى ولَقِينا
مُضَرٌ أبى وأبُو المُلُوك فهَل لَكُم ... يا آل تَغْلِب مِنْ أَبٍ كأَبِينا

ثم قَالَ أَبُو العَتَاهِيَة : قلتُ : فى ماذا ؟ قال فى قَوْله :

اللهُ بيْنى وبَيْن مَوْلاتِى ... أَبْدَتْ لِىَ الصّدّ والمَلالَاتِ
لا تَغْفِر الذنبَ إنْ أَسَأْتُ وَلَا ... تَقبَل عُذْرِى ولا مُوَاتَاتِى[3]
مَنَحْتُها مُهجَتِى وخَالِصَتى ... فكَانَ هِجرانُها مُكافَاتِى
أَقْلَقَنى حُبُّها وصَيَّرَنى ... أُحْدُوثَةً فى جَمِيع جَارَاتى
ولهَا رُ قد قَطَعْتُ طامِسَةً ... قفرًا على الهَوْل والمَخَافَات[4]
بحُرَّة جَسْرَة عُذَافِرَةٍ ... خَوْصاءَ عَيْرانةٍ عَلَنْدَاةِ
تُبَادِرُ الشمسَ كلما طلعت ... بالسَّيْر تَبْغِى بِذَاك مَرْضَاتِى
حتى تُنَاخِى بِنَا إلَى مَلِك ... توَّجَهُ اللهُ بالمَهابَات
عليه تَاجَانِ فوق مَفْرِقِهِ ... تاجُ جَلَال وتَاجُ إخْبَات[5]
يَقُولُ للرِّيح كلّما عَصَفَت ... هل لَكِ يَارِيحُ[6] فى مُبَارَاتِى

(١) فى ت : قال .
(٢) فى ت : الشبب .
(٣) فى ت : موالاتى .
(٤) فى غ والتجريد : ومهمه ... قفر .. والمحاماة .
(٥) الإخبات : الخضوع .
(٦) فى ت : هل للرياح .

مَنْ مِثْلُ مَنْ عَمُّه الرَّسُولُ ومَنْ أخوالُه أكرمُ الخُؤُولَاتِ[1]

ولَمَّا وَلِيَ مُوسَى الهَادِي الخِلافَة ، قال أَبُو العَتَاهِيَة يَمْدَحه وكان وَاجِدًا عليه :

يَضْطَرِب الخوفُ والرجاء إذَا حَرَّكَ مُوسَى القَضِيبَ أو فَكَّرْ

ما أَبْيَنَ الفضلَ فى مُغَيَّبِ ما أوردَ من رأيه وما أَصْدَرْ

يُثمِر مِنْ مَسِّه القَضِيبُ ولو يَمَسُّه غــيرُه لَمَا أثمَرْ

مَنْ مِثْلُ موسَى ومثلُ والده الْـ ـمَهْدِىّ أو جَدّه أبِى جَعفرْ

فرضى عنه ودَخَل عليه ، وأَنْشَده قَصيدته التى أولها :

لَهْفِى على الزَّمَن القَصِيرِ بين الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ

فأجزل صِلَتَه وعَادَ إلى أفضلِ ما كانَ عَلَيْه .

قال أَبُو حاتم : قَدِم عَلَيْنَا أَبُو العَتَاهِيَة فى خِلَافَةِ المَأْمُون ، فصارَ إلَيْه أصحابُنا فاسْتَنْشَدُوه ، فأنْشَدَهم :

أَلَمْ تَرَ ريبَ الدَّهْر فى كلّ ساعَةٍ له عَارِضٌ فيــه المَنِيَّة تَلْمَع

أيا بَانِيَ الدُّنْيَا لغَيْرِك تَبْتَنِى ويا جَامِعَ الدُّنْيا لغَيْرِك تجْمَع

أَرَى المرءَ وَثَّابا على كل فُرْصَةٍ وللمرء يوماً لا مَحَالَةَ مَصْرَعُ

تَبارَكَ مَنْ لا يَمْلِك المُلْكَ غيرُه متى تَنْقَضِى حَاجَاتُ مَنْ ليس يَشْبَعُ

وأَىُّ امْرِئٍ فى غاية ليس نفسُه إلَى غَايَةٍ أخرى إليها[2] تَطَلَّع

وكان يقال : لو أُعِين طبعُ أبِى العَتَاهِيَة بجَزَالة لَفْظ لَكان أشعرَ الناس .

قال مُحَمَّد بن أبِى العَتَاهِيَة : كان أَبِى لا يُفارِق الرَّشِيدَ فى سَفَر ولا حَضَر إلّا فى طريق الحجّ ، وكان يُجْرِى عليه فى كُلِّ سَنَة خَمْسِين أَلْفَ دِرْهم ، فلما قَدِم

---

(١) فى ت : من مثل من عمر الهول فنى : خؤولكم أكرم الخؤولات « تحريف » .

(٢) فى غ : سواها .

الرشيدُ الرَّقَّةَ لَبِس أبي الصُّوفَ وتزَهَّد ، وترك حُضُورَ المُنادمة وقولَ الغزَل ، فأَمر الرَّشِيدُ بحَبْسه فحُبِس ، فكتب إليه أبياتا منها :

تَذَكَّرْ أمينَ الله حَقِّي وحُرْمَتِي وما كنتَ تُولِينِي وذلك يُذْكَرُ[1]
لَيَالِيَ تُدْنِي مِنْك بالقُرْبِ مَجْلِسِي ووجهُك من مَاءِ البَشَاشَةِ يَقْطُرُ
فمَنْ لِيَ بالعَيْنِ الَّتي كنتَ مَرَّةً إلَيَّ بها في سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

فلما قرَأَها الرَّشِيدُ قال : قولوا له : لا بَأْسَ عَلَيْك ؛ فكتَب إليه مِنْ أَبْيات :

أمِينَ اللهِ إنَّ الحَبْسَ بأسٌ وقد أرْسَلْتَ ليسَ عليك بَاسُ

ولَمَّا حُبِس جُعِلَ في بَيْت خَمْسة أَشْبار في مِثْلها فصَاحَ : الموتُ ، أَخْرِجُوني ، أنا أَقُولُ كُلَّ ما شِئْتُم ؛ فقيل له : قُلْ . فقال : حتى أَتَنفَّس ، فأُخْرِج وأُعْطِيَ دَوَاةً وقِرْطَاساً فقال أبياته التي أولها :

مَنْ لِعَبْدٍ أَذَلَّه مَوْلاه ما لَه شَافِعٌ إلَيْه سِواهُ
يَشْتَكِي مَا بِه إليه ويَخْشَا هُ ويَرْجُوه مِثْلَ ما يَخْشَاه

ودُفِعت إلَى مَسْرُور الخادِم ، فأوصَلَها إلَى الخلِيفَة ، فأحضر أَبَا العَتَاهِيَة ، واستَنْشَدَه ، وأمر له بخَمسينَ أَلفَ درهم .

ولأَبي العَتَاهِيَة في الرَّشيد لَمَّا حَبَسه أَشْعارٌ كَثِيرَة مِنْها :

لا أَرَاكَ الله سُوءًا أبَدًا ما رأتْ مثلَك عَيْنِي[2] أحدَا
يا رَشِيدَ الرَّأْي[3] ارشدنِي إلى وَجْهِ نُجْحِي لا عَدِمْتَ الرَّشَدا
أَعِنِ الخائفَ وأرحَمْ صوتَه رافعاً نحوَكَ يَدْعُوكَ يَدَا

---

(١) في غ : لعلك تذكر .
(٢) في غ : عين .
(٣) في غ : الأمر .

وابتلانى مِنْ دَعَاوى[1] أمَلٍ كلَّما قلتُ تدانى بَعُدا
كم أمنّى بغــد بعْد غدٍ ينفدُ العُمْرُ ولمْ ألقَ غدا

ومرَّ القاسِمُ بنُ الرَّشيد فى موكب عظيم ، وكان من أتيَهِ النَّاسِ ، وأبو العَتَاهِيَة جالس مع قوم على ظهر الطَّرِيق ، فقام أبُو العتاهِيَة حين رآه إعْظَاماً له ، فلم يزل قائماً حتى جاوزه ، فجَازَ ولم يَلتَفتْ إليْه ، فقال أبُو العتَاهِيَة :

يتيهُ ابنُ آدمَ من جَهْلِه كأن رَحَى المَوْتِ لا تَطْحَنُه

فسمعه بعضُ من فى موْكبهِ فأخبر به القاسِمَ ، فبعَثَ إلى أبى العتَاهِية وضربه مائةَ مِقْرعَة ، وقال لهُ : يا ابنَ الفاعِلَة ! تعرِّضُ بى فى مثْل ذَلِكَ الموْضع ! وحبَسَه فى دَارِه ؛ فدَسَّ أبُو العتَاهِية إلى زُبيْدَة بنت جَعْفر ، هَذِه الأبْيَات « وكانَتْ تُوجبُ له [حقَّه][2] » :

حَتَّى متى ذُو التِّيه فى تِيهِهِ أصْلَحَه اللهُ وَعَــافَاهُ
يتيهُ أهلُ التِّيهِ مِنْ جَهْلِهِم وهم يمُوتُون وإنْ تَاهُوا
مَنْ طلبَ العِزَّ لِيَبْقَى به فإنَّ عِزَّ المَرْءِ تَقْــوَاهُ
لم يَعْتَصِم باللهِ مِنْ خَلْقِه مَنْ لَيْسَ يَرْجُوهُ ويَخْشَاهُ

وكَتَبَ إليها بِحَاله وضِيق حَبْسه ، وكانَت مَائِلَةً إليه ، فرثَتْ[3] له وأخبرَتِ الرَّشيدَ بأمْره وكلَّمتْه فِيهِ ، فأحضَرَه وكَسَاه ووَصَله وأطلقه ، ثم لم يرض عن القاسم حتى برَّه وأدْنَاه واعْتَذر إليْه .

بعث الرَّشيدُ مَنْ يَسْتَخْرج له مَالًا مِنْ بَقايَا الخرَاج ، فجَبَى مالًا عَظِيماً وَوَافَى به بَابَ الرَّشيد ، فأمَرَ بصَرْفِ المَالِ أجْمَع إلَى بَعْض جَوَارِيه ، فاستعظَمَ

(١) فى ت : دواعى .
(٢) فى ت : كلمة حقه ساقطة .
(٣) فى غ : فرقت .

الناسُ ذلك وتحدَّثُوا به وأَخذَ أبو العَتَاهِية من ذلك شِبْهُ الجنُون فقِيلَ له : مَالَك ؟ فقال: سبحان الله ! أيُدْفَع هذا المَالُ الجليلُ إلى امرأة ولا تتعلَّق كَفِّي بشيْء منه ، ثم دَخَل على الرَّشِيد بعد أيام فأَنْشَدَه :

اللهُ هوَّن عِنْدَكَ الدُّ ... نيَا وبَغَّضَها إِلَيْكَا
فأَبيْتَ إلَّا أَن تُصَغِّـ ... ـرَ كلَّ شيء في يَدَيْكَا
ماهَانَتِ الدُّنْيَا عَلَى ... أَحَدٍ كَمَا هَانَت عَلَيْكَا

فقَالَ الفَضْلُ بنُ الرَّبيع : يا أميرَ المُؤْمِنِين ، ما مُدِحَت الخلفَاء بأَصْدَقَ من هذا المَدْح ؛ فقال : يا فَضْلُ ، أعْطِه عَشْرَةَ آلافِ دِرْهم(١) ؛ فغَدَا أَبُو العَتَاهِيَة على الفَضْلِ فأَنْشَدَه :

إِذَا ما كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلًا ... فمثل الفضل فاتَّخِذِ الخَلِيلا
يرَى الشُّكر اليسير(٢) له عَظِيماً ... ويُعْطِي مِنْ مَوَاهِبِه الجزِيلَا
أَرَانِي حَيْثُما يمَّمتُ طَرْفِي ... وَجَدْتُ على مَكَارِمِه دَلِيلَا

فقال له : واللهِ لَولا أَنْ أُسَاوِيَ أمير المؤمنين لأعطيتُك مِثْلَها ، ثم أعطاه ماأَمَرَ لَهُ به الرَّشِيد، وزاده خَمْسَةَ آلافٍ مِنْ عِنْدِه .

قال هَارُونُ بن سَعْدَان : كنتُ مع أَبي نُوَاس قريبا من دُور بَنِي نُوبَخْت(٣) وعنده جَمَاعَة ، فجعل يَمُرُّ به الحُجَّاب والقُوَّاد وبَنُو هَاشِم وهو مُتَّكِئ مَمْدُودُ الرِّجل لا يتحرَّكُ لأَحد منهم حتى نَظَر فنظَرْنَا إليه وقد قَبَض رِجْلَيه وَوَثَب فقام إلى شَيْخ وقد أَقْبل على حِمَار له فاعْتَنَقَه ، وَوقَفَ أَبُو نُوَاس يُحَادِثه ، ولم يزل واقفا

---

(١) في غ : عشرين ألف .
(٢) في غ : القليل .
(٣) في غ : نيبخت .

يرفع رِجْلًا ويضَعُ أُخرى ، ثم مَضَى الشيخُ ورجع أَبُو نُوَاس إلينا وهو يَتأَوَّه ؛ فقال له بَعْضُ من حضر : والله لأَنتَ أشعرُ منه؛ فقال: والله ماراأيته قَطّ إلا ظَنَنْتُ أنه سَمَائى وأَنَا أرْضُه(١) .

وقيل لبَشَّار : من أَشْعَرُ أهلِ زَمَاننا ؟ فقال : مخَنَّثُ أَهْلِ بَغْداد ؛ يعنى أَبَا العتَاهِيَة .

قال أبو العَتَاهِية : ماتت بنتُ المَهْدِىّ فحزِن عليها حُزْناً شَدِيدا حتى اُمْتَنَع مِنَ الطَّعَام والشَّرَاب ، فقلتُ أبياتا أُعَزِّيه فيها(٢) فوافيته قد سَلَا وقد ضَحِك وأكل وهو يقول : لا بُدَّ من الصَّبر على ما لا بُدَّ مِنْه . وإنْ سلوْنَا عَمَّن فقَدْنَا ليَسْلُوَنَّ عَنَّا مَنْ يَفْقدُنا ، ولا يَأْتِى الليلُ والنهارُ على شَىْءٍ إلَّا أَبْلَياه ؛ فلما سمعتُ هذا قلت : يا أميرَ المُؤْمنِين ، أتأذَنُ لِى أن أُنشدك قال : هات ؛ فأنشدتُه :

ما لِلْجَديدَيْن لا يَبْلَى اختِلافُهُما ... وكُلُّ غَضٍّ جديدٍ فِيهِمَا بالِى
يا مَنْ سلا عن حبيبٍ بعد مِيتَتِه ... كم بعد موتك أيضا عنك مِن سَالِى
كأَنَّ كُلَّ نعيم أنت ذائقُه ... من لَذَّةِ العَيْش يَحْكِى لُمْعَةَ الآلِ
لا تبلغَنَّ(٣) بك الدُّنيَا وأنت تَرَى ... ما شئْتَ من غِيَرٍ(٤) منها وأَمْثَال
ما حِيلةُ المَوْتِ إلا كُلُّ صالحة ... أولاَ فما حِيلَةٌ منه لمُحْتَالِ

فقال : أحسنتَ وأصبتَ ما فى نَفْسِى ووعظْتَ فأوجَزْتَ ! وأمر له عن كل بيْت بألْفِ دِرْهم .

---

(١) فى غ : . . أنه سماء وأنا أرض .
(٢) فى غ بها .
(٣) فى غ : لا تلعبن .
(٤) فى غ : عبر .

ولما مات مُوسَى الهَادِى قال الرشيد لأبى العَتَاهِية : قل غزَلاً فقال : لا أقول شِعْراً بعد موسى ، فحبسه . وأمر إبْرَاهِيمَ المَوْصِلِى أن يُغَنِّى؛ فقال : لا أغنِّى بعد موسى وكان مُحْسِناً إليهما ، فحبَسَه . فلما شخَص إلى الرَّقَّة حَفَر لهما حُفْرَة واسعةً وقطع بَيْنَهما بحائط وقال : كُونَا بهذا المكان لا تَخرُجا منه حتى تَشْعُرَ أنتَ ويُغَنِّى هَذَا ، فصَبَرا على ذلك بُرْهَة من الزَّمَان . وكان الرشيدُ يَشرَب ذاتَ يوم وجعفرُ ابنُ يحْيَى معه ، فغَنَّت بعضُ الجوَارى صوتا فاستَحْسَنَاه وطَرِبا منه طرَباً شَدِيدا ، وكان بيتاً وَاحِدا ، فقال الرَّشِيد : ما كان أحوجَه إلَى بيت ثانٍ لِيطُولَ الغِناَء ونَسْتَمتِع بمُدَّة طُوله ! فقال له جَعْفر : قد أصبتَه ؛ قال : من أَيْنَ ؟ قال : تَبعَثُ إلَى أَبِى العَتَاهِيَة فيُلحِقه[1] به ، فقال : هو أنكَدُ من ذلك ، ولا يُجِيبُنا وهو مَحْبُوس ونَحْنُ فى نَعِيم وطرَب ؛ قال : بل يُجِيب . قال : أُكتُب إليه حتى تعْلَم ما قلتُ ، فكتَبَ إليه بالقِصَّة وقال : ألْحِق لنا بالبَيْتِ بَيْتاً آخر .

فكتب إليه أبُو العَتَاهِيَة :

شُغِل المِسْكِينُ عن تِلْكَ المِحَن   فارَقَ الرُّوحَ وأَخْلَى من بَدَنْ
ولقد كُلِّفتُ أَمْرًا عَجباً   أسْأَلُ التَّفْرِيجَ[2] من بيت الحَزَنْ

فلما وَصَلَت الرُّقعَة قال الرَّشيد : قد عرّفتك أنّه لا يَفْعَل ؛ قال : فتُخْرِجَه حتى يَفْعَل ؛ قال : لا ! حتى يشعُر ، فقد حلَفت . فأقام أيَّاماً لا يفعل . ثم قال أبو العَتَاهِيَة لإبْرَاهِيم : إلى كَمْ هَذا الخلاف[3] ! هَلُمَّ حتى أَقُولَ شِعْرًا وتُغَنِّى فيه ؛ فقال : إفعَل . فقَالَ أبو العَتَاهِيَة :

---

(١) فى ت : فتلحقه .

(٢) فى غ : التفريج .

(٣) فى غ : إلى كم هذا تلاج الخلفاء .

بأبى مَنْ كان فى قَلْبِى لَهُ مَرَّةً حُبٌّ قليــلٌ فسُرِق(١)
يا بَنِى العَبَّاس فيـكم مَلِكٌ شُعَب الإحسان منه تَفْتَرِقْ
إنَّما هارونُ خــيرٌ كُلُّه مات كُلُّ الشَّرِّ مُذْ يوم خُلِقْ

وغَنَّى به إبراهيم فدَعَا بِهِما الرَّشيد ، فأنشده أبو العَتَاهِيَة وغنَّاه إبراهيم ، فأعطى كُلَّ واحد منهما مائَة أَلْفِ دِرْهم ومائة ثَوْب .

وغَضِب الرَّشيد على جارِيَة له فحَلَف لا يدخل إلَيْها أيَّاماً ثم نَدِم وقَالَ :

صَدَّ عَنِّى إذْ رَآنِى مُفْتَتِنْ وأطال الصَّدَّ لمــا أَنْ فَطِنْ
كان مَمْلُوكِى فأَضْحَى مَالِكِى إنَّ هَذَا من أَعَاجِيبِ الزَّمَنْ

ثم قال لجَعْفَر بْنِ يَحْيَى : اطلب مَنْ يَزِيد عَلَى هَذَيْن البَيْتَين ؛ فقال : ليسَ غيرُ أَبِى العَتَاهِية ؛ فبَعَثُوا إليه فاعْتَذَر ، فأمر بإطلاقه وصِلَتِه ؛ فقال : الآن طَابَ القول ؛ ثم قال :

عِزَّةُ الحبِّ أَرَتْه ذِلَّتِى فى هَوَاه ولَهُ وَجْهٌ حَسَنْ
ولهــذا صِرْتُ مَمْلُوكاً له ولِهَذَا شَاعَ ما بِى وعَلَنْ

فقال : أصبتَ ما فى نفسى وَوَصَلَه ثَانِياً .

قال مُخَارِق : لَقِيتُ أَبَا العَتَاهِيَة على الجِسْر فقلت: يا أبا إسْحَاق ، أَنْشِدْنى قولَك فى تَبْخِيل النّاس كلهم ، فضَحِك وقال : هَا هُنا ؟ قلت : نعم ؛ فأنشدنى :

إنْ كُنتَ مُتَّخِذاً خَليــلا فَتَنَقَّ وانْتَقِدِ الخَليــلا
مَنْ لَمْ يَكُن لك مُنْصِفاً فى الودّ فأبْغِ به بَدِيلا
ولربَّمــا سُئِلَ البَخيـ لُ الشيءَ لا يَسْوَى فَتِيلا
فيقول لا أجــد السَّبِيـ ل إلَيْه يَكْرَهُ أَنْ يُنِيلا

(١) فى ت : بأبى من كان ساق قلبه .

فلذاك لا جعل الإلـ ه له إلى خير سبيلا
فاضرب بطرفك حيث شئـ ت فلن ترى إلّا بخيلا

فقلت له : أفرطتَ يا أبا إسحاق ؛ قال : فديْتُك ، فأَكْذِبْنى بجوادٍ واحدٍ ؛ فأحببتُ موافقته ، فالتفتُّ يمينا وشمالا . ثم قلت : ما أجد أحَدًا ؛ فقبَّل بين عينىّ . ثم قال : فديتك يا بُنَىّ ، لقد رفُقْتَ حتى كِدْتَ تُسْرِف[1] .

قال شَبيبُ[2] بنُ مَنْصور : كنتُ واقفاً على بابِ الرَّشيد ، وإذا رجل شَعِثُ[3] الهَيْئة على بَغْل[4] قد جاء فوقف ، وجعل الناس يُسَلِّمون عليه ويَسْأَلُونه ويُضَاحِكُونه ، ثم يَسْأَل الناسَ عن أحوالهم ؛ فواحد يقول : كنتُ منقَطِعاً إلى فُلَان فلم يصنع بى خَيْرًا . وآخر يقولُ : أَمَّلْتُ فلاناً فخَيَّبَ أَمَلِى . فقال الرجل :

فَتَّشتُ ذِى الدُّنيَا فلَيْسَ بِهَا أَحَـدٌ أَراهُ لآخَرٍ حامِدْ
حتى كأنَّ النــاسَ كُلَّهم قد أُفْرِغُوا فى قالَبٍ وَاحِـدْ

فسألتُ عنه فَقِيل : هذا أبو العَتَاهِيَة .

كان أحمدُ بنُ يوسف صَدِيقاً لأَبى العَتَاهِيَة ، فلما خَدَم المأمونَ وخُصَّ به رأى منه أبو العَتَاهِيَة جَفْوَة ، فكَتَب إليه :

أَبَا جَعْفر إنَّ الشريف يُهِينه[5] تَتَايُهُـه على الأَخِـلَّاء بِالوَفْرِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفقرَ يُرْجَى لَهُ الغِنَى وأَنَّ الغِنَى يُخْشَى عَلَيْه من الفقْرِ
فإِنْ نِلْتَ تِيهاً بالذى نِلْتَ من غِنًى فإن غِنَاى بالتجمّل[6] والصَّبْرِ

فبعث إليه بأَلْفَى دِرْهَم واعتذر إليه مِمَّا أَنْكَره عليه .

---

(١) فى ت : لقد وقعت حتى كدت تشرب .
(٢) فى ت : سيدى .
(٣) فى غ : بشع .
(٤) فى ت : بعد .
(٥) فى غ : يشينه .
(٦) فى ت : بالتحمل .

قال أبو جعفر : قلتُ لأبى العتاهِيَة : أَجزْ لى قَوْلَ الشَّاعر :

وكان المـال يأْتِينَا وكُنَّا نُبذِّرُه وليس لنـا عُقُول

فلما أَنْ توَلَّى المَالُ عنَّا عَقَلْنَا حَيْثُ(١) ليس لنا فُضُولُ

فقال أبو العتَاهِيَة :

فقَصِّر ما تَرَى بالصَّبر حَقًّا فـكُلٌّ إن صَبَرْتَ له يَزُولُ

قال أبوالعتاهية لابنه وقد غَضِبَ عليه : اذهب فإنكَ ثَقِيلُ الظل جَامِدُ الهَوَاء .

قال حَبيبُ بن الجَهْم النُّمَيْرِى(٢) : حضَرْتُ الفضلَ بن الرَّبيع فإذَا عَوْنٌ حَاجِبُه قد جَاءَه فقال : هذا أبو العتَاهِيَة قد جاءكَ من مَـكَّةَ يسلِّم عليك ، فقال : أعْفِنِى منه ، فالسَّاعة يشغَلُنى عن رُكُوبى ، َفخرَج إليه عَوْنٌ فقال : إنَّه على الرُّكُوب إلى أَمِيرِ المؤمنين ! فأخرجَ من كُمِّـه نَعلًا عليها شِرَاكٌ فقال له : قل له إنَّ أبا العتَاهِيَة قد أهدَاهَا إليك ، فدخل بها فقال : ما هـذه؟ فقال : نَعْل وعلى شِرَا كها كِتَابة ؛ فقال : ياحَبِيبُ اقرأْ مَا عَلَيْها ؛ فقرأْتُه فإذَا هُو .

نعلٌ بعثْتُ بها ليَلْبَسَها قَرْمٌ(٣) بهـا يمشى إلى المَجْدِ

لو كان يَصْلُح أن أشرِّ كَهـا خَدِّى جَعَلْتُ شِرَا كَها خَدِّى

فقال لِعَون : احمِلْها مَعَنا ، فلما دَخَل على الأَمِين ، قال له يا عَبَّاس ؛ ما هَذِه النَّعْل ؟ فقال : أهدَاهَا إِلَىَّ أَبُو العَتَاهية وكتب عليها من شِعْره ، وكان أَميرُ المؤمنين أَوْلَى بأَنْ يلبسها لِمَا وُصِفَ به لا بِسُها فقَالَ : وما هما ؟ فقرَأها ؛ فقال : أَجَاد ، وما سبَقه أَحَدٌ إلى هذا المعنى ، هَبُوا له عَشْرة آلاف دِرْهم ، فأُخرجتْ فى بَدْرَة وهو راكب عَلَى حماره فقبضها وانصرف .

---

(١) فى غ : حين .

(٢) فى ت : الحيم النجيرى (تحريف) .

(٣) القرم : السيد أو العظيم .

وكان أبو العتاهية من أقلّ الناس معرفةً ، قال له بشر المريسي : يا أبا إسحاق لا تصلّ خلف فلان إمام مسجدك فإنه مشبِّه . فقال : كلا ! فإنه قرأ بنا البارحة : « قل هو الله أحد » ؛ وإذا هو يظنّ أن المشبِّه لا يقرأ : « قل هو الله أحد » .

كتب بكر بن المعتمر إلى أبي العتاهية يشكو إليه ضيق القيد وغمّ السجن[1] ، فكتب إليه أبو العتاهية :

هي الأيّام والغِيَر[2] وأمر الله ينتظرُ
أتيأسُ أن ترى فرجاً فأين الله والقدرُ

قال بعضهم : كنت أمشي مع أبي العتاهية فنظر إلى الناس يذهبون ويجيئون ، فقال : أما تراهم هذا يتيه فلا يتكلّم ، وهذا يتكلم بصلف ! ؟ ثم قال لي : مرّ بعض أولاد المهلّب بمالك بن دينار وهو يخطر ، فقال له : يا بنيّ ، لو خفّضت بعض هذه الخيلاء ألم يكن أحسن بك من هذه الشهرة التي قد شهرت بها نفسك ؟! فقال له الفتى : أما تعرف من أنا ! فقال : بلى والله أعرفك معرفة جيدة ، أوّلك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة ، وأنت بين ذلك تحمل العذرة ! قال : فأرخى الفتى أذنيه[3] ، وطأطأ رأسه ومضى وكفّ عما كان يفعله .

قال أبو دلف العجلي : حججت فرأيت أبا العتاهية واقفاً على أعرابي في ظل ميل[4] وعليه شملة إذا غطّى بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطّى رجليه بدا رأسه ؛ فقال أبو العتاهية : كيف اخترت هذا البلد القفر على البلدان المخصبة ؛ فقال له :

---

(١) في غ : الحبس .

(٢) في غ : العبر .

(٣) في ت : ردينه .

(٤) الميل : منار يبنى للمسافرين في مرتفع من الأرض . وفي ت : جبل « تحريف » .

يا هذا ، لولا أنّ الله أقنع بعض العباد بشرّ البلاد ، ما وسع خيرُ البلاد كُلّ العباد فقال له : فمنْ أيْنَ مَعاشُكم ؟ قال : منكم معشر الحاجّ . تمُرُّون بنا فننَال من فُضُولكم ، وتنصرِفُون ؛ فقال له : إنَّما تمُرّ وتنصرف فى وقتين من السنة ، فمن أين معاشكم فى سائر السنة ؟ فأطْرَقَ الأعرابىّ ثم قال : والله ما أدْرِى ما أقُولُ إلّا أنّا نُرْزَقُ من حيث لا نَحْتَسِب ؛ فولّى أبو العَتَاهِيَة وهو يَقُولُ :

ألا يَا طَالِبَ الدُّنْيَا ... دَعِ الدنيا لِشَانِيكا
وما تَصْنَع بالدُّنْيَا ... وظِلُّ الليل يَكْفِيكا
[هَبِ الدُّنْيَا تُوَاتِيكَا ... ألَيْسَ الموتُ يأْتِيكَا
كما أضْحَكَكَ الدهر ... كَذَاكَ الدهرُ يُبْكِيكَا](١)

ولما أنشد :

تَعَالَى اللهُ يا سَلْمُ بن عَمْرو ... أذَلَّ الحِرْصُ أعناقَ الرِّجَالِ

قال سلم : وَيلِى عَلَى ابْن الفَاعِلة : كنز البِدَر ويَزْعُم أنّى حَرِيصٌ وأنا فى ثَوْبَىَّ هذين [ولَمَّا أُنشِد المأمون هذا البيت قال : إن الحرص لمفسد للدين ، والله ما عرفت من رجل قط حرصا ولا شرها فرأيت فيه مُصْطَنَعًا](٢) .

ولما(٣) جلس الأمينُ فى الخلافة أنشده أبو العَتَاهِيَة :

يا بنَ عَمِّ النبىِّ خيرَ البرِيَّهْ ... إنَّمَا أنتَ رحمةٌ للرّعِيَّهْ
يا إمامَ الهُدَى الأمِينَ المُصَفَّى ... يا لُبَابَ(٤) الخِلَافَةِ الهَاشِمِيَّهْ
لك نَفْسٌ أمَّارَةٌ لك بالخَيْـ ... ـر وكَفٌّ بالمَكْرُمَاتِ نَدِيَّهْ
إنَّ نفساً تَحَمَّلَتْ منك ما حُـ ... ـمِّلت للمُسْلِمين نَفْسٌ قَوِيَّهْ

(١) لم يرد البيتان فى غ ولم يرد البيت الأخير فى الديوان .
(٢) ما بين القوسين لم يرد فى غ .
(٣) جاء هذا الخبر وما بعده فى ترجمة أم جعفر فى الأغانى : الجزء الحادى والعشرين / ١٧ طبع ليدن .
(٤) فى غ : بلباب .

قال : وأَحَسَّت زُبَيْدَة من المَأْمُون بجَفَاء ، فوَجَّهت إلى أبى العَتَاهية تُعلمه بذَلِك وتأمُره أَنْ يعمَل[1] فيه أبياتا تَعْطِفُه عَلَيها : فقال :

أَلَا إنّ صَرْف[2] الدهر يُدْنى ويُبْعِدُ ... ويؤنس بالأُلاَّفِ طَوْرًا ويُفْقِد
أَصابتْ لرَيْبِ الدَّهْرِ منّى يَدِى يَدِى ... فسلّمتُ للأَقْدَارِ واللهُ أَحْمَدُ
وقلتُ لرَيبِ الدَّهْرِ إنْ ذَهَبَت[3] يَدٌ ... فقــد بقِيت والحمــدُ للهِ لى يَدُ
إذا بقِى المأمونُ لى فالرَّشِـيدُ لِى ... وَلِى جعفرٌ لم يُفْقَدَا ومُحَمَّد

فحسُن مَوْقِع الأَبْيَاتِ من المأمون ، وعاد إلى أحسن ممَّا كان لَهَا عَلَيْه .

ويقال : إنَّها بَعثَت بهذه الأَبْيَات إلَى مُخَارِق فغنَّاهَا المَأْمُون ، فسأَله المَأْمُون عَنِ الخَبَر فعرَّفَه الصورة فبَـكَى ورَقّ لها ، وقام من وقْته فدخل إليها ، وقبَّلَتْ يَدَه ، وقال لها : يا أُمَّهْ ما جفَوتُك تعمُّداً ولـكن شُغِلت عنك بما لا يُمْكِن إغفاله : فقالت : يا أمير المؤمنين إذا حَسُنَ رَأْيك لم يُوحِشْنى بعدك[4] فسُرّ بذلك وأَتَمَّ يومه عندها .

قال[5] العباس بن عُبَيْدالله بْنِ سِنَان بنِ عبدالملك بن مِسْمَع[6] : كنا عند قُثَم ابن سُلَيْمان وعِنْدَه أبو العَتَاهية يُنشده فى الزُّهْد فقال لى : قم يا عبّاس ، اطلب لى الساعة الجمَّاز حَيثُ كان ، ولك عندى سَبَق ؛ فطلبته فوجدته عندركن دار جعفر بن

---

(١) فى غ : يفعل .

(٢) فى غ : ريب .

(٣) فى ت : سلمت .

(٤) فى غ : شغلك .

(٥) جاء هذا الخبر فى الأغانى ٤/٧٦ طبع دار الكتب فى ترجمة « أبى العتاهية » كما جاء فى الجزء ٢١/١١٧ طبع ليدن فى ترجمة « سلم الخاسر » .

(٦) كذا فى غ فى الموضعين المشار إليهما فى رقم « ٢ » . وفى ت : العباس بن سليمان بن شيبان بن عبد الملك بن مسمع .

سليمان ، فقلت : أجِبِ الأمير ؛ فقام معِي حتى أتى قُثَم ، فسلم فجلس في ناحية مجلسه ، وأبو العتاهية ينشده ؛ فأنشد الجمّاز :

ما أقبحَ التزهيد[1] من واعظٍ ... يُزَهِّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ
لَوْ كانَ في تزْهِيدِه صادِقاً ... أضْحَى وأمْسَى بيتَه المَسْجِدُ[2]
يَخَافُ أَنْ تَنفَد أرزاقُه ... والرِّزْقُ عند الله لا يَنْفَدُ[3]
والرزق مَقْسُومٌ على مَنْ تَرَى ... ينالُه الأبيضُ والأسْوَدُ

فالتفتَ أبو العَتاهية إليْه وقال : مَنْ هَذَا ؟ قالوا : الجمّاز وهو ابن أخت سَلْم الخَاسِر اقْتَصَّ[4] لخَالِه منك ؛ فأقبَل عليه وقال : يا ابْنَ أخي ، إني لم أذهب حيث ظننتَ ولا ظَنَّ[5] خَالُك ، ولا أردت أن أهتف به ، وإنما خاطبتُه كما يخاطب الرجلُ صَدِيقَه ، والله يغفرُ لَكُما ، ثم قام فخرج .

وخَرَج[6] إلى دار أمِّ جعفر فقالَتْ له : أنشِدْني ما أنْشَدْتَ أميرَ المُؤْمنين ، فقال :

يا عَمُودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ ... والذي صِيغَ مِنْ حَيَاءٍ وَجُودِ
والذي فيه ما يُسَلِّي ذَوِي الأَحْـ ... زَانِ عن كُلّ هَالِكٍ مَفقُود
والأمينَ المُهَذَّبَ الهاشِمِيَّ الْـ ... قَرْمَ محضَ الآباءِ محضَ الجُدُود
إنَّ يوماً أراكَ فيه لَيَوْمٌ ... طلَعت شمسُه بسَعْدِ السُّعُود

فقالَتْ له أمّ جَعْفَر : الآن وَفَّيْتَ المديحَ حَقَّه ، وأمرت له بعشَرَة آلافِ دِرْهَم .

(١) في ت : الزهد .
(٢) في ت : لعني وأضحى بيته المسجد ، والتصحيح من غ .
(٣) في ت : يخاف أن تبعد أرزاقه ... لا يبعد .
(٤) في غ : انتصر .
(٥) في ت : حبطت .
(٦) جاء هذا الخبر في الأغاني ٢١/١٧ طبع ليدن في ترجمة « أم جعفر » .

قال(١) صالح بنُ الرَّشيد : كُنَّا عند المأمون وعَقِيدٌ المُغَنِّى وعَمرُو بن بانة يغنِّيان وعيسَى بن زَيْنَب المَرَاكِيّ حاضر ، وكان مشهوراً بالأُبنَة ، فغنى عَقِيدٌ فى شعر قيل فى عيسى وضمن فيه البيت الأول :

يا عَمودَ الإسلام خيرَ عَمُودِ — والذى صِيغَ من حَياءٍ وجُودِ
لك عِندى فى كل يوم جَديدٍ — طُرْفَةٌ تُستفَادُ يا ابنَ الرَّشيدِ

فقال المأمون لِعَقيد : أنشدنى بَاقِى الأَبْيَات ، فقال : أَصُونُ سمع أمير المؤمنين عنها ، فقال : هاته ويحك [إن جَمِيلَ الأَدَبِ وغيرَه جَمِيل](٢) فأنشده :

كنتُ فى مجلس أنيق وريحا — نٍ وراحٍ ومُسْمِعَاتٍ وعُودِ
فتغنَّى عمرُو بن بانَةَ إذ ذا — كَ وهو مُمْسِك بأَيْرِ عَقِيدِ
يا عَمودَ الإسْلَام خَيْرَ عَمُودِ — والذى صِيغ من حَياءٍ وجُودِ
فتنفَّستُ ثم قُلْتُ كذا كُـ — ل مُحِبٍّ صَبِّ الفُؤَادِ عَمِيدِ

فقال أَميرُ المؤمنين لعيسَى بْنِ زَيْنَب : والله لا فارقتُك حتى تخبرنى عن تنفُّسِك عندقَبْض عَمْرو على أيْرِ عَقِيد ، لأىِّ شىْءٍ تَنَفَّسْت؟ ! لا بُدَّ أن يكون ذلك أَسَفاً عليه بِعينِه أو على ما يَكُونُ مِثْلَه ؛ لعَنَ الله تنفُّسَكَ هذا يا مُرِيب . وسُمِىَّ المَرَاكِيّ لأَن أَبَاه عبدَ الله بن إسماعيل صَاحِبُ مَرَاكِبِ المَنْصُور ، وأُمُّه زَيْنَب بنت بشر صاحب طاقات بشر بِبَابِ الشام .

اجتمع أَبو نواس وأَبُو الشَّمَقْمَق فى بَيْت ابن أُذَيْن ، وجاء أَبُو العَتَاهِية وكان بينه وبين أَبى الشَّمَقْمَق شرّ فخبؤوه من أبى العَتَاهِيَة فى بيت ، ودَخل أَبو العَتَاهِية

---

(١) جاء هذا الخبر فى ترجمة عقيد فى الجزء الحادى والعشرين من كتاب الأغانى ١٩ طبع ليدن .

(٢) زيادة فى ت .

فنظر إلى غلام عنده فيه تأنيث ، فظنّ أنّه جارية ، فقال لابن أذين : متى حصّلت[1] هذه الجارية ؟ فقال : قريباً يا أبا إسحاق ، ثم قال له : قل فيها ما حضر ، فمدّ أبُو العتاهية يده فقال :

مددتُ كفّى نحوكم سائلاً ماذا تردُّون على السّائل

فلم يلبث أبُو الشّمقمق حتى ناداه[2] من البيت :

نردُّ فى كفك ذا فيشة يشفى[3] جوًى فى استك من داخل

فقال أبو العتاهية : شمقمق والله ! وقام مُغضباً .

وقال سليمان بن مُناذر : كنتُ عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضر ؛ فقال أبُو العتاهية لجعفر : جعلنى اللهُ فداك ، عندكم شاعر يعرف بابن أبى أميَّة ، أحب أن أسمعه يُنشد ؛ فقال جعفر : هو أقربُ الناس منك ، فأقبل أبو العتاهية على ابن أبى أميَّة وسأله أن يُنشده فأنشد :

رُبَّ وعدٍ[4] منك لا أنساه لى أوجبَ الشكرَ وإن لم تفعل

أقطعُ الدهرَ بوعدٍ حسنٍ وأجلّى غمرةً[5] ما تنجلى

كلّما أمّلتُ يوما[6] صالحًا عرَض المكروهُ دون الأمل

وأرى الأيّامَ لا تُدنى الّذى أرتجى منك وتُدنى أجلى

فأقبل أبو العتاهية يُردِّدُ البيت الأخير ويقبِّل راسَ ابنِ أبى أميَّة ويبكى ، ويقول : وددتُ أنّه لى بكثيرٍ من شعرى .

---

(١) فى غ : استظرفت .

(٢) فى ت : بادأه .

(٣) فى غ : تشفى .

(٤) كذا فى غ والتجريد . وفى ت : إن وعدا .

(٥) فى ت : وأخل غيره ، والتصحيح من الأغانى .

(٦) كذ فى ت والتجريد وفى غ : وعدا .

وكانت لأبى العَتَاهِيَة بِنْتَان ، تُسَمَّى أَحَـدُها « لِلّه » والأُخْرَى « بِالله » فخطَب منصورُ بن المهدى « لِلّه » فلم يُزَوِّجه ، وقال : إنَّمَا طلبها لأنهـا بنتُ أبى العَتَاهِيَة ، وكأنِّى به قد مَلَّها فلم يَكُن للانْتِصَاف منه سَبِيل ، وما كنتُ أزوِّجها إلَّا لبَائع الخزَف ، ولـكِنِّى أَخْتَارُهُ لها مُوسِرًا .

وكان له ابن يقال له مُحَمَّد وكان شاعرا وهو القائل :

قد أَفْلَحَ السَّالِمُ[1] الصَّمُوتُ كَلَامُ راعِى الـكلام قُوتُ
ما كل نُطْقٍ له جَوَابٌ جَوَابُ ما يُـكْرَه السُّكُوت
يا عجبـا لامرئٍ ظَلُومٍ مُستيقِنٍ أَنَّه يَمُـوتُ

وفى شعر أَبى العَتَاهِيَة :

ما أسرعَ الأَيَّامَ فى الشَّهْرِ وأَسْرَعَ الأَشْهُرَ فى العُمر
ليسَ لِمَن لَيْسَت له حِيلَةٌ موجودَةٌ خَـيرٌ من الصَّبْرِ
فاخْطُ مع الدهر إذَا ما خَطَا واُجْرِ[2] مع الدهر كما يَجْرِى
مَنْ سَابَقَ الدهرَ كَبَا كَبْوَةً لم يستقِلْهـا آخِرَ الـدَّهْر

قال أبو العَتَاهِية : ما زَالَ الفَضْلُ بنُ الرَّبِيع من أَمْيَـلِ النَّاس إلَىَّ ، فلما رجَع من خُراسان بعد مَوْت الرَّشيد دخلت إليه فاستَنْشَدنى ، فأنشدتُه من أبيـات :

أفنيتَ عمـركَ إدْبَارًا وإقْبَالا تَبْغِى البَنِينَ وتَبْغِى الأَهْلَ والمَالَا
الموتُ هَوْلٌ فـكن ما عِشْتَ[3] ملتمسا من هَوْلِه حِيلةً إن كنتَ مُحْتَالا
أَلمْ تَرَ المَلِكَ الأَمْسِىَّ حِينَ مَضَى هل نال حَىٌّ من الدُّنْيَا كما نَالَا

---

(١) كذا فى غ والتجريد وفى ت : السا كت .
(٢) فى ت : واصبر .
(٣) فى غ : ما شئت .

أفناه مَن لم يزَلْ يُفنِى القرونَ فقَد ... أمسى(١) وأصبح عنه الملكُ قد زالا
كم من ملوكٍ مضى رَيْبُ الزمان بهم ... قد أصْبَحُوا عِــبَرا فِيناً وأمْثَالا

فاستحسنها وقال لى : أنت تعرف شُغْلى ، فعُدْ(٢) إلىَّ وقت فراغى أقْعُدْ معك وآنَسْ بك ؛ فلم أزل أراقب أيَّامه حتى كان يومُ فراغه فصرت إليه فيه ، فبينا هو مُقْبِل علىَّ يسألنى ويَسْتَنْشِدُنى إذْ أنْشَدتُه :

وَلَّى الشبابُ فمَالَه من حِيلَة ... وكَسَا ذُؤَابَتِىَ المَشِيبُ خِمَارا
أينَ(٣) البَرَامِكَةُ الذين عهدتهم ... بالأمس أعظمَ أهْلِها أخْطَارا

فلما سمع ذِكْر البَرَامكة تغيَّر لونُه ورأيتُ الكَرَاهِيَة فى وَجْهه فما رأيتُ منه خَيْرًا بعد ذلك .

قال أبو المتاهية : وحدثتُ بذلك أبَا مُحمَّد الحسنَ بْنَ سَهْل ؛ فقال : لئن كان ذَلك ضَرَّك عند الفضْل بن الرَّبيع لقد نَفَعَك عندنا ، وأمر له بعَشْرة آلافِ دِرْهم وعَشْرة أثْوَاب ، وأجرى له فى كلّ شهر ثلاثة آلاف درهم ، فلم يزل يقبضها(٤) حتى مات .

قال أبو المتاهية : حبَسَنى الرَّشيدُ لمَّا تركتُ قولَ الشِّعر ، فأُدخِلتُ السجنَ ، وأُغلِقَ البابُ [عَلَىَّ] فدَهِشت كما يَدْهَش مِثْلى لمِثل تِلْكَ الحال ، فإذَا أنا برجل جالسٍ فى جانب الحبس مُقَيَّد ، فجعلتُ أنظرُ إليه سَاعَةً ثم تمثل .

تعودتُ مَسّ الضر(٥) حتى ألِفْتُه ... وأسلمنى حَسْنُ العَزَاء إلَى الصَّبْرِ

---

(١) فى غ : أضحى .
(٢) فى ت : فاقعد .
(٣) فى ت : إن .
(٤) فى غ : يقبلها دارة .
(٥) كذا فى ت والتجريد. وفى غ : مر الصبر .

وصيَّرَنِي يأْسِي من النَّاسِ راجياً ... لِحسنِ صَنِيعِ اللهِ من حيثُ لا أدْرِي
[ووسَّع صَبْرِي للأذَى كثرةُ الأذى ... وإنْ كان أحيانا يَضِيقُ به صَدْرِي][1]

فقلتُ أعِد أعزّك[2] الله هذين البيتين فقال : ويحك[3] ياأباالمتاهية ! ماأسوأَ أدَبك وأقلَّ عقلك ! دخلت عَلَيّ السجن[4] فما سلَّمت تَسْلِيم المُسلِم على المُسلم ، ولا سألتَ مسألة الحرِّ للحر ، ولا توجَّعت تَوَجُّع المُبتلَى للمُبتلَى ، حتى إذا سمعت أبياتاً من الشعر ــ الذي لا فَضْلَ فيك غيرُه ــ لم تَصْبر عن استعادَتِه . ولم تُقَدِّم قبل مسألتك عنه عُذْراً لنفسك فى طلبه ! فقلت : يا أخِي إنِّى دَهِشْتُ لهذه الحال ، فلا تَعذِلْنِي واعذُرْنى متفضِّلا بذلك ؛ فقال : والله أنَا أوْلَى بالدَّهَش والحَيْرة مِنْك ، لأنَّك حُبِست فى أَن تقول شِعْراً بـه ارتفعتَ وبلغتَ ما بلغتَ ، فإذا قُلتَ أمِنْتَ ، وأنا مأْخُوذٌ بأَنْ أَدُلَّ على ابْن رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيُقْتَلَ أو أُقْتَلَ دونه ، ووالله لا أَدُلُّ عليه أبدا ، والساعةَ يُدعَى بِى فأُقتَل ، فأيُّنا أحقُّ بالدَّهَش ؟ فقلت : أنت والله أوْلى ، سَلَّمك الله وكَفَاك ، ولو علمتُ أن هَـذَا حَالُك ما سألتُك ، فقال : لا نَبْخَلُ عليك إذاً ، ثم أعاد الأبياتَ حتى حَفِظْتها . فسألتُه من هو ؟ فقال : أنا خاصٌّ[5] داعيةُ عيسى بن زيد وابنهِ أحمد ، ولم نَلْبَث أَنْ سَمِعنا صوت الأَقْفَال ، فقام فسكَب عليه ماء كان عنده فى جَرّة ، ولَبِس ثوبا نَظِيفاً ، ثم دخل الحرس والجُنْد ومعهم الشمع فأَخرجْنَا[6] جميعا ، وقُدِّم قَبْلِى إلى الرشيد ، فسأله عن أحمد ابن عيسى ، فقال : لا تسألْنِي عنه واصنع ما أنت صَانِع فـلو أنه تَحْت ثوبِى

(١) لم يرد البيت فى غ. والسياق بعد ذلك يدل على أنهما بيتان مرة وإلى أنها أبيات مرة أخرى.
(٢) فى غ : يرحمك .
(٣) فى غ : ويلك .
(٤) فى غ : الحبس .
(٥) فى ت : حاضر .
(٦) فى غ : فأخرجونا .

ما كَشَفْتُ عنه ، فأمر بضَرْب عُنقه فضُرِبت ، ثم قال : أظُنُّك قد ارتَعتَ ، فقلت ، دُونَ ما رأيتُ تَسِيل منه النفوس ، فقال : ردّوه إلى مَحْبِسه ، فرُدِدْتُ . وانتحلْتُ البيْتَين وزدْتُ فيهما :

إذا أنا لم أَقبَل مِنَ الدَّهْر كُلَّ ما　　تَكَرَّهْتُ[1] منه طَالَ عَتْبِي على الدَّهْرِ

قيل لأبي العَتَاهِيَة : مالك تبْخَل بِمَا رزقَك الله ؟ فقال : والله ما بَخِلْتُ بما رَزَقَني الله قطّ ! قيل : وكيف ذَلِك وفي بَيْتِك من المَال مالا يُحْصَى ! فقال : ليس ذَلِك رزقي ولو كان رزقي لأنْفَقْتُه .

قال محمد بن عبد الملك الزيات : لما أَحَسَّ المُعْتَصِم بالمَوْتِ قال لابنه الواثق : ذهب والله أبوكَ يا هارون ! لله دَرُّ أبي العتاهية حيث يقول :

الموتُ بين الخلق مُشْتَرَكْ　　لا سُوقَةٌ يبقَى ولا مَلِكُ
ما ضرَّ أَصْحَابَ القَليل وَمَا　　أَغْنَى عَن الأَمْلَاكِ ما مَلَكُوا

قال أبو العَتَاهِية : دخلت على يزيد[2] بن مَزْيد ، فأنشدته قصيدتي التي قلت فيها :

كأنَّكَ في صَدْرِي إذَا جئتُ زَائِرا　　تُقَدِّر فيه حاجَتي بِابْتِدائِكَا
وإنَّ أمِيرَ المؤمنين[3] وغيرَه　　لَيَعْلَمُ في الهيجاء فضل غَنَائِكَا
كأنَّكَ عند الكَرِّ في الحرب إنَّمَا　　تَفِرُّ من السِّلْم الذي من وَرَائِكَا[4]
فما آفة الأبطال[5] غيرُكَ في الوغَى　　ولا آفَةُ الأموال غير حِبَائِكَا

قال : فأعطاني عشرة آلاف درهم ، ودابَّةً بسرجها ولجامها[6] .

---

(١) في ت : تكرمت .
(٢) في ت : بدر « تحريف » .
(٣) في ت : وإن لك الأمر « تحريف » .
(٤) في ت : فدائكا .
(٥) في غ والتجريد : الأملاك .
(٦) في ت : بسرجه ولجامه ، « والدابة تقع على المذكر والمؤنث » .

قال أبو تمّام الطائى : لأبى العَتَاهِيَة خمسةُ أبياتٍ ماشارَكه فيها أحَدٌ ، ولاقدَرَ على مثلها مُتقدّم ولا مُتأخّر فمنها قوله :

النّاسُ فى غفلاتِهم ورَحَى المَنيّة تَطْحَنُ

وقوله :

ألم ترَ أنّ الفقرَ يُرْجَى له الغِنَى وأنّ الغِنَى يُخشَى عليه من الفقر

وقوله :

ولمّا استقلّوا بأثقالِهم وقد أزْمَعُوا لِلّذى أزْمَعُوا

قَرنتُ التفاتِى بآثارِهم وأتبعتُهم مُقلةً تَدْمَع

وقوله فى مُوسَى الهادى :

هَبِ الدنيا تساق[1] إليك عَفْواً أليسَ مَصيرُ ذاكَ إلى الزوال[2]

مَرَّ عابدٌ براهِب فى صَوْمَعة فقال له : عِظْنى ؛ فقال : أعِظُك وعليكم نَزَل القرآن ، ونَبيُّكم محمد صلى الله عليه وسلم قَرِيبُ العَهْدِ بكم ! قال : قلت : نعم ، قال : فاتّعظ ببَيْت شِعْر لشاعرِكم أبى العتاهية حَيْثُ يَقُول :

تَجرّد مِنْ الدُّنْيَا فإنّك إنّمَا وقعتَ إلَى الدّنيا وأنتَ مُجرّدُ

مات شَيْخ ببَغْدَادَ ، فدفن وأقبَل النّاسُ على أخيه يُعَزُّونَه ، فجاء أبو العَتَاهِيَة إليْه وبه جزَع شَدِيد ، فعزّاه ثم أنشده :

---

(١) كذا فى ت والديوان ، وفى غ : تصير .

(٢) كذا فى ت والديوان ، وفى غ : زوال . وفى التجريد أن هذا البيت ثانى بيتين أنشدهما المأمون حينما قال مخاطبا سلما الخاسر :

تعالى الله يا سَلْم بن عمرو أذل الحِرْصُ أعْنَاقَ الرجال

هب الدنيا تساق إليك جما أليس مَصِيرُ ذاكَ إلى زوال

لا تأمنِ الدَّهرَ والبَس ... لكل حِين[1] لِباسَا
لَيَدْفِنَنَّا أُناسٌ ... كَمَا دَفَنَّا أُناسَا

قال : فانْصَرَفَ النَّاسُ وما حَفِظُوا غيرَ قَوْلِ أبي العَتَاهِيَة .

قال بعضهم : كنت في مَجْلِس خُزَيْمَة بن خَازِم وعنده أبُو العَتَاهِيَة ، فذكر خُزَيْمَةُ ما سَفَكَ من الدماء ، ثم قال : والله ما لَنَا عند الله عُذْر ولا حُجَّة إلَّا رجاء عفوه ومغفرته ؛ ولولا عِزُّ السُّلْطان وكَرَاهَةُ الذِّلَّة ، وأنْ أُصيرَ بعد الرياسة سُوقَةً وتَابِعاً — وكُنْتُ مَلِكاً مَتْبُوعاً —[2] ما كان في الأرض أزهدُ ولا أعبدُ مِنِّي ؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برُقعة من أبي العَتَاهِيَة فيها مكتوب :

أراكَ[3] امرأً ترجو من الله عَفْوَه ... وأنتَ على ما لا يُحِبُّ مُقِيمُ
تَدُلُّ على التقوى وأنت مُقَصِّرٌ ... أيا مَن يُدَاوِي الناسَ وهو سَقِيمُ
وإنَّ امْرَأً لم يُلْهِهِ[4] اليومَ عن غَدٍ ... تَخَوُّفَ ما يأتي به لَحَكِيمُ
وإنَّ امرأً لم يجعل البِرَّ كَنْزَه ... وإنْ كانت الدُّنْيا له لعَدِيمُ

فغضب خُزَيْمَة ، وقال : ما المعروفُ عند هذا المُلْحِدِ المعتوه[5] من كنوز البر فَيَرْغَبَ فيه حُرٌّ ؛ فقِيلَ له : وكيف ذلك ؟ قال[6] : أَلَا تَقْرَأُ : « الذين يَكْنِزُونَ الذهبَ والفِضَّةَ ولا يُنْفِقُونَها في سَبِيلِ الله » .

كان الرَّشيد يُعجِبه غِناء المَلَّاحين في الزَّلَّالات إذا رَكِبها ، وكان يتأذَّى بفسادِ

---

(١) في ت : حي .
(٢) في غ : بعد ما كنت متبوعا .
(٣) في ت : أتاك « تحريف » .
(٤) في ت : تلقه « تحريف » .
(٥) في غ : والله ما المعروف عند هذا المعتوه الملحف . . .
(٦) في غ : فقال : لأنه من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله .

كَلَامهم ولَحْنِهم ، فقال : قولوا لِمَن مَعَنا من الشُّعراء يَعْمَلْ لهؤُلَاء شعرا يُغَنُّونَ فيه ؛ فقالوا : ليس أحدٌ أقدَر على هذا من أبى العَتَاهِيَة ، وهو فى الحَبْس . قال : فوجَّه إليه الرشيد أن يقول فى ذلك شِعْرًا ، ولم يأْمر بإطْلَاقه ، فغَاظَه ذلك ، فقال : والله لأقولَنَّ شعرا يُحزِنه ولا يَسُرُّه ، فعَمِل :

خانك الطَّرْفُ الطَّمُوحُ ... أيُّهــا القَلْبُ الجَمُوحُ
لدوَاعِى الخَـيـرِ والشَّـ ... ـرِّ دُنُوٌّ ونزُوح
هل لمطلوبٍ بذنب ... تَوْبَةٌ منــه نَصُوح
موتُ بعضِ الناس فى الأَرْ ... ضِ على قومٍ فُتُوح
سَيَصِيرُ المــرء يوماً ... جَسَدًا ما فيــه رُوح
بين عَيْنَىْ كُلِّ حىٍّ ... عَلَم المــوتِ يَلُوح
كُلُّنا فى غَفْلَةٍ وَالْـ ... ـموتُ يغــدُو ويرُوح
لبَـنِى الدُّنيَا من الدُّنْـ ... ـيا غَبُوقٌ وصَبُوح
رُحْن فى الوَشْى وأقبلـ ... ـن[1] عليهن المُسُوحُ
نُحْ على نفسك يا مِسْـ ... ـكينُ إن كنتَ تَنُوح
لَتَمُوتَنَّ ولو عُمِّـ ... ـرت ما عُمِّـر نُوح

فبَكَى الرشيدُ بكاءً شَدِيدا وانتَحَبَ ، وكان من أغْزَر النَّاسِ دُمُوعاً وقتَ المَوْعِظَة وأشدّهم عَسْفا وَقْتَ الغَضَب .

فلما رأى الفضلُ بن الرَّبيع كثْرَةَ بكائه أومأَ إلى اللاحين فسكتوا.

[وقيل : إن الرشيد لَمّا أطلق أبا العَتَاهِيَة من الحَبْس لَزِم بيتَه وقَطَع النَّاسَ ، فذكره الرشيد ، فعُرِّفَ خَبَرَه . فقال : قولوا له : صِرْتَ زِيرَ نساء وحِلْسَ بيت ، فكتَب إليه أبُو العَتَاهِيَة :

(١) ق غ : وأصبحن .

بَرِمْت بالنـاس وأخلاقهم فصِرْتُ أستأنِسُ بالوَحْدَه
ما أكثر الناس لعمرى وما أقلّهم فى حاصل العِـدّهْ

ثم قال : لا يمضى شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدح له ، فقرن هذين البيتين بأربعة أبيات مدَحَه بها وهى][1] :

عَادَ لِي من ذِكْرها[2] نَصَب فدموع العين تَنْسَكِبُ
وكذاك الحبُّ صاحبُـه يَعْتَرِيه الهمُّ[3] والوَصَبُ
خَيْرُ مَن يُرْجَى ومَن يهَبُ مَلِكٌ دانت له العـربُ
وحَقِيقٌ أن يُدانَ له مَنْ أبوه لِلنَّبِيّ أبُ

لَمَّا عَقَدَ الرَّشِيدُ لأولاده الثَّلاثة العهودَ : الأَمِينِ ، والمَأْمُونِ ، والمُؤْتَمَنِ ، قال أَبُو العَتَاهِيَة :

تَجَافَى عن الدُّنْيَا وأَيْقَنَ أَنَّهـا مُفَارِقَةٌ لَيْسَتْ بِدَارِ خُـلُودِ
وشَدَّ عُرَى الإسْـلَامِ منه بِفِتْيَةٍ ثَلاثَةِ أملاكٍ وُلَاةِ عُهُودِ
هُمُ خَيْرُ أَوْلَادٍ لهم خَيرُ وَالدٍ له خَـيْرُ آباء مَضَتْ وجُدُودِ
بَنُو المصطفى هارون[4] حول سَرِيرِه فخيرُ قيـام حولَه وقُعُـودِ
تُقَلِّبُ أَلْحَاظَ المَهَابَةِ بينهم عُيونُ ظِبَاء فى قُلُوبِ أُسُودِ

فوَصَله الرشيد صِلَةً ما وصَل مثلَها شاعِراً قطّ .

قال الرِّيَاشِي : قدم رَسُولُ مَلِك الرُّومِ ، فسَأَل عن أَبِي العَتَاهِيَة ، فَلَقِيَه وأَنْشَدَه من شعره ، ومَضَى إِلَى بِلَادِ الرُّوم ، وذكره لمَلِك الرُّوم ، فكَتَبَ

---

(١) ما بين القوسين سقط من ت ، والتكملة من غ . وتجريد الأغانى .

(٢) فى ت : عادنى من الرجا .

(٣) فى ت : الحب .

(٤) بياض بالأصل والتكملة من غ .

ملك الروم يَسْأَلُ الرَّشيد أن يُوَجِّه إليه بأَبى العَتَاهِيَة فاستَعْفى منه وأَبَاه ، واتَّصل بالرَّشِيد أَنَّ مَلِكَ الروم كتب بَيْتَيْن من شعر أبى العَتَاهِيَة على أبواب مَدِينَته وهما :

ما اخْتَلَف الليـــلُ والنهارُ وَلَا ... دَارَت نُجُومُ السَّماء فى الفَلَك

إلَّا لِنَقْل السُّلْطَان عن[1] مَلِك ... قد انْقضَى ملـكُه إلى مَلِك

[ومُلْك ذِى العَرْش دَائِمًا أبدًا ... لَيْسَ بِفَانٍ ولا بِمُشْـتَرك][2]

قال الرَّشيد لأَبى العَتَاهية عِظْنى ؛ فقال : أَخَافُك . فقَال له : أَنْتَ آمن ؛ فقال :

لا تَأْمَن الموتَ فى طَرْفٍ وفى[3] نَفَس ... إذا تستَّرتَ بالأَبْوَابِ والحَرَس

واْعـلَمَ بأَنَّ سِهامَ المَوْتِ قاصِدَةٌ ... لـكلِّ مُـدَّرِعٍ منها ومُتَّرِسِ

تَرْجُو النَّجَاةَوَلمْتَسْلُكْمَسَالـكَهَا[4] ... إنَّ السَّفِينةَ لا تَجْرِى على اليَبَس

فبَكَى الرشيد حتى بَلَّ كُمَّه .

قال مُخَارِق : جاءَنِى أَبُو العَتَاهِيَة يوماً فقال لى : قد عزَمْت عَلَى أَنْ أَتزَوَّد منك يوماً تَهَبُـه لى ، فتى تَنشط له ؟ فقلت : متى شئْت ؛ فقال : أخاف أن تَقْطَع بِى ؛ فقلت : والله لا فعَلْتُ ولو طَلَبَنى الخَلِيفَة ، فقال : يَـكُون ذَلِك فى غَد ؛ فقلتُ : أفعلُ . فبَاكَرَنِى رَسُولُه ، فجئتُ ، فأدخَلَنى بيتاً نظيفاً فيه فَرْشٌ نظيف ، ودَعا بمائدة عليها خُبْزٌ سَمِيذ ، وجَدْى مَشْوِىّ وبَقْل وخَل ، فأَكلْنا ثم دَعَا بِسَمَك مَشْوِىّ ، فأَصَبْنا منه ، وغَسَلْنا أيدِينا ، وجاءوا بفاكهة ورَيْحَان وألوَانٍ من الأَنْبذَة ، فقال : اختَرْ ما يَصْلُح لك ، فاخْتَرْتُ وشَرِبت ؛ وصبَّ قدحا .

---

(١) كذا فى غ والتجريد وفى ت : من .

(٢) لم يرد البيت فى غ ولا فى الديوان .

(٣) فى غ : ولا .

(٤) فى غ : طريقها .

ثم قال غنِّنى فى قولى :

قَالَ لِي أَحْمَدُ[1] ولم يَدْرِ مَا بِي   أَتُحِبُّ الغَــدَاةَ عُتْبَةَ حَقًّــا

فَتَنَفَّسْتُ ثم قُلْتُ نعم حــ   بًّا جَرَى فى العُرُوقِ عِرْقًا فعِرْقَا

فَغَنَّيْتُهُ فشَرِبَ قدحا وهو يبكى أَحَرَّ بكاء ثم قال : غنِّنى فى قولى :

ليسَ لِمَا لَيْسَت لَهُ حِيلَةٌ   موجودةٌ شىء سِوَى[2] الصَّبْر

فغَنَّيْتُهُ وهو يَبْكى وشرب قدحاً آخر . ثم قال غَنِّنى فَدَيْتُكَ فى قَوْلى :

خَلِيــلَىَّ مَالِى لا تَزالُ مَضَرَّتِى   تَــكُونُ مَعَ الأَقْدَارِ حَتْماً من الحَتْم

فغنيته ، وما زال يَقْتَرِح علىَّ وأُغَنِّيه ويَشْرَب حتى صَارَت العَتَمَة ، فقال لى : أُحِب أن تصبر عَلَىَّ حتى ترى ما أصنع ، فجلست فأمر ابنَه وغلامَه فكسَّرا كُلَّ ما بين أَيْدِينا من النَّبيذ وآلته والملاهى ، وأمر بإخْرَاج كُلِّ ما فى بيتِه من النَّبيذ وآلته ، فأُخْرِج جَمِيعُه ، فما زال يكسره ويصبُّ النبيذ وَيبْكِى حَتّى لم يَبْقَ من ذلك شَىء ، ونَزَعَ ثيابه واغتسل ، ولَبِسَ ثيابَ الصُّوف ، وعانقنى وبكى . وقَالَ : عليك السَّلَامُ ياحَبِيبِى وفَرَحِى من الناس كلِّهم ، سَلَامَ الفِرَاقِ الّذِى لا لِقَاءَ بَعْدَه ؛ وجعل يَبْكِى ، ويقول : هذا آخرُ عَهْدِكَ بِى فى حال تَعَاشُرِ أَهْلِ الدّنيا ، فظننتُها بعضَ حماقَاتِه ، فانصرفت فما لَقِيتُه زمانا ، ثم تَشَوَّقْتُهُ فأتيتُه فاستأذنت عليه ، فأَذِن لى ، فدخلت عليه ، فإذا هو قد أخذ قَوْصَرَتَيْنِ فَثَقَب إحدَاهُما ، وأدخل رأسَه ويدَيه فِيهَا وأقامها مَقَامَ القَمِيص ، وثَقَبَ الأُخْرَى وأخرج[3] رِجْلَيه منها وأقامها مَقَامَ السَّرَاويل ، فلمَّا رأيته نسيتُ ما كان عِنْدى من الغَمِّ ، وضَحِكت ضحكا ماضَحِكْت مثلَه قط ؛ فقال : مِن أى شَىء تَضْحَك ؟ لا ضَحِكْت ! فقلت : أسخَن الله عينك !

---

(١) فى غ : أحمد قال لى . .

(٢) فى غ : خير من .

(٣) فى ت : فأدخل .

إيش هَذَا ؟ من[1] بَلَغك أنَّه فَعل مثل هذا من الأَنْبِيَاء أو الصَّحَابة أو الزُّهَّاد أو المَجَانين ، إنزِعْ عنك ياسَخِينَ العَيْن ! فكأنَّه استَحْيَا منى ، ثم بَلغَنى أنَّه جلَس حجَّاما ، فجهدْتُ أن أراه بتِلْكَ الحالِ فلم أره ، ثم مرض فبَلَغَنى أنه يشتَهِى[2] أَنْ أغنيَه ، فأتيتهُ عائدا ، فخرج رَسُولُه إلىّ وقال : يَقُولُ لك : إنْ دَخَلْتَ إلىّ جَدَّدتَ لى حُزنا وتاَقَت نَفْسى إلى سَمَاعِك وإلى ما قد غَلَبْتَها عليه[3] ، وأنا أستودِعُك اللهَ وأعتذر إلَيْك من تَرْكِ اللقاء[4] فكان آخر عَهْدِى به .

وقيل لأبى العتاهية عند الموت : ما تَشْتَهِى ؟ قال: أَشتهى أن يَجِىءَ مُخارِقٌ ويَضَعَ فمه على أذُنِى ويُغَنِّيَنى :

سيُعرَضُ عن ذِكْرى وتُنْسَى مودَّتى ... ويَحدُثُ بَعْدِى للخَلِيل خَلِيلُ
إذا ماانقضت عنِّى من الدهر مُدَّتِى ... فإنَّ غناَء الباكيات قليلُ

قال محمد بْنُ أَبِى العَتَاهِية : آخر شِعْر قاله أبى فى مَرَضه الَّذى مَات فيه :

إلٰهى لا تعذِّبْنِى فإنى ... مُقِرٌّ بالَّذِى قد كاَنَ مِنِّى
ومَالِى حِيلَةٌ إلا رَجَائِى ... لعَفْوِكَ إنعفوتَ[5] وحسنُ ظَنِّى
وكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لى فى الخطَايا ... وأنت علىَّ ذو فَضْل ومَنٍّ
إذا فكَّرْتُ فى ندَمى عليها ... عَضِضْتُ أَناملِى وقَرَعْتُ سِنِّى
أُجَنُّ بزهْرَة الدُّنْيا جنُونًا ... وأَقطعُ طُولَ عُمرى بالتَّمنِّى
ولو أنِّى صدقت الزهد فيها[6] ... قلبتُ لأهلها ظَهْرَ المِجَنِّ

(١) فى غ : هذا أى شىء هو ؟

(٢) فى ت : يشتهينى .

(٣) فى غ : وتاقت نفسى من سماعك إلى ما قد غلبتها عليه .

(٤) فى غ : الالتقاء .

(٥) فى ت : فعلت .

(٦) فى غ : عنها .

يظنّ الناسُ بى خيرا وإنّى لشَرُّ الناس[1] إنْ لَمْ تَعفُ عَنّى

قال مُخارقٌ : تُوفِّى أبُو العَتَاهِية ، وإبرَاهيمُ المَوْصِلِى ، وأَبُو عَمْرو الشَّيْبَانى فى خلافة المَأْمُون فى يَوْم وَاحِد سنة سَبْع ومائَتَيْن[2] . وقيل : مات هو وَراشِد الخنَّاق وهَشِيمَةُ فى يوم واحد سنة سَبْع ومائَتَيْن[3] .

قال مُحمّد بنُ سَعْد كاتب الوَاقدِىّ : مات أبُو العتاهية يوم الاثنين لثمانٍ خَلَوْن من جمادى الأُولَى سنةَ إحدى عَشْرَةَ ومائَتَيْن ، ودُفِن ببغداد بالجانِب الغربى حيال قَنْطرَة الزّيّاتِين[4] .

وقال محمد : إنَّ أبَاه مات سَنَةَ عَشْر ومائَتَيْن ، ولما مات أمر أن يُكْتَبَ على قَبْره :

أُذْنَ حَىٍّ تَسَمَّعِى اسمَعِى[5] ثم عِى وَعِى
أنا رهنٌ بمَضْجَعِى فاحذَرِى مِثلَ مَصْرَعِى
عشتُ تِسْعِين حِجَّةً أَسْلَمَتْنِى لِمضْجَعِى[6]
كَمْ تَرَى الحقّ[7] ثابتاً فى دِيَارِ التَّزَعْزُعِ
ليسَ زادٌ سِوَى التُّقَى فَخُذِى منه أوْدَعِى

وقيل : إنَّ ابنه كان يُنكِرُ أنَّه أوصَى أن يُكتَب على قبره شِعْر .

---

(١) كذا فى ت والديوان ، وفى غ : الخلق .
(٢) فى غ : ثلاث عشرة ومائتين .
(٣) فى غ : تسع ومائتين .
(٤) كذا فى غ، وفى ت : الرياشى .
(٥) فى ت : فاسمعى .
(٦) فى الديوان وفى غ : فى ديار التزعزع ، ولم يرد فى الديوان هـذا الشطر؛ وكذا الشطر الأول من البيت الذى يليه .
(٧) كذا فى تجريد الأغانى . وفى ت وبعض أصول الأغانى : الحى بدل الحق .

أُمَيَّة بن أَبِي الصَّلْت

اسمُ أَبِي الصَّلتِ عبدُ الله بن أبي رَبيعة بن عَوْف بن عُقْدة بن عَنْزَةَ[1] ابن قَسِيّ[2] وهو ثقيف بن مُنبِّه بن بَكْر بن هَوَازن ، وأمّ أُميّة رُقَيَّة بنت عبد شمس ابن عبد مناف .

وكان أَبُوه أبو الصَّلت شاعِراً ، وهو الذى مَدَحَ سيفَ بْنَ ذِي يَزَن وكان له أربعةُ بَنِين أخر : عمرو وربيعة وَوَهْب والقَاسِم ؛ وكان القَاسِم شاعرا ؛ وهو الذى يقول أَنْشَدَنيه الأَخفَشُ وغيرُه عن ثَعلب له ، وقيل : هى لأمية :

قومٌ إذَا نَزَل الغَرِيبُ بِدَارِهِم ... رَدّوه رَبَّ صَوَاهِلٍ وقِيَان
لا يَنْكُتُون الأرضَ عند سُؤَالهم ... لتَطَلُّب[3] العِلّاتِ بالعِيدان
[بل يَبْسُطُون وجُوهَهم فتَرَى لها ... عِنْدَ السُّؤَال كأَحْسَنِ الأَلْوَان][4]

يمدح بها عبدَ الله بن جُدْعَان وأوّلُها :

قومى ثَقِيفٌ إنْ سألتَ وأُسْرَتى ... وبهم أُدَافِعُ رُكْنَ مَنْ عَادَانى

وكان أُمَيَّة قد قرأ كتاب الله عَزَّ وجل الأول ، وكان يأتى فى شِعْرِه بأشياء لا تَعْرِفُها العرب .

قال أبو عُبيْدة : اتّفقت العرب على أنّ أشعرَ أهل المدر[5] أهلُ يَثْرِب ثم عَبْدُ القَيْس ثم ثَقِيف ، وكان أشعرَ ثَقِيف أُمَيَّةُ بن أَبِي الصَّلْت .

---

(١) كذا فى ت وغ ، وفى كتاب الشعر والشعراء : غيره « وزان عنبة » اسم قبيلة أيضا.
(٢) فى ت : قيس .
(٣) فى غ : لتلمس .
(٤) لم يرد هذا البيت فى غ .
(٥) فى غ : المدن .

وكان الـكُمَيْتُ يقول : أُميّة أَشْعَرُ النَّاس ، قَالَ : فقَال كما قُلْنا ؛ وقُلْنا ، فلَمْ نَقُل كما قال[١] .

وكان أمَيَّة قد لَبِس المُسُوحَ تَعَبُّدًا ، وكان مِمَّن ذَكَر إبْرَاهِيمَ وإسماعيلَ عليْهِمَا السَّلَام والحَنِيفِيَّة ، وحَرَّم الخمرَ وشَكَّ في الأَوْثَان ، وكان مُحقِّقًا[٢] ، والْتَمَسَ الدِّين وطَمِعَ في النُّبوَّة ؛ لأنه قرأَ في الـكُتُب أَنَّ نبِيًّا يُبعَثُ من العَرَب ؛ فـكان يرْجُو أن يَكُونَه . فلما بُعِثَ النبي صلى الله عليه وسلم قِيلَ له : هذا الذى كنت تَقُولُ فيه ؛ فَحَسَده عدُوُّ الله وقال : إِنَّما كنتُ أرجو أن أَكُونَه ؛ فأنزل الله تعالى فيه : « واتْلُ عَلَيْهِم نَبأَ الَّذِى آتيناه آياتنا فانْسَلَخَ مِنْها » .

وهو الذى يقول :

كُلُّ دِينٍ يومَ القِيامة عند الله ٭ إِلَّا دِينَ الحَنِيفَة زُورُ

وكان يُحرِّضُ قريشاً بعد بَدْر ، ويَرْثِى من قُتِـل من قُرِيْش في وَقْعَة بدر بأَشْياء منها :

ماذا بِبَـدْرٍ والعَقَنْـقَلِ مِنْ مَرازِبَةٍ جَحَاجِحْ[٣]

وهي قصيدة نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم عن رِوَايَتِها .

ويقال : إنَّ أُمَيَّة قَدِم على أَهْلِ مَـكَّة فأَخَذُوا عنه : باسْمِكَ اللَّهم ، فَجَعَلُوهَا مكان : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ » .

وقال الحَجَّاج على المِنْبَر : ذَهَبَ الَّذِين يعرِفُونَ شِعْرَ أُمَيَّة ، وكذلك انْدِرَاسُ الـكَلَام[٤] .

---

(١) في غ : قال كما قلنا ولم نقل كما قال .

(٢) في ت : وصام

(٣) العقنقل : كثيب رمل ببدر . والمرازبة : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع ، معرب وأصله فارسي . وجحاجح : جمع جحجح ، وهو السيد المسارع في المـكارم .

(٤) في ت : تدارس العلم ؛ والتصحيح من غ .

ذكر خالدُ بْنُ يَزِيد أَنَّ أُمَيَّة وأبا سُفْيَان اصْطَحَبَا فى تجَارة إلى الشَّام وأنه سَأَله عن عُتْبَةَ بْن رَبِيعَة: كم سِنّه ؟ فذكر سِناً ، ثم قال : أخبرنى عن مَالِه ، فذكر مَالاً ، فقال له : وضعته . فقال أَبُو سُفْيَان: بل رَفَعْتُه ، فقال : إنَّ صَاحِبَ هذا الأَمر ليْسَ شَيْخًا ، ولا ذَا مَال .

وكان لَمَّا خَرَجَ إلَى الشام مَرَّ بكنيسة فقال أُمَيَّة : إنَّ لى حاجةً فى هذه الـكَنِيسَة فانتظِرُونى ، فدخل الـكنيسةَ وأَبْطَأَ ، ثم رجع كَاسِفًا مُتغَيِّرًا ، فرَمَى بِنَفْسه ، فأقَامُوا عليه حَتَّى سُرِّى عنه ، ثم مَضَوا فقضَوا حَوَائجَهم ثم رَجَعُوا ، فلما صَارُوا إلَى الـكَنِيسَة قال لهم : انتَظِرونى ودخل أيضا فأَبطأَ ، ثم خرج بأسْوَءِ حَالٍ من حالَته الأولى ، فقال له أَبُو سُفْيَان بن حرب : قد شَقَقْتَ على رُفْقَتكَ[1] ، فقالَ : خَلُّونى؛ فإنى أرتاد لنفسى،وأَنْظُر لمَعَادى[2].هاهنا رَاهِبٌ عَالِم، أخبرَنى أَنَّه يكون بعدَ عِيسَى ست رَجْمَات[3] ، وقد مَضَت منها خَمْس وبَقِيت وَاحِدَة ، فخرجت وأنا أطمَعُ فى النُّبُوَّة وأخاف أن تُخْطِئنى ، فأصَابنى ما رأيت أولا ؛ فلما رجعتُ ثانيةً قال لى: قد كانت الرَّجْعَة[4] ، وقد بعث نَبِىٌّ العَرَب فأَيِسْتُ[5] من النبوة ، وأَصَابنى ما رأيت ، إذْ فاتَنِى مَا كُنتُ أطمَعُ فيه . وكان الراهِبُ أيأَسَه وأخبرَه أن الأمرَ لرجل من قُرَيْش .

قال الزُهْرِى : وأتى أُميّة أَبَا بكر فقَال له : يا أَبَا بكر ، عَمِى الخبرُ ، فهل أحسَسْتَ شيئاً ؟ قال : لا والله ! قال : قد وجدتُه يخرج العامَ .

---

(١) فى غ : رفقائك .

(٢) فى غ : فإنى أرتاد لنفسى لمعادى .

(٣) فى ت : رجفات .

(٤) فى ت : الرجفة .

(٥) فى غ : فيئست .

وكان أمية جالسًا ، فمرّت به غنم فثَغَت منها شاة ، فقال للقوم : هل تدرُون ما تقُول ؟ قالوا : لا ؛ قال : قالت لسَخْلَتِها : مُرِّى لا يجىء الذِّئب فيأكلك كما أكل أختك عامَ أَوَّل فى هــذا الموْضع ، فقال بعضُ القوْم لِلرَّاعى : أخبرنا عن هَذِه الشَّاة التى ثَغَت ألهَا سَخلة ؟ قال : نعم ، هذه سَخْلَتُها ؛ قال : أ كانت[١] لها عامَ أَوَّل سَخْلة ؟ قال : نعم أ كَلَها الذِّئبُ ها هنا .

قال الأصمعى : ذَهَب أُمَيَّة فى شعره بعامّة ذِكْرِ الآخرة ، وذهب عَنْتَرَةُ بعامَّةِ ذكر الحرب ، وذهب عُمَر بْنُ أَبِى رَبِيعَة بعامّة ذِكْرِ الشَّبَاب .

خرج رَكْبٌ من ثَقِيفٍ إلَى الشأم ، وفيهم أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْت فلما قَفَلُوا راجعين نزلوا منزلا ليَتَعَشَّوْا بمَشَاء ، إذ أقبلت عَظَايَةٌ حتى قربت[٢] منهم ، فحَصَبَها بعضُهم بشىء فى وَجْهِها ، فرجعت ، وكَفَتُوا[٣] سُفْرَتَهم ثم قاموا يرْحَلُون ، فطلعَت عليهم عجوزٌ من وراء كَثِيبٍ هناك تتوكّأ على عَصا ، فقالت لهم : ما مَنَعَكم أن تُطْعِمُوا رَجِيمَةَ[٤] الجارية اليَتِيمَة التى جاءَتْكُم عَشِيَّة[٥] ؟ فقالوا : ما أنتِ ؟ قالت : أَنَا أُمُّ العوَّام أَيِمْتُ[٦] منـذ أعوام ؛ أما وربِّ العباد ، لَتَنْفِرون[٧] فى البِلَادِ ؛ وضربت بعصاها الأرضَ ، ثم قالت : أَطِيلِى أَنَاتَهم[٨] ، ونَفِّرِى رِكابَهم ؛ فنفرت[٩] الإبِل كأنَّ على ذِرْوَة كلّ بعير شيطان ، ما نَمْلِك منها شَيْئًا ، حتى

(١) فى ت : فــكانت .
(٢) فى غ : دنت .
(٣) فى ت كتبوا . والتصحيح من غ .
(٤) فى ت : رحيمة .
(٥) فى ت غشيمة .
(٦) فى غ : إمت .
(٧) فى غ : لتفترقن .
(٨) فى غ بطئى إيابهم .
(٩) فى غ فوثبت .

تَفَرَّقَت فى الوادِى ، فجَمَعْنَاها فى آخر النهار مِنْ غَد ولم نَكَد ، فلما أَنَخْنَاها لرِحْلها(١) طلعت علينا العَجُوزُ وقالت كقولها بالأمس، ففعلت الإبل كفِعْلِها بالأمس، فلم نَجْمَعْها إلَّا(٢) الغد عَشِيًّا ، فلما أَنَخْنَاها لرِحْلها، أقبلت العَجُوزُ ففعلت كفِعْلِها فى اليَوْمَيْن ، فتَفَرَّقَت(٣) الإبل ، فقلنا لأُمَيَّة : أينَ ما كُنتَ تُخْبِرنا به عن نَفْسِك ؟ فقال : اذهبوا أنتم فى طَلَب الإبل ودَعُونى ، وتوجَّه إلى الكَثِيب الذى كانت العجوزُ تأتِى منه حتى عَلَاه ، وهبط منه إلى وادٍ ، فإذا فيه كَنِيسة ، وإذا رجل مُضطجع مُعترِض على بابها ، وإذا رجل آخر جَالِس أبيضُ الرأس واللِّحْية ؛ فلما رأى أُمَيَّة قال : إنك لمَتبُوعٌ فمن أَيْنَ يأتيك صَاحِبُك ؟ قال : من أُذُنِى اليُسْرَى . قال : فبأَىِّ الثِّيَاب يأمُرك ؟ قال : بالسَّوَاد . قال : هذا خبط(٤) من الجن ، كدت أن تكونَ نبِىَّ العرَب ولم تَفعل ، إنَّ صاحبَ النبوّة يأْتِيه صَاحِبُه من قِبَل أُذُنِه اليُمْنى ، ويأمره بلبس البياض ؛ فما حَاجَتُك ؟ فحدَّثه حَدِيثَ العَجُوز ؛ قال : صدقت هى امرأة يهودية(٥) من الجنّ ، هلك زَوْجُها منذ أعوام ، وأنها لا تزال تَصْنَع ذلك بكم حتى تُهلِككم إن استطاعت ؛ قال أمية : وما الحِيلَة ؟ قال : أَجْمِعُوا ظَهْرَكم ، فإذا جاءت ففعلت كما كانت تفعل ، فقولوا لها : سبعٌ من فوق وسَبْعٌ من أسْفَل باسْمِك اللهُمّ ؛ فلن تضركم ؛ فرجَع إليهم أُمَيَّة وقد جَمَعُوا الظَّهْر ، فلمَّا أقبلت قال لها ما أَمَره الشيخُ به ، فلم تضرّهم ، فلما رأت الإبلَ لم تَتَحَرَّك قالت : قد عرفْتُ صاحِبَكم ، لَيَبْيَضَنَّ أعلاه ولَيَسْوَدَنَّ أسفَلُه ، فأصبح أُمَيَّة وقد برِص فى عِذَارَيْه ،

(١) فى غ : لترحلها .

(٢) فى ت : إلى .

(٣) فى غ : وتفرت .

(٤) فى غ : خطيب وفى التجريد : خاطر .

(٥) فى ت : بهولية .

واسْوَدّ أسفَلُه ، فلما قَدِمُوا مَكَّة ذكروا لهم ذلك ، فكان أول ما كتب أهل مكة فى كُتُبِهم : « باسْمِكَ اللّهُمّ » .

وقال الزّهْرِىّ : دخل يوما أُمَيَّة بن أبى الصَّلْت على أختِه وهى تُهَيِّئُ أَدَماً لها ، فنام على سرير فى نَاحِيَة البيتِ ، قال : فانشَقّ جانبٌ من سَقْفِ البَيْت وإذا بطائرَيْن ، فوقع أحدُهما على صَدْره ، ووقف الآخر مكانه ، فشقّ الواقِعُ صدرَه ، فأَخْرجَ قَلْبَه فشقَّه ، فقال الطائرُ الأعلى[1] للطائر الذى على صدره : أَوَعَى ! قال : وَعَى ؟ قال : أَقبِل ؟ قال: أَبَى ، فَرَدَّ الطائرُ قلبَه فى مَوْضِعِه ، ثم نهض فأتبعَهما أُمَيَّةُ طرفَه وقال :

لبَيْكُما لبَيْكُما   ها أنا ذا لَدَيْكُمَا

لا برِئٌ فأعتذِر ، ولا ذو عَشِيرة فأَنْتَصِر . فرجَع الطائر فوقع على صدره فَشَقَّه ، وأخرج قلبه فَشَقَّه ، فقال الطائِرُ الأعْلَى : أَوَعَى ؟ فقال : وعى ، قال : أَقبِل ؟ قال : أبى ، فَرَدَّ قلبَه ثم نهض فأتبعهما أُميةُ طرفه وقال :

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما   هـا أَنَا ذَا لَدَيْكُما

محفُوفٌ بالنعم ، محُوظٌ من الرِّيَب . قال : فرجع الطائر فوَقَع على صَدْره فشقه ، ثم أَخْرَج قَلبَه فشقَّه ، فقال له الأَعْلَى : أَوَعَى ؟ قال : وَعَى ، قال : أَقبِل ؟ قال : أَبَى ، ونَهَضَ فأتبعهما طَرْفَهُ فقال :

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما   هـا أَنَا ذَا لَدَيْكما

إن تَغْفِر اللّهم تَغْفِرْ جَمَّا   وأَىُّ عَبْدٍ لكَ ما أَلَمَّا

ثم انطَبَق السقفُ وجَلَس أُمَيَّة يَمْسَحُ صدرَه ، فقالت أخته : يا أخى ، أتجِدُ شَيْئاً ؟ قال : لا ولكنى أَجِد حَرًّا فى صدرى ، ثم أنشد :

ليتَنِى كنتُ قَبْل ماقَدْ بَدَا لِى   فى قِنَانِ الجِبَالِ أَرْعى الوُعُولا

---

(١) فى غ : الواقف .

قال عكرمة : أَنشدَ النبي صلى الله عليه وسلم قولَ أُميَّة :

الحمـد لله مُمْسَانَا ومُصْبَحَنَا ... بالخيرِ صَبَّحنا رَبِّي ومَسَّانَا
أَلَا نبيٌّ لنـا مِنَّا فيُخبِرَنَا ... ما بعدَ غايتِنا من رَأْسِ مَحْيَانَا
بَيْنَا يُرَبِّينَا آباؤُنا هَلَكُوا ... وبينا نَقْتَنِي[1] الأولادَ أفنَانَا
وقد عَلِمْنا لو أَنَّ العِلْمَ يَنْفَعُنَا ... أَنْ سوفَ يَلحَقُ أُخْرَانَا بأُولَانَا

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إِنْ كاد أمية لَيُسْلِم » .

وعتِب أُمَيَّة على وَلَد له ، وكان عاقًّا له . فقال فيه :

غَذَوْتُك مولوداً وعُلْتُك يافِعاً ... تُعَـلُّ بمـا أَجْنِي عليك وتُنْهَـلُ
إذا ليلةٌ تأتيك بالشـكو[2] لم أَبِتْ ... لشـكواك إلّا ساهراً أَتَمَلْمَـلُ
كأنّي أنا المَطْرُوق دُونك بالّذي ... طُرِقْتَ به دُونِي فعَيْنِيَ تَهْمُـلُ
تَخافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْك وإنّها ... لتعلم[3] أَنَّ الموتَ وقت[4] مُؤَجَّلُ
فلمّا بَلَغْتَ السِّنَّ والغَايَةَ الّتِي ... إليها مَدَى ما كُنْتُ منك[5] أُؤَمِّلُ
جعلتَ جَزَائِي غِلْظَةً وفَظَاظَـةً ... كأنَّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ
[وسَمَّيْتَنِي باسم المُفَنَّدِ رأْيُـه ... وفي رأيك التَّفْنِيدُ لو كُنتَ تَعْقِل
فليتَكَ إذْ لم تَرْعَ حَـقَّ أُبوَّتي ... فعلتَ كما الجارُ المجاور يفعلُ][6]

قال أبو بكر الهُذَلِي لعِكْرِمة : ما رأيتَ ما بَلَغَنا[7] عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) كذا في غ ، وفي ت : نغني .
(٢) في غ : آبتك بالشجو وفي شرح ديوان الحماسة : نابتك بالشـكو .
(٣) في غ : وانني لأعلم .
(٤) في غ : حتم .
(٥) في غ : فيك .
(٦) لم يرد البيتان الأخيران في غ وجاء في التجريد .
(٧) في غ : ما رأيت من يبلغنا .

أنّه قال لأُميَّة : « آمَنَ شِعرُه وكفر قَلْبُه » فقال : هو حق ، وما الذى أنكرتم ؟ فقلت : أنكرنا قولَه :

والشمس تطلُع كلّ آخر ليلةٍ حمراء تطلع[1] لونها مُتَورِّدُ
تأبى وما تبدو لنا فى رِسْلِهَا إلَّا مُعذَّبَةً وإلا تُجْلَدُ

فما شأن[2] الشمس تُجْلَدُ ؟ فقال : والّذى نَفْسِى بِيَدِه ، ما طَلَعت قطّ حتى يَحُثُّها[3] سَبْعُونَ ألفَ مَلكٍ يقولون لها : اُطلُعِى ؛ فتقول : كيف أطلُع على قوم يَعْبُدُونَنى من دون الله تعالى ! قال : فيَأْتِيها شَيْطَان حين تَسْتَقْبل الضِّياءَ يريد أن يَصُدَّهَا عن الطُّلوع ، فتطْلُع على قَرْنَيه فيُحْرِقُه الله بحَرِّها ، وما غرَبت قطّ إلا خرَّت لله ساجدةً ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن السُّجُود ، فتغرُب على قَرْنَيْه فتُحْرِقُه ، وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تطلُع بين قَرْنَى شَيْطَان وتَغْرُب بين قَرْنَى شَيْطان » .

ولما مَرِض أُميَّةُ مرضَه الذى مات فيه ، جعل يقول : قد دَنَا أَجَلِى وفى هذه المَرْضَة مَنِيَّتِى ، وأنا أعلَم أن الحنيفيّة حَقّ ، ولكن الشَّكَّ فى محمد. ولما دَنَت وفاتُه أُغمِى عليه ثم أفاق وهو يقول :

لَبيْكُمَا لَبَيْكُما هَا أنَا ذا لَدَيْكُما

لا مَالٌ لى يَفْدِينى ولا عَشِيرَةٌ تُنْجِينِى ثم أُغْمِى عليه حتى ظَنَّ مَنْ حَضَره أنه قَضَى ، ثم أفاق وهو يقول :

(١) فى غ : مطلع .
(٢) فى ت : بيان .
(٣) فى غ : ينخسها .
(٤) فى ت : يستقل .

لَبَّيْــكُمَا لَبَّيْكُمَا هـا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا

لا بَرِىءٌ فأَعْتَذِر ولا قَوِىٌّ فأَنْتَصِر ، وتحدث ساعة ، ثم أُغْمِى عليه حتى أَيِسَ من حياته وأفاق وهو يقول :

لَبَّيْــكُمَا لَبَّيْــكُمَا هـا أَنَا ذَا لديْــكُمَا

إن تغفرِ اللهم تَغْفِر جَمَّا وأىّ عــبدٍ لك لا أَلَمَّا

ثم أقبل على القوم فقال : قد جاءنى وَقْــتِى ، فــكونوا فى أُهبتى ، وحَدَّثَهُم قَلِيلا حتى أَيِسَ القوم من موته(١) ، وأنشأ يَقُولُ :

كُلُّ عيشٍ وإن تطـاول دهرا مُنْتَهى أَمْرِه إِلَى أَنْ يَزُولا

ليتَنِى كنتُ قبلَ ما قَدْ بَدَا لِى فى رُءُوسِ الجِبَالِ أَرعَى الوُعُولَا

فاجْعَل الموتَ نُصْبَ عَيْنَيْك واحَذَر غَوْلَةَ الدهر إن للدَّهْرِ غُــولَا

ثم قَضَى نَحْبَه ولم يُؤْمن بالنبي صلى الله عليه وسلم .

وقيل فى خبره : أنه لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، أخذ بِنْتيه(٢) وهرب بهما إلى أقصى اليمن، ثم عاد إلى الطائف ، فبينا هُو يَشْرَب مع إخوان له فى قَصْر(٣) غَيْلان بالطّائف وقد أودع ابنتيه(٤) باليمن ، ورجع إلى بلاده إِذْ سقطَ غرابٌ على شُرفة القَصْر ، فنعَب نَعْبَةً فقال أمية : بِفِيكَ الــكَثْــكَثُ ـ وهو التُّرَابُ ـ فقال له أصحابه : ما يقول ؟ فقال : يقول : إنكَ إنْ شَرِبتَ الــكأس الَّذِى فى يَدِكَ مُتّ ، ثم نَعَب نَعْبَةً أخرى ، فقال أمية نحو ذلك ، فقال له أَصْحَابه : ما يَقُول ؟ قال :

---

(١) فى غ : مرضه .

(٢) فى ت : بنيه .

(٣) فى ت : قصره مرة .

(٤) فى ت : ابنيه .

زعم أنه يقع على هَذِه المَزْبلة أَسْفَلَ القَصْر فيبتَلِع عَظْما فيَشْجَى به فيَمُوت ، فوقع الغرابُ على المَزْبلة فأَثَار العظم وابْتَلَعه فشَجِى به ، فمات فانكسر أُمَيَّة ، ووضع الكأسَ من يده ، وتغيَّر لونه ، فقال له أَصْحَابه : ما أكثر ما سَمِعنا مِثْلَ هذا وكان باطِلًا ، فألَحُّوا عليه حتى شَرِب الكأس ، فمال فى شِقٍّ ، وأُغْمِى عليه ، ثم أَفَاقَ فقال : لا بَرِىءٌ فَأَعتَذِرُ ولا قَوِىٌّ فأَنْتَصِر ثُمَّ مَاتَ .

أبو سعيد مولى فائد

هو أبُو سَعِيد إبراهيم مَوْلَى فَائِد : مولى عَمْرو بن عثمان بن عفان .

وهو يُعرف فى الشُّعَرَاء بابْنِ أبى سنَّة[1] مولى بنى أمية ، وفى المُغَنِّين بأبى سعيد مولى فَائد . وكان شاعرا مُجيداً نَاسِكا ومُغَنِّيا فَاضِلًا مقبولَ الشهادة بالمدينة مُعدَّلا ، وعُمِّرَ إلَى خلافة الرشيد ، ولَقِيَه إبراهيمُ بن المهدىّ . وإسحاق الموصلىّ . وله مَرَاثٍ جياد فى بنِى أُميَّةَ الذين قتلهم عبدُ الله وداود ابْنَا عَلىّ بن عَبْد الله ابن عبّاس .

قال إسحاق : حَجَجْتُ مع الرَّشِيد ، فلما قَرُبتُ من مَكَّةَ استأذنتُ فى التقدم فأَذِن لى ، فدخلتُ مكة ، فسألتُ عن أبى سَعِيد مَوْلَى فَائِد ، فقيل لى : هو فى المَسْجد الحَرَام ؛ فأتيتُ المسجد فإذَ هو قائم يُصَلّى ، فجلَسْتُ قريباً منه ، فلما فَرَغ قال لى : يا فتى ، ألك حاجة ؟ قلتُ: نعم ، تُغَنِّينى . وقيل : إنّ الّذى سأله الغناء هو المَهْدِى فقال له : غَنِّنِى :

لقد طُفْتُ سَبْعاً قلتُ لَمَّا قَضَيتها ... أَلَا ليتَ هذا لا علىَّ ولا ليَا
يُسَائِلُنى صَحْبِى فَأَعْقِل الَّذِى ... يَقُولُون من ذِكْرٍ لِلَيْلَى اعْتَرَانِيَا
إذاجئتَ بابَ الشِّعْبِ شِعْبِ ابن عَامِر ... فأَقْرِئ[2] غزَالَ الشِّعْبِ مِنِّى سَلَامِياَ
وقل لِغزَالِ الشِّعب هل أنتَ نَازِلٌ ... بشِعْبك أم هل يُصْبِح القلبُ ثَاوِيَا
لقد زَادَنِى الحُجّاجُ شَوْقاً إلَيْكُم ... وإنْ كُنْتُ قبل اليوم للحَجِّ قَالِيا
وما نَظَرَتْ عَينِى إلى وجْهِ قادِمٍ ... من الحجِّ إلّا بَلَّ دَمْعِى رِدَائِيا

---

(١) فى ت : بابن أبى أشبه .
(٢) فى ت : فأقر .

فقال له : أَوَ أُغنّيكَ يا أمير المؤمنين ما هو أحسن منه ؟ قال : أَنْتَ وذَاكَ فغنـاه :

إن هَذَا الطَّويلَ من آل حَفْصٍ ... نَشَرَ المجدَ بعد ما كان ماتا
وَبنَاهُ على أَسَاسٍ وثِيقٍ ... وعِمَادٍ قد أُثْبِتَت إثْبَاتا
مِثْلَ ما قَدْ بَنَى له أَوَّلوه ... وكذا يُشْبِه البُنَاةُ البُنَاتا

فقال له المهدى : أحسنت يا أبا سعيد ، فَغَنِّنِي :

لقد طُفْتُ سَبْعًا قلتُ لَمَّا قَضَيْتُها ... أَلاَ لَيْتَ هذا لا عَلَىَّ ولا لِيَا

فقال: أَوَأُغَنِّيك أحسنَ منه ؟ قال: أنت وذاك فغناه :

قدِمَ الطويلُ فأشْرَقَتْ واسْتَبْشَرَتْ[1] ... أَرْضُ الحِجَازِ وبَانَ فى الأَشْجَارِ
إنَّ الطويلَ مِنْ آل حفص فاعْلَمُوا ... سَادَ الحضور وسَادَ فى الأَسْفَارِ

فقال له: أحسنت فغنّنى : لقد طُفْتُ سَبْعا . قال أَوَ أُغَنِّيك أَحْسَنَ مِنه ؟ فقال : افعَلْ، فغَنَّاه :

أَيُّهَا السَّائِلُ[2] الذى يَخْبِطُ الأَرْ ... ضَ دَعِ النَّاسَ أجمعين وَرَاكَا
وأْتِ هذا الطويلَ من آل حفْصٍ ... إنْ تَخَوَّفْتَ عَيْلَةً[3] أو هَلاَكَا

فقال له : أَحْسَنْت ، فَغَنِّنِي : لقد طُفْتُ سَبْعًا ، فقد أحسنْتَ فيما غَنَّيْتَ ، ولكن أُحِبّ أن تُغَنِّيَنَا مَا استَدْعَيْنَاه مِنْك، قال : لا سبيل إلَى ذلك يا أَمِيرَ المُؤْمنين ؛ لأَنِّى رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مَنَامِى وفى يده شَىءٌ لا أدرِى ما هُوَ ، وقد رفعه ليضربَنِى وهو يقول : يا أَبَا سعيد ، لقد طُفْتَ سبعا ، ماصنعتَ بأُمَّتِى فى هذا الصَّوْتِ!

---

(١) فى غ : لقدومه .

(٢) فى ت : السائر .

(٣) فى ت : عولة .

قلت له : بأبى وأمى اغفرْ لى ، فوَالّذى بَعَثَك بالحَقّ واصْطَفَاكَ بالنُّبوَّة لا غنيتُ هَذَا الصوتَ أبدًا ، فرَدَّ يدَه عَنِّى وقال: عفا الله عنكَ إذًا ؛ ثم انتبهت ؛ وما كنت لأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلَّم شيئا فى مَنامِى فأرجعَ عنه فى يقظتى ، فبكى المَهْدِىُّ وقال : أحسنتَ يا أبا سَعِيد أحسنَ اللهُ إليك، لا تَعُد فى غِنَائه، وحَبَاه وكَسَاه وأمر بردِّه إلَى الحِجَاز ؛ فقال : لكِن اسْمَعْه من مَنّة جارية البرامكة : « وأظُنّ هَذِه الحِكَاية غلَطًا ؛ لأنّ مَنَّة جاريةَ البرامِكَة إنَّما نشأت وعُرِفَت فى أيَّام الرَّشِيد » .

وقيل : إنّه قال له : اشْخَصْ مَعِى إلَى بَغْدَاد ، فلم يَفْعَل ؛ فقال له : ما كنت لآخذَكَ بما لا تُحِب ، ولو كان غيرُكَ لأَكْرَهْتُه على ما أُحِبّ ، ولكن دُلَّنى على مَنْ يَنُوب عَنْك؛ فدَلَّه على ابْنِ جامع ، وقال له : عليك بغلام بَنِى سَهْم قد أَخَذَ عَنِّى وعن نُظَرائى ، وهو كَمَا تُحِبّ ، فهذا كَانَ سببَ قُدُومه بَغْدَاد .

الطَّوِيل من آل حَفْص المَغْنِىّ فى الشِّعر ، هو عبد الله بن أَحْمَد بن عبد الحميد المَخْزُومى ، كان مُوسِرًا يُعطِى الشعراءَ ويجزل العطاءَ، وسبب يَسَاره أنّه تزوَّج أمّ سلمةَ المَخْزُومِيّة امرأةَ أَبِى العَبَّاس السفاح بعده، فصار إليه منها مالٌ عظيم وكان يَتَسَمَّح به ويَتَّسِعُ فى العطَاء . وكانت أمُّ سَلَمَة مائلةً إليه فأعطته ما لا يَدْرِى ما هو ، ثم إنّها اتّهمتْه فى جارية لها فاحتجبت عنه ، فلم تعد إليه حتى مات .

وكان طَوِيلًا جَمِيلَ الوَجْه فقال أبو سعيد هذين البيتين فيه .

وفيه قال الدّارمىُّ أيها السائل الذى يخبط الأرض .

وفيه يقول الدارِمىُّ أيضا :

إنَّ الطَّوِيلَ إذا حَلَلْتَ به	يومًا كَفَاكَ مؤونَةَ الثِّقْلِ
فَظَلِلْتَ فى دَعَةٍ إلَى كَنَفٍ[1]	رَحْبِ الفِنَاء ومَنْزِلٍ سَهْلِ

---

(١) فى غ : وحللت فى دعة وفى كنف .

حضر أَبُوسعيد مَجْلِس محمد بن عِمْرانالتَّيمى (١) قاضى المدينة لِأَبى جعفر ، وكان مُقدِّما لأَبى سعيد ؛ فقال له ابن عمران : يا أَبَا سَعيد أَنْتَ القَائل :

لقد طُفْتُ سَبْعًا قلتُ لمَّا قَضَيْتها ألا لَيْتَ هـذا لا علىَّ ولا لِيَـا .

قال : إِى لَعَمْرُ أبيك ، وإِنى لأُدْمِجُه إِدْمَاجًا من لُؤْلؤ ، فردَّ محمد بن عِمْران شَهادَتَه فى ذلك المجلس . وقام أبو سَعِيد من مجلسه مُغْضَبًا، وحَلَف ألَّا يَشْهد عِنده. فأنكرأهلُ المدينة على ابن عِمْران رَدَّ شَهَادته وقالوا له : عرَّضت حُقوقَنَا للتَّوى (٢) وأموالَنا للتَّلَف؛ لأَنَّا كُنَّا نُشْهِدهذا الرَّجل لِعِلْمِنَا بما كُنتَ عليه والقُضَاةُ قبلك من الثِّقَة به وتَقْدِيمه وتَعْدِيله ؛ فندِم ابن عِمْران على ردّ شهادته ، ووجه إليه يسأله حُضُورَ مجلسه والشهادةَ عنده ليَقْضِىَ بشهادته ؛ فامتنع ، وذكر أنه لا يَقْدِر على حضور مجلسه لِيَمِينٍ لَزِمَتْه إن حَضَره حَنِث . فكان ابنُ عِمْران بعد ذلك ، إذا ادَّعى عنده أَحَد شهادةأَبى سَعيد ، صار إِلَى منزله أو مَكَانه فى المَسْجد حتى يَسْمَع منه شَهَادَتَه فيُجيزَها . وكان محمد بن عِمْران ، كَثِيرَ اللَّحْم ، عَظِيمَ البَطْن ، كبير العَجُز ، صَغِيرَ القَدَمين،دَقيقَ السَّاقَيْن يَشُق عليه المشى ، فكان كثيرا ما يَقُول: أتعَبَنِى (٣) هذا الصوت وأَضرَّ بى إضْرَارًا طَوِيلا .

كان المُطَّلِب بن حَنْطَب قاضِيًا على مَكَّة ، فشهد (٤) أَبُو سَعِيد [عندَه] بشهادة فقال : ألستَ الَّذى تقول :

* لقد طُفْتُ سَبْعًا قلتُ لمَّا قَضَيْتها *

لا قَبِلْتُ لكَ شَهَادة أَبَدًا . فقال أبو سَعِيد: نعم وأنا الذى أقول:

---

(١) فى ت : الطلى، والتصحيح من غ .

(٢) التوى : الهلاك .

(٣) فى ت : ويعنى والتصحيح من غ .

(٤) فى ت : فاستشهد والتصحيح من غ .

كَأَنَّ وُجُوهَ الحَنْطَبِيِّينَ[1] في الدُّجَى ... قَنَادِيلُ تَسْقِيهَا السَّلِيطَ الهَيَاكِلُ

فقال الحَنْطَبِيُّ : إِنَّكَ كما عَلِمنا ما عَلِمْنَاكَ إِلَّا دَبَّابًا حول البيت في الظُّلَم مُدْمِنًا لِلطَّوَافِ به في الليل والنهار ، و قَبِلَ شهادتَه .

ولما حَجَّ الرشِيدُ أَحْضَرَ أبَا سَعِيد ، وقال له : أنشِدْنى قَصِيدتك في بَنِي أُمَيَّةَ :

تَقُولُ أُمَامَـــةُ لَمَّا رَأَت ... نُشُوزِى عن المَضْجَعِ الأَنْفَسِ

وقِلَّةَ نَوْمى على مَضْجَعِى ... لدى هَجْعَةِ الأَعْيُنِ النُّعَّسِ

فَغَنَّاه لَحْنًا له في أَبْيَات منها :

أَفَاضَ المدامـعَ قتلى كُدَى ... و قَتْلِى بِكُثْوة لم تُرمَسِ

وكان الرشيد مُغْضَبًا فسكن غضبُه وطَرِب ، فقال : أنشدنى القصيدة ؛ فقـال: يا أمير المؤمنين كان القوم مَوَالِيَّ وأَنْعَمُوا عَلَيَّ فرَثَيْتُهُم ولم أَهْجُ أَحَدًا ، فتركه .

وهذه قَصِيدَةٌ له رثى بها بنى أمية وكان مَوْلاهُم ، حَدَّث الحَزَنْبَلُ ، قال : كُنَّا عند ابنِ الأعرَابِيّ ، وحَضَر معنا أَبُو هَفَّان فأنشدَنَا ابنُ الأَعرابى عَمَّن أنشده فقال: قال ابْنُ أَبِى سُنَّة[2] العَبلِيّ :

أَفَاضَ المدامعَ قَتْلَى كَذَا ... وقتلى بِكَبوَة لم تُرمَسِ

فَغَمَزَ أبو هَفَّان رَجُلًا وقال : قل له : ما معنى كَذَا ؟ قال : يريد كثرتَهم ؛ فلما قمنا قال لى أبو هَفَّان : أَسَمِعْتَ إِلَى هذا المُعْجَب الرَّقِيع هو ابن أبى سُنَّة[3]. وصحَّف فى بيت واحد موضعين فقال: قتلى[4] كذا وقتلى بكبوة[5] ؛ وأَغلَظُ من هذا أَنَّه يُفَسِّر تَصْحِيفَه بوَجْهٍ وَقَاحٍ .

---

(١) الحنطبيون: بطن من مخزوم، ينسبون إلى حنطب بن الحارث .

(٢) فى ت : الأشبه « تحريف » .

(٣) فى ت : أشبه « تحريف أيضا » :

(٤) فى ت : فتى « تحريف » .

(٥) فى ت : بلبوة « تحريف » .

وهذاالشعر يَقُولُه أبو عَدِيّ عبدُ الله بن عمر العَبَلِيّ فيمَنْ قَتَلَه عبدُ الله بن عليّ بِنَهْر أبي فُطْرس[1] وفيمن قتل أبُوالعباس السَّفاح بعدهم من بنى أمية . ومن القصيدة :

أَفَاضَ المَدَامِعَ قَتْلَى كُدَا ... وقتلى بكُثْوةَ[2] لم تُرْمَسِ
وقَتْلَى بَوَجٍّ وبِاللَّابَتَيْـ ... ـن[3] من يَثْربَ خيرُ ما أنفُس
وبالزَّابِيَيْنِ[4] نُفُوسٌ ثوَتْ ... وأُخْرى بنهر أبي فُطْرس[5]
أولئك قومى أَنَاخَت بِهِم ... نَوَائِبُ من زَمَنٍ مُتْعِسِ
إذا ركبوا زَيَّنُوا الموكبين ... وإنْ جَلَسُوا الزينُ فى المَجْلِس
هم أَضْرَعُونى لِرَيْبِ الزمان ... وهم أَلْصَقُوا الرغمَ فى المَعْطِس[6]

ولما استمرّت الهَزِيمَةُ بمَرْوان أيام عبدالله بنعَلِيّ بالرَّقَّة وأخذ أخوه عبد الصمد فىطلبه [فصار][7] إلى دمشق وأَتْبَعَه جيشاً عَلَيْهِم أَبُو إسْمَاعيل عامرُ الطويلُ من قُوَّاد خُرَاسان ، فَلحِقه ، وقد جاز مصر فى قرية تُدْعَى أبوصير[8] فقتله ووجَّه برأسه إلى عبد الله بن عليّ ، فأنفذَه عبد الله إلَى أبى العباس السَّفَّاح ؛ فلما وُضِع بين يديه خَرَّ سَاجِداً لله تعالى ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذى أَظْهَرَنى عَلَيْك وأَظْفَرَنى بك ،

(١) فى ت : قرطس « تحريف » .
(٢) فى ت : بكنوة « تحريف » .
(٣) فى ت : وبالإنس « تحريف » .
(٤) فى ت : وبالرامتين « تحريف » .
(٥) فى ت : قرطس « تحريف » ونهر أبى فطرس : نهر قرب الرملة من أرض فلسطين على اثنى عشر ميلا من الرملة .
(٦) فى غ : بالمطس .
(٧) ساقطة من (ت) والتكملة من غ .
(٨) فى غ : بوصير .

ولم يُبْقِ ثأرِى قبلَك وقبلَ رهطك أعداء الدين ، وتمثل بقول ذى الإصْبَع العَدْوَانِىّ :

لو يَشْرَبُون دَمِى لم يُرْوِ شارِبَهم ولا دِماؤُهم للغَيْظِ تُروِينِى

نَظَرَ عبد الله بن علىّ إلَى فَتًى عليه أُبَّهَة الشَّرف وهو يقاتل مُسْتَقْتِلاً[1] ، فناداه : يا فتى لك الأَمَانُ ولو كُنْتَ مروان بن محمد ؛ فقال : إلَّا أَكُنْهُ فلستُ بدُونه ؛ قال : فلك الأَمَانُ ولو كُنتَ مَنْ كُنت ؛ فأطرق مليا ثم قَالَ :

أَذُلَّ الحَيَاةِ وكُرْهَ المَمَاتِ وكُلاًّ أَرَاهُ طَعَاماً وَبِيلَا[2]

فإن لم يكن غيرُ إحدَاهما فَسَيْراً[3] إلى الموت سَيْراً جَمِيلا

ثم قاتل حتى قتل ، فإذا هو ابن مَسْلَمَة[4] بن عبد الملك .

---

(١) فى غ : مستقتلا ، والمستقتل : الخارج من الصف المتقدم على أصحابه .

(٢) فى غ : وكلا أرى لك شراً وبيلا .

(٣) فى ت : فسيرى .

(٤) فى النجوم الزاهرة ١ /٢٥٨ : فإذا هو محمد بن عبد الملك ، وقيل : ابن لمسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم .

إبراهيم بن هرْمَة

هو إبراهيم بنُ عليّ بن سَلَمَة[1] بن عامر بن هَرْمَة بن الهُذَيْل بن رَبيع بن عامِر ابن صُبَيْح[2] بن عَدِيّ بن قَيْس بن الحارِث بن فِهر ـ وفِهرٌ أصْلُ قُرَيْش ، وقَيْسُ ابن الحارِث هُوَ الخُلُج ، وكانوا في عَدْوان ، ثم انتقلوا عنه إلى بني نَصْر بن مُعاوِيَة ابن بكر بن هَوَازِن . فلمَّا استُخلِفَ عُمَرُ رضي الله عنه أتَوْه ليَفرِضَ لَهُم ، فأنكر نَسَبَهم ؛ فلما استُخلِف عثمانُ رضي الله عنه أتَوْه فأثبتَهم في بني الحارث بن فِهر وجَعَلَ مَعَهم لهم ديوانا . وسُمُّوا الخُلُج لأنهم نزلوا بالمَدِينَة على خُلُج ، فسُمُّوا بذلك ، ولهم بالمدينة عَدَد .

قال عبد الله[3] بن أبي عُبَيْدة بن محمد بن عَمَّار بن ياسر : زرتُ عبد الله بن حسن ببادِيته وزَارَه ابنُ هَرْمة ، فجاءه رَجُل من أسلم ؛ فقال ابنُ هرمة لعبد الله ابن حسن : أصْلَحَكَ الله ، سَلِ الأسْلَمِيّ أن يأذَن لي أن أُخبِرَكَ خَبَري وخَبَرَه ، فقال له عَبْدُ الله بن حَسَن : ائْذَنْ له ، فأذِنَ له الأسلميُّ ؛ فقال إبراهيمُ بن هَرْمة : خرجت أبْغِي ذَوْدًا[4] لِي فأوحشتُ[5] وضِفْتُ هَذَا الأسلمي ، فذبح لي شاة وخَبَزَ لي خُبْزاً وأكْرَمَنِي ، ثم غدوتُ من عنده ، فأقمتُ ما شاءَ الله ، ثم خرجتُ أيضا في بُغاء ذَوْدٍ لِي ، فأوحَشْتُ فقلت : لَوْ ضِفْتُ الأسْلَمِيّ ! فمِلْتُ إليه فجاءني بلبَن وتَمْر ، ثم خرجت من بعد ذلك فقلت : لو ضِفْتُ الأسْلَمِيّ ! فاللبَنُ والتمر خَيْرٌ من

(١) في ت : مسلمة .

(٢) في ت : صبح .

(٣) في ت : عبيد الله .

(٤) الذود : القطيع من الإبل من الثلاث إلى التسع .

(٥) جعت ونفد زادي .

الطَّوَى فجاءنى بلبن حَامِضٍ . فقال الأَسْلَمِىّ : قد أَجَبْتُه إِلَى ما سَأَل ، فاسأله أَنْ يَأْذَنَ لى أَنْ أُخْبِرَكَ لِمَ فعلت ذلك ؟ فقال : ائذَنْ لَه ؛ فأَذِن ، فقال الأَسْلَمِىّ : ضافَنِى ، فسألتُه من هو ؟ فقال : رَجُلٌ من قُرَيْش ، فذبحتُ له الشَّاةَ التى ذَكَر ، وواللهِ لو كان لِى غَيْرُها لذَبَحْتُها حين ذَكر أَنَّه من قُرَيْشٍ ، ثم غدَا من عندى وغدَا علىّ الحىّ ، فقالوا : مَنْ كانَ ضيفَك البارِحَةَ ؟ فقلت : رجلٌ من قُرَيش ؛ فقالوا : لَيْسَ من قريش ، ولكنَّه دَعِىٌّ فِيها ، فأضافَنِى الثَّانِيَةَ على أنه دَعِىٌّ فى[1] قريش ، فجئتُه بلبن وتمر وقلتُ : دَعِىٌّ فى قريش خَيْرٌ من غَيْره ؛ ثم غدا من عندى وغدَا عَلَىَّ الحىُّ ، فقالوا : من كان ضَيْفَكَ البارِحَةَ ؟ قلت : ذلك الرَّجُل الذى زَعَمْتم أَنَّه دَعِىٌّ فى قريش ؛ فقالوا : لا والله ماهو دَعِىّ فى قُرَيْش ، ولكنه دَعِىُّ أَدْعياءِ قُرَيْش فقَرَيْتُه الثَّالِثَةَ : لَبَنًا حامِضاً[2] . وواللهِ لو كانَ عِنْدِى شَرٌّ منه لقرَيْتُه إيَّاه . قال : فانْخَذَل ابْنُ هَرْمَة ، وضَحِكْنَا مِنْه .

وكان ابنُ هَرْمَة مشتَهِراً بالنَّبِيذِ مدمِناً له فأتى أَبا عَمْرو بن أَبى راشد[3] فأكرمه وسَقَاه أَيَّاماً ثَلاثَةً[4] ؛ فدعا ابْنُ هرمة بالنبيذ ، فقال له غلام أَبى عمرو : لم يبق عندنا منه شَىْءٌ ، فنَزَع ابنُ هَرْمَة رِدَاءَه عن ظهره وقال للغلام : اذهَبْ إلى ابن حوقل[5] (نَبَّاذٌ بالمَدِينة) فارهَنْه عنده وأْتِنا بِنَبِيذٍ ففعل . وجاء ابن أبى رَاشِد[6] ، فجعل يشرب معه من ذلك النَّبِيذ ، ثم قال له : أَيْنَ رِدَاؤُكَ يا أَبا إسحاق ؟ فقال : أَلم يَكُ نِصْفُه فى بَطْنِك ونِصْفُه فى القدَح .

---

(١) فى ت : من .

(٢) فى ت : جامعنا « تحريف » .

(٣) فى ت : أبا عامر بن راشد . وصحته من غ .

(٤) فى ت : ثلاثا .

(٥) فى غ : ابن حونك .

(٦) فى ت : ابن راشد .

ووفَد ابنُ هرمة على عَبْد الله بن حسن وهو بالسَّيَالَة[١] ، فأنشده مديحا له ، فقام عبد الله إلى غنم له ، فرمى بِسَاجَةٍ[٢] عليها فتفرَّقت فِرْقتَيْن ، قال : فاختر أيهما شِئْتَ ؟ قال : فإمَّا أن تَكُونَ زادت بِوَاحِدَة أو نقَصَت بِوَاحِدة من الأُخْرى ، وكانت ثلاثمائة . وكَتَب له إلى المدينة بدَنَانِير ، وقال له : يا ابن هرمة ، انقُل عِيَالَك إلينا يَكُونُوا مع عِيَالِنا ، قال : أَفْعَل ، ثم قدِم المدينة وجَهَّز عِيَالَه لينقلهم إلى عبد الله بن حسن ، فبينما هو قد اكْتَرَى وجمع متاعه وحَمَلَه والكَرِيُّ[٣] ينتظره أن يَتَحَمَّل ، إذ أتَاه صَدِيق له ، فقال له يا أَبَا إسْحَاق ، عندى نَبِيذ يُسقِط غَمَّ[٤] الوجه ، فقال : ويحك ! أما ترَانَا على مثل هذه الحال ! [أعليها][٥] يمكن الشراب ! فقال : إنما هى ثلاثة لا تَزِد عليهن ، فمَضَى معه وَهُم وُقُوفٌ يَنْتَظِرُونه[٦] ، فلم يزل يَشْرَب حتى مضى من الليل صَدْرٌ صَالِح ، ثم أُتِى به وهو سكران ، فطُرِح فى شِقِّ المَحْمِل وعَادَلَتْهُ[٧] امرأته ومضوا[٨] ، فلما أَسْحَرُوا رفع رأسه فقال : أَيْنَ أنَا ؟ فأقبلت عليه امرأته تلومه وتعذُلُه ، وقالت : قد أفسد عليك النبيذُ دينَك ودُنْيَاك ، فلو تَمَلَّتَ عنه بالألبان ! فرفع رأسه إليها وقال :

لا نَبْتَغِى لَبَنَ البَعِير وعندنَا ماءُ الزَّبِيب ونَاطِفُ المِعْصَار

---

(١) موضع قرب المدينة .

(٢) واحدة الساج ؛ وهو نوع من الخشب .

(٣) الكرى : المكارى .

(٤) فى غ : لحم .

(٥) زيادة من غ بها يستقيم المعنى .

(٦) فى غ : ينظرون .

(٧) فى ت : عدلته .

(٨) فى ت : ومضى .

ومدح ابنُ هَرْمَةَ أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم ؛ فقال : لا تقع منّى هذه ، قال : ويحك ! إنّها كثيرة ، قال : إنْ أردتَ أن تُهنِئَنِى فأَبِحْ لى الشرابَ فإنى مغرَمٌ به ؛ فقال له : ويحك ! هذا حَدٌّ من حدود الله عز وجل ! قال : احْتَلْ يا أمير المؤمنين ، قال : نعم . فكتب إلى وَالِى المدينة : مَنْ أتاك بابن هرمة سكرانَ فاضرب به مائَةَ مَقْرَعَة واضرب ابْنَ هَرْمَةَ ثمانين ، قال : فجعل الجِلْوَازُ[1] إذا مَرَّ بابن هَرْمَةَ سكران يقول : من يشترى الثَّمَانِين بمائة .

حدث ابنُ رُبَيْحٍ[2] راويةُ ابن هَرْمة قال : أَصَابَ ابنَ هَرْمة أزمَةٌ ، فقال لى فى يوم حَارٍّ : اذهب فَتَكَارَ لى حِمَارَيْن إلى سِتّة أَمْيال ، ولم يسم الموضع ، فركب واحداً وركبت واحدا ، وسِرْنا إلى قصور حسن بن زيد ببطحاء ابنِ أَزْهَر ، فدخلنا مسجده ، فلما مالت الشَّمس خرج علينا مُشْتَمِلًا على قميصه ، فقال لمولًى له : أَذِّن ، فأَذَّنَ ولم يُكَلِّمْنا كَلِمَةً وَاحِدَةً ، ثم قال : أَقِم ، فأقام فَصَلَّى بِنَا ، ثم أقبل على ابن هَرْمة فقَالَ : مرحبا بك أبا إسْحَاق ، حاجَتك ؟ قال : نعم ، بأبى أنت وأُمِّى أبيات قلتُها ، وقد كان عبد الله وحسن وإبراهيم بنو حسن وعدوه شيئا فأخلفوه . قال: هاتِها ، فأنشد :

أما بَنُو هَاشِمٍ حَوْلى فقد قَرَعُوا[3] ... نَبْلَ الضِّبَابِ[4] التى جمّعتُ فى قَرَنِ[5]

فما بِيَثْرِبَ[6] منهم مَنْ أُعَاتِبُه ... إلا عوائدَ أَرْجُوهُنَّ من حَسَنِ

اللهُ أعطاكَ فضلا من عَطِيَّتِه ... عَلَى هَنٍ وهَنٍ فيما مضى وَهَنِ

(١) فى ت : الجوار « تحريف »
(٢) فى ت : زبنح (تحريف) .
(٣) فى ت : عرفوا .
(٤) فى ت : قبلى الصياب « تحريف » .
(٥) فى ت : قونى « تحريف » .
(٦) فى ت : يشرب « تحريف » .

قال : حَاجَتَك ! قال : لابن أبي مُضَرِّس[١] عَلَيَّ خَمْسُون ومائةُ دِينَار ؛ فقال لمولى له يقال له هَيْثَم : اركب هــذه وأتِني بابن مُضَرِّس وذِكْرِ حَقّه[٢] . قال : فما صَلَّيْنا العَصْر حتى جاء به ؛ فقال : مَرْحَباً بِك يا ابن مُضَرِّس، أَمَعَك ذِكْرُ حَقِّك على ابنِ هَرمة ؟ قال : نعم، قال : فامْحُه ، فمحَاه . ثم قال : ياهَيْثَم ، بِعِ ابْنَ مُضَرِّس من تَمْرِ الخانِقَيْن بِمائة وخَمْسِين دِينارًا ، وزِدْه في كُلِّ دِينَارٍ رُبعَ دِينَار ، وكِلِ ابْنَ هرمة بِمائةٍ وخَمْسِينَ دِينَاراً ، وكِلِ ابْن رُبَيْحٍ[٣] بثلاثين دِينَاراً . ثم انصرفنا من عنده فَلَقِينا مُحَمَّدُ بنُ عبد الله بِالسَّيَّالَة ، وقد بَلَغَه الشِّعْرُ ، فغَضِب لأبيه وعُمُومَتِه ، فقال : يا مَاصَّ بَظْر أُمِّه ! أنتَ القائل :

* على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضَى وهَنِ *

قال : لا ، ولـكنى القائل :

لَا والذى أنتَ منــه نِعْمَة سَلَفَت ... نرجو عَوَاقِبَها فى آخِرِ الزَّمَن
لقــد أُتيتُ بأمْرٍ ما عَمدتُ له ... ولا تَعَمَّدَه قَوْلى ولا سَنَنى
وكيف أَمْشِي مع الأَقْوام مُعْتَدِلًا ... وقد رَمَيْتُ بَرِيءَ العُود بالأُبَنِ
ما غَـيَّرَتْ وجهَه أُمٌّ مهجَّنَةٌ ... إذا القتَام تَغَشَّى أَوْجُهَ الهُجُنِ

وأُمُّ الحسَنِ أُمُّ وَلَد .

ولما قَالَ هَذَا الشّعر فى الحَسَن بْنِ زَيْد قال عَبْدُ الله بن حَسَن : والله ما أَرَادَ الفَاسِقُ غَيْرِى وغيرَ أَخَوَىَّ : الحَسَن[٤] وإبْراهيم . وكان عَبْدُ الله يُجْرِى على ابن هَرْمة رِزْقاً فقطعه عنه وغَضِب عليه ؛ فأتاه يَعْتَذِر فنُحِّى وطُرِد ؛ وسأل رِجَالًا أن يُكَلِّمُوه

---

(١) فى ت : لابن مضرس .
(٢) ذكر حقه : الصك الذى يكتب فيه الدين .
(٣) فى ت : زبنج « تحريف » .
(٤) فى غ : حسن .

فيه فردَّهم وأَيِسَ مِنْ رِضَاه فاجْتَنَبَه وخَافَه ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم مَرَّ عَشِيَّة وعبدُ الله على زَرْبِيَّة فى مَمَر[1] المِنْبَر ولم تَـكُن تُبْسَط لأَحدٍ غيرِه فى ذلك المـكان ، فلمَّا رأى عَبْدَ الله تضاءل وتصاغَر وأَسْرَعَ المَشْى ، فـكأَنَّ عبدَ الله رَقَّ له ، فأَمر بِهِ فرُدَّ عليه ؛ فقال : يا فَاسِق ، يا شَارِبَ الخمرِ على هَنٍ وهَنٍ أتفَضِّلُ الحسَنَ عَلَيَّ وعَلَى أَخَوَيَّ ! فقال : بأَبِى أَنْتَ وربِّ الـكَعْبة وربِّ القَبْر ما عَنَيْتُ إِلَّا فرعونَ وهامَانَ وقارُون ، أفتَغْضَب لهم ! فضحك وقال : واللهِ ما أَحْسَبُك إِلَّا كاذِباً فقال : والله ما كَذَبْتُك . فأَمرَ بأَن تُرَدَّ عليه جِرَايَتُه .

وذَكَر عامِرُ بن صالحٍ لابْنِ هَرْمَةَ قصيدةً نحوَ أَرْبَعين بيْتاً ليس فيها حَرْفٌ يُعْجَم وذَكر هَذه الأبيات منها ؛ ولم أَجد[2] هَـذه القصيدةَ فى شعر ابن هَرْمَةَ ، ولا كُنْتُ أَظُنُّ أَحَداً تقدَّم رُزَيْناً العَرُوضِيَّ إِلَى هَذَا البَاب ، وهى فى رِوَايَةِ الأَصْمَعِيِّ وابْنِ السِّـكِّيت اثْنَا عشَر بيْتاً ، وليس فيها حَرْفٌ من حُرُوفِ المُعْجَم إِلَّا ما اصْطَلَح عليه الـكُتَّابُ من تَصْيِيرِهم الأَلف مَكانَ اليَاء مثـل أَعْلَى ، فإِنَّهَا فى اللَّفْظِ بالأَلِف ونَحْـوِ هذا :

أَرَسْمُ سَوْدَةَ أَمْسَى[3] دَارِسَ الطَّلَلِ ... مُعَطَّلًا[4] رَدَّهُ الأَحْوَالُ كالحُلَلِ
لَمَّا رأى أهلَهَـا سَدُّوا مَطَالِعَهَـا ... رَامَ الصُّــدُودَ وعَادَ الوُدُّ كالمُهُلِ
وعاد وُدُّكَ دَاءً لا دَوَاءَ له ... ولو دَعَاكَ طَوَالَ الدَّهْرِ للرَّحَلِ
ما وصلُ سَوْدَةَ إلّا وصلُ صَارِمَةٍ ... أَحلَّها الدهرُ دارًا مأْكَلَ الوَعِلِ
وَعادَ أَمْوَاهُها سُدْماً وطَارَ لَهَا ... سهمٌ دعا أهلَها للصَّرْم والعِلَلِ

---

(١) فى ت : مرير « تحريف » .

(٢) فى ت : توجد .

(٣) فى غ : محل .

(٤) فى غ : معطل .

صَدُّوا وصَدَّ وساء المرءَ صَدُّهم ... وحَامَ للوِرْد رَدْهاً حَوْمَةَ العِلَلِ
وَحَلَّأُوه رِداهاً ماؤُهَا[1] عَسَل ... ما ماءُ رَدْهٍ لَعَمْرُ اللهِ كالعَسَلِ
دَعَا الحَمَامُ حَماماً سَدَّ مَسْمَعَه ... لَمَّا دعاه رآه طامِحَ الأَمَلِ
طُمُوحَ سارِحَةٍ حَوْمٍ[2] مُلَمَّمَةٍ ... ومُمْرِعُ السِّرِّ سهلٌ ما كُدُ السَّهل
وحَاوَلُوا رَدَّ أمرٍ لا مَرَدَّ له ... والصَّرْمُ داءٌ لأَهْلِ اللَّوْعَةِ الوُصُلِ
أَحَلَّكَ اللهُ أَعْلَى كُلِّ مَكْرُمَةٍ ... واللهُ أَعْطَاكَ أَعْلَى صَالِحَ العمل
سَهْلٌ مَوَارِدُه سَمْحٌ مَوَاعِدُه ... مُسَوَّدٌ لِكِرَامٍ سادةٍ خُمُلِ

كان المُسَوَّر بْنُ عَبْد المَلك المَخْزُومِىّ يَعِيبُ شِعْرَ ابنِ هَرْمة وكان المُسَوَّر عَالِماً بالشعر والنَّسَب فقال ابنُ هَرْمَة فيه :

إيَّاكَ لا أُلْزِمَنْ لَحْيَيْك من لُجُمِى ... نِكْلاً يُنَكِّلُ قَرَّاصاً على[3] اللُّجم
يَدُقُّ لَحْيَيْك أو تَنْقَاد مُتَّبِعاً ... مَشْىَ المُقَيَّد ذِى القِرْدَان والحَلَمَ
إنّى إذَا ما امْرُؤٌ خَفَّت نَعَامَتُه ... إلَىَّ واسْتَحْصَدَت منه قُوَى الوَذَم
عقدتُ فى مُلْتَقَى أوداج لَبَّتِه ... طَوْقَ الحَمامَة لا يَبْلَى على القِدَم
إنّى امرؤٌ لا أَصُوغُ الحَلْىَ تَعْمَله[4] ... كَفَّاى لكن لسانى صَائِغُ الكَلِم
إنَّ الأَدِيمَ الذى أمسيتَ تَقْرُظه ... جهلاً لذو نَغَل بَادٍ وذو حَلَم
ولا يَئِطُّ بأيْدِى الخالقِينَ وَلَا ... أَيْدِى الخوالق إلَّا جَيِّدُ الأَدَم[5]

---

(١) فى ت : ماؤه .
(٢) فى ت : حول .
(٣) فى غ : من .
(٤) فى ت : تقلمه « تحريف » .
(٥) فى ت : الألم « تحريف » .

قال ابن هَرْمة : ما رأيتُ أَسْخى ولا أكرمَ من رَجُلَيْن : إبراهيمَ بنِ عبد الله ابن مُطِيع ، وإبراهيمَ بن طَلْحَةَ بن عَمْرو بن عَبْد الله[1] بن مَعْمَر . أمَّا إبراهيم ابن طلحة فأَتَيْتُه فقال : أَحْسِنُوا ضِيافَةَ أَبِي إِسْحَاق ، فأُتِيتُ بكُلّ شَيْءٍ مِنَ الطَّعَام ، فأردْتُ أَنْ أُنْشِدَه ؛ فقال : ليس هَذَا وَقْتَ الشِّعر . ثم أَخْرَجَ إِلَيَّ الغُلام رُقْعَة فقال : إِلْقَ[2] بِهَا الوكيلَ ، فأَتَيْتُه بها ؛ فقال : إنْ شِئْتَ أعطيتُك القِيمَة ؛ فقلْتُ : وما أَمَر لي به ؟ قال : مِائَتَا شَاة بِرُعْيَانِها[3] ، وأَرْبَعَةُ أَجْمَال ، وغُلامٌ جَمَّال ، ومَظَلَّة وما تَحْتَاجُ إليْه ، وقُوتُكَ وقُوتُ عِيالِك سَنَةً ؛ فقلت : أَعْطِنِي القِيمَة فأَعْطَانِي مِائَتَي دِينَار .

وأمَّا إبراهيمُ بْنُ عَبْدِ الله فأَتَيْتُه في مَنْزِله على بِئْرِ الوَلِيد بْنِ عُثْمَان ، فَدَخَل مَنْزِلَه ، ثم خَرَجَ إِلَيَّ بِرُزْمَةٍ[4] فيها ثِيَاب وحُلِيٌّ وصُرَّة دَرَاهم وصُرَّة دَنَانِير ، ثم قال : والله ما أَبْقَيْنَا في مَنْزِلنا ثَوْباً إلَّا ما تَتَوارى به امْرَأَة ولا حَلْياً ولا دِيناراً ولا دِرْهَماً .

بينا مُحَمَّد بن عبد العزيز الزُّهْرِي هو وابن هَرْمَة إذ مَرَّت بهم إِبل لمحمد بن عِمْرَان تَحْمِل علفاً ، فقال محمّدُ بن عبد العزيز لابْنِ هَرْمة : يا أبا إسحاق ، أَلَا تستَعْلِف محمدَ بن عِمرانَ ! وهو يريد أن يعرِّضه لمَنْعه فيهجوه ؛ فأرسل ابنُ هَرْمَة رسولاً حتى وقف على باب ابنِ عمران ، فأبلغه رسالته ؛ فردّ عليه الجمال بما عليها ، وقال : إن احْتَجْتَ إلى شيء زِدْنَاك ، فأَقْبَل ابنُ هَرْمَة على مُحمّد بن عبد العزيز وقال : اغسلها عني ، فإنه إنْ عَلِمَ أَنِّي استَعْلَفْتُه ولا دابّةَ لي وَقعتُ مِنْه

---

(١) في ت : طلحة بن عمر بن عبيد الله .

(٢) في غ : ائت .

(٣) في غ : برعائها .

(٤) في ت : ثم أخرج لي رزمة . . .

فى سَوْءَة ، قال : بماذا ؟ قال : تُعطِينى حِمَارَك ، قال : هو لك بِسرْجه ولِجَامِه ، فقال ابنُ هَرْمة : من حفر لأخيه حَفِيرَةَ سُوء وَقَع فيها[1] .

حَدَّثَ ابنُ أَبِى زُرَيْق[2] وكان مُنقَطِعاً إلى أَبِى العَبَّاس بن محمد وكان من أَرْوَى النَّاس قال :

كُنْتُ مع السَّرِىّ بن عبد الله باليَمَامة ، وكان يَتَشَوَّق إلى إبراهيم بن هَرْمَة ويُحِبّ أن يَفِد علَيْه ، فأقول[3] : ما يَمْنَعُك أن تَكْتُبَ إلَيْه ؟ فقال : أَخَافُ أن يُكَلِّفَنى من المَؤُونَة مالا أُطيق ، فكنت أكتب إلى ابن هَرْمَة بذلك ، فيَكْرَهُ أن يَفِد إليه[4] إلا بكتاب منه ، ثم غُلِب فشخص إليه ، فنزل عَلَىَّ ومعه رَاوِيَتُه ابن رُبَيْح[5]، فقلت : مامنعك من القُدُوم على الأمير . وهو من الحِرْص على قُدُومك على مَا كَتَبْتُ بِهِ إلَيْك ؟ قال: الَّذى مَنَعَه من الكِتَاب إلَىّ . فدَخلتُ على السَّرِىّ فأخبرتُه بمَقْدمه فسُرّ بذلك ، وجَلَس للنَّاس مَجْلِساً عاما ، ثم أَذِن لابْنِ هَرْمَةَ فدَخَل ومَعَه ابنُ رُبَيْح رَاوِيَتُه . وكان ابن هرمة قصيرا دميماً ، وكان ابن رُبَيْح طَوِيلًا جَسِيماً بَهِىَّ[6] الثِّيَاب ، فسَلَّم على السَّرِىّ ، ثم قال : إنِّى قد قلتُ شعراً أثنَيْتُ فِيهِ عَلَيْك ، قال : أنشد، فقال : هذا يُنْشِد، وجَلَس فأَنْشَدَهُ ابن رُبَيْح قَصِيدَتَه الَّتى هِىَ:

عُوجَا عَلى رَبْع لَيْلَى أُمِّ مَحْمُودِ ... كيما نُسَائِلَه مِن دُون عَبُّود

---

(١) فى غ : من حفر حفرة سوء وقع فيها .

(٢) فى غ : ابن زريق .

(٣) فى ت : إليه .

(٤) فى غ : يقدم عليه .

(٥) فى ت : زبنج « تحريف » .

(٦) فى غ : نقى .

عن أُمِّ عَمْرٍو إذْ شطَّ المَزَارُ بِهَا ... لَعَلَّ ذلك يَشْفِى دَاءَ مَعْمُودِ
فعرَّجَا بعد تَطْوِيل[١] وقد وقفت ... شمسُ النَّهَار ولاذ الظِّلُّ بالعُودِ
من يستمدك ابنَ عبد الله مُجْتَدِياً ... لِسَيْبِ[٢] عُرفك يَعْمِدْ خَيْرَ مَعْمُودِ
يا أبنَ الأُسَاةِ الشُّفَاةِ المُسْتَغَاثِ بهم ... والمُطعِمِين ذُرى الكُوم المَقَاحِيدِ[٣]
والسابِقِينَ إلى الخَيْرَاتِ قومَهُمُ ... سبقَ الجِياد إلى غاياتها القُودِ
أنتَ ابن مسلَنْطح البطحاء مَنْبِتكُم ... بطحاء مكة لا روسُ القَرَادِيد[٤]
لَكُم سِقَايتُها قِدْماً ونَدْوتُها ... قد حازها والدٌ منكم لمولود

وأنشد أيضا :

أَفِى طَلَلٍ قَفْرٍ تَحمَّل آهلُه ... وقفتَ وماء العَيْن يَنْهَلُ[٥] هامِلُهْ
تسائِلُ عن سَلْمى[٦] سَفَاهاً وقد نأَت[٧] ... بسَلْمَى نَوًى شَحْطٌ فكيف[٨] تُسائِلُهْ
فَقُلْ لِلسَّرِىِّ الوَاصِل البرِّ ذى النَّدَى[٩] ... مَدِيحاً إذَا ما بُثَّ صُدِّقَ قَائِلُهْ
جَوَادٌ على العِلَّاتِ يهْتَزُّ للندى ... كما اهتزَّ عَضْبٌ أخلصتْه صَيَاقِلُهُ

---

(١) فى غ : تغوير .
(٢) فى ت : بالسيت « تحريف » .
(٣) ذروة كل شيء : أعلاه ، والكوم جمع كوماء ، وهى الناقة الضخمة السنام، وكذلك المقحاد .
(٤) المسلنطح : المتسع . والقراديد جمع قردود ؛ وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ .
(٥) فى ت : ينسل .
(٦) فى ت : أسائل عن ليلى .
(٧) فى ت : فأت .
(٨) فى ت : وكيف .
(٩) فى ت : بالندى .

نَفَى الظلمَ عن أَهْــلِ اليمامة عَدْلُهُ ... فعاشوا وزَاحَ(١) الظُّلْمُ عنهم وبَاطِلُهْ
ونَاموا بِأَمْنٍ بعـد خوفٍ وشِدَّةٍ ... بسيرةِ عَــدْلٍ ما تُخَافُ غَوَائِلُهْ
وقـد عَلِمِ المعروفُ أَنَّـكَ خِدْنُه ... ويعلم هذا الجُوْرُ(٢) أَنَّـكَ قَاتِلُهْ
وأنتَ تُرَجَّى لِلَّـذِي أنتَ أَهلُه ... وتَنْفعُ ذَا القرْبَى لديك(٣) وَسَائِلُهْ

وأنشده أشياء أخر . فلما فرغ ابن رُبَيْح قال السَّرِيُّ لابن هَرْمة : مرحباً بك ياأبا إسحاق ، ما حَاجَتُك ؟ قال: جئتُك عَبْداً مَمْلُوكاً ، قال : لا ! بل حُرًّا كَرِيماً وابنَ عَم ، فَمَا ذاكَ ؟ قال : ما تَركتُ لى مالًا إِلَّا رهنته ، ولا صَدِيقاً إِلَّا كلفته ، فقال له السرى : وما دَيْنُك ؟ قال : سبعمائة دينار ، قال: قد قَضَاهَا اللهُ عنك . قال : فأقام أياما . ثم قال له : قد اشْتَقتُ ، فقال له : قل شعراً تَشَوَّقُ فيه . فقال قصيدته التى يقول فيها :

إنَّ الحَمَامَةَ(٤) فى نَخْلِ ابن هَدَّاجِ ... هاجت صَبَابَةَ عَانِى القَلْبِ مُهْتَاجِ
أما السَّرِيُّ فإنِّى سوف أمدَحُه ... ما المَادِحُ الذاكِرُ الإحْسَانِ كالهَاجِى
ذَاكَ الَّذِى هو بعــدَ الله أَنْقَذَنِى ... فلستُ أنساهُ إِنْقَاذِى وإِخْرَاجِى
لأَحْبُوَنَّكَ(٥) ممــا أَصْطفِى مِدَحاً ... مُصَاحِبَاتٍ لعُمَّارٍ وحُجَّــاجِ
أَسْدَى الصَّنِيعَةَ من برٍّ ومن لَطَفٍ ... إِلَى قَرُوعٍ لِبَابِ المُلْكِ وَلَّاجِ
كم من يَدٍ لَكَ فى الأقوامِ قد سَلَفَتْ ... عند أمرِئٍ ذِى غِنًى أو عند مُحْتَاجِ

فأمر له بسبعمائة دينار ، ومائة دينار يَتَجَهَّزُ بها ، ومائة دينار يُعَرِّضُ بها أهلَه ،

---

(١) زاح الظلم وانزاح : ذهب .
(٢) فى غ : الجوع .
(٣) فى ت : إليك .
(٤) فى غ : أألحمامة .
(٥) فى ت : لأن حبوتك .

ومائة دينار ينفقها إذا قَدِم عَلى أهله . قوله : يعرِّض بها أهلَه أى يُهدِى لهم هَدِيَّة ، والعُرَاضَة الهَدِيَّة .

ولما قال ابنُ هَرْمَة :

ومهمـــا أُلَامُ عـــلى حُبِّهِم فإنى أُحِبُّ بَـــنِى فَاطِمَـــهْ
بَـنِى بِنْتِ مَنْ جَاء بالمُحْـكَمَا تِ والدِّينِ[1] والسُّنَّةِ القَائِمَهْ

لَقيه رجل بعد ذلك فسأله من قائل :

* ومَهْمَا أُلَامُ عَلَى حُبِّهِم *

فقال : مَنْ عَضَّ بَظْرَ أُمِّه ؛ فقال له ابنه : يا أبت ، ألستَ قائلَها ؟ قال : بلى ؛ قال : فلِم شَتَمْتَ نفسَك ؟ قال : أليس عَضُّ المَرْءِ بَظْرَ أُمِّه خيرٌ له من أن يأخذَه ابنُ قَحْطَبَة[2] .

جاء ابنُ هَرْمَةَ إلى رَجُل بِسُوق النَّبَط معه زوجتُه وابنَتَان له كأنهما ظَبْيَتَان بمال فدَفَعَه إليه وكان يشترى لهم طَعَاماً وشَراباً ، فأقام ابنُ هَرْمَةَ مع ابنَتَيْه حتى خفَّ ذلك المال ؛ وجاء قوم آخرون معهم مال ؛ فأُخْبِرُوا بمكان ابن هرمة ؛ فاستثقلوه وكرهوا أن يعلَم بهم ؛ فأمر الرجل ابنتَيه فقالتا : يا أبا إسحاق : أمَا دَرَيْتَ مَا النَّاسُ فيه ! قال وما هم فيه؟ قالتا : زُلزِلَ بالرَّوْضَة [فتغافلهما ، ثم جاء أبوهما متفازعا فقال : أى أبا إسحاق ، ألا تفزع لما الناس فيه ! قال : وما هم فيه ؟ قال : زلزل بالروضة][3] قال : قد جاءكم إنْسانٌ ومعه مالٌ ، وقد فرغ[4] ما جئتكم به وثَقُلْتُ عليكم[5] ، فأردتَ إدخالَه وإخْرَاجى ؛

---

(١) فى ت : وبالدين .

(٢) هو أحمد بن قحطبة والى مصر من قبل الخليفة أبى جعفر المنصور سنة ١٤٣ هـ ، وإنما خاف ابن هرمة من نسبة الشعر إليه ، لأن المنصور كان شديد الطلب لمن يميل إلى العلويين .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ت ، والتكملة من غ .

(٤) فى غ : فقضت .

(٥) فى غ : عليه .

أيُزَنْزَل بِرَوْضة من رِياضِ الجَنَّةِ ويُتْرَكُ مَنْزِلُك وأنت تَجْمَعُ فيه الرجالَ على زوجتك وابْنَتَيْك ! والله لا عُدْتُ إليك[١]، وخَرَجَ من عنده فأتى عَبْدَ الله بن حسن، فقال : إنِّى مدحْتُك فاسمع مِنِّى ؛ فقال : لاحاجة لى بذلك ، أنا أعطيك ماتريد ولاأسمع؛ فقال : إذًا أُسْقَط ويَكْسُد شِعْرى ؛ فسمع وأمر له بمائتى دينار ، فأخَذَها وعاد إلى الرجل ، وقال : قد جئتُك بما تنفقه كيف شئت ؛ وأقام حتى نَفِدَت .

كان ابنُ هَرْمَة يمدح أبا الحَكَم بن المطَّلب بن عبد الله وكان يكرمه ، ثم إنَّ أبا هَرْمَة أرسل إلى عبد العزيز بن المطَّلب كِتَابًا يشكو إليه بَعْضَ حَالِه ، فبعث إليه بخمسة عشر دينارا ، فمكث شهراً ثم بَعَثَ إليه يطلُب منه شيئًا آخر بعد ذلك ، فقال : أنَا والله لاأقْوَى[٢] على ما كان يَقْوى عليه أبُو الحَكَم.

فقال ابن هرمة فيه :

أبا البخلِ تَطْلُب ما قَدَّمَتْ ... عَرانينُ جادَتْ بأموالها

فهَيْهَات ! خالفتَ فِعْلَ الكِرَامِ ... خِلَافَ الجمال بأبْوالِها

تَزَوَّج ابن هرمة امرأةً فقالت له : أعطِني شيئًا فقال: والله ما مَعِي سِوَى نَعْلى ، فدفعها إليها ومضى معها فيورَّكها مِرارًا ؛ فقالت له: أَحْفَيْتَنِي، فقال : الّذى أَحْفَى صَاحِبَه منا يَعَضُّ بَظْرَ أمِّه .

قال ابن هرمة[٣]: كنتُ قد قلت بَيتاً ثم انْقَطَع بى الرَّوى فيه ، وتَعَذَّر على ما أَشْتَهِيه فأبْغَضْتُه وتَرَكْتُه .

وهو :

فإنك واطِّرَاحَك وصلَ سُعْدى ... لأُخرى فى مَوَدَّتِها نَكُوب

---

(١) فى غ : إليه .

(٢) فى غ : إنا .. لا نقوى .

(٣) جاء هذا الخبر فى ترجمة إبراهيم الموصلى بالجزء الخامس من الأغانى ، طبع دار الكتب ص ٢١٥ .

ثم مرّت بى جارِيَة صفراء مليحة كنتُ أستَحْسِنُ وجهَها وأُكلِّمها إذا مرّت بى فرأيتُها وقد وَرِم وجهُها وتغيرت خِلقَتُها بعد عمّا كنت أعرِفها ، فسألتُها عن خبَرِها فقالت : كان فى بَنى فلان عُرْس أردتُ حضورَه فاستعارَ لى أهْلى حلياً ونقَبُوا أذنى لألبِسَه فورِم وجْهى وأُذُناى كما ترَى ، فرَدُّوه ولم أشْهَدِ العُرْس. قال ابنُ هَرْمَةَ : فاطَّرَدَ لى الشعر فقلتُ :

كثاقبةٍ لحَلْى مُستَعـــارٍ بأذْنَيها فشانَهُما الثُّقُوب
فأدّت[1] حَلْىَ جارَتِها إليها وقد بَقِيَت بأُذْنَيْها ثُقُوب[2]

كان[3] العبّاس بن الوليد بَخيلًا لا يُحِبّ أن يُعْطِىَ أحدًا شيئاً فقال : ما بالُ الشعراء يَمدَحُون أهلَ بيتى جميعاً ولا يمدحوننى[4] ! فبلغ ذلك ابن هرمة وقد كان مدحه فلم يُثِبه ، فقال يُعَرِّض به ويمدح عبدَ الواحد بن سليمان من قصيدة :

ومُعْجَبٍ بِمَديحِ الشِّعر يمنَعُه من المديح ثوابُ المَدْحِ والشَّفَقُ

فأعطاهُ عبدُ الواحد ثلاثمائة دينار وخِلْعَة موشِيَّة من ثِيابه ، وحمَله على فرَس وأعطاه ثلاثين لِقْحَة[5] ومائة شاة ، وسأله عمّا يكفيه فى كل سنة ويكفى عيالَه من البُرِّ والتَّمْرِ فأخبره ؛ فأمر له بذلك أجْمَع ، وقال له : لك على مثل هذا فى كل سنة ما دُمتُ ودمتَ ، واقتطعه لنفسه[6] وأَنِسَ به وقال له : لستُ بمُحوجِك إلى غيرى أبداً ، وأخَذَ عليه ألّا يَمْدَحَ أحداً غيره ، وكان وَالِياً على المدينة ، وكان لا يَدَعُ

---

(١) فى غ : فردت .

(٢) فى غ : ندوب .

(٣) جاء هذا الخبر ضمن أخبار عبادل فى الجزء السادس من الأغانى طبع دار الكتب ص ١٠٢ وما يليها .

(٤) فى غ : تمدحنى .

(٥) اللقحة : الناقة الحلوب، وفى ت : نعجة .

(٦) فى ت : إلى نفسه .

بِرّه وصِلَتَه والقِيامَ بمؤونته . فعُزِلَ[١] وَوُلِّيَ مكانَه غيرُه من بنى الحارث بن كَعْب ، قال ابنُ هَرْمَةَ : فدعَتْنى نَفْسى إلى مدحه طمعا أن يَهَبَ لى مثلَ ما كان عبدُ الواحد يَهَب لى ، فمدحتُه فلم يَصْنَع بى ما ظَنَنْتُ[٢] ، ثم قَدِم عبدالواحد فأُخْبِر أَنِّى مدحتُ الذى عُزِل به ، فحجَبَنى ورُمْتُ الدخولَ إليه فمُنِعْتُ ، فلم أَدَعْ بالمدينــة وَجْهاً ولا رجلا له وَجَاهَةٌ[٣] من قريش إلَّا سألتُه أن يَشْفَع لى فيأبَى ذلك ولا يَفْعَلُه . فلما أَعْوَزَتْنِى الحِيَل أتيتُ عبدَ الله بن الحَسَن[٤] بن الحَسَن بن عَلِيّ بن أَبى طالب رضى الله عنه . فقلت : يا ابْنَ رسول الله ، إنّ هذا الرجلَ قد أكرمنى وأخذ علَيّ أَلَّا أمدَحَ أحداً سواه فأعطيتُه ذلك ، ثم دعانى الشَّرَهُ إلى أَنْ مدحتُ الوَالِى بعده . وقصصتُ عليه قِصَّتِى ، وسألتُه أَنْ يشفع لى ، فرَكِب معى . فأخبرنى الواقفُ على رأْسِ عَبْدِ الواحد أن عبد الله لمـا دخل عليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلَى جَانبه وقال : أحاجَةٌ غَدَتْ بك ؟ قال : نعم ؛ قال : كُلّ حاجة لك مقضِيَّة إلّا ابنَ هَرْمة ، قال : إنْ رأيتَ أَلَّا تَسْتَثْنى فى حَاجَتِى فافْعَل ؛ قال : قد فعلتُ قال : فحاجَتِى ابْنُ هَرْمَة ، قال : قد رَضِيتُ عنه وأعدتُه إلى منزلَته ، قال : فتأْذَنُ له أن يُنشدك ، قال : تُعْفِينِى من هذه ، قال : أَسْأَلُكَ[٥] أَنْ تَفْعَل ، قال ائْتُوا به[٦] ؛ فدخلتُ عليه وأنشدتُه قَوْلى :

وَجَدْنَا غَالِباً كانت جناحاً … وكانَ أَبُوكَ قَادِمةَ الجَنَاحِ

---

(١) فى غ : فلم ينشب أن عزل .

(٢) فى ت : طلبت .

(٣) فى غ : نباهة .

(٤) فى ت : حسن .

(٥) فى ت : لك .

(٦) فى ت : فأتوا .

فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رِزّه(١) ثم وثب مُغضَباً، وأوجزتُ(٢) فى الإنشاد، ثم لحقته فقلتُ : جزاكَ اللهُ خيرا يا ابن رسول الله ؛ فقال : لكن لا جزاكَ الله خيرا يا ماصّ كذا من أُمّة، تقول لابن مروان بحضرتى :

* وكان أبوكَ قادمةَ الجناح *

وأنا ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ! فقلت : جعلنى الله فداك، إنّى قلتُ قولًا أخدعُه به طلباً لدُنْيَاه(٣)، ووالله ماقِستُ بكم أحدا قط. أوَ لَمْ تسمع قد قلتُ فيها :

* وبعضُ القولِ يذهبُ فى الرِّياحِ *

قال : فضحك عبد الله وقال : قاتلك الله، ما أظرفك. وهذه القصيدة الحائية التى مدح بها عبد الواحد من فاخر الشعرِ وجيّده، فمنها :

أعبدَ الواحد المحمودِ إنّى ... أغصُّ حِذارَ سُخْطِك بالقَرَاح

فإن أكُ قد هفوتُ إلى أميرٍ ... فمِن غير التطوُّع والسَّماح

ولكن سَقْطةَ كُتبت(٤) علينا ... وبعضُ القولِ يذهبُ فى الرِّياح

لعمرُكَ إنَّنى وبنى عدِىٍّ(٥) ... ومَنْ يهوى(٦) رشادى أو صلاحى

إذا لم ترضَ عنّى أو تصِلْنى ... لفى(٧) حَيْنٍ أعالجه مُتاح

وإنّى إذ حططتُ إليك رَحْلى ... بغَرْبىِّ الشَّرَاةِ(٨) لذو ارتياح

(١) فى ت : ذرة « تحريف ». والرز : الصوت .

(٢) فى غ : تجوزت .

(٣) فى ت : أجد غرته طلب الدنيا .

(٤) فى غ : عييت .

(٥) بنو عدى : قوم ابن هرمة .

(٦) فى ت : ليهوى بى .

(٧) فى ت : أفى .

(٨) فى ت : السراة .

هَشَشْتَ لحاجَةٍ ووعـدتَ أُخرى ولم تَبخَل بنَاجِزَة السَّماحِ[١]
وجـدنا غَالِباً كانت[٢] جَناحاً وكان أبُوكَ قَادِمَـــةَ الجنَاح

قال عُبَيْد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ : قلتُ لابْنِ هَرْمَة : أتمدحُ عبدَ الواحد ابن سليمان بشعر ما مدحتَ به أحدا غيره [فتقول فيه هذا البيت :

وجـدنا غالبا كانت جناحًا وكان أبُوكَ قادمة الجنَاح][٣]

ثم تقول فيه :

أعبدَ الوَاحِدِ المَحْمُودُ[٤] إنى أَغَصُّ حِذَارَ سُخْطِك بالقَرَاح

فبِأَىّ شىء استوجَبَ هذا منك ؟ فقال له : أخبرك بالقِصَّة لتَعْذُرَنى : أصابتنى أَزْمَة بالمَدِينَة فاستنهَضَتْنى ابنــةُ عمى للخُرُوج ؛ فقلت لها : إنه ليس عِندى ما يُقِلّ جناحى ؛ فقالت : أنا أُنهِضُكَ بما أَمكننى[٥]. وكانت عندى نَابٌ لى ، فنهضتُ عليها حتى دَفَعْتُ إلى دمشق ، فأويتُ إلى مَسْجِد عبدِ الواحد فى جوف الليل ، فجلستُ فيه أنتظره إلى أن نظرتُ إلى بُزُوغِ[٦] الفَجْر ، فإذا البَابُ يَنْفَلِقُ عن رجل كأنه البدر ، فدَنَا فأذَّن فَصَلَّى ركعتين ، فتأملته فإذا هو عبد الواحد . فقُمْتُ فدنوتُ منه وسلَّمت عليه ؛ فقال : أبُو إسحاق[٧] ! أهلا ومَرْحَباً ؛ فقلت : لبَّيْكَ فِدَاكَ أبى وأُمّى ! وحَيَّاكَ اللهُ بالسَّلام وقرَّبك من رِضْوَانه ؛ فقال : أما آن لك أَنْ تَزُورَنا، فقد طَالَ العهْدُ واشتد الشَّوْق ، ما وراءك ؟ فقلت : لا تسألنى فإنَّ الدهرَ قد أَخْنَى عَلَيَّ ،

(١) فى غ : السراح .
(٢) فى غ : خلقت .
(٣) ساقط من ت والتكملة من غ .
(٤) فى غ : الميمون .
(٥) فى ت : أنا أنهض بما أقلنى .
(٦) فى ت : فرع .
(٧) فى ت : أبا إسحاق .

فما وجدتُ مُسْتَغَاثاً سِوَاكَ[١] ؛ فقال : لا تُرَع فقد وردتَ على ما تُحِبّ إن شاءَ الله تعالى . فوالله إنّى لأخاطبه إذا بثلاثة فِتيَة قد خرجوا فَسَلَّمُوا ، فاستدْنَى الأكبرَ منهم فهمَسَ إليْه بشيء دُونِى ودون أُخَوَيْه ؛ فمضى إلى البيْتِ ثم رَجَع ، فجلس إليه فكَلَّمَه بشىء ثم وَلَّى ، فلم يلبَثْ أنْ خَرَج ومعه عبد ضَابِطٌ[٢] يَحْمِل عِبْئاً من الثِّيَاب[٣] حتى صار بين يَدَىَّ ؛ ثم هَمَسَ إليه ثانية فعاد ، وإذا به قد رجع ومعه مثل ذلك ، فضرب به بَيْنَ يَدَىَّ . فقال لى عَبْدُ الواحد : أُدْنُ أبَا إسْحَاق فإنى أعْلَمُ أنَّك لم تَصِر إلَىَّ حتى تفاقم صَدْعُك ، فخُذْ هـذا وارْجعْ إلى عِيَالِك ، فوالله ما سَلَلْنا لك هـذا إلَّا من أشْداقِ عِيَالِنا ؛ ودفَع إلَىَّ ألفَ دِينَار ، وقال : قُم فارْحل وأَغِثْ مَنْ وَرَاءَك ! فَقُمْتُ إلى البَاب ، فلما نظرتُ إلى نَاقتى صَفَتْ إلَىَّ[٤] فقال : ما أظنّ هذه مُبلغَتَك ، يا غُلَام ؛ قدّم له جَمَلِى فلانا . فوالله لَكُنتُ بالجَمَل أشَدَّ سُرُوراً مِنّى بِكُلِّ ما نِلْتُه فلا تَلُومنى أنْ أَغَصَّ حِذَارَ سُخْطِ هذا بالقَرَاح ! والله ما أَنْشَدْتُه بيتاً وَاحِداً .

دخل[٥] ابن هَرْمة على المنصور فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنى قد مدحتُك مدحة لم يمدح أحَدٌ أحَداً بِمِثْلِها ؛ قال : وما عسى أن تقول فِىَّ بعد قول كعب الأشقرى[٦] فى المهلَّب :

بَرَاكَ اللهُ حِينَ بَرَاكَ بَحْرًا   وفَجَّر مِنْكَ أنهاراً غِزَارَا

---

(١) فى غ : غيرك .

(٢) ضابط : قوى شديد .

(٣) فى ت : « يحمل على عبا يحمل من الثياب » . والعبارة مضطربة ، والتصحيح من «غ» .

(٤) فى غ : ضقت .

(٥) جاء هذا الخبر فى ترجمة عبادل فى الجزء السادس من الأغانى طبع دار الكتب ص : ١١٠ .

(٦) هو كعب بن معدان من الأزد ، وأمه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود فى الشجعان ، من أصحاب المهلب .

فقال: قد قلتُ فيك أحْسَن من هذا ؟ فقال : هَاتِ، فأنشده من قصيدة :

له لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافَىْ سَرِيرِه ... إِذَا كَرَّهَا فِيها عِقابٌ وَنَائِل
فأُمُّ الذى آمنتَ آمِنَةُ الرَّدَى ... وأُمُّ الَّذِى خَوَّفْتَ بالثُّكْلِ ثَاكِلُ

فأمر له بعشرة آلاف[1] درهم . فقَال له المَهْدِىّ : يا أَمِيرَ المؤمنين قد تَكَلَّف إليك فى سَيْره نَحْوَها ؛ فقال له المنصور : يا بُنَىَّ ، قد وهبتُ لَهُ ماهو أَعْظَم مِنْهَا ، وهبتُ له نفسَه ، أَلَيْسَ القَائِل[2] :

إذا قِيلَ مَنْ خيرُ مَنْ يُرْتَجَى ... لمعــــترٍّ فِهرٍ ومحتاجهــا
ومَنْ يُعجِل الخيلَ يومَ الوَغَى ... بإلجامها قبل إسْرَاجهــا
أشارت نساء بَنِى غَالِب ... إليكَ بـــه قبل أَزْوَاجهــا

ثُمَّ قال لَه : لو رأيتَ هذا حيث رأيته وهو يُنشِد عَبْدَ الواحد :

وجَدْنَا غالِباً كانت جَنَاحاً ... وكان أَبُوكَ قادِمَةَ الجَنَاح

لاستكثرتَ له ما استَقْلَلت ، ولرأَيتَ أَنَّ حياتَه بعد ذلك القوْل رِبْحٌ كثير . وَوَاللهِ ما هَمَمْتُ له مُذْ يومئذ بخير فذكرتُ قوله إلَّا زَالَ ما عرض بِقَلْبِى إِلَى ضِدِّه حتى أَهُمَّ بقتْله ثم أعفو عنه .

وَجَّه المنصور رَسُولًا قاصِدًا إلى ابْنِ هَرْمة ودفع إليه أَلْفَ دِينَار وخِلْعة ، ووصفه له : إِنَّكَ تراه جَالِساً فى موضع كذا فى المَسْجِد ، فانْتَسِب له إلى بَنِى أُمَيَّة أو مَوَالِيهم ، وسَلْه أن يُنْشِدكَ قصيدتَه الحَائِيَة التى مَدَح فيها عبدَ الوَاحِد :

وجــدْنا غالِباً كانت جَنَاحاً ... وكان أَبُوكَ قادِمَةَ الجَنَاح

فإنْ أنشدَهَا فأَخْرِجه من المسجد واضرِب عُنُقَه وجئنى بِرَأْسه ، وإن أنشدَك

---

(١) فى غ : بأربعة آلاف درهم .

(٢) مدح بهذا الشعر عبد الواحد بن سليمان .

قَصيدَته اللَّامِيَّة التى مَدَحَنِى بِهاَ فادْفَع إلَيْه الأَلْف دِينَار والخِلْعَة ، وما أُرَاه يُنْشِدُكَ غيرَها ولايعترف[1] بالحَائِيَّة . فأتاه الرَّسُولُفوَجَده كما قال المَنْصُور ، فجلس إليه وانْتَسَب له واستَنْشَده قصيدتَه الحائِيَة فى عبد الواحد ؛ فقال : ما قلتُ هذه القَصِيدَةَ قط ولا أعرفها وإنَّمَا نَحلَهَا إيَّاىَ[2] مَنْ يُعَادِينى ، وإنْ شِئْتَ أنشدتُك ، أَحسَن منها ؛ فقال : قد شِئْت فهَاتِ ؛ فأنشده قَصِيدَته اللاَّمِيَّة :

فأُمَّ الَّــذى آمنتَ آمِنَةً الرَّدَى وأُمَّ الَّذى خَوَّفتَ بالثُّكْل ثا كِل

إلى آخرها ، ثم قال : هات ما أَمر بهِ أَميرُ المُؤْمنين ، قال : أَىَّ شىء هُوَ يَاهَذَا ؟ فقال : دَعْ عنكَ ذا ، فوالله ما بَعَث بِكَ إلَّا أميرُ المُؤْمنين ومَعَك بِرُّه وكُسْوة ، وأَمرَكَ أن تَسْأَلنى عن القَصِيدَة ، فإنْ أنشدتُكَ إيَّاهَا ضربْتَ عُنُقِى وحَمَلْتَ رأْسِى إليه ، وإنْ أنشدتُك هذه دَفَعْتَ إلَىَّ ما حَمَّلك إيَّاه[3] ، فضَحِك الرسولُ وقال : صَدَقْت لعَمْرِى ، ودَفَع إليه الأَلْفَ الدِّينار والخِلْعَة .

ولابْنِ هَرْمَة[4] :

وإنَّك إذ[5] أطمَعْتَنِى منك بالرِّضا وأيأَسْتَنى من بعــد ذلك بالغَضَبْ
كمُمْــكِنةٍ من دَرّها[6] كَفَّ حَالِبٍ ودافقةٍ من بعــد ذلك ما حَلَبْ

---

(١) فى ت : تعريف « تحريف » .
(٢) فى ت : يحكها إلى . « تحريف » .
(٣) فى ت : إياها .
(٤) جاء هذا الخبر فى ترجمة عبيد الله بن طاهر بالجزء التاسع من الأغانى طبع دار الكتب ص : ٤٣ .
(٥) فى ت : إن .
(٦) فى غ : ضرعها .

قال أبو نواس : شَاعِران شَبَّها فى بَيْتَين ووضَعا التَّشْبيه فى غير موضعه ، فلو أُخِذ بيتُ هَذَا ووضع مع بَيْتِ هَذَا ، وبيتُ هَذَا وُضِع مع بَيْتِ هَذَا لصار مُشْتَبِهاً به[1] وهما قَوْلُ جَرِيرٍ للفرزدق :

وإنَّك إنْ تهجُو تَمِيماً وتَرْتَشِى ... تبَابِينَ قيس أو سُحوق العمَائم[2]

كمُهْرِيق مـــاء بالفَلَاةِ وغَرَّه ... سرابٌ بَدَا فى أغْـــبر اللَّوْنِ قَاتِمِ[3]

وقول ابن هَرْمَة :

وإنّى وتَرْكِى نَدَى الأكْرَمِينَ ... وقَدْحى بِكَفِّىَّ زَنْدًا شَحَاحا

كتَارِكَةٍ بَيْضَها بالعَـــرَاء ... ومُلْبِسَةٍ بيض أُخْرى جَنَاحا

ولو قال ابنُ هرمة :

وإنّى وتَرْكِى نَدَى الأكْرَمِينَ ... وقد حى بِكَفِّىَّ زَنْدًا شَحَاحا

كمُهْرِيق مَاء بالفلَاةِ وغَـــرَّه ... سرابٌ بَدَا فى أغْبَرِ اللوْنِ قَاتِمِ

فكان أشبه لهُما . ولــكن ابنَ هَرْمَة قد تلَافى ذلك بعد فقال :

وإنّكَ إذْ أطمَعتنى منك بالرّضا ... وأيأسْتَنِى من بعدذلك بالغضب

كمُمكِنَةٍ من درِّها كَفَّ حَالِبٍ ... ودافقةٍ من بَعْد ذَلِك ما حَلَبْ

جَلَسَ[4] ابنُ هَرْمة مع قوم يَشْرَبُون فذكَرَ الحَــكَم بن المطَّلب فأطْنَبَ فى مَدْحِه ، فقيل له : إنَّك لتُــكثِر ذِكْرَ رَجُل لو طَرَقْتَهُ الساعةَ فى شاةٍ عنده يقال لها غَبْرَاء[5]

---

(١) فى غ : لصار متفقا معنى وتشبيها .

(٢) فى ت : بما بين قيس أو سحيق العمائم والتبابين : السراويل الصغيرة مقدار شبر ، تستر العورة المغلظة فقط يلبسها الملاحون .

(٣) فى غ : أذاعته رياح السمائم بدل : بدا فى أغبر اللون قاتم .

(٤) فى ت : حبس .

(٥) فى غ : غراء .

تسأله إياها لردِّك عنها ! فقال : أهو يفعل هذا ؟ فقالوا : إي والله ، وكانوا قد عرفوا أنَّ الحكم بها مُعجَب ، وكان في داره سبعون شاة تُحلَب ، فخرج وفي رأسه ما فيه ، فدقَّ الباب فخرج غلامه إليه : فقال : أعلِم أبا مروان بمكاني ـ وكان لا يُحجَب ابنُ هَرْمة عنه ـ فأعلَمه به ، فخرج إليه متّشِحًا ، فقال أفي هذه الساعة! قال: نعم جعلت فداك ، وُلِدَ لأخ لي في هذه الساعة مولودٌ ، فلم تدِرَّ عليه أمُّه ، فقالوا : شاةٌ حَلُوب فلم يجدوها فذكرت لي شاةٌ عندك يقال لها غَبْرَاء ، فسألني أن أسألكها ؛ فقال : أتجيء في هذه السَّاعة ، ثم تنصرف بشاةٍ واحدة ! والله لا يبقى في الدّار شاة إلا انصرفتَ بها ، وأمر بسوقِهنّ معه فخرج بهنّ إلى القوم ، فقالوا : ويحك ! أيّ شيء صنعتَ[1] ؟ فقصَّ عليهم القصَّة ، وقال فيهن : والله ما ثمنه عشرةُ دنانير وأكثرُ من عشَرة .

كان ابنُ الأعرابي يقول : خُتِم الشُّعراء بابْنِ هَرْمة . وكان ابنُ هَرْمَة مُغرَمًا بالنَّبيذ ، فمرَّ على جيرانه وهو مُنْبَتٌّ[2] سُكْرًا ودخل منزله ؛ فلما كان الغد دخل إليه جيرانُه فعاتبوه على الحالِ الَّتي رأوه عليها ؛ فقال لهم : أنا في طلب مثلها مُنذُ دهر ، أما سمعتم قولي :

أسألُ اللهَ سَكْرةً قبل موتي وصياحَ الصِّبيانِ : يا سكرانُ

فنفضوا ثيابهم وخرجوا ، وقالوا : ليس يُفلح هذا أبدًا .

قال الزُّبير بن بكّار[3] : أنشدني عمِّي لابن هرْمة :

ما أظنُّ الزَّمانَ يا أمَّ عمرو تارِكًا إنْ هلكتُ مَنْ يبكيني

---

(١) في ت : ثم قال : ويلكم : أي شيء صنعتم .

(٢) في ت : مثبت « تحريف » .

(٣) في ت : الزهري بكار « تحريف » .

قال : فكانَ واللهِ كذلك . لقد ماتَ فأخبرَنى مَنْ رأى جِنازَتَه يحملها أربعةُ نفر حتى دُفِن بالبَقِيع .

قال البَلَاذُرِيّ : وُلِد ابنُ هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة أَرْبَعِين ومِائة قَصِيدَتَه التى يقول فيها :

إن الغَوانِىَ قد أَعْرَضْنَ مَقْلِيَةً   لَمَّا رمى هَدَفَ الخمْسِين مِيلَادِى

وعُمِّرَ بعد هذا مُدَّة طَوِيلَة .

قال[1] يَحْيَى بن عُروة بن أُذَيْنة : خرجتُ فِى حاجة لى ، حتى أتيتُ السَّيَّالة[2] فتوقفت[3] على منزل إبراهيم بن هَرْمة فصِحْت : يا أبا إسحاق ، فأجابتنى ابْنَتُه وقالت: خرج آنفاً فقلتُ : هل من قِرًى ؟ فإنى مُقْوٍ من الزَّاد ، فقالت : لا والله فقُلْت : أينَ قَوْلُ أَبِيك .

لا أُمْتِعُ العُوذَ بالفِصَال[4]... وَلَا   أَبْتَاع إِلَّا قَرِيبَـــةَ الأَجَـــل

قَالَتْ : فَذَاكَ[5] واللهِ أَفْنَاهَا . وكان ابنُ هرمة بَخِيلًا .

اجتمع قومٌ من قريش فأتوا ابنَ هرمة وعَبَثُوا بِهِ ، وتَزَوَّدُوا زَادًا كثيرا ، ثم أَتَوْه فخَرَجَ إليهم وقال: حَاجَتكم[6]؟ فقالوا سمِعْنا بِشِعْرِك ، فدعَانا إِلَيْك ما سَمِعْنا مِنه وهو :

---

(١) جاء هذا الخبر فى ترجمة إبراهيم الموصلى فى الجزء الخامس من كتاب الأغانى طبع دار الكتب / ٢٦٠ .

(٢) السيالة : أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة .

(٣) فى غ : فلما كنت بالسيالة وقفت .

(٤) فى ت : لا أبتع العود الفصال « تحريف » .

(٥) فى غ : بذاك .

(٦) فى غ : ما جاء بكم .

كَمْ نَاقَةٍ قد وَجَأْتُ مِنْحَرَهَا ... بِمُسْتَهِلِّ الشُّؤْبُوبِ أَوْ جَمَل
لا أُمْتِعُ العُوذَ بالفِصال ولا ... أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الأَجَل

فنظر إليهم طويلًا وقال: ما على الأَرْض عِصَابَةٌ أضعفُ عُقُولًا منكم ولا أَسْخَف ، فقالوا له : يا عَدُوَّ الله ! أَتَيْنَاكَ زَائِرِين وتُسْمِعُنَا هذا الكَلَام ؟ فقال : أَمَا سَمِعْتم قولَ الله عَزَّ وجَلَّ في الشعراء : « وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ »(١) أَيُخْبِرُكم الله تَعَالى أَنِّي أَقُولُ ما لا أَفْعَل وتُرِيدُون مِنِّي أن أَفْعَلَ ما أَقُول ! فضَحِكوا منه وأخرجُوا له ما مَعَهم وأَقَامُوا مُتَنَزِّهِين وانصرَفُوا .

---

(١) الشعراء / ٢٢٦ .

إسماعيلُ بنُ يَسَار النِّسائي

هو مَوْلَى بني تَيْم بن مرّة : تيْمِ قريش ، وكان مُنقَطِعاً إلى آل الزُّبَيْر ، فلما أفضت الخِلافةُ إلى عبد الملك ، ابن مروان وفَد إليه مع عُروةَ بن الزُّبَيْر ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده ، وعَمَّر طويلا إلى آخر سلطان بني أُمَيَّة ولم يُدْرِكْ الدولةَ العَبَّاسيّة . وكان طَيّباً مَلِيحا مُنْدِراً[1] مَلِيح الشِّعر . وكان كالمنقطع إلى عُرْوة بن الزُّبَيْر . وإنما سُمّي إسماعيلُ بن يَسَار النِّسائي ، لأن أباه كان يصنع طعامَ العُرْس ويَبِيعُه ، ويشْتَرِي منه مَنْ أراد التَّعرِيس من المتجمِّلين ومِمَّن لم تبلغ حالُه اصْطِناعَ ذلك وقيل سُمِّي بذلك لأنَّه كان يَبِيع النَّجْد والفُرُشَ التي تُتَّخَذُ للعَرائِس فسُمِّي يَسَارَ النِّسَائي .

ولَمَّا وفد مع عُرْوة بنِ الزُّبير إلَى الشَّام يُرِيد الوليدَ بن عبد الملك رَكِب معه فى المَحْمَل فعادَلَه[2] ، فقال عُروَةُ ليلةً من اللَّيالي لبَعْضِ غِلْمَانه : انظر كَيْف ترى المَحْمِل ؟ قال : أراه مُعْتَدِلًا ، فقال إسْمَاعِيلُ : اللهُ أَكْبر ، ما اعْتَدَل الحقُّ والبَاطِلُ قبل اللَّيْلَةِ قَطّ فضَحِك عُرْوَةُ . وكان يَسْتَخِفّ إسْمَاعِيلَ ويَسْتَطِيبُهُ .

وكان إسْمَاعِيلُ بنُ يَسَار يَنْزِل فى مَوْضع يُقَال له : حُدَيْلة[3] وكان له جلساء يتحدثون عنده ، فَفَقَدَهم أيَّاماً ، فسأل عَنْهم فقِيل : هُم عِنْدَ رَجُل حُلْو ظَرِيف طَيِّب الحدِيث يَتَحدَّثُون إليه قَدِم عليهم اسمه مُحَمَّد وكُنْيَتُه أبُو قَيْس ، فجاء إسْمَاعيل

---

(١) مندر : يأتي بالنوادر من قول أو فعل .

(٢) فى ت : يعادله .

(٣) حديلة : محلة بالمدينة بها دار عبدالملك بن مروان وفى ت : جديلة . وجديلة : مكان فى طريق خارج البصرة .

حتى وَقَفَ عليهم فسمع الرجلُ القومَ يَقُولون : جاء صَديقُنا إسماعيلُ ، فأقبَلَ عليه فقال : أَنْتَ إسْمَاعيل ؟ فقال : نعم ، فقال : رَحِمَ اللهُ أبويْكَ فإنَّهما سَمَّيَاكَ باسْم صَادِقِ الوعد وأنتَ كاذِب . فقال له إسْمَاعِيل : ما اسْمُك ؟ قال : محمّد ، قال أبو مَنْ ؟ قال : أبو قَيْس . فقال : لا يَرْحَم اللهُ أبويْك فإنَّهُمَا سَمَّيَاكَ باسْمِ نَبِيّ وكَنَّياكَ بِكُنْيَة قِرْد ، فأُفحِم الرجُل وضحك القوم ، ولم يَعُد لِمُجَالَسَتِهم وعادوا إلى مُجالَسَة إسْمَاعِيل .

ولإسْمَاعِيلَ قَصيدَتُه الّتى يَفْخَر بِهَا بالعجم على العَرَب ، أَوَّلُها :

ما عَلى رَسْم مــنزل بالجِنَابِ   لو أَبانَ الغَداةَ رَجْــعَ الجوَابِ
رُبَّ خَــالٍ مُتَوَّجٍ لِي وعَمٍّ   مَاجِدٍ مُجْتَدًى[1] كَرِيمِ النِّصَابِ
إنَّما سُمِّى الفَــوارِسُ بالفرْ   س مُضَاهَاةَ رِفْعَةِ الأَنْســابِ
فاترُكِى الفخرَ يا أُمَامُ علَيْنَا   واترُكِى الجوْرَ وانْطِقِى بالصَّوَابِ
واسأَلِى إنْ جَهِلْتِ عَنَّا وعَنْــكُم   كيف كُنَّا فى سَالِف الأَحْقَابِ
إذ نُرَبِّى بنَــاتِنــا وتَدُسُّـــو   ن سَفَاهًا بنَاتِـكم فى التُّرَابِ

وكانت كُنْيَة إسْمَاعِيل أَبَا فَائِدٍ[2] ، وكانَ أخَواه مُحَمَّد وإبْرَاهيم شاعرين أيضا ، وهما من سَبْى فَارِس ، وكان إسماعيل شُعُوبِيًّا[3] شَدِيدَ التَّعَصُّب للعَجَم ، له شِعْر كَثِير يَفْخَر فيه بالأَعَاجم على العرب .

وأَنْشَدَ يوماً فى مَجْلس فيه أَشْعَب هذا البيت :

إذْ نُرَبِّى بنَاتِنــا وتَدُسُّـــو   نَ سَفَاهًا بنَاتِـكم فى التُّرَاب

---

(١) فى ت : المجتدى .

(٢) فى ت : وافد « تحريف » .

(٣) الشعوبية : قوم يصغرون شأن العرب ، ولا يفضلونهم على العجم .

فقال له أَشْعَب : صدقتَ يا أَبَا فَائِد ، أراد القوم بناتِهم لغير ما أَرَدْتُمُوهُنّ له ؛ فقال له : وما ذَلِك ؟ قال : دَفَنَ القوم بناتِهم خوفاً من العَارِ عليهم⁽¹⁾ وربّيْتُمُوهن لتنكحوهنّ ؛ فضحك القوم حتى اسْتَعْبَرُوا⁽²⁾ ، وخَجِل إسْمَاعيل حتى لَوْ قَدَرَ أن يَسِيخ فى الأرض لَفَعَل .

قال إبراهيمُ بن أَبى عَبْدِ الله : رَكِبَ فلانٌ من ولد جَعْفَر بْنِ أَبى طَالِب رَضِىَ اللهُ عنه فأَمَر بإسماعيل بن يَسَار النَّسَائى حتى أَتَى به قُبَاء ، فاستخرجَ الأحوصَ فقال له : أَنْشِدْنى قولَك :

ما ضَرَّ جيرَانَنَا إذِ انْتَجَعُوا لو أَنَّهم قبــل بَيْنِهم رَبَعُوا

فأَنْشَدَهُ القصيدةَ فأُعجِب بها ثم انصرَفَ ؛ فقال له إسْمَاعِيل : أما جِئْتَ إلّا لِمَا أَرَى ؟ قال : لا ؛ قال : فاسمع ، وأنشده قَصِيدَتَه التى هى :

يا هندُ رُدِّى الوصلَ أن يَتَصَرَّما وصِلِى امْرأً كَلِفاً بحُبِّك مُغْرَمَا
لو تَبْذُلين له⁽³⁾ دَلَالَكِ مَرَّةً لم يَبْغ منكِ سوى دلالك مَحْرَمَا
مَنَع الزِّيَارَة أنَّ أهلكِ كلَّهم أبدَوْا لِزَوْرِك غِلْظَةً وتَجَهُّمَا
ما ضَرَّ أهلكِ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ بِفِنَاء بَيْتك أو أَلَمَّ فَسَلَّمَا

فقال : لو كنتُ سمعتُ هذه القصيدة أو علمتُ أَنَّك قلتها لما أتيتُك .

سَمِع زَبّانُ السَّوّاق رجلاً يُنْشِد قول إسْمَاعِيل .

ماضَرَّ أهلكِ لو تَطَوَّفَ عَاشِقٌ بفِنَاءِ بيتـكِ أو أَلَمَّ فَسلَّمَا

فقال : لا شَىْءَ والله إلّا الضَّجَر وسُوء الخُلُق وضِيق الصَّدر ، وجَعَل يَبْكى ويَمسح عَيْنيه .

---

(١) فى ت : بناتهن . . عليهن . « تحريف » .

(٢) استعبروا : جرت عبرتهم من كثرة الضحك . وفى غ : استغربوا أى بالغوا فى الضحك .

(٣) فى غ : لنا .

قال جَعْفَر بن الحسين[١] اللهبي : أنشدتُ زَبَّان السَّوَّاق قولَ إسماعيل بن يَسَار النِّسَائى[٢] :

إنَّ جُمْلًا وإنْ تَبَيَّنْتُ مِنْهَا ... نَكَبَاً عن مَوَدَّتِى وازْوِرَارَا
شَرِقَتْ بادكارِها اليومَ عَيْنِى[٣] ... وأُطِير العَزَاءُ مِنِّى[٤] فطَارَا
ما على أهْلِها ولم تَأْتِ سُوءًا ... أن تُحَيَّا تَحِيَّــةً أو تُزَارَا
يومَ أَبْدَوْا لِىَ التَّجَهُّم فِيهَا ... وَحَمَوْهَا لَجَاجَةً وضِرَارَا

فقال زَبَّان : لا شىء وأبيهم إلا اللَّحَز[٥] وقلَّةُ المَعْرِفَة وضِيقُ العَطَن ؛ فصاح عليه أبو المُعَافَى[٦] وقال : فَعَلَى مَن ذاك وَيْلك ![٧] أعليك أو على أبيك أو أمك ؟ فقال له زَبَّان : يا أَبَا المُعَافَى إنَّما أُتِيتَ من نَفْسك ، ولو كنتَ تفعلُ هذا ما اختَلَفْتَ أنتَ وأَبُوكَ فوثب عليه[٨] أبوالمُعَافَى يَرْمِيهِ بالتُّراب ويَقُولُ له : يا سَفِيهُ ويْحَك![٩] تُحْسِنُ الدِّيَاثَة ؛ وزَبَّان يَهْرَب مِنْه .

غَنَّى الوَلِيدُ بنُ يَزيد فى شِعْر إسْمَاعِيل بن يَسَار النِّسَائى :

حَتَّى إذا الصبحُ بدا ضَوْؤُه ... وغابت[١٠] الجَوْزَاء والمِرْزَمُ
خرجت والوَطْءُ[١١] خَفِىٌّ كما ... ينساب من مَكْمَنِه الأَرْقَمُ

(١) فى ت : الحسن .
(٢) فى ت : إسماعيل بن بشار النساء « تحريف » .
(٣) شرقت العين : احمرت . وفى غ : شردت بادكارها النوم عى .
(٤) فى ت : عنى .
(٥) فى ت : الخير « تحريف » .
(٦) فى ت : المعافا « خطأ إملائى » .
(٧) فى ت : ويدر « تحريف » .
(٨) فى غ : إليه .
(٩) فى ت : وذلك «تحريف» .
(١٠) فى غ : غارت .
(١١) فى ت : الوطىء « خطأ » .

فقال : مَنْ يَقُولُ هذا ؟ قالوا : رجلٌ من أَهْلِ الحجاز يقال له إسْمَاعِيل بن يَسَار النِّسَائِي ؛ فكتب فى إشْخَاصه إليه ؛ فلما دَخَل عليه استَنْشَدَه القصيدةَ فأَنْشَدَه :

كَلْثَمُ أنتِ الهَمُّ يا كَلْثَمُ ... وأنتِ الدَّاءُ[1] الذى أَكْتُمُ
أُكاتِمُ النــاسَ هَوًى شَفَّنِي ... وبعضُ كِتْمَانِ الهوَى أَحْزَمُ
لا تَتْرُكِينِى هــكذا مَيِّتاً ... لا أُمنَح الوُدَّ ولا أُصْرَمُ
أَوْفِى بِمــا قُلْتِ ولا تَنْدَمِى ... إنَّ الوَفِيَّ القَوْلِ[2] لا يَنْدَمُ
آيةُ[3] ما جِئْتُ على رِقْبَــةٍ ... بعد الكَرى والحَيُّ قد نَوَّمُوا[4]
أَخافتُ المشىَ حِذارَ العِــدَى ... والليــلُ داجٍ حَالِكٌ مُظْلِمُ
ودُونَ مَنْ جاوزْتُ[5] إذْ زُرْتُكم ... أَخُــوكِ والخالُ معا والحَمُ
وليسَ إلّا اللهُ لى صاحِبٌ ... إليكم والصَّــارِمُ اللَّهْذَمُ
حتى دخلتُ البيتَ فاستَذْرَفَتْ ... من شَفَقٍ عَيْنَانِ[6] لى تَسْجُمُ
ثُمَّ انْجَلَى الحُزْنُ ورَوْعَاتُه ... وغُيِّبَ الكاشِحُ والمُبْرِمُ
فبِتُّ فِيمَا شِئْتُ من نَعْمَةٍ ... يَمْنَحُنِيهــا نَحْرُها والفَمُ
حَتَّى إذَا الصبحُ بَدَا ضَوْؤُه ... وغابت[7] الجَوْزاءُ والمِرْزَمُ
خرجتُ والوَطْءُ خَفِيٌّ كَمَا ... يَنْسَاب من مَكْمَنِه الأَرْقَمُ

فطَرِب الوليدُ حتى نَزَل عَنْ فَرْشِه وسَرِيره ، وأمر المُغَنِّي فغَنَّى فيه وشَرِب أَقْدَاحا وأمر لإسمَاعِيل بجَائِزَة سَنِيَّة وسَرَّحه إلى المَدِينة .

(١) فى غ : دائى .
(٢) فى ت : وفى القولْ .
(٣) فى ت : ألأيه .
(٤) فى ت : والناس قد هرموا . « تحريف » .
(٥) فى غ : ما حاولت .
(٦) فى غ : عيناك .
(٧) فى غ : وغارت .

اصْطَحَبَ شيخٌ وشُبَّانٌ فى سَفِينة ؛ فقال بعضُ الشُّبَّان للشَّيخ : إن مَعنا قَينةً ونحن نُجِلُّك أن تَسْمَع غِناءَها ؛ فقال : اللهُ المستعانُ فشأْنُكم ؛ فغنَّت :

حتَّى إذا الصبحُ بَدَا ضَوؤُه وغابت الجَوْزَاءُ والمِرْزَمُ
خرجت[1] والوَطْءُ خَفِيٌّ كما ينْسَاب من مَكْمَنِه الأَرْقَمُ

فألقَى الشيخُ نفسَه[2] فى الفُرات ، وجعل يقول : أنَا الأرقَم ! فأدركُوه وقد كادَ يَغْرَق[3] ؛ فقالوا : ما صَنَعْتَ بِنفْسِك ؟ ! فقال : إنِّى واللهِ أعلَمُ من مَعانِى الشِّعر ما لا تَعْلَمُون .

دَخَلَ إسمَاعِيلُ بن يَسَار النِّسائى على هِشَام بن عبدالملك فى خِلَافَتِه وهو بالرُّصافة جالِسٌ على بِرْكةٍ له فى قصره ، فاستَنْشَدَه وهو يرَى أنه يُنْشِده مديحاً له فيه . فأنْشَدَه قولَه يَفْخَر بالعَجَم على العَرَب قَصِيدَتَه التى يَقُولُ منها :

إنِّى وجَدِّكَ ما عُودِى بذى خَوَرٍ عند الحِفَاظ ولا حَوْضِى بمَهْدُومِ
أَصْلِى كَرِيمٌ ومَجْدِى لا يُقَاسُ به ولى لِسَانٌ كَحَدِّ السيفِ مَسْمُومُ
أَحْمِى بِهِ أَصْلَ[4] أقوامٍ ذَوِى حَسَبٍ من كل قَرْمٍ بتاج الملك مَعْمُومِ
جَحَاجِحٍ سَادَةٍ بُلْجٍ مَرَازِبَةٍ جُرْدٍ عِتَاقٍ مَسَامِيحٍ مَطَاعِيمِ
مَنْ مِثْل كسرى وسَابُور الجُنُود مَعاً والهُرْمُزَان لِفَخْرٍ أو لِتَعْظِيمِ
أُسْدُ الكَتَائِب يومَ الرَّوع إنْ زَحَفُوا وهم أَذَلُّوا ملوكَ التُّرك والرُّوم
يَمْشُونَ فى حَلَق المَاذِيِّ سابِغَةً مَشْىَ الضَّرَاغِمَةِ الأُسْدِ اللَّهَامِيمِ
هنَاكَ إنْ تَسْأَلِى تُنْبَى بِأَنَّ لنَا جُرْثُومَةً قَهرت عُزَّ[5] الجَرَاثِيمِ

(١) فى غ : أقبلت .
(٢) فى غ : بنفسه .
(٣) فى ت : أن يغرق .
(٤) فى غ : مجد .
(٥) فى غ : عز .

فغضب هشام وقال له : يا عاضَّ بظْرَ أمه ، أعَلَيَّ تفخر وإيَّاى تُنْشِد قصيدةً تمدح بها [نفسَكَ](١) وأعلاجَ قوْمِك ! غُطّوه فى الماء(٢) ، فغُطَّ فى البِرْكَة حتَّى كادَتْ نَفْسُه تَخْرُج ، وأَمر بإخراجه وهو بِشَرّ فنفاه من وقته وأُخْرِج عن الرُّصَافَة مَنْفِيًّا إلى الحِجَاز . وكان مُبْتَلًى بالعَصَبِيَّة للعجم والفَخْرِ بهم . فكان لا يزَالُ مَحْرُوماً مطروداً مَضْرُوباً .

ولما ماتَ مُحَمّد بنُ يَسَار أخو إسماعيل دَخَل أخُوه إسماعيل على هِشَام بن عُرْوَة فجلَس عنده وحَدَّثَه بمُصِيبَتِه ووفاةِ أخيه ثم أنشده يرْثيه(٣) :

عِيلَ العزاءُ وخَانَنِى صبرى ... لَمَّا نَعَى النَّاعِى أبَا بَكْرِ
ورأيتُ ريبَ الدَّهر أَفْرَدَنِى ... منــه وأَسْلَمَ لِلْعِدَى ظَهْرِى
من طَيِّبِ الأثْوَابِ مُقْتَبَلٍ ... حُــلْوِ الشَّمَائِل ماجدٍ غَمْرِ(٤)
فَمَضَى لِوجْهَتِه وأدْرَكَه ... قَدَرٌ أُتِيحَ له من القَدَرِ
وأَقَمْتُ(٥) مَا لِى مِنْ تَذَكُّرِه ... إلا الأَسَى وحَرَارَةُ الصَّدْرِ
وجَوًى يُعَاوِدُنِى وقَلَّ لَه ... مِنِّى الجوَى ومَحَاسِنُ الذِّكْرِ
لَمَّا هَوَتْ أيْدِى الرِّجال به ... فى قَعْرِ ذَاتِ جَوَانِبٍ غُبْرِ
وعَلِمْتُ أنِّى لَنْ(٦) أُلاقِيَه ... فى النَّاسِ حَتَّى مُلْتَقَى الحَشْرِ
كادت لفُرْقَتِه وما ظَلَمَتْ ... نفسى تموت على شَفَا القَــبْرِ

---

(١) ساقطة من ت .
(٢) فى ت : بالماء .
(٣) فى ت : مرثية .
(٤) الغمر : الكريم الواسع الخلق .
(٥) فى غ : وغبرت .
(٦) فى غ : لا .

ولَعَمْرُ من حُبِسَ الهَدِيُّ له ... بالأَخْشَبَيْن صَبِيحَةَ النَّحْر

لو كانَ نَيْلُ الُخلد يدركُه ... بَشَرٌ بِطِيبِ الخِيم والُخبْرِ(١)

لَغَبَرْتَ لا تَخْشَى المَنُونَ ولا ... أَوْدَى بنفسك حَادِثُ الدَّهْر

ولنِعْم مَأْوى المُرْمِلِين إِذَا ... قَحطُوا وأَخْلَف صَيِّبُ(٢) القَطْرِ

وكان بحَضْرة هِشَام رجلٌ من آلِ الزُّبَيْر ، فقال له : أحسنْتَ وأسْرَفْتَ فى القول ، ولو قُلتَ هذا فِى رَجُل من سَادَاتِ قُرَيْش لَكَانَ كثيرا ، فزَجَره هِشَام وقال : بِئْسَ لعَمْرُ اللهِ ما وَاجَهْتَ به جَليسَك ، فشَكَر له(٣) إسْمَاعِيلُ ذلك ، فلما انْصرَف تناوَلَ هِشَام ذلك الرجل الزُّبَيْرى وقال : ما أَردتَ إلى رجل شَاعِر مَلَك قولَه ، فصرف أحسَنَه إلَى أَخِيه ! فما زِدْتَ على أَنْ أَغْرِيْتَه بِعِرْضِك وأعراضِنا لولا أَنِّى تَلافَيْتُه .

دَخَل إسْمَاعيل بن يَسَار عَلَى عَبدِ الملك بنِ مَرْوان لَمَّا أَفْضى إليه الأَمرُ بعد مَقْتَل عبد الله بنِ الزُّبَيْر ، فسَلَّم ثم وَقَف موقف المُنْشِد ؛ فقَال له عَبْدُ المَلك : الآن يا ابْنَ يَسَار ! إنَّما أنتَ رجل زُبَيْرِي ، فبِأَىّ لِسَان تُنْشِد؟ ! فقال له : يا أَمِيرَ المُؤْمنين : أَنَا أصغَرُ شأْنًا من ذلك ، وقد صَفَحْتَ عن أعظمَ جُرْمًا وأكثر غنَاء لأعدائِك مِنّى ، وإنَّمَا أَنَا شَاعِر مُضْحِك ؛ فتَبَسَّم عبد الملك وأَوْمَأَ إِلَيْه الوَليد أَن يُنْشِد ، فأنشد قَصِيدَتَه الّتى أَوَّلُها :

* ألا يالقَوْمى لِلرُّقَادِ المُسَهَّد *

---

(١) فى غ : والنجر .

(٢) فى غ : صائب .

(٣) فى غ : فشكره .

ومنها :

ملكتَ فزدْتَ النّاسَ ما لم يَزِدْهُم ... إمَامٌ من المَعْروفِ غيرِ المُصَرَّدِ(١)

وقُلْتَ(٢) فلم تنقُض قضاء خَليفةَ ... ولكن بما قَاسُوامن العَدْلِ(٣) تَقْتَدى

ولمَّا وَلِيتَ المُلكَ ضاربتَ دُونه ... وأسندتَه لا تأتلى خيرَ مُسْنَدِ

جعلتَ هشاماً والوليدَ ذَخيرةً ... ولِيَّيْن للعهد الوثيق المُؤَكَّد

فنظر إليهما عبد الملك مُبْتَسِماً ، والتفت إلى سليمان فقال : أَخْرَجَك إسْمَاعيل من هذا الأمر ؛ ونَظَرَ إلى إسْمَاعِيل نَظْرَةَ مُغْضَب فقال إسماعيل : ياأَمِيرَ المُؤْمِنِين ، إنَّمَا وزن الشعر(٤) أخرَجَه مِنْ البَيْتِ الأول ، وقد قلت بعده :

وأمضيتَ عَزْماً فى سُلَيْمَان رَاشِدا ... ومن يَعْتَصِم بِالله مثلَك يَرْشُد

فأمر له بألفَى دِرْهم صلة وزاده فى عَطَائه ، وقال لوَلَده : أَعْطُوه فأعطَوْهُ ثلاثة آلافِ دِرْهم .

(١) فى ت : مصرد بدون أل .

(٢) فى غ : وقت .

(٣) فى غ : ساروا من الفعل .

(٤) فى ت : البيت .

إِبْرَاهِيم المَوْصِلِي

هو إبراهيمُ بن مَيْمُون [أو][1] بنِ مَاهَان بن بَهْمَن بن نسك[2] . وكان سَبَبُ نسبته[3] إلى ميمون أنه كتَبَ إلى صَدِيق له فعنْوَن كِتَابه : من إبراهيم بن مَاهَان ؛ فقال له بَعْضُ فِتْيان الكُوفة : أَمَا تَسْتَحِي من هَذَا الاسم ! فقال : هو اسمُ أَبِي ؛ قال : فغيِّره ؛ فقال : كيف أُغيِّره ! فأخذ الكتاب فمحَا مَاهَان وكتب مَيْمُون ، فبَقِي إبْرَاهِيمَ بن مَيْمُون .

وقال إبْرَاهِيم : أَصلُنا من فَارِس ، وكُنَّا بَيْتاً شَرِيفاً في العجم ، وكان جدُّنا ميمون هرَب من جَوْر بعض عُمَّال بنى أُمَيَّة ، فنزل فى الكُوفَة فى بَنِى عَبْدِ الله بْنِ دَارِم . وكان بَيْن إبْرَاهِيم وبين وَلَدِ نَضْلَة بن نُعَيْم رَضَاع . وأُمُّ إبْرَاهِيم امرأةٌ من بنَات الدهَاقِين[4] الذين هَرَبُوا من فَارِس لمَّا هرب أَبُو إبراهيم ، فنزلوا جَميعاً فى الكوفة ، فتزَوَّجها ماهانُ فى الكوفة ، فولدت له إبراهيمَ ومات فى الطَّاعُونِ الجارِف ، وخلَّف إبراهيم طفلاً ، فكَفَلَه آلُ[5] خُزَيْمة بْنِ خَازِم . وكانت سِنُّه لما مات أبوه سَنَتَيْن أو ثلاثا ، وخلَّف معه أَخوين من غير أُمّه أكبرَ منه ، فأقام إبْرَاهِيم مع أُمّه وأخواله حتَّى ترَعْرَع ، وكان مع ولد خُزَيْمة فى الكُتَّاب ، فلهَذَا[6] السَّبَب صار ولاؤه إِلَى تَمِيم .

---

(١) ساقطة من ت .

(٢) فى ت : كسك « تحريف » .

(٣) فى غ : نسبه .

(٤) الدهاقين جمع دهقان وهو زعيم فلاحى العجم أو رئيس الإقليم « معرب » .

(٥) فى ت : إلى .

(٦) فى غ : فبهذا .

وسأله الرَّشيد فقال : ما السَّبَبُ بينَك وبين بنى تَميم ؟ فقصّ(١) عليه قِصّتَه فقال : ربَّوْنَا يا أميرَ المؤمنين فأحسنوا تربيَتَنا ونشأت بينهم(٢) ، وبيْننا رَضاع ، فتولَّوْنَا بهذا السَّبَب ؛ فقال له الرَّشيدُ : وَيحك ! فما أراكَ إذًا إلّا مَوْلاى ؛ قال : فهذه قِصّتى والله يا أميرَ المؤمنين .

وكان مولدُ إبْرَاهيم سنةَ خَمْسٍ وعشرين ومائة ، ووفاته فى سنة ثمَانٍ وثمانين ومائة وله ثلاثٌ وستُّون سنة . وسَبَب قولهم المَوْصِلِىّ أنَّه لمـا اشْتَدّ وأدْرَك ، صَحِب الفتيان واشْتَهَى الغناءَ وطَلَبه ، واشتدَّ أخوالُه عليه فى ذلك وبَلَغوا منه ، فهرب إلى المَوْصِل ، فأقامَ بها سَنَة ، فلمّا رجع إلى الكوفة قال له إخوانُه من الفتْيان : مرحَباً بالفتى المَوْصِلِىّ فغَلَبَت عَلَيْه .

وقيل: كان سَبَبُ طلبه الغناء أنَّه لما خرج إلى المَوْصل صَحِبَ جماعةً من الصّعاليك كانوا يُصيبُون فى الطريق ويُصيبُ معهم ويجمعون ما يُفيدونه فيقْصِفون(٣) ويشربون ويغنّون ، فتعلّم منهم شيئاً من الغناء وكان أطيبَهم صوتاً وأحذقَهم ، فلمّا أحسّ بذلك من نفسه اشتهى الغناء وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه وإلى الرّىّ ، وتزوّج هناك امرأته دُوشار وتفسيرها أَسَدان(٤) ، وتزوّج بها شاهك أمّ ابنه إسحاق وسائر ولده .

وكان قد أُسلِم إلى الكُتَّاب فكان لا يتعلّم شيئا ، ولا يَزال يُضرَب ويُحبَس فلا ينجع ذلك فيه ، فهرب إلى الموصل .

قال إبراهيم: أولُ شىء كسبتُه بالغِناء أنّى كنتُ بالرّىّ أُنادم أهلَها بالسَّويّة لا أرْزَؤهم شيئا ، فمرّ بنا خادِم أنفذه المنصور إلى بعض عُمّاله برسالة فسمِعَنى عند

(١) فى غ : فاقتص .

(٢) فى غ : فيهم .

(٣) يقصفون : يرقصون ويلعبون .

(٤) الأسد بالفارسية : شير . ولعل شار لغة أو لهجة فى هذه اللفظة . ودو بمعنى اثنين .

رجل من الرّيّ فشُغِفَ بى وخلع علىّ دُوَّاجَ سَمُّور(١) له قيمة ، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصَله العامل بسبعة آلاف دِرْهم وكُسْوَة كَثيرة ؛ فجاءنى إلى منزلى وأَعطانى نصف الكُسوة وألْفَىْ دِرْهم . فقلت : لا أُنفق هذه الدّراهم إلّا على الصَّنْعة التى أَفادَتْنِيها ؛ ووُصِف لى رجل بالأُبُلّة(٢) اسمه جُوَانُويْه فلما جئتُه لم أصادِفه فى منزله ، فانتظرتُه حتى جاء فلما رآنى احتشَمَنى(٣) وكان مَجُوسيا فأخبرتُه بصناعتى والحالة التى قصدتُه لها ، فرحَّب بى وأفرد لى جَنَاحا فى بيته ، ووكّل بى جارية فقدّمت لى ما أحتاج إليه ، فلمّا كان العِشَاء عاد إلى منزله ومعه جماعة من الفرس مِمّن تُغَنِّى ، فنزلتُ إليه فجلسنا فى مجلس قد هُيِّئ(٤) لنافيه نَبِيذ ورياحِينُ وفاكِهَة،وأخذوا فى شأْنهم وضربوا، فلم أجِد فى غِناء أحدٍ منهم فَائِدَة ، وبلغت النَّوْبَةُ إلىّ فضربتُ وغنّيتُ ، فقاموا جميعاً إلىّ وقَبّلوا رأسى ، وقالوا : سَخِرت بنا ، نحن إلى تَعليمِك أحوجُ منك إليْنَا ؛ فأقمتُ على تلك الحال أيّامًا حتّى بَلَغ محمدَ بنَ سليمان بن عَلِىّ ما جَرَى ، فوجّه إلىّ فأحضَرَنى وأمرنى بمُلَازَمته ، فقلت : أيُّها الأمير ، إنى لستُ أتكسَّب بهذه الصّناعة وإنما أَلتذُّ بالغِناء ، ولذلك تعلمتُه وأريد العَوْدَ إلَى الكُوفَة ، ولم أنتفِع بذلك عنده وأَخَذَنِي بملازمته ، وسألنى : مِنْ أينَ أنَا ؟ فأخبرته أنّى من المَوْصل فلزِمَتْنى وعُرِفْت بها ، ولم أَزَلْ عنده أثيراً مُكرّما حتى قدم عليه خادم من خُدَّام المهدىّ ، فلما رآنى عنده قال له : أميرُ المُؤمنين أحوجُ إلى هذا منك ، فدَافَعَه عنى، فلمّا قدم الرسولُ على المهدِىّ سأله عَمّا رأى فى طريقه ، فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذِكْرِى فوَصَفَنى له؛ فأمره المهدىّ بالرجوع وإشْخَاصِى إليه فجاء وأَشْخَصَنى إليه وحَظِيتُ عنده وقدّمنى .

(١) دواج سمور: ضرب من الثياب ، يتخذ من جلد حيوان يشبه السنور، وهى خفيفة ثمينة.
(٢) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة وهى أقدم من البصرة .
(٣) احتشمنى : استحى منى . وفى ت : أحمشنى « تحريف » .
(٤) فى غ : صنى .

وقيل: إنه صَحِب عِيسَى بن سليمان وأنَّ المَهْدِى أخذَه منه وقال : ما سَمِع المهدى قَبْلِى إلا فُلَيْح بن أبى العَوْرَاء[1] وسِيَاط ، أحضرهما الفضل بن الربيع[2] له .

قال إبراهيم : وكان المهدِىّ لا يَشْرَبُ النَّبِيذ فأَرَاد مِنِّى مُلَازَمَته وتَرْكَ الشرب فأبيتُ عليه ، وكنت أَغِيبُ عنه الأيام ، فإذا جئْتُه جئت منتشياً[3] فغَاظَه ذلك منى وضَرَبَنى وحَبَسنى ، ثم دَعَانى يوما وعَاتَبَنى على شُرْبى فى منازل الناس والتَّبذُّل معهم. فقلت : يا أمير المُؤْمِنِين ، إنَّما تعلَّمتُ هذه الصناعة لِلذَّتى وعِشْرَة إخوانى ، ولو أمكننى تَرْكُها لتركتُها وجميع ما أنا فيــه لله ، فغَضِب غضبا شديدا . وقال : لا تَدْخُل على مُوسَى وهَارون ، ووالله إن دخلتَ عليهما لأفعلنّ وأصْنَعَنّ ؛ فقلت : نعم ، ثم بلغه عنى أَنِّى دخلتُ إليهما[4] وشَرِبْتُ معهما وكانا مُشْتَهِرَيْن بالشُّرب[5] ؛ فضَرَبَنى ثلاثمائة سَوْط وقَيَّدنى وحَبَسَنى . قال : وذلك أَنِّى كنتُ معهما فى نُزْهة لهما ومعهما[6] أبانُ الخَادِم ، فسَعَى بهما إِلَى المَهْدِى وَبِى وحدّثه بما كُنَّا فيه ، فدعانى فسأَلنى فأنكرتُ ، فأمَر بى فَجُرِّدْت[7] وضربَنى ثلاثمائة سَوْط وستِّين سَوْطاً ؛ فقلت : ياأَميرَ المؤمنين : إنَّ جُرْمِى ليس من الأجرام التى يَحِل لك بها سَفْكُ دَمِى ، والله لو كان سرُّ ابنَيْك تحت قدمىّ ما رفعتُهما عنه ولو قُطِعتا ، ولو فعلتُ ذلك كنت فى حال أبانَ العبد السَّاعِى ، فلما قلت له ذلك ضرَبَنِى بالسَّيْف فشجَّنِى وسقطتُ مَغْشِيًّا علىّ ساعَة ؛ ثم فتحتُ عينىّ فوقعتُ على عَيْن المهدىّ فرأيتُها عينَ نَادِم ؛ وقال لعبد الله بن مالك : خذه إليك . فأخرجَنى عبدُ الله إلى دَارِه وأنا أرى الدُّنْيا فى عينى

(١) فى ت : فليح بن العوراء .
(٢) فى ت : أحضرهما الربيع له .
(٣) فى ت : منشيا .
(٤) فى غ : عليهما .
(٥) فى غ : مستهترين بالنبيذ .
(٦) فى غ : ومعهم .
(٧) فى ت : فجررت .

صفراء وحمراء وخضراء من حَرِّ السِّيَاط، وأمره أن يتّخذ لى شَبِيهاً بالقبر فيَضَمَنى[1] فيه ، فدعَا عبدُ الله بكَبْش فذُبِح وسُلِخ وأَلْبَسَنى جلدَه ليَسْكُن الضربُ ، ودفعنى إلى خادم له يقال له : أبو عُثْمان سعيد التركىّ، فوضعنى فى ذلك القبْر ووكّل بى جارية يقال لها : جَشّة؛فتأذيت بنتن[2] كان فى ذلك القَبْر وبالبَقّ، فقلت لجَشّة: أصلحى لى آجُرَّةً عليها فَحْم وكُنْدُر[3] تذهب عنى هذا البَقّ ، فأتَتْنِى بذلك ، فلما دخَّنت أَظلَمَ القبرُ وكادت نفسى تَخْرُج ، فلما استرحتُ إذا حَيَّتَانِ مُقْبِلَتَان نحوى من شَقّ القبر تَدُوران حَوْلى بحَفِيف شديد ، فهَمَمْتُ أَن آخُذ واحدةً بيدى اليُمْنَى والأُخرَى باليُسْرى فإمَّا عَلَىَّ وإمَّا لى ، ثم كُفِيتُهما ، فدخَلتَا الشَّقّ الذى خَرَجَتا منه ، فمكثتُ فى ذلك القَبْر ما شاء الله ، ثم أُخْرِجْت ووجّهتُ إلى أبى عُثْمان فسأَلْتُه أن يبيعنى جَشَّةَ لأُكَافِئها عَمَّا أولتْنِى ففعل ، فزوجتُها من حاجب[4] لى فمكثت عِنْدَنا حتى ماتت . وبَقِيت بِنْتٌ لها يقال لها : جُمعة ، فزوجتُها من موْلًى لنا فى سنة أربع وثلاثين [ومائتين][5] .

ثم حَلَّفَنِى المَهْدِىّ بالطَّلاق والعِتاق وكلٌّ يمين لا فُسْحة لِى فيها أنى لا أدخل على ابنَيه مُوسَى وهارون أبدًا ولا أُغنّيهما وخَلَّى سَبِيلى .

فَلَما وَلِى موسى الهادى الخلافةَ استترتُ ولم أظهر بسبب الأَيْمان ، وكانت منَازِلُنَا تُكْبَس كل ليلة وأَهْلُنَا يُرَوَّعُون بالطَّلب حتى أَصابُونى فمضيتُ إليه فلما عايَنْتُه قلت : يا سَيِّدِى ، أمُّ ولَدِى أعزُّ الخَلْق علىَّ ، ثم غَنَّيْتُه :

يَا بنَ خيرِ الملوكِ لا تترُكَنِّى ... غَرَضاً للعدُوِّ يرمى حِبَالى

(١) فى غ : فيصيرنى .

(٢) فى غ : بنتن .

(٣) الكندر : اللبان الذكر .

(٤) فى ت : صاحب .

(٥) ساقطة من ت .

فلَقَد فى هواكِ فارقتُ أَهْلِى   ثم عرّضتُ مهجتِى للزَّوال
ولقد عِفتُ فى هواكِ حَيَاتِى   وتَغَرَّبتُ بين أَهْلِى ومالِى

قال إسْحَاقُ ابنُه خوّله الهَادِى وخَوّله[1] . وحَسْبُكَ أنّه أخذ منه مائة ألف وخَمْسِين ألفَ درهم[2] فى يوم وَاحِد ، ولو عَاشَ لَبَنَيْنا حِيطَانَنا بالذَّهَب والفِضَّة . ولم يُرَ أكمَل مُروءَةً ولا أكرم من إبراهيم .

وكان له طعامٌ مُعَدّ أبداً فى كل وقت ، كان له فى كُلّ يوم ثلاثُ شِيَاه : واحدةٌ مُقَطَّعَة فى القدور ، وأُخْرى مَسْلُوخة ومُعلَّقة ، وأُخْرَى حَيّة ، فإذَا أَتَاه قومٌ طعموا المَطْبُوخ ، وقُطِّعَت الشاةُ المُعَلَّقة فى القدور ، وذُبِحَت الحَيَّة وعُلِّقت ، وأُتِى بأُخْرى فأُبقِيَت حَيّة عِوَضَ المَذْبُوحَة . وكانت وَظِيفَتُه لطَعامه وطِيبِه وما يُتَّخَذُ له فى كُلّ شهر ثلاثين أَلْفَ درهم سوى كُسْوَته .

ولقد اجتمع عنده مَرَّة من الجوَارِى الوَدَائِع لإخوانه ثمَانُون جَارِية ، ما فِيهِن واحدة إلّا ويُجرَى عليها من الطّعام والكُسْوة والطِّيب مثلَ ما يَجْرى لأَخَص جَوَارِيه ، فإذَا رُدَّت الوَاحِدة إلَى مَوْلَاها وصلها وكساها ، ومات وما فى ملكه إلّا ثلاثة آلاف دينار[3] ، وعليه من الدَّيْن [سبعُ مائة دِينَار قُضِيت منها][4] .

---

(١) موله وخوله : أعطاه مالا وخولا ؛ والخول . النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية للواحد والجميع والذكر والأنثى .

(٢) فى غ : دينار .

(٣) فى ت : درهم .

(٤) بياض فى ت .

كان الرشيد اشترى من إبراهيم جاريةً بستّة وثلاثين ألف دينار ، ثم أرسل إلى الفضْل بن الربيع : إنَّا اشترينا هذه الجارِيَة من إبراهيم ، ونحن نحسب أنها من غرَضِنا وليست كما ظننَّا ، وما قرَبتُها وقد ثقُل علىّ الثمن وبينَك وبيْنَه ما بيْنكُما ، فاذْهَب إليه فسَلْه أن يَحُطَّنا من ثمنها ستَّة آلاف دينار ! فصار الفضْلُ إليه . فخرج فتلَقَّاه ؛ فقال له : دَعْنِى من هذه الكرَامَة التى لا مؤُونَة فيها ، لستُ ممن يُخْدَع ، وقد جِئْتُكَ فى أمرٍ أَصْدُقُكَ عنه وأخبره الخبَر ، فقَالَ له إبْرَاهِيم : إنما أَرَاد أَن يَبْلُوَ قَدْرَكَ عندى ، قال : هو ذَاكَ . قال فمَالِى فى المَسَاكين صَدَقَة إنْ لم أُضعِّفْه ، قد حَطَطْتُكَ اثْنَى عَشَر ألفَ دِينار ؛ فرجع الفضْلُ إليه بالخبَر ، فقال : ويحك ! احمِل إلى هذا مالَه ، فما رأيت سُوقَةً أنبلَ منه نَفْساً ، وعُوتِب فى ذلك وقِيلَ : ما كان لِحَطِيطَة هذا المال مَعْنًى ولا هو قَليلٌ تتغَافَل عنه ، فقال لِلَّائمِه : يا أحمق ، أنا أعرفُ الناسِ به ، واللهِ لو أخذتُ المال كامِلًا ما أخذتُه إلَّا وَهُو كَارِه ، وحقَد ذَلِك علىَّ وكنتُ أَكُون عنده صَغِيرَ القَدْر ، ولقد مَنَنْتُ عليه وعلى الفضْل ، وعَظُم قَدْرِى ، وإنَّما اشتريتُ الجارِيَة بأَرْبعين ألْفَ دِرْهم ، وقد أخذتُ أربعةً وعِشْرِينَ ألفَ دِينَار ، فلما حُمل المَالُ إليه كاملا بلا حَطِيطَة ، رجَع على لَائمه وقال : كيف رأيتَ مَنِ البَصِير أَنَا أو أَنْتَ ؟ فقال : أنتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ .

قال إبراهيمُ بن المَهْدِى : انصرفتُ ليلة من الشَّمَّاسِيَّة فمررتُ بدار إبراهيم المَوْصِلِىّ ، وإذا هو فى رَوْشَن[1] له وقد صَنَع لحناً فى هذا الشِّعر :

أَلَا رُبَّ ندمانٍ علىّ دُمُوعُه ... تَفِيضُ على الخدَّين سَحًّا سُجُومُها
حَلِيمٌ إذَا ما الكأسُ دَارَت وهرَّها ... رجالٌ لديها قد تَخِف حُلُومها

(١) الروشن: ما يخرج من حائط الدار إلى الطريق من خشب أو حديد وهو الشرفة .

ويلعب فيه[١] بنَغمة ويكرِّرها ليَسْتَوِي عليه ، وجواريه يَضرِبْن عليه ، فوقفتُ تحت الرَّوشَنِ حتى أخذته وانصرفتُ إلَى منزلى ، فما زِلْت أُعيده حتى بلغتُ فيهِ الغَايَة القصوى ، وأصبحتُ فغدوتُ إلى الشَّمَّاسِيَّة واجتمعْنَا عند الرشيد ، فاندفَع إبراهيم فغنَّاه أوَّل كُلِّ شيء ، فلمّا سمعه الرشيد طرِب واستحسنه وشرب ، وقال : لِمَنْ هذا يا إبراهيم ؟ قال : لى ياسيدى ، صنعته البارحة ؛ فقلت : كذب يا أَمِيرَ المُؤْمنين ، هذا الصوتُ قَديم وأنا أُغنِّيه ؛ فقال لى : غَنِّه فغنَّيْته كما غَنَّاه إبْرَاهِيم ؛ فبهُت إبْرَاهِيم وغَضِب الرَّشِيد ، وقال : يا ابْنَ الفَاجِرة ! أتكْذِبُنِي وتَدَّعى ما ليس لك ! فظَلَّ إبراهيمُ بأَسْوَإِ حال ؛ فلمّا صَلَّيتُ العَصْرَ قلت للرَّشِيد : وحَيَاتِك يا أَمِيرَ المُؤْمنين الصوتُ له وما كَذَب ، ولَكِنِّى مررتُ البَارِحَة وهو يُرَدِّدُه على جارية له فوقَفْت حتى دَارَ لها ودَارَ لِى واستوَى فأخذتُه ؛ فدعا به فأمر له بخمسة آلافِ دِينَار .

قال إسْحَاق : لَقِى الفضلُ بنُ يَحْيى أبى وهو خَارِج من عند الفَضْل بْن الرَّبيع ، وكانا مُتَجَاوِرَيْن فى الشَّمَّاسِيَّة[٢] ، فقال له : من أَيْنَ يا أَبَا إسْحَاق ؟ فقال : مِنْ عِنْدِ الفَضْل بن الرّبيع ، غيرَ معتذِرٍ من ذلك ؛ فقال : خُرُوجٌ من عند الفَضْل بْنِ الرّبيع إلَى الفَضْل بْنِ يَحْيى ! هَذَانِ واللهِ أَمْرَانِ لا يجتَمِعَانِ لك ! فقال : والله لئن لم يَكُن فِيّ ما يَتَّسِع لكما حتى يَكُونَ الوَفَاء لَكُماَ جَمِيعاً واحداً ما فِيَّ خيرٌ ، واللهِ لا أترُكُ وَاحِدا منكما لِصَاحِبه ، فمن قَبِلَنى على هذا قَبِلَنِى ، ومَنْ لم يَقْبَلْنى فهو أعلم ؛ فقال له الفَضْل بن يحيي : أنتَ عندى غيرُ مُتَّهم والأمرُ كما قُلْت ، وقد قَبِلْتُك على ذَلِك .

---

(١) فى غ : به .

(٢) فى ت : بالشماسية .

قال إبراهيمُ : خرجْتُ مع الرَّشيد إلى الحِيرَة ، فساعةَ نزلَ بها تَغدَّى ثم نام ، فاغتنمتُ قائلتَه وركِبْتُ أدورُ في الحِيَرة ، فنظرتُ إلى بُستانٍ فقصَدْتُه فإذا على بابه شابٌ حسن الوجه ، فاستأذنتُه في الدخول فأذِن لي ، فدخلت فإذا جَنَّة من الجِنَان في أحْسَن تُرْبة وأغْزَرها ماء ، فقلتُ : لِمَنْ هذا البُستَان ؟ فقال : لِبَعْض الأشَاعِثة[1] فقلت : أيُبَاع ؟ فقال : نَعَم وهو في سَوْم[2] ، فقلت : كم بلغ ؟ فقال : أربعةَ عشر ألف دينار ، قلت : وما يُسَمَّى ؟ قال : شُمَارَى فقلْتُ فيه :

جِنَانَ شُمَارَى ليس مثلكِ مَنْظَر لذى رمَـدٍ أعْيَا عليه طَبيب
تُرابُكِ كافـور ونَوْرُكِ زهرةٌ لها أرَجٌ بعـد الهُدُوِّ يَطِيب

وحضرَني فيه صَنْعَة حسنة ، فلما جَلَس الرشيد غَنَّيْته أوَّلَ ما غنيتُه ، فقال : وَيْلَكَ ! وأيْنَ شُمَارَى ؟ فأخبرتُه القِصَّة ، فأمر لي بأربعة عشر ألف دِينَار ، فغمَزَني جعفرُ بن يَحْيَى وقال : خذ توقيعة بِهَا إليَّ ، وتَشَاغل الرَّشيدُ ، عَنِّي فأعدْتُ الصوتَ ، فقال : ويلكم أعْطُوا هذا دَنَانيرَه ، فوثبتُ فقلت : يا سَيِّدى ، وَقِّع[3] بِهَا إلى جعفر ابن يحيي ، فقال : أفْعَل ، فوقَّع بها ، فلَمَّا حصل التوقيعُ عند جعفر أطلقَ لي المالَ وخمسةَ آلاف دِينَارٍ من عنده ، فلما حصل المَالُ عندى كان أحبَّ إليَّ وأحسن في عَيْنِي من شُمَارَى[4] .

قال إسْحَاق بنُ إبرَاهيم : قال ابنُ جَامع يوماً لأبي : رأيتُ في منَامى كأنَّـك وأنَا راكبين في مَحْمِل فثَقُلْتَ[5] حتَّى كِدتَ تلصقُ بالأرض ، وعلا الشِّقّ الذى

(١) الأشاعثة : قوم ينسبون إلى الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندى .
(٢) في غ : على سوم .
(٣) في ت : توقع .
(٤) في ت : شمازى « تحريف » .
(٥) في غ : فسفلت .

أنا فيه ، فلأعلوَنَّك فى الغناء . فقال إبراهيم : الرؤيا حَقّ ، والتأويل باطِل ، وإنّى وإيّاك كُنّا فى ميزَان ، فرجَحْتُ بِك[1] وشَالَتْ كِفَّتُك ، وعلوتَ ولَصِقْتُ بالأرْض فلأبقيَنَّ بعدَك ولتموتَنَّ قَبْلِى : قال إسحاق : فكان كما قال أَبِى ، عَلَا عليه ، ومَات ابنُ جامع قبله ، وعَاشَ أَبِى بعده .

قال مُخَارِق : أذن لنا أميرِ المؤمنين أَنْ نُقِيم فى مَنَازِلنا[2] ثلاثةَ أيّام ، وأعلمنا أنهمشتغل فيها مع الحُرَم .

وقيل : اشْتَغَل الرشيدُ يوماً واصْطَبَح مع الحُرَم وأَصْبَحَتِ السَّماء مُغَيِّمة تَطِشّ طَشًّا خَفِيفا ، فقلت : لأذهَبَنَّ إلى أستاذِى إبراهيم فأَعرِفَ خبرَه ثم أَعُود ، وأمرتُ مَنْ عندى أن يُسَوُّوا لنا مجلساً إلى وقت رُجُوعى ، فجئتُ إلى إبراهيم الموصلىّ وإذَا الباب مفتوح والدِّهْليز قد كُنِس والبواب قَاعِد ؛ فقلت : ما خَبَر أُستاذِى ؛ فقال : ادخُل ، فدخلتُ وإذَا هو جَالِس فى رِواقٍ له ، وبين يدَيْه قُدُورٌ[3] وأَبَارِيق تَزْهر ، والسِّتَارَةُ منصوبة والجوارى خَلْفها وقُدَّامه طَسْتٌ فيه رِطْلِيَّة وكُوزٌ وكأس ، فأخذتُ أترنّم ببعض الأصوات ، وقلت له : ما بال السِّتَارة لستُ أسمع من ورائها صوتًا ؛ فقال : اقعدْ وَيْحَك ! إنِّى أصبحتُ على الذى ظننتَ ، فجاءنى خَبَرُ ضَيْعَة تُجَاوِرُنى ، طلبْتُها وتَمَنَّيْتها زَمَانًا فلم أملِكْها ، وقد أُعطَى بها مِائَةَ ألفِ درهم ، فقلت : فما يَمْنَعُك ؟ فلقد أعطَاكَ الله تعالى أَضْعَافَ هذا المال بِكَثِير ؛ فقال: صدقتَ، ولكن لستُ أطيب نَفْسًا بأَن أُخرِجَ هَذَا المال ، فقلت : فمَن يُعطِيك الساعةَ مائةَ أَلْف دِرْهم ، فقال : والله ما أطمعُ فى ذَلِك من الرَّشِيد ، فكَيْف بِمَن دُونَه ! ثم قال:

---

(١) فى ت : فرجحت : بى .

(٢) فى ت : منازلنا « تحريف » .

(٣) فى غ : قدور تفرغر .

اجلس ، فخُذ هذا الصَّوتَ ، ثم نقَر بقضيب على دواة وألقى على هذا الصوت فى شعر لأبى النضير[١] :

نام الخَليُّونَ مِنْ همٍّ ومن حزن[٢] ... وبتُّ من كَثْرَةِ الأحزانِ لم أنمِ
يا طَالِبَ الجُود والمَعْرُوفِ مُجتَهدا ... إعمِدْ ليحيَى حليفِ الجُودِ والكرمِ

فأخذتُ الصوتَ وأحكمْته ؛ فقال لى : امضِ الساعةَ للوزير يحيَى بْن خالد ، فإنَّك تأتيه قبل أن يَفتحَ البابَ ولم يَجْلس بعد ، فاستأْذِن عليه قبل أن يَصِل إليه أحَد ، فإنه سيُنكِر مجيئَك ويقول : مِنْ أينَ أقبلتَ فى هَذَا الوقتِ ؟ فحدِّثه بقصدك إيَّاى وماألقيتُ إليكَ من خبر الضَّيْعَة ، وأعلِمْه أنى قد صنعتُ هَذَا الصوتَ وأعجبَنى ، ولم أَرَ أحداً يستحِقّه إلاَّ جاريتَه فلانةَ ، وأنّى ألقيتُه عليك لتلقيَه عليها ، فيأمر بالسِّتَارَة ويَدْعوها ، ويُوضَع لك كرسِيٌّ ويقول لك اطْرَحْه عليها بحضرتى ، فافْعَل وائتِنى بِمَا يكُون قال : فجِئْتُ إِلَى باب يَحيَى بن خالد ، فجرَى الأمرُ على كلِّ ما قاله إبْرَاهِيم ، ثم قال : أتُقِيم عندنَا يا أبا المُهَنَّأ أو تنصَرِف ، فقلتُ أنْصَرِف فقال : يا غلام أحمِل مع أبى المُهَنَّأ عشرة آلاف درهم ، واحمل إلى أبى إسْحَاق مِائَة ألْف درهم ثَمنَ الضَّيْعَة فأتيتُ إِلَى مَنزِلى ، ومَضَى الرسولُ بالمَال إِلَى إبْرَاهِيم ، ودخلتُ بيْتى ونثرْتُ على مَنْ عندى دَرَاهم من تلك البَدْرة ، وأكلتُ وشَرِبت وطَربت وتوَسَّدتُها ونمْت ؛ فلمَّا أصبحتُ قلتُ : لآتِيَنَّ أُستَاذى فلأعْرِفَنّ خبَره ، فأتيتُ فوجدت الباب كهيئته بالأمس ، ودخلتُ فوجدتُه كما كان بالأمس ، فترنَّمت[٣] وطربت فلم يَلْق ذلك بِقَبول ، فقلت : ما الخَبَر ؟ ألم يأتِك المَالُ بالأمس ؟ فقال : بلى ! فما خبرك أنتَ ؟ فعرَّفتُه بالمَال

---

(١) اسمه عمر بن عبد الملك ، شاعر من شعراء البصرة . وفى ت : أبى نصير البصير «تحريف» .
(٢) فى غ : سقم .
(٣) فى ت : فنزهت « تحريف » .

الذي أخذتُه وقلتُ : ما ينتظر من خلف الستارة ، فقال : ارفَع السَّجْف فرفعتُه فإذا عشر بِدَر ؛ فقلت : أيُّ شيء بَقِي عليك في أمْرِ الضَّيْعَة ، فقال : ويحك ! ما هُو إلّا أن دخلَ المالُ مَنزلي حتى شَححتُ به وصار مِثْلَ ماحويتُ قَدِيمًا ؛ فقلت : سبحانَ اللهِ ! فتصنَع ماذا ؟ قال : أَقِم حتى أُلقِي عليك صوتًا آخر يفوق ذلك ، فَجَلَسْتُ بين يديه ، فألْقَى عَلَيَّ صوتا آخر في شعر لأَبِي النَّضير أيضا :

وَيَفرَح بالمولود من آلِ بَرْمَك بُغَاةُ النَّدى والسيفُ والرمحُ ذُو النَّصْلِ (١)
وتَنْبَسِط الآمَالُ فيه لِفَضْلِه وَلاسيَّمَا إنْ كان من وَلَدِ الفَضْلِ

قال مُخَارِق: فسَمِعْت مالَم أَسْمَع مثله قطّ ، وصغُر في عَيْني الأَوّل فأَحْكَمْته ، فقال إبراهيم : أُمضِ السّاعَة إلى الفَضْل بن يحيي ، فإنك تجدُه لم يأذَن لأحَد بعد وهو يريد الخَلْوَة مع جَوَاريه اليوم ، فاستأذِنْ عليه ، وحدِّثه بحَدِيثِنا أمس (٢) وما كان من أَبِيه إلينا وإليك ، وأَعلِمه أني صنعتُ هذا الصوت وهو عِندي أرفع منزلة من الصَّوْتِ الأوّل ، وأنِّي وجهتُ به قاصداً لجارِيَته فُلاَنة ، قال : فسرت إلَى باب الفضل ، فجَرَى الأمر على ماقاله ، فسألني عن الخبَر فأعلَمْته بما وَصَل إلَيَّ وإلَيْه من المال ، فقال: أَخْزَى اللهُ إبراهيم ، ما أبْخَلَه على نَفْسه ! ثم ضرب السِّتَارة ، وقال : أَلْقِه ، فلما أَلْقَيْته وغَنَّتْه جارِيته لم تُتِمّه حتى أَقْبَل يجرّ مِطْرفه ، ثم قعد على وسادة ، وقال : أحسنَ واللهِ أستاذُك وأحسنتَ أنتَ ، فأخذَتْه الجَارِية وسُرَّ سرورا شَدِيدا ، وقال : أَقِم عندي اليومَ ، فاعتذَرْت إليه ، فقال : يا غلام أحمل مع أبي المُهَنَّأ عِشْرِينَ ألفَ دِرْهم وإلَى أَبِي إسْحَاق مِائَتي أَلْف درهم ؛ فانصرفتُ إلَى منزلي بالمَالِ وفتحتُ بَدْرة ونَثَرْتُ على جَوَارِي ، وشَرِبت وسُرِرْت ، فلما أصبحتُ بكَّرتُ إلى إبراهيم ، فوجدتُه على

---

(١) في ت : بغاة الندى والسيف والرمح والنصل .

(٢) في ت : بحديثنا أول أمس وأمس .

الحال التى كان عليها، فدخلتُ أترنَّم وأصفق ، فقال : أُدْنُ ، فقلت : ما بقى ؟ فقال: اجلس وارفع سَجْفَ هذا الباب فرفعتُه فإذا عشرون بَدْرة مع تلك العشر ، فقلت : ماتنتظر؟ فقال: ويحك ! ماهو إلَّا أنْ حصلت عندى حتَّى جرى على مجرى ماتقدَّم، فقلت : ما أظن أحداً نال من هذه الدولة ما نلتَ ! فلِمَ تبخل على نفسك بشىء تمنيَّتَه دهراً وقد ملَّكك اللهُ سبحانه أضعافه ! فقال : اجلس نخذ هذا الصوت ، وألقى علىّ صوتاً أنسانِى به الأوَّلين فى شعرِ مَرْوَانَ بنِ أبى حَفْصَة :

إلى جَعْفَرٍ سارتْ بنا كُلُّ جَسْرَةٍ ... طواها سُرَاها نحوَه والتهجُّرُ

إلى وَاسِعٍ للمُجْتَدِين فِنَاؤُه ... تَروحُ عَطَايَاه عليهم وتَبْكُر

قال مُخَارِق : فما سمعتُ بمثله قطّ ، فأخذتُه ثم قال : امْضِ إلى جَعْفَر فافْعَل بِهِ كما فعلتَ بأبيه وأخيه ، ففعلتُ ذلك وأخبرتُه بما كان منهما وعَرضتُ عليه الصوتَ، فسُرّ به وضَرَبَ السِّتَارة وأحضر جَارِيَة وأُقعِدَت[1] على كرسىّ ثم قال : هات يا مُخَارِق ، فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذَتْه ؛ فقال : أحسنتَ يا مُخَارِق وأحسنَ أستاذُك ، فهل لك فى المُقام عندنا اليومَ ؟ فاعتذرتُ ، فقال : يا غُلامُ احْمِل مع أبى المهنَّأ ثلاثين ألف درهم وإلى المَوْصِلِىّ ثلاثمائة ألف درهم ؛ فصرتُ إلى منزلى بالمال ، وأقمتُ ومَنْ فى منزلى مسرورين نشربُ ونلهو ؛ ثم بكَّرتُ إلى إبراهيم فتلقّانى قائماً ، ثم قال : أحسنتَ يا مُخَارِق ؛ فقلت : ما الخبر ؟ فقال : اجلس فجلستُ ، وقال لمَن خلفَ السِّتَارة : خُذُوا فِيماَ أنتم فيه ، ثم رَفَع السَّجف فإذا المال ؛ فقلت : ما خبر الضَّيْعة ؟ فأدخَل يدَه تحت مِسْوَرة هو مُتَّكئ عليها فقال : هذه كُتُبُ[2] الضَّيْعَة سئل عن صاحبها فوُجِدَ ببَغْدَادَ فاشتراها منه يحيى

(١) فى غ : وقعد .

(٢) فى غ : هذا صك .

ابنُ خَالِد ، وكتب إليَّ : قد علمتُ أنَّك لا تَسْخُو نفساً بِشِرَاء⁽¹⁾ هذه الضَّيعة من مال يحصُل لك ولو حِيزَت لكَ الدُّنيا كلها وقد أبتَعْتُها لَكَ مِنْ مَالِي ، ووجَّه إليَّ بكُتُبِها⁽²⁾ ، وهذا المال كما ترَى ؛ ثم بكى وقال : يا مُخَارِق ، إذا عاشَرْتَ فعاشِر مثل هؤلاء ، وإذا خَنْكَرت⁽³⁾ فخَنْكِر لِمِثْل هؤلاء ؛ سِتّمِائة ألف درهم وضَيعة بمائة ألف درهم وستون ألفَ دِرهم لك ، حصلتُ ذلك وأنا جَالِس في مجلسي لم أبْرَح منه فمتى تُدْرِك مثلَ هؤلَاء .

أدرَكنا والله مَنْ يكذِّبُ هذه الأفعالَ كلَّها ويقول : هذا من مَخَارِيقِ الناسِ وَوَضْعِ الورَّاقين وأنَّ هذا لم يكُن قطَّ فلا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله العَلِيِّ العَظِيم .

كان مُوسَى الْهَادِي شَكِس الأخلاق صعب المَرَام⁽⁴⁾، مَنْ توَقَّاه وعرَفَ أخلاقه أعطاه ما أمَّله ، ومَنْ فتح فاه واتَّفَق أن يفتتحه بغير ما يَهوَاه أقْصاه وأبعدَه ، وكان لا يَحْتَجِب عن نُدَمَائه ولا عن المُغَنِّين ويكثر جَوَائِزَهم وصِلاتِهم وبُوَارُها ، فغنَّى إبراهيم يوماً بين يديه ، فقال له : غَنِّ يا إبراهيمُ جِنْسا من الغناء ألَذَّ وأطرب عَلَيَّه ولك حُكْمُك ؛ فقال : يا أَمِير المؤمنين ، إنْ لم يقا بِلْني زُحَل ببرْده رجوتُ أنْ أصِيب . وكان يُصْغِي إلى النَّسِيب والرَّقيق [منه]⁽⁵⁾ فغنيَّتُه لأبي صَخْر الهُذَلِيّ :

وَإنِّي لَيَعْرُونِي لذكراكِ هِزَّةٌ ... كما انْتَفَض العصفور بَلَّلَه القَطْر

فضرب بيده إلى جَيْب دُرَّاعَته فحطَّه⁽⁶⁾ ذِرَاعا ، وقال : أحسنتَ والله ، زدني ، فغنيّْتُ :

---

(١) في ت : لا تسخو نفسك تشترى .
(٢) في غ : ووجهت لك بصكها .
(٣) خنكرت : غنيت .
(٤) في غ : المزاج .
(٥) زائدة في غ .
(٦) في غ : فحطها .

فيـا حُبَّها زِدْنى جوًى كلَّ ليلة ويا سَلوةَ الأيّام موعدُكِ الحشرُ

فضرب بيده إلى جَيْبِ دراعته فحطّه ذراعا آخر، وقال: زِدْنى وَيْلك! والله أحسنتَ ووجب حُكمُك فغنيّته:

هجرتُك حتّى قِيل: مايعرف القِلا(١) وزُرتُك حتّى قِيل: لَيسَ له صَبْر

فرفع صوته وقال: أحسنتَ واللهِ، هاتِ ما تُرِيد، فقلت: يا سيدى عيْن(٢) مروان بالمدينة، فدارت عيْناه فى رأسه حتى صارتا كأنّهما الجمرتان، وقال: يا ابن اللَّخْناء أردتَ أن تَشْهرَنى بهذا المجْلس فيقول الناس: أَطْرَبه فحكّمه فحكَم عليه، فتجْعَلنى سَمَرًا وحديثا! يا إبراهيم الحرّانى: خُذْ بيد هذا الجاهِل وأدْخِله بيتَ المال الخاصّ فإن أخذ كُلَّ ما فيه فخلّه وإيّاه، فدخلتُ فأخذت خمسين ألفَ دِينار.

قال إسحاق: كان رجل من آل نَهيك قد تعاطى علم الغناء، فلما ظنّ أنه أحكمه شاوَرَنِى فيه وأبى حاضِر، فقلت له: إنْ قَبِلت منّى فلا تُغَنِّ فلستَ فيه كما أَرْضَى، فصاحَ أَبِى علىّ صيحةً شَدِيدَة ثم قال لى: ومايُدرِيك ياصبى! ثم أقبل على الرّجل وقال له: يا حَبِيبى أنت بِضِدِّ ما قَالَ، وإن أنتَ لَزِمْتَ الصّناعةَ بَرَعت، فلما خَلَا بى قال لى: يا أَحْمَق! ما عليك أن يُخزِىَ اللهُ مثل هــذا! هؤلاء أغنياء مُلُوك وهم يُعَيِّروننا بالغِناء، فدَعْهم يَتَهتّكوا به ويُعَيَّروا ويَفتَضِحُوا ويحتاجُوا إلينا فَنَنْتَفِعَ بهم، ويبِين فضلُنا عليهم، فلزمه النَّهِيكىّ فأخذ عنه، فكان إذا غنّى فأحسنَ قال له: باركَ اللهُ عليك، وإذا أساء قال له: بارك اللهُ فيك

(١) فى غ: الهوى.

(٢) فى ت: غنى «تحريف».

وكثر ذلك حتّى عرَف النَّهيكيّ معناه ، فغنّى يوما وأبى ساهٍ عنه فسكت ولم يقل له شَيْئاً ؛ فقال: جُعلتُ فِدَاكَ ، يا أُستاذ ؛ هذا الصوتُ من أصوَات « فيك » أو « عليك » ؟ فضحك أبى ولم يكن عَلِم أنه فَطِن لذلك ، ثم قال : والله لأُقْبِلَنَّ عليك حتى تصيرَ كما تَشْتهى ، فإنّك ظَرِيفٌ أديب ؛ وعُنِيَ به حتى حَسُنَ غِنَاؤُه وتَقَدَّم .

قال إسْحَاق : غَنَّى أَبى يوما بحضْرَة الرَّشيد :

سَلِى هل قَلاَنِى من عَشِيرٍ صَحِبْتُه ۝ وهل ذَمَّ رَحْلِى فى الرِّفاق رَفِيق

فطرب واستَعادَه وأمر له بألف دينار[1] ، فلمّا كان بعد سِنِين ، خَطَر لى أنْ أُغَنّيه وذكرتُ قِصَّته ، فغَنَّيْتُه إيّاه ، فطرب وشرب ، ثم قال: يا إسحاق ، كأنى فى نفسك وقد ذكرتَ حديثَ أَبيك وأنى أَعْطَيْتُه ألفَ دِينار على هـذا الصَّوْت فطمِعْتَ فى الجائزة ! فقلت : والله يا سَيِّدى ما أخطأتَ ما فى نفسى ! فقال : قد أخذ أَبُوك ثَمَنه مَرَّة فلا تطمع ؛ فعَجِبت من قوله ، ثم قلت : يا سَيِّدى ، أَخذ أَبى منك أَكْثَر من مِائتى ألفِ دِينار ما رأيتُك ذكرتَ منها غير هذا لضَعْفِ حَظِّى ؛ فقال : ويْحَك أكثر من مِائتى ألف دِينار ؟ ! فقلت : إى والله ! فوجم ساعة ثم قال : أستغفِر الله مِنْ ذلك ، ويحك ! فما خَلَّف منها ؟ فقلت : خَلَّف عَلَيَّ خمسةَ آلاف دِينارٍ دَيْناً قضيتُها عنه ؛ فقال : ما أَدْرِى أَيُّنا أَشَدُّ تفْرِيطاً وتَضْييعاً والله المُسْتَعان .

قال أبو عُثْمَان يَحْيَى المَكّىّ[2] : تَشَوّق إبْرَاهيمُ إلى سِرْدَابٍ له ، كانت فِيهِ بِرْكَةَ ماء يَدْخُل من مَوْضِعٍ إليه ويخرج إلى بُسْتان ، فاشْتَهى أن يَشْرَب يومَه فيه ويَبِيتَ فيه ، فبَيْنَا هو نَائِم نِصفَ اللّيْل فى السِّرْدَاب وإذَا سِنَّوْرَتَان قد نزَلتا[3]

---

(١) فى غ : بعشرين ألف درهم .

(٢) فى ت : المالكى .

(٣) فى ت : سنوران قد نزلا .

من دَرَجة السِّرْدَاب ، بيضاء وسوداء ، فقالت إحداهما : أتُرَاه[١] نائما ؟ فقالت البيضاء[٢] : نعم هو نائم ؛ فاندفعت السَّوْداء فغنَّت بأحسن صوت :

عفَا مُزج[٣] إلى لَصَق[٤] إلى الهضَبات من هكِرِ[٥]
إلى قاعِ النَّقِير[٦] إلى قَرَار حِلَالٍ[٧] ذِى حَذَرِ

فمات إبراهيم فَزَعاً[٨] وقال : يا ليتهما أعادَتَاه[٩] ! فأعادتاه مرارا حتى أخذه ، ثم تحرَّك فغابت السنورتان[١٠]، وسمع إحداهما تقول للأُخْرَى : والله لا طَرَحه على أحدٍ إلَّا جُنَّ ، فطَرَحه على جارِيَة له من غَدٍ فجُنَّتْ .

قال إبْرَاهِيم المَوْصِلِيّ : أتيتُ الفضلَ بْنَ يَحْيَى يوماً ، فقلت له : جُعِلْتُ فِدَاك ! هَبْ لى دَرَاهم فإنَّ الخليفَة حَبَس بِرَّه[١١] عنى ، فقال : وَيْحَك يا أبَا إسْحَاق ! ما عندى ما أرضاه لك ، ثم قال : هاهنا خَصْلة[١٢] ! أتانا رَسُولُ صاحب اليمن فقضَيْنا حوائِجَه ، فوَجَّه بخَمْسِين ألف دِينَار نشترى بها ما نُحِب ، فما فَعَلَت ضِيَاء جارِيتك؟ قلتُ : عندى ، قال : فهُو ذَا أقُولُ لهم يَشْتَرُونَها منك فلا تَنْقُصْها من خَمْسِين ألف

(١) فى ت : تراه .
(٢) فى غ : السوداء .
(٣) مزج : ماء بينه وبين المدينة ثلاثون فرسخا أو نحوها . وفى ت : مرج «تصحيف» .
(٤) لصق لعله مصحف عن لصف بالفاء ، بركة غربى طريق مكة بين المغيثة والعقبة .
(٥) هكر : موضع على نحو أربعين ميلا من المدينة .
(٦) النقير : موضع بين هجر والبصرة .
(٧) حلال : من نواحى اليمن .
(٨) فى غ : فرحا .
(٩) فى غ : أعاداه .
(١٠) فى ت : فغاب السنوران .
(١١) فى غ : يده .
(١٢) كذا فى ت ، و غ ، والخصلة : إصابة الغرض ، ولعل المقصود أن هناك مخرجا لتحقيق غرضك .

دِينار ، فقبّلْت رأسَه ثم انصرفتُ ، فبكَّر علىّ رَسُولُ صاحبِ اليمن ومَعَه صَدِيق لِي ولَه ، فقال : جارِيَتُك فُلاَنة ؟ قلت : عندى ، قال : أعرِضْها عَلَىّ ، فأخرجْتُها ، فقال : بِكَم ؟ قلت : بخَمْسِين ألفَ دِينَار ولا أنقُص منها ديناراً واحِداً ، وقد أعْطانى الفضلُ بنُ يَحْيَى أمس هذه المَطِيَّة ، فقال : هل لك فى ثَلاَثِين ألفَ دِينَار مُسَلَّمَة ؟ وكان شِرَاؤُها على أرْبَعمِائة دِينار ، فلما وقع فى أذنى ذِكْرُ ثَلاثِين ألف دينار دَهِشْت ، وأَشَار عَلَىَّ صَدِيق الذى معه بالبيع ، وخِفْتُ واللهِ أن يحدُث بالجارية حَدَثٌ أو بى أو بِالفَضْل بن يَحْيَى ، فسلَّمْتُها وأخذتُ المَال ؛ ثم بكَّرت على الفَضْل ، وإذا هو جَالِس وحده ؛ فلما نَظَر إلىَّ ضحك ، وقال لى : يا ضَيِّقَ العَطَنِ والحَوْصَلَة ! حرَمْتَ نفسَك عِشْرِين ألفَ دِينَار ؛ فقلت له : جُعِلْتُ فِدَاك ، دَعْ ذا عنك ، فوالله لقد داخلنى[(١)] شىء أعْجِز عن وصفه وخِفت أن يَحْدُثَ بى حَادِث أو بالجارِية أو بِالمُشْتَرِى أو بِكَ ، أعاذَكَ اللهُ من كل سوء ، فبادرتُ بقبول الثَّلاثين ألف دينار ؛ فقال : لا ضَيْرَ ، يا غلام جِئنى بجاريته فجِىء بها بعَيْنها ؛ فقال: خُذ بِيَدِها وانْصَرِف مبارَكاً لك فيها ، فما أردْنا إلَّا منفعَتَك ولم نُرِد الجارِيَة ؛ فنهضْتُ بها ، فقال لى : مكانَك ، إنَّ صاحِبَ إرْمِينِيَة قد جاءنا فقضينا حوائجه ونَفَّذْنا كُتُبَه ، وقد ذَكَر أنه جاء بِثَلاثِين ألفَ دينار نَشْتَرِى بها مانُحِبّ فاعرِض عليه جارِيَتك هذه ولا تَنْقُصها عن ثَلاثين ألف دِينار ؛ فانصرفتُ بالجارية وبكَّر علىّ رَسُول إرْمِينِيَة ومعه صديقٌ لى آخر ، فقَاوَلَنى بالجارية ، فقلتُ له : لست أنقصها عن ثلاثين ألف دينار ؛ فقال لى : معِى عِشرون ألفَ دينار مُسَلَّمَة ، خُذْها بارك اللهُ لَكَ فيها ، فدَاخَلَنى[(١)] مثلُ الذى دَاخَلَنى أوَّل مرة ، وخِفْت مثلَ خَوْفِى الأوَّل فسَلَّمْتُها[(٢)] وأخذتُ المال ؛

---

(١) فى غ : دخلنى .

(٢) فى ت : فسلمها .

وبكّرت على الفضل بن يحيى ، فلما رآنى ضَحِك وضَرَب بِرِجْله ثم قال : وَيْحَك ! حرَمْتَ نفسَك عشرةَ آلاف دِينَار أخرى ، فقلت : خِفْت والله كما خِفْت أولا ، فقال لى : لا ضير ، يا غُلَامُ جارِيَته ، فجِىء بها وقال : خُذْها ما أردْنَاها ولا أردْنا إلّا منفعَتَك ، فلما ولّت الجارِيَة صِحْتُ بها : ارْجعى فرجعتْ ، فقلت : أُشْهِدك أنها حُرَّة لوَجْهِ الله تعالى ، وقد تزَوَّجْتُها على عشرة آلاف دينار(١) ، فإنها أكْسَبَتْنى فى يَوْمَيْن خمْسِين ألفَ دِينَار ، فما جزَاؤها إلّا هذا ، فقال : وُفِّقْتَ إن شاء الله تعالى .

كان الرَّشيدُ قد وجد على منصور زَلْزَل لشىء بَلَغَه عنه ، فحَبَسَه عشرَ سِنين أو نَحْوَها ، فقام الرَّشيد يوما لحاجَة فجعل إبراهيم يُغَنِّى صوتاً صنعه فى حَبْس زَلْزَل وهو :

هل دهْرُنا بِكَ رَاجِعٌ يا زَلْزَلُ ... أيامَ يَبْغِينَا العــدوُّ المُبْطِل
أيامَ أنتَ من المَكارِه آمِنٌ ... والخــيرُ مُتَّسِع عَلَيْنَا مُقْبِل
يا بُؤْسَ مَنْ فَقَد الإمامَ وقُرْبَه ... ما فَاتَه من لَذَّة(٢) لو يَعْقِــل
ما زلتُ بعــدَك فى الهموم مُرَدَّدًا ... أبكى بأربعــةٍ كَأَنِّى مُشْكِل

فدخل الرشيد وهو فى ذلك المجلس وقال : يا إبراهيم ، أىّ شىء كنتَ تقُول ؟ فقال : خيراً يا سيّدى ؛ فقال : هَاتِه فتَلَكّأ ، فغَضِب الرشِـيدُ وقال : هَاتِه فلا مَكْرُوهَ عليك ، فرَدّ الغناء ؛ فقال له : أَتُحِبّ أن ترَاه ؟ فقال : وهل يُنْشَرُ أهلُ القُبور ؟ فقال : هاتوا زلْزلًا ، فجاءوا به وقد ابيَضَّ رأسُه ولحيته فسُرّ إبراهيمُ ؛ وأمره الرشيد فجلَس ، وأمر إبراهيم فغَنَّى وضرَب عليــه زَلْزَل فزَلْزَلا الدُّنيا ، وشَرِب الرشيد على ذلك رِطلا ، وأمر بإطلاق زَلْزَل وأسْنَى جائزَتَهما وصَرَفه إلى منزله .

---

(١) فى غ : درهم .

(٢) فى غ : ماذا به من ذلة .

وزلزلُ أوّلُ من أحدث هذه الميدَان الشَّبَابِيط[١]، وكانت قَدِيمًا على عَمل عِيدَان الفُرْس، فجاءت عَجَبا من العَجَب، وكانت أُخْت زَلْزَلَ تحت إبراهيم وولدَت مِنْه .

قال إبرَاهيم : خرجتُ مع الرَّشِيد إلى الشام لَمَّا غزَا ، فدعانى يوماً فدخلتُ إليه إلى مَجْلس لم أرَ أحسنَ منه مفروشٍ بأنواع الرُّخَام ، فأكل وأمرنى فأكلتُ معه ، وتَولّيتُ خدمتَه إلى العصر ، ثم دعا بِالنَّبِيذ فشرب وسقانى معه ، ثم خَلَع علىّ خِلْعَةَ وشْى مِنْ ثِيَابه وأَمر لِى بألفِ دِينَار ، ثم قال : أُنظر يا إبراهيم ، كَمْ من يَدٍ أوليتُك إيَّاها اليومَ ! نادمْتَنى مُنْفرِدًا ، وآكَلْتَنِى[٢] ، وخلعتُ عليك ثِيَابى من بَدَنِى[٣] ، ووصلتُك ، وأجلستُك فى إيوان مَسْلمة بن عبد الملك تَشْرَب معى ؛ فقلت : ماذهَب عَنِّى هذا من مِنَّتك ، وإنَّ نِعَمَك[٤] عندى أكرمُ من أَنْ تُحْصَى، ثم قَبَّلْتُ رِجلَيْه والأرضَ بيْن يَدَيْه .

جَلَس الرشيدُ يوماً فقال لجعفر : قـد طال سَمَاعُنا هَذِه العِصَابة على اخْتِلاط الأمرِ فيها فهلمَّ أُقاسمْك إياها وأُخَايِرْك ، فاقْتسما المُغَنِّين ، على أن جَعَلا بإزاء كل رجل نَظِيرَه ، فكانَ ابْنُ جامع فى حَيِّز الرّشيد وإبراهيم فى حيِّز جَعْفَر بن يَحْيَى . وحضَر النُّدماء لِمِحْنَةِ المغنين . وأمر الرَّشيدُ ابنَ جَامع فغَنَّى لقَيْس بن ذَرِيح :

بكيتُ نَعَم بكيتُ وكل إلْف ... إذَا غابت[٥] قَرِينَتُه بَكَاها
وما فارقتُ لُبنَى عن تَقَالٍ ... ولـكن شِقوَةٌ بلغَت مَدَاها

---

(١) الشبابيط: جمع شبوط؛ ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط لين المس صغير الرأس كأنه بربط « عود ».

(٢) فى ت : واكلتنى .

(٣) فى ت : يدى .

(٤) فى ت: نعمتك .

(٥) فى غ : بانت .

فأحسن فيه كُلَّ الإحسان وطَرِبَ الرشيدُ غايةَ الطَّرَب(١) ، فلما قطعه قال الرَّشيد لإبراهيم : هَاتِ يا إبراهيم هذا الصوت فغَنِّه ، فقال : لاوالله ياأميرَ المؤمنين ما أعرفه وظهر(٢) الانكسار فيه ؛ فقال الرَّشيد لِجَعْفر : هـذا وَاحِد ، ثم قال لإسْمَاعيل بن جامع : غَنِّنَا ، فغَنَّى للعَبَّاس بْنِ الأَحْنَف :

نَزَفَ البكاءُ دموعَ عَيْنِك فاستَعِر   عيناً لِغَيْرِكَ دمعُها مِدْرَارُ
مَنْ ذَا يُعيرك عينَه تبكِي بِهاَ   أرأيتَ عيناً للبكاء تُعَارُ

فَفَضَل الصَّوتَيْنِ(٣) الأَوَّلَين وتَقَدَّمَهما ، فلما أَتَى على آخره قال الرَّشيد : ياإبراهيمُ هَاتِه ، فقال : ولا أَعْرِف هذا فقال له جَعْفَر : أَخْزَيْتَنا أَخْزَاكَ الله . وأَتمّ ابنُ جَامع يومَه والرَّشِيد مَسْرُور به ، فأجازَه جَوَائِز كَثِيرة وخلَع عليه خِلَعاً فاخرة ، ولم يزل إبراهيمُ مُنْخَذِلا مُنْكَسرا حتى انْصَرَف . فمَضَى إلى منزله ، فلم يَسْتَقِر حتى بَعَث إلى مُحَمَّد الرَّفّ(٤) ، وكان من المُحسنين وأسرعَ مَنْ [عُرِفَ فى](٥) أخْذِ الصوتِ فى أيّامه ، وكان الرَّشِيد وَجَد عليه فى بعض ما يَجِده الملوكُ على أمثاله فألزَمه بيتَه وتناساه ؛ فقال إبراهيم للرَّفّ : إنى اخترتُك لأمرٍ لا يصلُح له غيرك ، فانظُر كيف تَكون ! قال: أبلغُ فى ذلك محبّتك(٦) ؛ فأدّى إليه الخبر وقال : أريد أن تَمضِي السَّاعة إلى ابن جَامِع ، فتُعلمه أنّك صِرْتَ إليه مُهَنِّئا بما تَهَيَّأله علىّ وتَنَقَّصُنِي وتَثْلُبنِي ، وتَحْتال فى أنْ تَسْمع منه الأَصْوَات وتأخذُها ، ولك علىّ ماتُحِبُّه مِنّى

---

(١) فى ت: وأطرب الرشيد غاية الإطراب .

(٢) فى ت : وأظهرت.

(٣) فى غ : ما يدل على أن ابن جامع غنى ثلاث مرات ، ذكر ابن منظور منها الأول والثالث ولم يشر إلى الثانى إلا فى قوله هنا الصوتين .

(٤) فى غ : الزف بالزاى المعجمة .

(٥) ساقط من ت .

(٦) فى ت : أبلغ لك محبتك.

من عَرَض مع رِضَاء الخليفة عنك . فمَضَى واستأذن على ابْنِ جَامِع . فسَلّمَ عليه وقال : جئتُك مُهَنئاً بما بلَغَني مِن خَبرك ، والحمدُ لله الذى أَخْزَى ابن الجرْمُقَانِيّة(١) : على يَدِك ، وكشف الفضلَ فى محلّك من صناعتك ، فقال : وهل بلغك خبرُنا ؟ فقلت : هو أشهرُ من أنْ يَخْفَى على مِثْلى ؛ ثم قال: سَرَّنِى أنْ أَسْمَعَه منْ فِيك حتى أَرْوِيه عَنْك ، قال : أَقِم عندى حتى أفعلَ ؛ فقلتُ : السمعُ والطاعة ، فدعا ابْنُ جامع بالطَّعام فأكَلَا [ودعا](٢) بالشراب ، وابتدأ يُحَدِّثُه بالخبَر حتى انْتَهى إلَى الأَصْوات فغنَّاها ومحمد يُصَفِّق ويَنْعَر ويَشْرَب وابنُ جامع مُجْتَهِد فى شأْنه حتى أخذَهُم عَنْه وأَحْكَمَهم ثم قال : يا أُسْتَاذ ، قد بَلَغْتُ ما أُحِب فأْذن لى فِي الانْصِراف ، فقال : إذا شِئْتَ ؛ فانصرف محمد من وجهه إلَى إبْرَاهيم ؛ فقال له : ماوَرَاءَك ؟ فقال : كُلّ ما تُحِب فادْعُ لِى بِعُود ، فدَعَا به فضرب فغَنَّاه الأصوات ، فقال إبراهيم : هِيَ هِيَ بأعْيَانِها ، ثم رَدَّدَها حتى صَحَّت له ، وانْصَرَف الرّفُ إلى منزله ، وبكّر إبراهيم إلى الرَّشيد فلمَّا دَعَا المُغَنِّين دخَل فِيهم ، فلما بَصُر به الرشيد قال له : أوقَد دَخَلْت ! أما كانَ يَنْبغى لك أن تَجْلِس فى بَيْتِك شَهْرا بِسَبَب ما لَقِيت مِنْ ابنِ جامع ! قال : ولِمَ ذَاكَ ياأَمِيرَ المُؤْمنين جَعَلنى الله فداكَ ؟ ! وإنْ أَذِنْتَ لى أنْ أَقُولَ قُلْتُ ؛ قال : وما عَسَى أن تقول ؟ قال : إنّه ليس لى ولا لِغَيْرِى أن نَرَاكَ نَشِيطاً فى شَيْءٍ فنُعَارِضَك فيه ، ولا أن تكونَ مُتَعَصِّباً لأحد فنُغَالِبَك فيه ، وإلّا فما فى الأَرْضِ صَوْت إلّا أعْرِفه ، فقال له : دَعْ ذا قد اعترفْتَ أمْس بالجَهالَة بما سمعتَ من صاحِبنا ، فإن كنتَ قد أمسكتَ عنه بالأمْس على معرفة

(١) الجرمقانى واحد الجرامقة : وهم قوم من العجم صاروا بالموصل فى أوائل الإسلام .
(٢) ساقط من ت.

فهاتِه اليومَ ، فليسَ ها هنا عَصَبِيّة ، فاندفع ومَرَّ على الأصوات كلِّها وابنُ جَامِع يَسْمَع حتّى أتَى على آخرها ؛ فاندفع ابنُ جَامِع يَحْلِف بالأَيْمَان المُحْرِجَة أنَّه ما سَمِعها قطّ ولا هِيَ إلّا من صَنْعَته ، ولم تَخْرُج إلى أحد غيره ؛ فقال له : وَيْلَك ما أحدَثْتَ بَعْدِي ؟ فقال : ما أحدَثْتُ حَدَثًا ؛ فقال : يا إبراهيم بحيَاتى أصدُقنى ! [فقال][1] : وحياتِك لأَصْدُقَنَّك . رميته بحَجَرِه ، بعثْتُ إليه بمُحَمَّد الزَّف وضَمِنْتُ له ضَمَانات ، منها رِضاك عنه ، فمَضَى واحْتَالَ عَلَيْه حتَّى أَخذَها منه ونَقَلَها إِلَيَّ ، وقد سَقَط الآن عنى اللَّوْمُ بإقْرَارِه أنّها له ؛ لِأَنّه ليس عَلَيَّ أن أعرف ما صَنَعَه هو ، وهذا بَابٌ من الغَيْب ، وإنَّما يلزَمُنى أن يَعْرِف شيئاً من غِناء الأَوَائل وأَجْهَلَه أنا ، وإلّا فلو لَزِمنى أن أروى صَنْعَتَه للزمه أنْ يَرْوِى صَنْعَتى ، ولَزِم كلَّ واحدٍ منا لسائر طَبَقته ونُظَرَائه مِثلُ ذَلِك ، فمَنْ قَصَّر عنه كان ناقصًا ؛ فقال له الرَّشيدُ : صدَقْتَ يا إبْرَاهيم ، وقُمْتَ بحُجَّتك ؛ ثم أَقْبَل على ابْنِ جامع فقال : أُتِيتَ ! دُهِيتَ ! أبطَلَ عليك المَوْصِلِيُّ ما فعلتَه بالأَمْس وانْتَصَف منك، ثم دعا بالزَّفّ فرَضِيَ عَنْه .

قال الرَّشِيدُ لإبْرَاهِيم بن المَهْدِى وإبْرَاهيم المَوْصِلِيّ وابْنِ جَامِع وابْنِ أَبِى الكَنَّات : باكِرُونى غداً ، وليَكُن كل واحد منكم قد قال شِعْراً إن كان يَقْدِر أن يَقُوله ، وغَنَّى فيه لَحْنا وإن لم يكن شَاعِرا غَنَّى فى شِعْر غَيْرِه . قال إبراهيم بْنُ المَهْدِى : فَقُمْتُ فى السَّحَر وجَهَدت على أن أقدِر على شىء أَصْنَعه فلم يَتَّفِق ، فلمَّا خِفْت طلوعَ الفجْر دعوتُ بِغِلْمانى وقلت لهم : أُرِيد أنْ أَمْضِى إلى موضع ولا يَشْعُر بى أَحَد حتى أَصِير إليه ، فقمت فرَكِبْت وقصدتُ دَارَ إبراهيم المَوْصِلِى ، وقد كان حَدَّثنى أنّه إذا أرادَ الصَّنْعةَ لم يَنَم حتى يُدبِّر ما يحتاجُ إليه ،

---

(١) ساقطة من ت .

فلمَّا قام لحاجَته فى السَّحَر اعْتَمَد على خَشَبَة له فى المُسْتَرَاح ، فلم يزَل يَقرَع عليها حتى فرَغ من الصوتِ وترَسَّخ فى قلبه ، فجئتُ حتى وقفت تحتَ مُستراحه ، فإذَا هو يُرَدِّد هذا الصوت :

إذا سُكِبَت فى الـكَأْس قبل مِزاجها ... ترَى[1] لونَها فى جِلدة الـكَأْس مُذْهَبَا

وإنْ مُزِجَت راعت بلونٍ تَخَاله ... إذَا ضُمِّنَتْه الـكَأْسُ فى الـكأس كوكَبَا

فما زلتُ واقفا أسمع الصوتَ منه حتى أخذتُه ؛ ثم غدَوْنا إلَى الرشيد ، فلما جلسنا للشرب خرج إلىَّ الخادمُ فقال : يقول لك أَميرُ المؤمنين يا أبن أمٍّ غنِّنِي ؛ فغنَّيْتُ هَذَا الصوتَ وإبراهيم الموصلى فى المَوْت حتى فرغْتُ منه ، فشرب وأمر لى بثلاثمائة ألف دِرْهم ؛ فوثب المَوْصِلِى وحَلَف بالطَّلاق وبحَيَاةِ الرَّشيد أنَّ الشِّعْرَ له قالَه البارحة وغَنَّى فيهِ ، ما سَبَقه إليه أَحَد ؛ قال إبراهيم : فقلت: ياسَيِّدى فمِن أينَ هُوَ لِى لولا كَذِبُه وبهْتُه ! وإبرَاهِيم يَضْطرِب ويَصِيح[2] ؛ فلمَّا قضيتُ أَرَبِى من العبَث به قلتُ للرشيد : الحَقُّ أحَقُّ أن يُسْتَعْمَل ويُتَّبَع ، وصدَقْتُه ؛ فقال الرَّشيد للمَوْصِلِى : إنَّ أَخِى قد أَخَذَ المَالَ ولا سَبِيل إلَى رَدِّه ، وقد أمرتُ لك بِمائة ألفِ درهم عِوَضاً عَمَّا جرى عَلَيْك ، فلو بَدَأْتَ بالصَّوْت لـكان هَذَا حَظَّك ، فأَمَر بها فحُمِلَت إلَيْه .

هَبَّ الرشيدُ ليلةً من نومه ، فدَعَا بِحِمَار كان يرْكَبُه فى القَصْرِ أسودَ قَصِيرٍ قَرِيب من الأَرْضِ فركبه ، وخرَجَ فى دُرّاعة وَشْىٍ مُلَثَّماً بعمامة وَشْىٍ ملتحفاً بإزَار وَشْىٍ وبَيْن يدَيْه أربعُمائة خادم ما بين أَبْيَضَ وأَسْوَدَ سِوَى الفرَّاشين، وكان مَسْرورٌ الفرْغَانِى جَرِيئاً[3] عليه لـكانه عنده ، فلمَّا خرج من باب القصر قال : أيْنَ تُرِيد ياأميرَ المؤمنين فى هَذِه السَّاعة ؟ قال : أُرِيد دَارَ إبراهيمَ المَوْصِلِى . قال مَسْرُور : ثم مَضَى

---

(١) فى ت : سرى .

(٢) فى غ : ويضج .

(٣) فى ت : جريا « تحريف » .

ونحن بَيْنَ يديه حتى أنتهى إلى دار إبراهيم ، فخرج وتلقَّاه وقبّل حافر حماره وقال : ياأميرَ المؤمنين ، فى مثل هذه الساعة تظهر ! قال : نعم ، شوق حارَ قنى بك[١] ، ثم نزل فجلس فى طرف الإيوان وجلس إبراهيم ، وقال إبراهيم : ياسيِّدى آتيك بشىء تأكله ؟ قال : نعم شىء من ظَبْى ، فأتى به فكأنما كان أعدَّه ، فأصاب منه شيئاً ، ثم دعا بشراب حُمل معه ، فقال الموْصلى : أؤغنيك أم تغنّيك إماؤك ؟ قال : بل الجوارى ، فخرجت الجوارى من صدْر الإيوان ، فقال إبراهيم : أيضربن كلّهن أم واحدة واحدة ؟ فقال : بل يضربن اثنتان اثنتان وتغنّى واحدةٌ فواحدة ، ففعلن ذلك حتّى مرّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيْه والرشيدُ يسْمع ولا ينْشط لشىء من غنائهن حتى غنّت صبيَّة من حاشية الصُّفَّة :

يامُورِىَ الزَّنْدِ قد أعيت قوادحُه[٢] إقبِس إذا شئْتَ من قلْبى بمقْباس
ما أقبحَ الناسَ فى عَيْنى وأسمجهم إذا نظرتُ فلم أُبصرك فى النَّاس

قال : فطرِب لغنائها واستعاد الصوتَ مرارا وشرب أرْطالاً ، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكتْ ، فاستدْناها فتقاعست ، فأمر بها فأقيمت حتى وُقفتْ بين يدَيْه ، فأخبرته بشىء أسرّته إليْه ، فدعا بحماره فركبه ، ثم التفت إلى إبراهيم فقال : ما ضرّك ألّا تكونَ خليفة ؟ فكادت نفْسُ إبراهيم تخرج ، حتى دعا به وأدْناه بعد ذلك . وكان الذى أخبرته به أنّ الصنعةَ فى الصّوْت لأُخْته عُلَيَّة وكانت لها ، وجّهت بها إلى إبراهيم يُطارِحُها .

قال إبراهيم الموْصِلىّ : بينا أنا بمكّة أجولُ فى سككها إذا أنا بسوداءَ قائمةٍ ساهيةٍ باكيةٍ ، فأنكرتُ حالها وأدمتُ[٣] النظر إليها فازدادت بكاء وقالت :

(١) فى غ : طرق لك بى .
(٢) فى ت : قوادمه « تحريف » .
(٣) فى غ : أدمنت .

أَعَمْرُو عَلَامَ تَجَنَّبْتَنِي أخذتَ فؤادِي فعذّبْتَنِي
فلو كنتَ يا عمرو خَبَّرْتَنِي[١] أخذتُ حِذَارِي فَمَا نِلْتَنِي

فقلتُ لها : ياهذه، مَنْ عَمرو؟ فقالت: زوجي،فقلت: وما كَانَ مِنْ حَالِه؟ فقالت: طَلَبَنِي ومازال يَطْلُبُنِي حتى تَزَوّجَنِي، فمَكَثَ معي قَلِيلًا ثم مَضَى فلم أَرَه ؛ فقلت : صِفِيهِ لي ؛ قالت : أحسنُ من رأيتُه سُمْرَةً وأحلاهُم حَلَاوَةً وقدًّا ، فركِبْتُ رَوَاحِلِي مع غِلْمَانِي وسِرْتُ[٢] إلى جُدَّة ، فوقَفْتُ في موضع المَرْفَأ أتبصَّر مَنْ يَحْمِل من السُّفُن، وأمرتُ من يُصَوِّت : يا عَمْرُو ياعَمْرُو، فإذا أنا به خارجاً من سفينة على عنقه صَنٌّ[٣] فعرفتُه بصِفَتِها ونعتِها إيّاه فقلت :

أعمرُو عَلَامَ تَجَنَّبْتَنِي أخذتَ فُؤَادِي فَعَذَّبْتَنِي

فقال : هِيه ! أرأيتَها وسَمِعْتَ مِنْها ؟ فقلت : نعم، فأطرقَ يَبْكِي ، ثم اندفع يغنِّي به ، وإذا أصلحَ غِنَاء سمعتُه ، وردّدَه ، وإذَا هو أحسنُ النّاسِ غِنَاءً ؛ فقلت له : أَلَا تَرْجِع إليها ؟ فقال : طَلَبُ المعاشِ يَمْنَعُنِي ؛ فقلت له : كم يَكْفِيك في كلِّ سَنَة ؟ فقال : ثلاثمائَة دِرْهم ؛ فأعطيتُه ثلاثة آلافِ درْهم ، وقلت له : هـذا لعَشْر سِنِين على أن تُقِيمَ مَعَها ، فلا تَطلب المعاشَ إلّا بحيث هي مقيمةٌ معك ، ويكُون ذلك فَضْلًا، ورددْتُه مَعِي إِلَيْها .

كان إبراهيم يألَف خَمَّارة بالرَّقّة يقال لها بِشْرَة[٤] تنزل الهَنِيءَ والمَرِيء[٥] ، وكان لها بِنْتٌ أحسنُ النَّاسِ وجْهًا . فمِمَّا قَالَ فِيهَا :

(١) في ت : جربتني .
(٢) في غ : وصرت .
(٣) الصن : شبه السلة المطبقة ؛ يجعل فيها الطعام والخبز ، وفي ت : صنم « تحريف » .
(٤) بشرة : اسم جارية عون بن عبد الله . وفي ت : بسرة .
(٥) الهنيء والمريء : نهران حفرهما هشام بن عبد الملك يسقيان عدة بساتين يستمدان من الفرات ويصبان فيه .

وزعمتِ أَنِّى ظالم فهجرتِنى ... ورميتِ فى قَلْبى بسَهْم نَافِذ
ونَعَم ظلمتُكِ فاغفِرِى وتجاوَزِى ... هذا مَقَامُ المُسْتَجِيرِ العَائِذِ

قال إبراهيم : بينا أنا عَشِيَّةً فى منزلى إذْ أتانى خادم من خَدَم الرّشيد فاستحثّنى على رُكُوبى إليه فجئته رَكْضًا ، فعدَل بى عن مَدْخَل الدّار إلَى طَرِيق لا أعْرِفها ، فانتَهى بِى إلى دَارٍ حَدِيثَةِ البِنَاء ، فدخلتُ صَحْنا واسِعاً ، وكان الرّشيد يشتهى الصحونَ الوَاسِعَة ، فإذا هو جالِس على كُرْسِىّ فى وسط ذَلِك الصّحْن ، ليس عنده أحد إلّا خادِمٌ واحد يسقيه ، وهو فى لِبْسَةِ الصّيْف عَلَيْه غِلَالَةٌ رقيقة مُتَوَشِّح عليها بإزار سِنْدِىّ[1] عرِيض العَلَم مُضَرَّج أحمر ؛ فلما رآنى هَشَّ إلَىَّ وسُرَّ ، وقال : يا مَوْصِلِى ، إنى اشتهيتُ أن أجلس فى هذا الصَّحن فلم يَتَّفق لى إلّا اليوم ، وأحببتُ ألّا يكونَ مَعِى ومعك أَحَد ، ثم صاح : يا غُلَام فجاءه مِائَةُ وَصِيف من الأرْوِقَة مُسْتَتِرِين بحيث لا يرَاهُم ، فقال : مُقَطعة لإبْرَاهِيم ، وكان أوّلَ من قطع المُصَلّيات ، فأُتِىَ بمقعد فأُلقِى تُجاهَه ، ودعا بِعُود وقال : بحيَاتى أطْرِبنى ما قدَرْتَ ؛ قال : ففعلتُ جُهْدى ورَجَوْتُ الجائِزَة السَّنِيَّة ؛ فبينا أنا كَذٰلِك وإذا بمَسْرُور الكَبِير قد جاءَ ، فقامَ مَقَاما كان إذا قَامَه عَلِم أنَّه يُرِيد أن يُسَارَّه بِشَىء ، فأومأ إليه بالدُّنُوّ ، فدَنَا منه فألْقَى فى أُذُنه كلمة خَفِيفَة وتَنَحّى ، فاستَشَاط الرشيدُ غضباً واحمرَّت عيناه وانتفخت أوداجُه ، وقال : حَتّامَ أصْبِر على آلِ أبى طالب ! والله لأَقتُلَنَّهُم ولأَقتُلَنَّ شيعتَهم ولأفْعَلَنَّ ! فقلت : إنّا لله ! ليس عنده أحد يُخرِج غيظَه عليه ، غير أنّى أحسَبه سيُوقِع بى ، فاندفَعْتُ فغَنَّيْتُه :

نِعْمَ عوناً على الهُمُوم ثَلَاثُ ... مُتْرَعَاتٌ من بعدهنَّ ثلاثُ
بَعدَها أربعٌ تَتِمَّة عشرٍ ... لا بِطَاءٌ لكنّهنَّ حِثَاثُ

---

(١) فى غ : رشيدى .

فإذا ناوَلَتْكَهُنّ جَوَارٍ عَطِرَاتٌ بِيضُ الوُجُوه خِنَاثُ
تَمّ فيها لَكَ السرورُ ومَا طـ ـيّبَ عَيْشاً إلا الخِنَاث الإناثُ

فقال : وَيْحَك ! اسْقِنى ثلاثاً لا أمت[1] هَمًّا ، فشَرِب ثَلَاثاً متتابعة ، ثم قال : أَعِد فغَنَّيْتُ ، فلما قلتُ : « ثلاثٌ من بَعْدِهِنّ ثَلَاثٌ » قال : هَاتِ ويلك ثَلَاثاً ! فشرب ثلاثاً أُخْرَى ، ثم قال : غَنِّ فغَنَّيْتُه ، فقال : حُثَّ على أربعاً تَتِمّة العَشْر ، ففعلت . فوالله ما استوْفَاهَا حتى سَكِر ، ونَهَض ليَدْخُل ، فقال : قُم يا مَوْصِلِى فانصَرِف ، وأقسمتُ عليك يا مَسْرُور بحَياتى و بحَقِّى إلّا[2] سبقتَه إلى منزله بمائة ألفِ دِرْهم ، لا أُسْتَأْمَر فيها ؛ فخرجتُ وقد آمن خَوْفى وأدركتُ ما رَجَوْتُ ، ووافيتُ مَنْزِلى وقد سَبَقَنى بمائة ألفِ دِرْهم .

قال إبراهيمُ : قال لى الرَّشيدُ يوما : يا إبراهيم ، بكِّر عَلَيّ غداً حتى نَصْطَبِح ؛ فقلت : يا أميرَ المؤمنين أَنَا والصُّبحُ كفرَسَىْ رِهَان ؛ فبكّرت وإذا بِهِ خاليا ، وبين يَدَيْه جَارِية حُلْوَةُ المَنْظَر ، دَمِثَة الشَّمائل كأنَّها خُوطُ بان ، وفى يَدِها عُودٌ ؛ فقال لها : غَنِّى ، فغَنَّتْ لِأَبِى نُوَاس :

توهَّمه قَلْبى فأصبحَ خَدُّه وفيه مكانَ الوهْم من نَظَرى أَثْرُ
ومَرَّ بِقَلْبى[3] خَاطِراً فجرحتُه ولم أرَ جِسْماً قطّ يَجْرَحُه الفِكْرُ
وصافَحَه كَفِّى[4] فآلَم كَفَّه فمِنْ غَمْزِ كَفِّى[4] فى أنامله عَقْرُ

قال إبراهيم : فذَهَبَتْ والله بعَقْلى حتَّى كِدتُ أَفْتَضِح ، فقلت : مَنْ هـذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه التى يَقُولُ فيها [الشاعر][5] :

(١) فى ت : لا أموت .
(٢) فى ت : لما .
(٣) فى غ : بفكرى .
(٤) فى غ : قلبى .
(٥) ساقطة من ت .

لها قَلْبي الفَداةَ وقلبُها لى فنحن كذاك فى جَسَدَيْنِ رُوحُ

ثم قال لها : غنِّي ، فغنَّت فى شِعْر أبى الشِّيص :

تَقُول غداةَ البَيْن إحدى نِسَائِهم لِيَ الكَبِدُ الحَرَّى فسِرْ ولكَ الصَّبْر

وقد خَنَقَتْها عَبْرَةٌ فدُمُوعها على خَدِّها بِيضٌ وفى نَحرِها صُفْر

فشَرِب ثم سَقَاهَا ، وقال : غَنِّ يا إبراهيم فغنَّيْتُ حَسَب ما فى قَلْبي غير مُحْتَفِظ مِنْ شىء :

تَشَرَّب قَلْبي حُبَّهـا ومَشَى بِهِ تَمَشِّي حُمَيَّا الكَأْسِ فى جسم[1] شارب

ودَبَّ هواهَا فى عِظَامِى فَشَفَّها كما دبَّ فى المَلْسُوع سمّ العَقَارب

قال : ففَطِن لتَعْرِيضي ، وكانت جَهَالَةً مِنِّي ؛ فأَمَرَنى بالانصراف ، ولم يدعُني شَهْرًا ، ولا حَضَرْتُ مجلسَه ؛ فلما كان بَعْد شَهْر دَسَّ إلى خادِماً معه رُقْعَة مَكْتُوبٌ فِيهَا :

قد تَخَوَّفتُ أَنْ أَمُوتَ من الوَجْـ ـد ولم يَدْرِ مَنْ هَوِيتُ بِمَا بِى

يا كِتَابِى فاقرَ السَّلام عَلَى مَنْ لا يُسَمَّى[2] وقُلْ له يا كِتَابِى

إنَّ كَفاً إليكَ قـد كَتَبَتْنِي فى شَقَاءٍ مُوَاصَل بِعَذَاب[3]

فأَتَانى الخادِمُ بالرُّقْعَة ؛ فقلت له : ما هَذَا ؟ فقال : رُقْعَةُ فُلَانَةَ الجارِية التى غَنَّتْكَ بَيْن يدى أمير المؤمنين فأَحْسَسْتُ القِصَّة[4] فشَتَمْتُ الخادِم ووثبتُ إليه فضَرَبْتُه ضَرْباً شَفَيْتُ به نَفْسِي وغَيْظِى ، ورَكِبْتُ إلَى الرَّشِيد من فَوْرِى فأخبرتُه وأعطيتُه الرُّقْعَة ؛ فضَحِك حتى كادَ يَسْتَلْقِى ، وقال : على عَمْدٍ فعلتُ ذلك بك

---

(١) فى ت : يد .

(٢) فى غ : أسمى .

(٣) فى غ : وعذاب .

(٤) فى ت : فأحسست بالقصة .

لأَمْتَحِنَك فأعرف مذهبَك وطَرِيقَتك ، ثم دَعَا بالخادِم ؛ فخرَج ، فلمّا رآنى قَالَ : قَطع اللهُ يديْك ورِجْلَيْك ، وَيْلَكَ ! قتلْتَنِى ؛ فقلتُ : القتلُ كان بَعْضَ حَقِّك لِماَ وردتَ به عَلَىَّ ، ولـكن رَحِمْتُك فأبقيتُ عليك ، وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتىَ فى عُقُوبتك بمـا تَسْتَحِقّه . فأمر لى الرَّشِيدُ بِصِلة سَنِيّة ؛ واللهُ يعلم أنّى ما فعلته عَفَافاً ولـكن خَوْفاً .

قال إبراهيم : حبَسنى الرَّشيد بالرَّقّة وغَضِب علىّ وجلس للشّراب يوماً فى مجلس قد زَيَّنَه وحَسَّنَه ، فقال لعيسى بن جعفر : هل بِمَجْلِسنا عَيْب ؟ قال : نعم ، غيبةَ إبراهِيم المَوْصِلىّ عَنْه ، فأَمَر بإحضارى فأُحضِرت فى قيُودى ، ففُكَّت عنّى بين يديه ، وأمرهم فنَاوَلُونى عُوداً ثم قال : غَنِّ فغنيتُ فى شِعْر النُّمَيْرِىّ :

تَضَوَّعَ مسْكاً بطنُ نَعْمَانَ أنْ مَشَت ... به زَيْنَبٌ فى نِسْـوَةٍ عَطِرات[1]
مررن بِفَخٍّ[2] رائحـاتٍ عَشِيَّةً ... يُلَبِّين للرحمن مُعْتَمِرَات
ولَمَّا رأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِىِّ أعرضَت ... وكُنَّ مِنْ أن يَلْقَيْنه حَذِرَات

فاستعادَه وطَرِب وشَرِب ، وقال : هَنَأْتنى وسأَهْنِئُك الصِّلَة ، قد وهبتُ لَكَ الهَنِىء والمَرِىء ؛ فانصرفتُ ، فلما أصبَحْتُ عُوِّضْتُ عَنْهما مائتى ألفِ دِرْهم.

سأل الرّشيدُ إبراهِيمَ : كيف تَصْنَع إذا أردتَ أن تَصُوغَ الأَلْحانَ ؟ فقال : يا أميرَ المُؤْمِنِين ، أُخْرِج الهمّ من فِكْرى وأُمَثِّلُ الطَّرَب بين عَيْنَىّ فتُسْرِع إلَىّ مسالكُ الأَلْحان الَّتى أُرِيد فأَسْلُكُها بدَلِيلِ الإيقاع ، فأرجعُ مُصِيباً ظافِراً بما أُرِيد؛ فقال : يَحِق لك أن تُصِيبَ وتَظْفَر ، وإنَّ حُسْن وصفك لَمُشاكِلٌ لحُسْن صَنْعَتِك وغِنَائك .

---

(١) فى غ : خفرات .

(٢) فخ : موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال . وفى ت : بسفح .

حَكَى إبراهيمُ قال : كنتُ استأذَنْت الرشيدَ أن يَهَبَ لى يوماً من الجُمْعة لا يَبْعَثُ إلىّ فيه بِوَجْه ولا سَبَبٍ لأخْلُوَ فيه بِجوَارى وإخْوَانى ، فأذِن لى فى يَوْم السَّبْت وقال لى : هو يوم أستَثْقِلُه فالْهُ فِيه بما شئْت ، فلمَّا كان يوم السبت قعدتُ فى مَنْزلى وتَقَدَّمت بإصلاح طَعَامى وشَرَابى وأَمَرْتُ بإغلاق أبْوَابى ، وأمرتُ بَوَّابِى أَلّا يأْذَنَ لأحد عَلَىَّ البَتَّةَ ؛ فبينَا أنَا فى مجلسى والخدم[1] قد حَفُّوا بى ، وجَوَارِىّ يَتَرَدَّدْنَ[2] بين يدىّ إذا أنا بشَيْخ ذِى هَيْئة وَجمَال ، وعليه خُفَّان قَصيران وقَمِيصَان ناعمان ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَة لَاطِئة[3] ، وبيَدِه عُكَّازة مُقَمَّعَة بفضّة ، وروائحُ الطِّيب تفوح منه حتى مَلأتْ البيتَ والدّار ، فداخَلَنى لدُخُوله مع ماتقدّمت به من إغلاق الباب غَيْظٌ ماداخَلَنى قطّ مثلُه ، وهَمَمْتُ بطرد بوّابى ومَن يَحْجُبُنى ؛ فسلَّم علىَّ أحسنَ سَلَام فرددْت عليه ، وأمرتُه بالجُلُوس ثم مَرّ فى[4] أَحَاديث الناس وأَيّام العَرَب وأشْعَارِهم حتى سَلَىّ ما كَانَ بِى مِنَ الغَضَب ، وظننت أَنَّ غِلْمَانى تَحَرَّوا مَسَرَّتى بإدخال مِثْلِه علىّ لأدبه وظَرْفه ، فقلتُ له : هل لك فى الطَّعَام ؟ فقال: لا حاجة لى فيه ؛ فقلت له : هل لك فى الشراب ؟ قال : ذاك إليك فشَرِبْتُ رِطْلاً وسقيتُه مِثْلَه ؛ فقال : يا أَبَا إسْحَاق ، هل لَكَ أن تُغَنِّى لنا شَيْئاً فنَسْمَع مِنْ صَنْعَتِك ما قد نَفَقْتَ به عندَ المُلُوك والخاصِّ والعَامِّ ، فغاظَنِى قوله ، ثم سهّلتُ الأمرَ على نَفْسى فأخذتُ العُودَ وجَسَسْتُه ثم ضربتُ وغَنَّيْتُ ، فقال : أحسنْتَ يا إبْرَاهِيم فازدَادَ غَيْظِى وقلت ما رَضِىَ بِمَا فَعَله من دخوله علىّ بغير إذْنى واقْترَاحه أَنْ أُغَنِّيَه حَتَّى

---

(١) فى ت : والحرم .

(٢) فى ت : يترددون « خطأ » .

(٣) لاطئة : صغيرة تلزق بالرأس .

(٤) فى غ : أخذ بى .

سَمَّانِي ولم يكننى ولم يُجْمل مخاطبتي ! ثم قال هل [لك] (١) أن تَزِيدَنِي ؟ فتذممت (٢) وأخذتُ العودَ فقال : أجدتَ يا أبا إسحاق فأتمم هزارك (٣) حتى نكافئك ونُغَنِّيك فتحفظتُ وقمتُ بما غنّيته إيّاه قياما تامّا ما تحفظت مثله وما قمتُ بغناء كما قمتُ به بين يدى خليفة قطّ ولا غيره ، لقوله : سأكافئك ، فطرب وقال : أحسنتَ ياسيِّدى ويا أوثق عددى ، ثم قال : أتأذن لى فى الغناء ؟ فقلت : شأنك ، واستضعفتُ عقله فى أن يُغنِّى بحضرتى بعد ما سمع منِّى ، فأخذ العودَ فجسَّه ، فوالله لقد خلت أنّه ينطق بلسانٍ عربيّ لحسن ما سمعتُه من صوت جسِّه ثم غنّى :

وَلِى كَبِدٌ مقروحَةٌ مَنْ يَبِيعُنِى ... بها كَبِداً ليستْ بذاتِ قُرُوحِ
أَبَاها علىَّ الناسُ لا (٤) يَشْتَرُونَها ... ومن يشترى ذَاعِلَّةٍ بِصَحِيحِ
أَئِنّ من الشوق الذى فى جَوانحى (٥) ... أنينَ غَصِيصٍ بالشَّراب جَرِيحِ

قال إبراهيم : تُخيِّل لى أنَّ الحيطان والأبوابَ وكُلَّ ما فى البيت يُجيبه ويُغَنِّى معه من حُسْنِ غنائه ، حتى خلتُ أنَّ أعضائى وثيابى تجاوبه ، وبقيت مبهوتاً لا أستطيع الكلامَ ولا الجوابَ ولا الحركةَ مما خالط قلبي ثم غنّى :

ألا يا حمامات اللِّوَى عُدْنَ عَوْدَةً ... فإنِّى إلى أصواتكن حَزِينُ (٦)
فعُدنَ فلما عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَنِى ... وكدتُ بأسرار لَهُنَّ أُبِينُ
دَعَوْنَ بتَرْدَادِ الهَدِيل (٧) كأنما ... شربن سلافا (٨) أو بهن جُنُونُ

(١) ساقطة من (ت) .
(٢) تذمم : استنكف .
(٣) الهزار : كلمة فارسية ، من معانيها : الأنشودة والمقطوعة .
(٤) فى ت : أن .
(٥) فى غ : جوانبي .
(٦) فى ت : حين .
(٧) فى غ : الهدير .
(٨) فى غ : سقين حميا .

فــلم ترَ عَيْنِى مِثْلَهن حَمَائماً بكَيْنَ ولم تَدْمــع لَهُن عُيُونُ

فكاد عَقْلِى أن يَــذْهَب طرَباً وارْتِيَاحا لِمَا سمعتُه ؛ ثم غَنَّى ليَزِيد بْنِ الطَّثَرِيَّة[1] .

أَلَا يا صَبا نَجْد متى هِجْتِ من نَجْد فقد زادَنِى مَسْرَاكِ وَجْداً على وَجْدِ

أَإِن هَتَفَت ورقاءُ فى رَوْنَق الضُّحَى على فَنَن[2] غَضِّ النَّبَاتِ من الرَّنْدِ

بكيتَ كما يبكِى الحَزِين[3] صَبابَةً وذُبتَ من الحُزْنِ المبرِّح والجُهْدِ

وقد زعموا أَنَّ المُحِبَّ إذا دَنَا يَمَلُّ وأنَّ النَّأْىَ يَشْفِى من الوَجْدِ

بكُلٍّ تداوَيْنَا فلم يُشْفَ ما بِنَا على أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خيْرٌ من البُعْدِ

[على أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ ليس بِنَافِع إذا كان مَنْ تَهْواه لَيْس بِذِى وُدّ][4]

ثم قال يا إبراهيم : هــذا الغناء المَاخُورِىّ فخُذْ وانْحُ نحوَه فى غِنائك وعَلِّمْه جَوارِيك ؛ فقلت : أَعِدْه علَىّ ، فقال : لَسْتَ[5] تحتاج ، قد أخذتَه وفرغْتَ منه ، ثم غاب من بين عَيْنَىّ[6] ، فارتَعْت وقُلْتُ للجَوارِى : أَىّ شىء سَمِعْتُنّ عِنْدِى ؟ فقلن : سَمِعْنا غناءً أطيب غِنَاء سُمِع قطّ ؛ فجرّدْتُ السيفَ وقُمْت وعَدَوْت إلى أبواب الحرَم فوجدتُها مُغْلَقَة ، فخرجْت إلى بَابِ الدَّار فوجدته مُغْلَقا ، فسألتُ البَوَّاب عن الشَّيخ ؛ فقال : أَىّ شَيْخ ؟ والله ما دَخَل اليوم عليكَ أَحَد ؛ فرجعْت لأَتَأَمَّل أَمْرى ؛ فإذا هو قد هَتَفَ بى من جَانِبِ البَيْت : لا بَأْس عليك يا إبراهيم ،

---

(١) فى ت : الطرمه « تحريف » .

(٢) فى ت : غصن :

(٣) فى ت : الوليد .

(٤) لم يرد البيت فى « غ » .

(٥) فى ت : ليس .

(٦) فى غ : يدى .

أنَا إبْليس وإنَّمَا كنتُ نَديمَكَ اليومَ ، فركبت إلى الرَّشيد وقُلْت : لا أُطْرِفُه[1] أبداً بطُرْفة مِثْل هذه ، فدخَلْتُ إليه وحَدَّثْتُه الحديث ؛ فقال : وَيْحَك تأَمَّل هذه الأَصْوَات ، هل أخذتَها ؟ فأخذتُ العود فامتَحَنْتُها فإذا هي رَاسِخَة في قَلْبي كأنَّها لم تزل ، فطَرِب الرشيدُ عليها وجَلَس يَشْرَب ولم يَكُن عَزَم على الشُّرْب ، وأَمَر لي بِصِلَة . وقال : الشيخُ كان أَعْلَم بِما قال لَكَ من أنَّكَ أخذتَها وفَرَغْتَ مِنها ، فلَيْتَه أمتَعَنا بنَفْسِه يوماً وَاحداً كما أَمْتَعَك .

قال إبراهيم : قال لي جَعْفَر بْنُ يَحْيي : وقد علم أن الرشيد أَذِن لي وللْمُغَنِّين في الانْصِرَاف يومئذ صِرْ إِلَيَّ حتى أَهَبَ لك شيئا حَسَناً ، فصِرْتُ إليه فقال لي : أيّما أحبُّ إليك : أَهَبُ لك الشيءَ الحسن الذي وعدتُك به أَمْ أُرْشِدُكَ إِلَى شَيْء تَكسب فيه ألفَ ألفِ درهم ؟ قلت: بل يُرْشِدُني الوَزِير إلى هذا الوَجْه فإنه يَقُوم مقام إعطائي هَذَا المَال ؛ قال : إنّ أميرَ المؤمنين يحفَظُ شعرَ ذِي الرّمّة حفظ الصِّبَا ويُعجبه ويُؤْثِره ، وإذا سَمِع فيه غناء ، أطرَبه أكثر مما يُطرِبه غيره مِمَّن[2] لا يحفَظُ شِعْرَه ؛ فإذا غنيتَه وأطربتَه وأمر لك بجائِزة ، فقم على رِجلَيْك وقبِّل الأرضَ بين يديه وقل : إنّ لي حاجةً غيرَ الجائزة أُرِيدُ أَنْ أسأَلَها أميرَ المؤمنين ، وهي حاجَةٌ تقوم عندي مقَام كل فائدة ولا تَضرُّه ولا تَرْزَؤه ؛ فإنه سيقول لك : أيّ شيء حاجَتُك ؛ فقل له : إِقْطَاع تُقْطِعُنِي إيَّاه سَهْل عليك لا قِيمَةَ له ولا مَنْفَعَة لأحدٍ فيه ؛ فإذا أجابَك إليه، فقل له: تُقْطِعني شعرَ ذِي الرّمّة أُغنِّي فيه ما أَخْتَارُه وتحظرُ على المُغَنِّين جميعا أَن يُدَاخِلُوني فيه ، فإني أُحِبُّ شعرَه وأستحسنهُ ولا أُحِبّ أَنْ يُنَغِّصَه عليّ أحدٌ منهم ، وتَوَثَّق منه في ذلك ؛ فقبلتُ القولَ منه ، وما انصرفت مع ذلك إلّا بالجائزة ؛ وتوخيتُ وَقتاً

---

(١) في ت : لاطرفته « تحريف » .

(٢) في غ : مما .

للكلامِ في هـذا المَعْنى حتى وجدتُه ، فقمتُ وسألتُ كما قَالَ لِي : فرأيت السرورَ في وَجْهِه وقال : ما سألتَ شَطَطاً قد أَقْطَعْتُك ؛ فقلت يا أَميرَ المُؤْمنين : أتأذَنُ لي في التَّوثُّق ؟ فقال : تَوَثَّقْ[١] كيفَ شِئْتَ ؛ فقلت : بِاللهِ وبِرَسُوله وَبتُرْبَة[٢] أَمِيرِ المؤمنين المَهْدِيِّ إلاَّ جعلتَنِي على ثِقَةٍ من ذَلِك بأن تَحْلِف لي بِذَلك لا تُعْطِي أحدًا مِنَ المُغَنِّين جائزةً على شَيْءٍ يُغَنِّيه من شعر ذِي الرُّمَّة فإنَّ ذلك تَوْثِقَتِي[٣] ؛ فحَلَفَ مُجْتَهِدا بالقَسَم إنْ غَنَّى أحدٌ منهم من شِعْرِ ذِي الرُّمَّة لا أثَابَه ولا بَرَّه[٤] ولاسَمِع غِنَاءه[٥] ؛ فشكَرْت[٦] فعلَه وقَبَّلْتُ الأرضَ بين يديه وانصرفتُ فغَنَّيْتُ مِائةَ صَوْت وزِيَادة عَلَيْها في شِعْرِ ذِي الرُّمَّة ؛ فكان إذا سمع صوتاً منهـا طَرِب وزاد طَرَبُه وَوصَلَني وأَجْزَلَ ولم يَنْتَفِع أحدٌ منهم غَيْرِي ؛ فأخذتُ بهـا منه أَلْفَ أَلْفَ دِرْهَم وأَلْفَ أَلْفَ دِرْهَم .

قال إبْرَاهيم : كان الرَّشيد يَهْوَى مَارِدَةَ ويَجِدُ بها وجْدًا شَدِيدا ؛ فغَضِبَت عليه وغَضِب عَلَيْها ، وتَمادَى الهجرُ بينهما ؛ فأَمَر جعفرُ بنُ يَحْيَي العَبَّاسَ بنَ الأَحْنَف فقال :

رَاجِـعْ أحِبَّتَكَ الذينَ هَجَرْتَهم ... إن المُتَيَّم قَلَّ مـا يُتَجَنَّب
إنَّ التجنُّبَ إن تَطَـاوَلَ منـكما ... دَبَّ السلوُّ وعَـزَّ مِـنْك المَطْلَب[٧]

وأَمَر إبراهيمَ المَوْصِلِيَّ فغَنَّى به الرَّشِيد ؛ فلمَّا سَمِعه بَادَر إلى ماردةَ فتَرضَّاها ؛

---

(١) في ت : موثق .
(٢) في ت : وتربة .
(٣) في غ : وثيقتي .
(٤) في ت : كبره .
(٥) في ت : غناه .
(٦) في ت: فشكوت « تحريف » .
(٧) في غ : دب السلو له فعز المطلب .

فسألت عن السَّبَب فعَرَفتُه فأمرت لِكُلٍّ وَاحدٍ من العبَّاس وإبْرَهيم بعشرةِ آلافِ دِرْهم ، وسألت الرَّشِيدَ أن يُكَافِئهُما ، فأمر لهما بأَرْبَعين ألف دِرْهم .

اجْتَمَع إبراهيمُ المَوْصِليّ وزَلْزَلٌ بين يَدَيْ أَمِيرِ المُؤمنِين فضَرب زَلْزَلٌ وغَنَّى إبْراهِيم .

صَحَا قَلْبي[1] وراع إلَيّ[2] عَقْلِي　　وأَقْصَر بَاطِلِي ونَسِيتُ جَهْلِي
رأيتُ الغَانِيَات وكن خُزْرًا[3]　　إلَيّ صَرَمْنَنِي وقَطَعْنَ حَبْلِي

فطَرِب الرشيدُ طَرَباً شَديدا حتى قَام قَائِماً على قَدَمَيْه وصَاحَ : يا آدَم ، لو رأيتَ من يحضُرُنى اليومَ من وَلَدِكَ لسرّكَ ذلك ! ثم جَلَس وقال : أَسْتَغْفِر الله .

لعِبَ إبْرَاهِيم يوماً مع الرَّشيد بالنَّرْدِ فى الخِلْعَة الَّتِي كَانَت عَلَى الرَّشيد والخِلْعَة الَّتِي عَلَيْه هو فقَمَره الرَّشِيدُ ، فقامَ إبراهِيمُ فنَزَع ثِيَابه وجَلَس ، ثم لَعِبا فقمَر إبراهِيمُ الرَّشِيدَ فقال إبْرَاهيم : حُكْمُ النَّرْدِ والوَفَاء ، وقد قُمِرْت ووفَّيْت ، فالْبَسْ ما كَانَ عَلَيَّ ؛ فقال له الرَّشِيدُ : وَيْلَك ؛ أنا ألبَس ثِيَابَك ؛ فقال : إى واللهِ إنْ أنصفْتَ وإنْ لم تُنْصِف قَدَرْتَ ؛ قال : ويلك ؛ أَوَأفتَدِى مِنْك ؟ قال : وما الفِدَاء ؟ قال : قل . قال : قل أنتَ يا أَمِير المؤمنين فإنَّكَ أولَى بالقَوْل ، قال : أُعْطِيك كلَّ ما عليَّ ، قال : مُرْ بِهِ يا أمير المؤمنين وأَنَا أَسْتَخِير اللهَ بَعْدَ ذَلك ، فدَعَا بِغَيْرِ ما كَانَ عَلَيْه فلَبِسَه ونَزَع ما كانَ عَلَيْه فدفعه إلَى إبْرَاهِيم .

قال إبرَاهِيمُ المَوْصِلِيُّ : قال الرَّشِيدُ يوماً : إنِّى قد جعلتُ غَداً للحَرِيم[4] وليلةَ غد للرِّجال وأَنَا مقتصرٌ من المُغَنِّين عليكَ فلا تَشْتَغِل غَداً بشيء ولا تَشْرب نَبِيذاً ،

---

(١) فى ت : عقلى .
(٢) فى ت : إليك .
(٣) فى غ : صورا .
(٤) فى ت : الحرم .

وكُنْ بحضرتى فى وقت العشاء الآخِرَة ؛ فقلت : السمع والطاعةُ يا أَمِيرَ المُؤْمنين ؛ فقال : وحَقِّ أَبى إنْ تأَخَّرْتَ أَوِ اعتللتَ بشَىْء ولم تأْت لأَضْرِبَنَّ عُنقَك ، أَفَهِمْت ؟ قلتُ : نَعَم، فخَرَجْت فما جاءنى أَحَدٌ من إخْوانِى إلَّا احتجَبْتُ عنه ولا قرأْتُ رُقْعَةً لأَحَدٍ ، حَتَّى إذَا صَلَّيْت المغربَ رَكِبْتُ قَاصِدًا إلَيْه ، فلما قَرُبْتُ من دَارِه مَرَرْتُ بفِنَاء قَصْر ، وإذَا زِنْبيل كَبير مُعَلَّق مُستوثَق منه بحِبال وأَرْبع عُرًى قدْ دُلِّى من ذلك القَصْر ، وجَارِيَة قَائِمَة تَنْتَظِر إنْسَانا قد وُعِد ليَجْلِس فِيه ، فنَازَعَتْنِى نَفْسِى إليه ، فقلت : هَذَا خَطأ ، لَعَلَّه يَجْرِى سَبَبٌ يُعَوِّقُنى عن الخليفة فيكون الهلاكُ ، فلم أَزَلْ أُنازع نَفْسِى وتُنَازِعُنى حتى غلبَتْنِى ، فنزَلْتُ فجلستُ فيه ، ومُدَّ الزِّنْبِيل حتى صَارَ فى أَعْلى القصر ، ثم خرجت فنَزَلْت ، فإذَا جَوَارٍ كأَنَّهُن المَهَا جُلُوس ، فضَحِكْن وقُلْن : قدجَاءَ واللهِ ، فلما رَأَيْنَنِى من قَرِيب تبَادَرْن إلى الحِجَاب وقُلْنَ : يا عَدُوَّ اللهِ ، ما الَّذى أَدْخَلَكَ علينَا ؟ فقلت : يا عَدُوَّات الله مَن الَّذى أَرَدْتُنّ إدْخَالَه؟ولِمَ صَارَ أَوْلَى مِنِّى بِهَذَا ؟ ولم يَزَلْ ذَلك دأْبُنا وهُنَّ يَضْحَكْنَ وأَضْحَكُ مَعَهُن ، فقالَت إحْدَاهُن : أَمَّا مَنْ أَرَدْنَاه فقد فَاتَ ، وماهَذَا إلَّا ظَرِيف ، فهَلُمَّ[1] نُعَاشِرْهُ عِشْرةً جميلة؛ فأُخرج إلَىّ[2] طعام فدُعِيت إلى أَكْله ، فلم يَكُن فِىّ فَضْل إلَّا أَنِّى كَرِهْت أن أُنْسَب إلى سُوء العِشْرة، فأصبْتُ منه إصابة مُعَذِّر ، ثم جىء بالنَّبِيذ فشَرِبْنا وأَخْرجن ثلاثَ جَوَارٍ لهنّ فغَنَّيْن غِنَاء مَلِيحا ، فغَنَّت إحْدَاهُن صوتًا لمَعْبد ، فقالت إحدَاهن من وَرَاء السّتر[3] : أَحسَن إبْرَاهِيم ، وهذا له ، فقلت : كَذَبتِ ليس هَذَا له ، هَذَا لِمَعْبَد ، فقالت : يا فاسقُ ، وما يُدْرِيك الغِنَاءَ ما هو[4] : ثم غَنَّت الأُخْرى صوتًا للغَرِيض ، فقالَت تلك : أَحْسَن إبْراهيم ، هذا أيضا له ، فقلت :

(١) فى ت : فهلموا .

(٢) فى ت : لى .

(٣) فى ت : الستزة .

(٤) فى ت : وما هو .

كَذَبْتِ، هذا للغَرِيض ، فقالت : اللّهُمّ أَخْزِه ، ويلك! وما يُدْرِيك ما الغِناء ! ثم غَنَّت الجارِيَة صَوتاً لِي ، فقالت تلك : أحسنَ ابنُ سُرَيج ، هذا له ؛ فقلت : كَذَبْتِ، هَذَا والله لإبْراهيم ، وأنت تَنسُبين غِناءَ النَّاسِ إليه وغِناءَهُ إلى غَيْرِه ؛ فقالت : ويلك ! وما يدريك ! فقلت: أنا إبْراهيم ، فتباشَرْن جميعا بذلك وطَرِبْن كلهن وقلْن : كتمتَ نَفْسَك عَنّا وقد سَرَرْتَنا ، فقلتُ : أنا الآن أَسْتَوْدِعُكُنَّ الله تعالى ؛ فقلن : وما السَّبَب ؟ فأخبرتهنّ بقصَّتي مع الرشيد : فضَحِكن وقلن : الآن طَابَ حبسُك وعلَيْنَا إن خرجتَ أُسْبُوعاً ؛ فقلت : هو والله القتْل ؛ فقُلْن : إلَى لعْنَةِ الله ، فأقمْتُ عِنْدَهُنَّ أسْبُوعاً لا أَزُول ، فلما كان بَعْدَ أُسْبُوع ودّعْنَنِي وقُلْن : إنْ سَلَّمك الله فأنت بعد ثالثة[1] عندنا ، فأجْلَسْنَنِي في الزَّنْبِيل وسُرِّحْت فمَضَيْتُ من وجْهى إلَى دَارِ الرَّشيد ، فإذَا النِّدَاء قد أُشيع في طَلَبي ببغدادَ وأنَّ مَنْ أَحضَرَني فقد سُوِّغ ملكي وقد أُقْطِع مَالي ؛ فأستأذنْتُ فتَبَادَرَ الخَدَمُ حتى أدخلُوني عَلَى الرَّشِيد ؛ فلما رآني شَتَمني وقال : السيف والنِّطْع ! إيهِ يا إبْراهيم ، تهاونْتَ بأمْري وتشاغلتَ بالْعَوَامّ عما أمرتُك به وجلستَ مع أشباهك مِنَ السفهاء[2] حتى أفسدتَ عليَّ لَذَّتِي ! فقلت : يا أَمِيرَ المُؤْمنين ، أنا بَيْن يدَيْك وما أمرتَ به غيرُ فَائِت ، ولِي حَدِيث عجيب ، ما سُمِع بمثله قطّ وهو الذى قَطَعَني عَنْك ضرورةً لا اخْتِيارًا ، فاسمعه ، فإن كان عُذْرًا فاقبَلْه ، وإلّا فأنت أَعْلَم ، قال : هَاتِه فليس بِمُنْجِيك ، فحدثته ، فأطرق سَاعَةً ثم قال : إنَّ هذا لَعَجَب أفتحْضِرني معك هذا المَوْضع ؟ فقلت : نعم ، وأُجلسك معهنّ وإن شئتَ فعلى مَوْعد ؛ قال : بل على موعد ؛ فقلت : أَفعل ؛ قال : انظُر ، قلت : ذلك حَاصِل لك مَتَى شِئْت ؛

(١) في غ : ثلاث .

(٢) في ت : النساء .

فعدَل عن رأيه فيّ وأجلسني وشَرِب وطَرِب ، فلما أصبحنا أمرَني بالانصراف وأنْ أجيئه من عندهن ؛ فمضيتُ إليهن في وقت المَوْعد[١] ، فلما وَافيت المَوْضِع إذَا الزَنْبيل مُعَلَّق ، فجلستُ فِيهِ ومَدَّه الجواري وصَعِدْت ، فلما رأَيْنَني تباشَرْن وحَمِدْن الله تَعالى على سَلَامَتي وأَقمْت لَيْلَتي . فلمَّا أردتُ الانصرَاف قلتُ لَهُن : إنَّ لِي أخا هُوَ عِدْل نَفْسي ، وقد أَحَبَّ معاشَرَتكن ووعَدْتُه بذَلك ، فقلن : إنْ كنتَ تَرضاه فمرحباً بِهِ . فوعَدتُهن لليلَة غَد فأَتَيْت الرشيدَ فأخبرتُه فلمَّا كان الوقت خرج مَعِي مُتَخَفِّيا حتى أتينا المَوْضِع ، فصَعِدت وصَعِد بعدى ونَزَلْنَا جميعاً، وقد كانَ الله وَفَّقَني أَن قلتُ لهُن : إذَا جَاء صَدِيقي فاستَتِرن عَنِّي وعنه لا يَسْمع لـكُنَّ نطقَه ، وليَـكُن ما تَخْتَرنه من الغِنَاء أو تقُلْنه من قولٍ مُراسَلَة ؛ فلا تَتَعدَّيْنَ ذَلِك وأَقِمن على أَتَمِّ سِتْر وخَفَر ، وشربنا شُرْباً كثيرا ، وقـد كَانَ أَمرنى ألَّا أُخَاطِبَه بأمير المؤمنين ، فلمَّا أخذ مني السُّكْر[٢] قلت سَهْواً : ياأَمِير المؤمنين، فتواثَبْن من وَرَاء السِّتَارة حتى غابَتْ حَركاتهُنَّ عَنَّا ؛ فقال : يا إبْراهيم لقد أَفْلَتَّ من أَمْر عَظِيم ، لو بَرَزَت لَكَ وَاحِدَة منهنّ لَضَرَبتُ عُنُقَك ، قم بِنَا فقُمْنَا وإذَا هُنَّ جوَارٍ له ، كان قد غَضب عليهن فحبسهنّ في ذَلِك القَصْر ؛ ثم وَجَّه من الغد بخَدَم لَهُن فرَدَّهُنَّ إلَى قصره ، ووهب لِي مائَة أَلْف دِرْهم ، وكانت الهَدَايا والأَلْطَاف تَأْتِينِي بعد ذلك مِنْهُن .

قال إبْرَاهيم : كنتُ قد أخذتُ بالمَدينة من مَجْنون هَذَا الصَّوت :

هما فَتَاتَان[٣] لَمَّا تعرفا[٤] خُلُقي ... وبالشَّبَابِ عـلى شَيْبي تُدِلَّانِ

(١) في غ : الوعد .
(٢) في غ : النبيذ .
(٣) في ت : ماماں « تحريف » .
(٤) في ت : يعرفا .

كُلُّ الفَعَالِ الَّذِى يَفْعَلُهُ(١) حَسَنٌ ... يُصْبِي فُؤَادِي وَيُبْدِي سِرَّ أَشْجَانِى

فغنّيْتُه الرَّشيدَ فطَرِب وأعطانى ألفَ دِينار كانت بَيْنَ يَدَيْه . وكان ابنُ جَامع حَاضِرا فقال : اسمع يا أَمِيرَ المُؤْمنين غِنَاء العُقَلاء ودع عَنْك غِنَاء المَجَانِين ، وكان أَشَدَّ النَّاس حَسَداً، ثم غَنَّى(٢) :

ولقد قالت لأَتْرَابٍ لهـــا ... كالمَهَا يَلْعبن فى حُجْرَتِها
خُذْنَ عَنِّى الظِّلَّ لا يَتْبَعُنِى ... وغـــدت(٣) سَعْياً إِلَى قُبَّتِها

فطَرِب وشَرِب ثم أمر له بأَلْف وخمسمائة دِينار . ثم تَبِعه محمد بن حمزة وَجْهُ القَرْعَة فغَنَّى :

يَمْشُونَ فِيهَا بِــكُلِّ سَابِغَةٍ ... أُحكِم فيها القَتِيرُ(٤) والحَلَقُ
يُعْرَفُ إنصافُهم إِذَا شهِدوا ... وصبْرُهم حِينَ تَشْخَص الحَدَق

فاستحسنه وشرب عليه وأمر له بخمسمائة دينار ثم غَنَّى علّوية :

يَجْحَدْنَ دَيْنِى بالنَّهار وأَقتَضِى ... دَيْنِى إذا وَقَذَ(٥) النعاسُ الرُّقَّدا
وأَرَى الغَوَانِى لا يُواصِلْنَ امرأً ... فَقَدَ الشَّبَابَ وقد يَصِلْن الأَمْرَدَا

فقال له الرَّشيد : يا عَاضَّ كَذَا وكَذَا ! أتغنِّى فى ذَمّ الشيب ومَدْح المُرْد وسِتَارَتِى منصوبة وقد شِبْتُ فكَأَنَّك إنَّما تُعرِّض بى ! ثم دعا بمَسْرور وأمرَه أن يَضْرِبَه ثلاثين دِرَّة ويخرجه عَنْ مَجْلسه ، ففعل ؛ وما انْتَفَعْنَا به بقِيَّةَ يَوْمنا ولا انتفعَ بنفسه ، وجَفَا عَلّوية شهرا ثم سألناه فيه فأَذِن له .

---

(١) فى ت : التى تفعلنه .
(٢) فى غ : فغناه .
(٣) فى غ : ومضت .
(٤) القتير : رءوس المسامير فى الدروع . وفى ت : الفتين « تحريف » .
(٥) وقذ : غلب .

ولما اشتدّ بإبراهيم القُولَنج ولزمه ركب إليه الرشيدُ وعاده فدخل إليه وهو في الإيوان(١) جالس فقال : كيفَ أنتَ يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله يا سيدي كما قال الشاعر :

سَقيمٌ مَلَّ منه أقربُوه ‏ ‏ ‏ ‏ وأسْلَمه المُداوِي والحَميم

فقال الرّشيدُ : إنّا لله ! وخرج فما بَعُدَ حتّى سَمِع نَعيَه . ومات معه في اليوم الّذي ماتَ فيه الكسائيّ النحويّ والعبّاس بنُ الأحْنف الشاعر وهُشَيْمة الخَمّارة ، فرُفع ذلك إلى الرشيد ، فأمَر المأمونَ أن يُصلّي عليهم ، فخرج فصُفّوا بين يدَيْه ؛ فقال : مَنْ هذا الأوّل ؟ فقالوا : إبراهيم المَوْصِلي ؛ قال : أخِّرُوه وقدِّموا العبّاسَ ابنَ الأحْنَف فقُدِّم فصلّى عليهم . فلما فرَغ دنا منه هاشم بنُ عَبْد الله بن مالك الخزاعِي وقال له : يا سيِّدي ، كيف آثرتَ العبّاس بالتقْدمة على مَنْ حضر ؟ قال : لقوله :

وسَعَى بِهَا نَاسٌ وقَالُوا إنّها ‏ ‏ ‏ ‏ لَهِيَ الّتي تَشْقَى بها وتُكابِدُ
فجحدتُهم ليكونَ غيرَكَ ظنُّهُم ‏ ‏ ‏ ‏ إنّي لَيُعجِبُني المحبّ الجاحِد

ثم قال : أتحفَظُها ؟ قلت : نعم ؛ قال : أنشِدْني باقِيها ؛ فأنشدتُه :

لمّا رأيتُ الليلَ سَدَّ طَريقَه ‏ ‏ ‏ ‏ عَنّي وعَذّبني الظلامُ الرّاكد
والنّجم في كَبِد السّماء كأنّه ‏ ‏ ‏ ‏ أعمى تحيّر ما لديْه قائد
ناديتُ مَنْ طَرد الرُّقاد بصده(٢) ‏ ‏ ‏ ‏ عمّا أعالِج وهو خِلْوٌ هاجد
يا ذا الّذي صدَع الفؤادَ بصده(٣) ‏ ‏ ‏ ‏ أنت البَلاء طريفُه والتّالِد

(١) في غ : الأبزن .
(٢) في ت : بنومه .
(٣) في غ : بهجره

أَلقيتَ بين جفون عيني حُرْقَةً فإلى مَتَى أنا ساهرٌ يا راقِدُ

فقال المأمون : أَليْس هَذَا الَّذِى قَالَ كَذَا حَقِيق بالتَّقْدِمة ؟ قُلْت : بَلَى واللهِ يَا سَيِّدِى .

قال القاسم المَوْصِلِى : دخلتُ على إبراهيم بن المَهْدِى عَقِب موت إبراهيم المَوْصِلِى وهو يَشْرَب وجَوَاريه تُغَنِّى فذَكَرْنا إبراهِيمَ الموصِلِىّ وحِذْقَهُ وتَقَدُّمه ، وأطنَبْنا فى ذَلِك وإبراهيم مُطْرِق ، فلما طَالَ كلامُنا اندفَع إبراهيمُ يُغَنِّى فى شِعْر ابن سيّابة يَرْثى إبراهيم :

تولّى المَوْصِلِىّ فقد تولّتْ بشاشاتُ المَزَاهِر والقيانِ

وأَىّ بَشَاشةٍ بَقِيتْ فتَبْقَى حياةُ الموصِلِىّ على الزَّمان

سَتَبكِيه المَزَاهِرُ والمَلاهِى وتُسْعِدُهُنّ عاتقةُ الدّنان

وتَبْكِيه الغَوِيَّة إذ تَوَلَّى ولا تبكيه تَالِيَة القُران

قال: فأبْكَى مَنْ حضر ؛ وقلت فى نَفْسى : أتُراه هو إذَا مات من يَبْكِيه : المحراب أم المُصْحَف ؟

وكَانَ كَالشَّامِتِ بِمَوْته .

قال إسْحَاق : دخلتُ على الرَّشيد عَقِب وَفَاةِ أَبى بشهْرَيْن ، فلَمّا جلَسْتُ ورأيت مَجْلسه الذى كان يَجْلِس فيه دَمَعَت عَيْنَاى فكَفَفْتهُما وقصرت فلَمَحَنِى الرَّشيد فاسْتَعْبَر وكانَ رَقِيقا ؛ فوثَبْتُ قَائِماً ثم قلت :

فى بَقَاءِ الخليفة الميمون خَلَفٌ من مُصيبة المَحْزُونِ

لا يَضِير المصابَ رُزْءٌ إذَا مَا كان ذا مَفْزَع إلَى هارون

فقال: كذاك والله هو ، ولن تَفْقِد من أَبيك إلّا شَخْصَه، وأمر بإفَاضَة[١] رِزْقه إلَى رِزْق ؛ فقلت: بل يأمُر به أَمِيرُ المُؤْمنين لولده ، فَفِي خِدْمَتي إيَّاه مايَكْفِيني[٢]، فقال : اجعلوا رِزْقَ إبراهيمَ لوَلَدِه وأَضْعِفُوا رِزْقَ إسحاق .

(١) فى غ : بإضافة .

(٢) فى غ : يغنيني .

إسْحاق بنُ إبْراهِيم المَوْصِليّ

كُنْيته أبو محمد ونَسَبه قد تقدَّم فى ترجمة أبيه. وكان الرشيدُ مولعاً به فيكْنِيه أبا صَفْوان ، وهى كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب[1] مَزْحًا . ومنزلته من الأَدَب وموضعه من العلم وتَقَدُّمه فى الشِّعْر أشهرُ من أن يُدَلّ علَيْها بوصف .

وأما الغِنَاء فأصغرُ عُلُومه ، ولم يكُن له فى أَدَوَاته كفء ولا نظير ، لَحِق من مضى وسَبَق مَنْ بقى .

وكان أكرهَ النـاسِ للغناء وأشدَّهم بُغْضًا له لِئَلَّا يُسَمَّى به . قال المأمون : لولا ما سَبَق لإسحاق على [ألسنة] الناس وشُهْرته عِندهم من الغِنَاء لولَّيْتُه القضَاء بحضرتى ، فإنَّه أولى به وأعفّ وأصدق وأكثر دِيناً وأمانَةً من هؤلاء القضاة. هذا مع تَحْصيلِ المأمون وعَقْله ومَعْرِفَته .

وَرَوى الحديثَ ولَقِى أهلَه مثلَ مالك[2] بن أنس وسفيان بن عُيَيْنة وغيرهما من شيوخ العراق .

وأُمُّه امرأةٌ من أَهْل الرّىّ يقال لها شاهك ، وقيل دُوشَار التى كانت تُغَنِّى بالدّف ، فهَوِيَها إبراهيم فتزوَّجها . وهذا خَطَأ ؛ فإن هذه لم تلد من إبراهيم إلا بِنْتًا ، وإسْحَاق وسَائِر ولد إبراهيم مِنْ شَاهك .

قال إسْحَاق : أقمْتُ دَهْرًا أُغَلِّس[3] كل يوم إلَى هُشَيم فأسمع منه ثم أَصِيرُ إلَى الكِسَائى أو الفرَّاء فأقرأ عَلَيْه جُزْءًا من القرآن ، ثم آتى منصور زلزل فيضاربنى

(١) فى ت : أبو إسحاق إبراهيم بن مصعب .

(٢) فى ت : خالد « تحريف » .

(٣) أغلس : أذهب إليه فى الغلس : ظلمة آخر الليل .

طَرْقَين[1] أوثلاثة ، ثم آتى عاتكةَ بنت شُهْدَة فآخذ منها صوتا أو صوتين ، ثم آتى الأَصمَعِيّ وأبا عُبَيْدة فأُنَاشِدهما وأحادِثهُماواستفيد منهما ، ثم أَصِير إلى أبى فأُعلمه بما صَنعت وأَخَذْتُ ، وأَتَغَدَّى معه وأَرُوح معه عِشاءً إلَى أَمِير المؤمنين .

وقف أَبُو عبد الله بن الأعرابيّ على المدائنى ، فقال له : إلَى أينَ يا أبا عبد الله ؟ فقال : أمضى إلى رجل هو كما قال الشاعر أَبُو تمَّام .

نَرْمى بأَشْبَاحِنـــا[2] إلَى مَلِكٍ نأخـــذُ من ماله ومن أَدَبِهْ

قال: ومن ذلك ؟ قال : إسحاق بنُ إبْراهيم .

وكان إسحاق بن إبراهيم يُجْرِى على ابْنِ الأعرابى فى كُلِّ سنة ثلاثمائَة دينار ، وأهدى له ابنُ الأَعْرَابِيّ شيئاً من كُتُبِ النَّوَادِر .

قال إسْحَاق المَوْصِلِيّ : جئتُ يوما إلى أَبِى معاوية الضرير ومعى مائة حـديث ، فوجدتُ حاجبَه يومئذ رجلا ضريرا ؛ فقال لى : إنّ أَبَامعاوية قد ولّانى حِجْبَته لينفعَنى، فقلت له : معى مائةُ حديث وقد جعلتُ لك مائة درهم إذَا قرأتُها ؛ فدخل فاستأْذَنَ لى فدخلت على أَبِى معاوية ؛ فلما عَرَفنى دعاه فقال له : أخطأْتَ إنَّما جعلتُ لك ذلك على الضُّعفَاء من أصحاب الحديث ، فأمَّا أَبُو محمد وأَمثالُه فلا ؛ ثم أقبلَ علىّ يُرَغِّبنى فى الأَجْر إليه ويذكر ضعفَه وعنايتَه به ؛ فقلت له : أُحتكِم فى أمره ، فقال : مِائَة دِينار ؛ فأمرت الغلامَ بإحضارها وقرأتُ عليه ما أردت وانصرفت.

قال إسْحَاقُ بنُ إبراهيم : رأيت فى مَنَامِى جَرِيراً جالسا يُنشد وأنا أسمع ، فلما فرغ أخذ كُبَّة من شَعر فألقاهَا فى فمى فاً بتلعتُها ؛ فأوّل ذلك بعضُ من ذكرتُه له أنه

---

(١) فى ت : طريقتين « تحريف » . والطرق : صوت أو نغمة بالعود ونحوه .

(٢) فى غ : نحمل أشباحنا .

وَرَّثني الشعر. قال يزيد[1] بن محمد المُهَلَّبي : وكذلك كان، فقد مات إسْحاق وهو أشعرُ أهل زَمَانِه .

قال إسْحاق : دخلتُ على المأمونِ يوما وعَقِيدٌ يُغنِّيه مرتجلا وغيره يَضْرِب عليه ، فقال : يا إسحاق ، كيف تسمع مُغَنِّيناَ هذا ؟ فقلت : هل سأل أمير المؤمنين غيرى عن هذا ؟ فقال : نعم ، سألت عَمِّى إبراهيم فقرَّظَه واستَحْسنه . فقلت : ياأمير المؤمنين ـ أدامالله سرورَك ، وأطاب عيشَك ـ إنَّ الناس قد أكثروا فى أَمْرِى حتى نَسَبَتْنى فرقة إلى التَّزَيُّد فى عِلْمِى ، قال : فلا يمنعُك ذلك من قول الحق إذا لَزِمك ، فقلت لعَقيد : اردُد الصوتَ الذى غنيتَه ، فردّه وتحفَّظ فيه وضرب عليه ضَارِبُه . فقلت : لإبراهيم بن المهدىّ . كيف رأيتَه ؟ فقال : ما رأيتُ شيئاً أُنْكره مما سَمِعْتُه، فأقبلت على عَقيد فقلت له لَمَّا استوفاه : فى أى طَرِيقةٍ غَنَّيْت ؟ فقــال : فى الرَّمَل . فقلت للضَّارب : فى أى طَرِيقة ضَرَبْت ؟ فقال فى الهَزَج الثَّقِيل ؛ فقلت : يا أمــير المؤمنين ، ما عَسَى أن أقولَ فى صوت يُغنِّيه مُغَنِّيه رَمَلًا ، ويضرب ضاربه هَزَجا ثَقِيلًا ، وليس هو صَحيحا فى إيقاعه الذى ضرب عليه ! قال : وتَفَهَّمه إبراهيم بن المهدى . فقال : صَدَقَ يا أمير المؤمنين ، والأمْر فيه بَيِّن . فَعَجِب المأمونُ من ذلك ، كيف خَفِى على كل من حضر .

تناظر المُغَنُّون يوما عند الواثق ، فذكروا الضُّرَّاب وحِذْقَهم ، فقدَّمَ إسحاق زَنُوباً[2] على مُلَاحِظ ، ولِمُلَاحظ إذ ذاك الرِّيَاسَة على جَميعهم ، فقال الواثق : هذا حيفٌ وتَعَدٍّ ، فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين ، اُجْمَع بينهما وامْتَحِنْهما ، ويكون الأمر واضحا . فأمر بهما فأُحْضِرا ؛ فقال له إسحاق : إنّ للضُّرَّاب أصواتا معروفة ،

---

(١) فى ت : زيد .

(٢) فى غ : زلزلا .

أفامتحنتهما بشيء منها ؟ قال : أجل ؛ فسمّى له ثلاثة أصوات يُقرّر منها صوتاً ، فضربا عليه فتقدّم زنوب(١) وقصّر ملاحظ ؛ فتعجّب الواثق من كشفه عمّا ادّعاه في مجلس واحد . فقال ملاحظ : فما باله يا أمير المؤمنين يُحيلك(٢) على الناس ولا يضرب هو ! فقال : يا أمير المؤمنين إنّه لم يكن أحدٌ في زماني أضربَ مني إلّا أنكم أعفيتموني منه ؛ وعلى أن معي بقيةً لا يتعلّق بها أحدٌ من هذه الطبقة ؛ ثم قال : يا ملاحظ ، شوّش عودك وهاته ، ففعل ذلك . فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين هو ذا يُخلّط الأوتارَ تخليط(٣) مُتعَنّت ، ثم أخذ العود فجسّه ساعة حتى عرف مواقعه ، ثم قال : يا مُخارق(٤) ، غنّ أيّ صوت شئت ، فغنّى مُخارق ، وضرب عليه إسحاق في ذلك العود الفاسد المُشوّش ، فلم يَخرُج عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نَقْرة واحدة ، ويدُه تصعد وتنحدر على الدّساتين ؛ فقال الواثق : لا والله ما رأيتُ ولا سمعتُ مِثْلك ! اطرح هذا على الجواري ؛ فقال : هيهات يا أمير المؤمنين ، هذا شيء لا تفي(٥) به الجواري ولا يصلح لهن ، إنّه بلغني أنّ الفهليذ(٦) ضرب يوما بين يدي كِسْرى أبرويز فأحسَنَ ، فحسده رجل من حُذّاق أهل صناعته فرَقَبه(٧) حتى قام لبعض شأنه ، ثم خالفه إلى عوده فشوّش بعض أوتاره فرجع فضرب وهو لا يدري ، والملوك لا تُصلَح في مجالسهم آلة ، فلم يزل يضرب بذلك العود حتى فرَغ ، ثم قام على رجله وأخبر الملك بالقصة ، فامتحن العود فعرف

---

(١) في غ : زلزل .
(٢) في ت : يحيل .
(٣) في ت : خلط .
(٤) في غ : ملاحظ .
(٥) في غ : تعرفه .
(٦) في ت : الفلهيذ .
(٧) في غ : فترقبه .

ما فيـه ، فقال له : « زِهْ زِهْ وزهانْ زِهْ »(١) ووصله بالصِّلة التى كان يصل بها من يُخاطبه بهذه المخاطبة ، فلما سمعتُ هذه الرواية حدَّثتُ نفسى به ورُضْتُها عليه وقلت: لا ينبغى أَنْ يكون الفهليذ أقوى على هذا منّى ، فما زلتُ أستنبطه بضعَ عشرةَ سنةً حتى لم يَبْقَ فى الأَوْتَار(٢) موضع على طبقة من الطبقات إلا وأَنا أعرف موضعَها ونغمتها كيف هى ، والمواضع التى يخرج النغم كلها منه من أَعالِيها إلى أَسَافِلها(٣) ، وكلَّ شىء منه يجانسُ منها غيره ، كما أعرف ذلك فى الدَّسَاتين ؛ وهذا شىء لا تَفِى به الجوَارِى . فقال له الواثق: صدقت ، ولئن مُتَّ لَتَمُوتَنَّ هذه الصِّنَاعة معك ؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم .

قال إسْحَاق : دَعَانِى المأمونُ يوما وعنـده إبراهيمُ بْنُ المَهْدِىّ ، وفى مَجْلِسه عِشْرُون جارية ، قد أَجْلَس عَشْرًا عن يمينه وعَشْرًا عن يساره ؛ فلما دخلت سمعتُ من الناحِيَة اليُسْرَى خطأً فأنـكرتُه ؛ فقال المأمون : أَسَمِعْتَ خطأً ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ فقال لإبراهيم بن المهدى : هل تَسْمَعُ خَطَأً ؟ قال : لا ؛ فأعاد علىَّ السؤال ، فقلت : بلى يا أَميرَ المؤمنين ، وإنه فى الجانب الأيسر ؛ فأَعاد إبْرَاهِيم سمعَه إلى الناحية اليسرى ثم قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما فى هذه الناحية خطأ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين : مُرِ الجوارِىَ اللاتى على اليمين فأمرهن فأمسكن ثم قلت لإبراهيم : هل تسمع خطأ فتسمَّع ثم قال : ما ههنا خطأ فقلت : يا أمير المؤمنين يُمْسِكن ، وتَضْرِبُ الثَّامِنَة . فأَمسَكْن وضربت الثَّامِنة ، فعرف إِبْرَاهِيمُ الخطأَ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، ههنا خطأ ؛ فقال المأمونُ عند ذلك لإبراهيم بن المهدى :

(١) كلمة فارسية معناها أحسنت .
(٢) فى غ : الأرض .
(٣) فى ت : أسفلها .

لا تُمَارِ إسحاقَ بعدها ؛ فإنّ رجـلًا عرف الخطأ بين ثَمَانين وَتَرا وعشرين حَلْقا لجَدِيرٌ ألّا تُمَارِيَه ؛ قال : صدقتَ يا أمير المؤمنين ـ وكان فى الأَوْتَارِ كُلِّها مَثْنًى فاسدُ التسوية ـ فطرب المَأْمُون وقال : لله دَرُّك يا أبا محمد فـكَأَنّانِى يَوْمَئِذ .

كان الوَاثِقُ يقول : ما غَنَّانى إسْحَاق قط إلّا ظننتُ أنّه قد زِيد لى فى مُلْـكى ؛ وإنّ إسْحَاق لنعمةٌ من نعم الملك[١] التى لم يَحْظَ أحـدٌ بمثلها ؛ ولو أنّ العمرَ والشباب والنشاط مما يُشترى لاشتريْتُهن له بشَطْر مُلْكِى .

سأَلَ إسحاقُ الموصلى المأمونَ أن يكون دُخُوله مع أهل العلم والأدب والرُّواة لا مع المُغَنِّين ، فإذا أراد الغناء غَنَّاه ، فأجابه إلى ذلك ؛ ثم سأله بعد مدة طويلة أن يأذن له فى الدُّخُول مع الفقهاء ؛ فأذن له . فدخـل يوماً مع يحيى بن أَكْثم مُتَمَاسِكين وعَلَّويه ومُخَارِق فى حجرة لهما ينتظران جلوسَ المأمون ، فرأياهما وقد دَخَلا حتى جَلَسا بين يدى المأمون ، فـكاد عَلَّويه أن يُجَنّ ، وقال : يا قوم ، أسمعتم بأعجب من هـذا ! يدخل قَاضِى القضاة ويده فى يد مُغَنّ حتى يجلسا بين يدى الخليفة ! ثم مضت مدة ، فسأل إسحاق المأمون فى لُبس السواد يوم الجمعـة والصلاة معه فى المَقْصُورة ؛ فضحك المأمون وقال : ولا كُلّ هذا يا إسحاق ! وقد اشتريتُ منك هذه المسألة بمائة ألف درهم وأمر له بها .

وكان المُغَنُّون يحضُرون مجلس الواثق وعيدانُهم معهم إلّا إسحاق ، فإنه كان يحضُر بلا عود للشرب والمجالسة ؛ فإذا أمره الخليفة أن يغنِّى أحضر له عودا وإذا فَرَغ سُلّ[٢] من بين يديه إلى أن يَطْلُبَه .

---

(١) فى ت : الملوك .

(٢) فى ت : شيل .

وكان الوَاثق يكنِّيه رفعاً له من أن يدعوه باُسمه ؛ وكان إذا غَنَّى وفرغ الوَاثِق من شرب قدحه قطع الغِناء ولم يُعِد منه حرفا إلّا أن يَكُون فى بعض بيت فيُتَمِّمه ، ثم يقطع ويضع العود من يده .

قال إسْحَاقُ : كنت عند الرَّشيد يَوْماً ، وعنده ندماؤه وخاصته وفيهم إبْرَاهِيم ابنُ المهدى فقال الرَّشيدُ : غَنِّ :

أَعاذِلُ قد نَهَيْتِ فَمَا انتهيتُ ... وقد طال العتابُ فما ارعويتُ
أعاذل ما كَبِرْتُ وفِيَّ مَلْهًى ... ولو أدركتُ غايتك انثَنَيْتُ[1]
شَرِبتُ مُدامةً وسُقِيتُ أُخْرى ... وراح المنتشون[2] وما انتَشَيْتُ

فَغَنَيْتُه ؛ فأقبل علىّ إبراهيمُ بن المهدى فقال لى : ماأصبتَ ياإسحاق ولاأحسنت ؛ فقلت له : ليس هذا مِمَّا تعرفُه ولا تُحْسِنه ، وإن شئتَ فغَنِّه فإن لم أجدكَ أنك تُخطىء فيه منذُ ابتدائك إلى انتهائك فدَمِى حلال . ثم أقبلتُ على الرَّشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتى وصناعة أبى وهى التى قرَّبَتْنَا منك وأوطَأَتْنَا بساطك ، فإذا نازَعنا أحدٌ بلا عِلْم لم نجد بُدًّا من الإيضَاح والذَّبِّ فقال : لا لومَ عليْك ؛ وقام الرشيد لِيَبُول ؛ فأقبل إبْرَاهِيم بن المهدى علىّ وقال لى : ويلك يا إسحاق أتَجْترِىء علىّ وتقول ما قلتَ يا ابن الزانية[3] ! فداخَلنى ما لَمْ أَملك نَفْسى معه ؛ فقلت له : أنت تَشْتُمُنى ولا أَقْدِر على إجَابَتك وأنتَ ابْن الخليفة وأَخُو الخَلِيفَة ، ولولا ذَلِك لقلتُ لك : يا ابْنَ الزَّانِيَة كما قُلْت ؛ أو ترَانى لا أحسن أن أقول لك : ياابْنَ الزَّانيَة ؛ ولكن قولى لك ذلك يَنْصَرِف إلَى خالك ، ولولا ذلك لذكرتُ صناعتَه ومذهبَه قال : وكان بَيْطَاراً . ثم سكتّ وعلمتُ أن إبراهيم سَيَشْكُونى إلَى الرَّشيد وسوف يَسْأَل

---

(١) فى غ : انتهيت .
(٢) فى ت : المنتشئون . « تحريف » .
(٣) فى غ : الفاعلة .

مَنْ حَضَرَ عما جرى فيخبرونه ، فتَلَافَيْتُ ذلك بأن قلتُ : أنت تظنّ أن الخلافة لك ، فلا تزال تهدّدنى بذلك وتُعَادِينى كما تُعَادِى سائرَ الأولياء وغلمانَ أخيك حَسَداً له ولولده على الأمر ! وأنت تَضْعُفُ عنه وعنهم وتَسْتَخِفّ بأوليائهم تشفّياً ؛ وأرجو ألا يخرجها الله تعالى عن الرشيد ولا عن وَلَده ، وأن يَقْتُلَك دُونَها ، فإن صارت إليك ـ والعِيَاذُ بالله ـ فحرامٌ علىّ العيشُ حينئذ ، والموتُ أطيبُ من الحياة معك ، فاصنَع حينئذ ما بَدَا لك . فلما خرج الرشيد وثَبَ إبراهيمُ فجلَس بين يديه فقال يا أميرَ المؤمنين : شتَمَنى وذكر أُمّى واستخفّ بى ؛ فغضب الرشيد وقال لى : وَيْلَك ما تَقُول ؟ قلت : لا أعْلَم فسَلْ مَنْ حضر فأقبل على مسرورٍ وحُسَين[1] : فسألَهُما عن القِصّة فجعلا يخبرانه ووجهه يتربّد[2] إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة ، فسُرِّى عنه ورجع لونُه وقال[3] : لا ذنبَ له ، شتمتَه فعرّفك أنه لا يقدر على جوابك ، ارْجِع إلى موضعك وأَمْسِك عن هذا . فلمّا انقضَى المجلس وانصرفَ الناس ، أمر بألّا أبْرَح ، وخرج كُلُّ من حضر حتى لم يَبْقَ غَيْرِى ؛ فساءَ ظَنّى وأوهمتْنِى نَفْسِى ؛ فأقبل علىّ وقال : يا إسحاق أتُرَانِى ما أفْهَم قولَك ومرادَك ! وقد زَنَّيْتَه[4] ثلاثَ مرات أتُرَانِى لا أعرِف وقَعَاتِك[5] وأقدامَك وأين ذهبت ! ويلك ! لا تَعُد ؛ حَدِّثنى عنك ، لو ضربك إبراهيم ، أكنت أَضْرِبُه وهو أَخِى يا جاهل ! أتُرَاه لو أمر غلمانَه فقَتَلوكَ أكنتُ أقتله بك ؟ ! فقلت : والله يا أمير المؤمنين قتلتنى بهذا الكلام ، وإن بلغه ليَقْتُلَنّنِى ، وما أشك فى أنه بلغه الآن فصاح بمسرور وقال :

---

(١) مسرور وحسين : خادمان كانا للرشيد . وفى (ت) حسن بدل حسين.

(٢) فى ت : يزبد

(٣) فى غ : وقال لإبراهيم .

(٤) زناه : قذفه ونسبه إلى الزنا .

(٥) فى غ : وقائعك .

عليّ يا إبراهيم فأحْضِر ، فقال لى : قم فانصرف ، فقلت لجماعة من الخدَم وكُلّهم كان لِي مُحِبا وإليّ مائِلا ولِي مُطِيعا : أَخْبِرُونى بما يَجْرِى ، فأخبرونى من غد أَنَّه لما دخل عليه وَبَّخَه وجَهَّله وقال له : أتستَخِف بخَادِمِى وصَنِيعَتى وابْنِ خَادِمِى وصَنِيعَتى وصَنِيعة أبِى فى مَجْلسى ، وتَقْدِم عليّ وتَسْتَخِف بمَجْلسى وحَضْرتى ؟ هاه هاه[١] ! وتُقدِم على هذا وأمثاله ! وأنت مالَك وللغِنَاء ، وما يُدريك ماهو ؟ ومَنْ أَخَذك به وطَارَحكَ إيّاه حتّى تتوَهّم أَنّك تَبلغ فيه مبلغ إسْحَاق الذى غُذِى به وعُلّمه وهو من صِناعته ؟ ثم تَظُن أنك تُخَطّئه فيما لا تَدْرِيه ، ويَدْعوك إِلَى إقامة الحجّة عليه[٢] فلا تثْبت لذلك وتعتصم بشَتْمه ! هذا مما يدل على السُّقُوط وضعف العقل وسُوء الأَدَب من دُخُولك فيما لا يُشْبِهك وغَلَبة لذتك على مُرُوءتك وشَرَفك ثم إظهارك إياه ولم تحكمه وادعائك مالا تعلمه[٣] حتى ينسبُك إلى إفراط الجهل ! أَلَا تعلم أَنّ هذا سُوء أدب وقلّة معرفة وعدم مُبالَاة بالخطأ والرد القبيح والتكذيب! ثم قال : والله العظيم وحَقّ رسوله ، وإلّا فأنا برىء[٤] من المَهْدِى إن أصابه أحد بمكْروه ، أو سَقَط عليه حَجَرٌ من السماء ، أو وَقع مِن دَابَّته أو سقطت عليه سَقِيفة أو مات[٥] فجأة ، لأقتلنّك به ؛ والله ! والله ! والله ! وأنتَ أَعْلَم قُم الآن فاُخرج ولا تعرِض له ؛ فخرج وقد كاد أَنْ يَموت . فلما كان بعد ذلك دَخَلْت عليه[٦] وإبراهيم عنده ؛ فجعل ينظر إِلَيّ مَرّة وإليه مَرّة ويَضْحَك ثم قال : إنى لأعلم محبَّتك لإسحاق وميلَك إليه وإلى الأَخْذ عنه وإنّ هذا لا يَجيئك من جهته كما تُرِيد إلا بعد

---

(١) هاه هاه : تكون حكاية لضحك الضاحك ، وتكون للوعيد .

(٢) فى غ : عليك .

(٣) فى ت : تقديم وتأخير فى الكلام واضطراب فى العبارة استعنا على إصلاحه بما جاء فى الأغانى

(٤) فى غ : نفى .

(٥) فى ت : باب .

(٦) فى غ : إليه .

أن يَرْضَى ، والرِّضا لا يَكُون بمكروه ، ولكن أَحْسِن إليه وأَكرِمْه وأعرِف حَقَّه وصِلْه ، فإذا فعلتَ ذلك وخالف ما تَهْوَاه عاقَبْتَه بيد مُسْتَطِيلة[1] ولسان منطلق ، ثم قال لى : قم الآن إلى مولاك وابنِ مولاك فقبِّل رأسه ؛ فقمتُ إليه ، وقام إلىَّ واصْطَلَحْنا .

قال إسحاق : لَمَّا أراد الفضلُ بن يَحْيى الخروجَ إلى خراسان ودَّعْتُه وأنشدته :

فِراقُك مثلُ فراق الحياةِ وفقدُك مثلُ افْتِقَادِ الدِّيَمْ
عليك السلامُ فكم من وَفَاء أفارِق منك[2] وكم من كَرَمْ

فضَمَّنى إليه ، وأَمَر لى بألف دينار ، وقال لى: ياأبا محمد ، لو حَلَّيت هذين البيتين بصنعة وأدعتهما من يَصلُح للغناء معنا لأهديتَ لى بذلك أُنْساً وأذكرتنى بنفسك ؛ ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المغنين ؛ فأمر لى بألف دِينار أخرى ، وكان كتابه لا يزال يَرِد على ومعه ألفُ دِينار وألفا دِينَار يَصِلُنى بذلك كُلَّما غُنِّى بهذا الصَّوْت .

حدّث أحمدُ بنُ يحيى المَكّى قال : دعانى الفَضْل بن الربيع ودعا عَلّوية ومخارِقا فلما اجتمعنا عنده كَتب إلى إسحاقَ يسأله أن يَصير إليه ويُعْلِمَه الحالَ فى اجتماعنا عنده، فكتب إليه: لا تَنْتَظِرُونى بالأكل فقد أكلت ، وأنا أصير إليكم بعد ساعة ؛ فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرب الظُّهْر[3]، ثم وَافَى إسحاق وجاء غلامه بِقَطْرميز[4] نبيذ فوضعه نَاحِيَة ، وأمر صاحِبَ الشّرَاب أن يسقيه منه ، وكان عَلّوية يغنّى الفضلَ ابن الربيع فى لحنٍ لسِيَاط اقترحَه عليه يعجبه وهو :

(١) فى غ : منبسطة .
(٢) فى غ : فيك .
(٣) فى غ : العصر .
(٤) القطرميز : قلة كبيرة من الزجاج .

فإن تَعْجَبِي أو تُبصرى الدهرَ طَمَّنِي بأحداثه طمَّ المُقَصَّص بالجَلَم(١)
فقد أترك الأضيافَ تندَى رِحَالُهم وأكرمهم بالمَحْضِ والتَّامك السَّنَم(٢)

فقال له إسحاق : أخطأت فى هذا الأداء وأنا أُصْلح لك هذا الصوت ؛ فجُنَّ عَلَّويه واُغتاظ وقامت قيامَتُه ، فأقبل إسحاق عليه وقال : يا حَبيبى ، ما أردتُ الوضع منك بما قلتهُ لك ، وإنما أردت تهذيبَك وتقديمك(٣) لأنَّك منسوبٌ الخطأ والصَّواب إلَىَّ وإلَى أبى ، فإن كرهْتَ ذلك تركتُك وقلت لك : أجمَلْت وأحْسَنْت ؛ فقال له عَلَّويه : والله ما أردتَ هـذا وما أردتَ إلا ما لا تتركه أبدا من سوء عِشْرَتك ! أخبرْنى عنك حين تجىء هَذَا الوقت لَمَّا دَعَاكَ الأمير وعَرَّفك أنه نَشِط للاصْطِبَاح : ما حملك على الترفع عليه فى مُبَاكرته وخدمته ثم تجيئُه ومعك قَطْرَميز نَبيذ ترفُّعا عن شرابه كما ترَفَّعْتَ عن طعامه ومجالسته الندماء [إلا كما](٤) تَشْتَهى وحين تَنْشط كما تفعل الأكفاء، ثم تَزِيد على فِعْل الأكفاء، ثم تَعْمِد إلى صوت قد اُشتهاه واُقترحه وسمعه كلّ من حضر فما عابه أحد منهم فَتعيبه ليتم تَنْغيصك إيّاه لذَّتَه ! أَمَا والله لو كَانَ الفضلُ بنُ يَحْيى أو أخوه جَعْفر ـ لا والله بل بَعْض أتباعهم ـ دَعَاكَ إلى ما دعاك إليه الأمير لما رَدَدْت ولا تأخّرت ولا اعتذرت ؛ قال : وأَمْسَك الفضل عن الجواب إعجَابًا بما خاطب به عَلَّويه إسحاق ، فقال له إسْحَاق : أما ما ذكرت من تأَخُّرى عنه إلى الوقت الذى حَضَرْت فيه ، فهو يعلم أَنِّى لا أتأخر عنه إلا لِعَائِقٍ(٥) قَاطِع ،

(١) فى ت : بالحكم « تحريف » .
(٢) فى ت : النشم « تحريف » .
(٣) فى غ : تقويمك .
(٤) ما بين القوسين ساقط من « ت » .
(٥) فى غ : بعائق .

فإن وَثِق بذلك منى وإلّا ذكرته له سِرًّا من حيث لا يكون لكَ ولا لغيرك فيه مَدْخَل. وأما ترَفُّعي عنه فكيف أترفَّع عنه وأنا أنتَسِب إلى صَنائعه واستمنحُه وأعيش[(١)] فى فَضْله مذ كُنْتُ أنا وأبى وهذا التَّصَرّف[(٢)] لا أبَالى به منك وأمَّا حَمْل النبيذ معى، فإنّ لى فى النبيذ شَرْطاً من طعمه وريحه إنْ لم أجِده لم أقدر على الشّرب ويُنغِّص علىّ يومى، وإنما حملته معى ليتِمَّ نشاطى فينتفع بى. وأما طَعْنى على ما اختاره، فإنى لم أطعَن على اختياره، وإنّ الذى اخْتاره لَمِن مُختار الأصْوات وأطْيَب الغِناء، وإنَّما أردتُ تَقْويمك ولستَ والله ترانى مُتَتَبِّعًا لك بعد هذا اليوم تَقْويما ولا مُتَتَبِّعًا شيئاً من خَطَئِك ؛ وأنا أغَنِّى له ـ أعزه الله تعالى ـ هذا الصوتَ فيعلم وتعلم ويعلم الحاضرون أنك قد أخطأتَ وقَصَّرْتَ . وأمَّا البَرَامِكة فأمرُهم أشهرُ من أنْ أجحدَه . وإنِّى لحقيق فيه بالمَعْذِرة ، وأحرَى أن أشكرهم على صَنِيعهم ، وذلك أقَلُّ ما يَسْتَحِقّونه . ثمَّ أقبلَ على الفَضْل وقد غاظَه مدحُه لهم فقال: اسمع مِنِّى شيئاً أخبرك به مما فعلوه معى وليس بكبير[(٣)] من صَنائِعهم عِنْدى وعندَ أبى قبلى ، فإن وجدتَ لى فى ذلك عُذْرًا وإلّا فلُم : كنت فى ابتداء أمرى نازلا مع أبى فى داره وكان لا يزال يَجْرِى بين غلمانى وغلمانه وجوارىّ وجواريه الخُصُومَة ـ كما تَجْرِى بين هذه الطبقات ـ فيَشْتَكون غلمانَه إليه فأتبيَّن[(٤)] الضجر والتَّنَكُّر فى وجهه ؛ فاستأجرتُ داراً بقُرْبه وانتقلت إليها أنا وغلمانى وجوارىّ ، وكانت دَارًا واسعة فلم أَرْضَ ما معى من الآلة لها ولا لمن يدخل عَلَىّ[(٥)] من إخوانى أن يروا مثلَه عِنْدى ؛ ففكرت كيف أصنع فى ذلك

---

(١) فى غ : من .
(٢) فى غ : تضريب .
(٣) فى ت : بكثير .
(٤) فى ت : فأبين « تحريف » .
(٥) فى غ : إلى .

وزاد فِكْرى حتى خَطَرَ بقلبى قُبْحُ الأحدوثة من نزول مثلى فى دار بأُجْرة ، وإنى لا آمَنُ فى وقت أن يَسْتَأْذِنَ عَلَىّ صاحبُ دَارِى وعندى مَن أَحْتَشِمه ولا يعلم حالى ، فيقول لى غُلَامى : صَاحِب دَارِك على الباب ، أو يُوَجِّه فى وقت فيطلب الأَجْر وعندى مَن أَحْتَشِمه ؛ فضاق بذاك صدرى ضيقا شديدا حتى جاوز الحدّ ؛ فأمرت غلامى أن يُسرِجَ لِى حِمَارى لِأَمْضِى إلى الصحراء أتفرَّج فيها مِمَّا داخلنِى فأسرجه فركبت برداء ونعل ، وسرت وأنا مُفَكِّر فأفضَى بى السَّيْر إلى باب يَحْيَى بن خالد ، فوَثَبَ غِلْمَانُه ، وقالوا : أَيْنَ هذا الطَّرِيق ؟ فقلت : إلى الوزير ؛ فدخلوا واستأذَنُوا لى ؛ وخرج الحاجب فدخلت وبَقِيتُ خَجِلا ، وقد وقعت فى أَمْرَيْن قَبِيحَيْن[1] : إن دخلت بِرِدَاء ونَعْل وأعلمته أَنِّى قصدته فى تلك الحال كان سوءَ أدب ، وإن قلت له: إنى كُنْتُ مُجتَازًا ولم أقصدْك وجعلتُك طريقاً كان قَبِيحاً ؛ ثم عزمتُ على صِدْقه فدخلت ؛ فلما رآنى تَبَسَّم وقال: ماهذا الزّىّ يا أَبَا محمد ! احتبسنا[2] لك بالبر والقصد والتفقّد ، ثم عَلِمنا أَنَّك جعلتنا طريقاً ؛ فقلت : لا والله أيُّها الوَزِير ولكنّى أَصْدُقُك؛

قال : هات ؛ فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها ؛ فقال :أهذا شَغَل قلبك؟ قلت: والله! قال: لاتشغل قَلْبَك بهذا، ياغلام رُدُّوا حماره وهاتوا له خِلْعَة ؛ فجَاءونى بخلعة تامّة من ثِيابه فلبستُها ، ودعا بالطعام فأكلت ووُضِع النَّبِيذ فشربت وغَنَّيْتُه ، ودعا فى وسط ذلك بدَوَاة فكتب أربعَ رِقَاع ظننتُ بعضَها توقيعاً بِجَائزة لى ، وإذا هو قد دعا بعض[3] وكلائه فدفع إليــه الرِّقاع وسارَّه بشىء ، فزاد طمعى فى الجائزة ؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتَظِر فلا أَرَى شيئا إِلَى العَتَمة ؛ ثم اتّكأ يحيى

(١) فى غ : فاضحين .

(٢) فى ت : احتسبنا .

(٣) فى ت : دعا ببعض .

فنَام ، وقمت من عنده وأنا مفكِّر خائِب ، فخرجت وقدَّم لى غلامى حِمارِى ؛ فلمّا تجاوزت الدارَ قال لى غلامى : إلى أين تَمْضِى ؟ قلت : إلى البَيْت ؛ قال : قد والله بِيعَت دارك وأشهد على صاحبها ، وأُبتيع الدربُ كلُّه ووُزن ثمنه ، والمشترى جالِس على بَابك ينْتَظِرك ليعَرِّفك ، وأظنّه ابتَاع ذلك كُلّه للسّلطان لأنى رأيتُ الأمر فى عَجَلَتِه واسْتِحْثَاثِه أمراً سُلْطانيًا ؛ فوقعت فى ذلك فيما لم يكن فى حِسَابى ، وجئتُ وأنا لا أدْرِى ما أعمل ؛ فلما نزلت على بَابِ دَارِى إذا أنَا بالوَكِيل الذى سارّه الوزير يَحْيى قد قام إلىّ فقال : ادخل ـ أيَّدك اللهُ تعَالى ـ حتى أدخل إليك فى أمر أحْتَاج فيه إلى مُخَاطَبتك . فطابَت نَفْسِى بذَلِك ، فدخلتُ فأقرأنى كِتَاباً وتَوْقِيعَ يَحْيَى : «يُطلَق لأَبى مُحَمَّد مائَةُ ألف دِرْهم يبتاع له بها داره وجميع ما يُجاوِرُها ويُلاصِقُها» والتوقيع الثانى لابْنه الفَضْل « قد أمرتُ لأَبى محمد إسحاقَ بِمائَة ألف درهم يَبْتَاع بها داره ، فأطلِق له مِثْلَها لُينفقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها كما يَشْتَهى » . والتَّوْقِيعُ الثّالث إلى جَعْفر : « قد أمرت لأَبى مُحَمَّد إسْحاق بمائة ألف دِرْهم يَبْتاع له بها مَنْزِلًا يسكنه ، وأمر له أخوك بمائة ألف دِرْهم يُنْفِقُها على مَرَمَّتِها وبِنَائِها على ما يُرِيده ، فأطلِق له أنتَ مِائَة ألف درهم يَبْتَاع بها فَرْشاً لمنْزِله » . والتَّوْقِيعُ الرَّابع إلى مُحَمَّد : « قد أمرت أنا وأخَوَاك لِأَبى مُحَمَّد إسحاق بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يُبْتَاع له ونَفَقَة يُنْفِقها لإصلاحه وثَمَنِ فَرْش يُفرَش فيها فأْمُر أنتَ له بِمَائَة ألفِ درهم يَصْرِفُها فى سائر نفقاته » وقال لى الوكيل : قد حماتُ المَـال وابْتَعْتُ كلّ شىء جاورك بتِسْعين[1] ألف درهم ، وهذه كتب الأبتِيَاعات باسمى والإقْرَار لك ، وهذا المال بُورِك لك فيه فاُقبِضه فقبَضْتُه وأصبحت أحسنَ الناسِ حالا وأحسنَ حالا

---

(١) فى غ : بسبعين .

من أبي فى منزلى وفَرْشى وآلتى ؛ ولا والله ما هـذا بأ كبر شىء[١] فعلوه معى أفألام[٢] على شكرهم ؟ ! فبكى الفضْلُ وكلّ مَن حضر وقالوا : لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء . ثم قال له الفضْل: بحيَاتى غنِّ الصوتَ ولا تبْخَل على أبى الحسَن عَلّويه بأن تُقَوِّمه له ؛ قال : أفْعَل ؛ فغنَّاه وتبَيَّن عَلّويه أنه كما قال ، فقام وقبّل رأسه وقال : أنتَ أسْتاذُنا وابْنُ أسْتاذنا وأوْلَى بتقْويعنا من كلِّ أحد ، فردّه[٣] إسحاق عِدّة مرار حتَّى استوى لعلّوية :

يرْتَاح للدَّجْن قَلْبى وهو مقتَسِمٌ ... من[٤] الهموم ارتياحَ الأرْض للمطر
إنِّى جعلتُ ليـوم[٥] الدجن نِحْلَته ... أَلّا يزُول ولى فى اللّهْو مِن وَطَر

وَلإسْحاق :

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبا ... ونَأَى عنـــكَ جَانبا
قد بلغتَ الذى أَرَدْ ... تَ وإن كُنْتَ لَاعِبا

وله :

هل إلى نظرةٍ إليك سَبِيلُ ... يُرْوَ منها الصَّدَى ويُشْفَى الغَلِيل
إنَّ ما قَلَّ منك يَكْثُر عِنْدى ... وكَثِيرٌ ممّن[٦] تُحِبّ القَليـــل

قال الأصمعى : دخلتُ يوماً أنَا وإسحاق بن إبراهيم على الرَّشِيد فرأيتُه لقس[٧] النفس فأنشده إسحاق :

---

(١) فى ت : من أكبر .
(٢) فى ت : أفلام . « تحريف » .
(٣) رده : أعاده .
(٤) فى غ : بين .
(٥) فى غ : لهذا .
(٦) فى ت : مما !
(٧) لقست نفسه : غثت وخبثت .

وآمرةٍ بالبُخل قلت لها : أقصِرِى ... فذلك شىءٌ ما إليـــه سَبِيل
أرى الناسَ خُلَّان الكرامِ ولا أرى ... بَخِيلًا له حَتَّى المماتِ خليـــل
وإنّى رأيتُ البخــلَ يُزرى بأهلِه ... فأكرمتُ نَفْسِى أن يُقَال بَخِيــل
فمالى فعــالُ المُكثرين تَجَمُّلًا ... ومالِى كما قد تَعْلَمِين قَلِيــل
وكيف أخافُ الفقرَ أو أُحْرَمُ الغِنَى ... ورأىُ أَمِير المؤمنين جَميـــل

فقال الرشيد : لا تَخَف إن شاء الله تعالى ؛ ثم قال : لله دَرّ أبيات تأتينا بها ؛ ما أَشَدّ أصولها ، وأَحْسَن فصولَها ، وأَقَلّ فُضُولَها ! وأمر له بخَمْسِين ألف درهم ؛ فقال له إسحاق : وصفُك يا أمير المؤمنين لشِعْرِى أحسن منه ، فعلام آخذ الجائزة ؟ فضحك الرّشيد وقال : اجعلوها لهذا مائةَ ألْف دِرْهم . قال الأصمعى : فعلمتُ يومئذ أنّ إسحاقَ أحذقُ بصَيْدِ الدراهِم منِّى .

قال إسحاق : كنت عند الفَضْل بن الرّبيع يوماً ، فدخل عليـه[1] ابنُ ابنِه عبدُ الله بن العَبّاس بن الفَضْل وهو طفل ، وكان يَرِقّ عليه لأنّ أباه مات فى حَيَاته ، فأجلَسه فى حِجْره وضمّه إليه ودَمَعَت عَيْناه ؛ فأنشأتُ أقول :

مَدّ لك اللهُ الحيــاةَ مَــدّا ... حتى ترى ابنَك[2] هذا جَدّا
مُؤَزَّرا بمجده[3] مُرَدّى ... ثم يُفَدّى مثلَ ما تُفَدّى
أشبه منك سُنّة وخَــدّا[4] ... وشِيمَةً[5] مرضِيَّةً ومَجْدا
كأنّـه أنتَ إذا تَبَــدّى ... شمائلًا محمــودة وقَدّا

(١) فى غ : إليه .
(٢) فى ت : ابن ابنك .
(٣) فى ت : لمجده .
(٤) فى ت : وجدا .
(٥) فى غ : وشيا .

فتبسم الفَضْل وقال : أمتعنى الله بك يا أبا محمد ، فقد عُوضْتُ مِن الْحزْن سُرورا وتسليت[1] بقولك ، وكذلك يكون إن شاء الله تعالى ، وأمر لى بِثَلاثين ألفَ دِرْهم .

حكى عن جَحْظة أو عن الزُّبَيْر بن دَحْمان قال : مررت يوما على إسحاق بْنِ إبْرَاهِيم مسلِّماً فحبسنى وحبس نفسه ، وكان الفضــلُ بنُ الرَّبيع قد أمر بالمَصِيرِ إلَيْه ، فقال إسْحاق :

أَقِم يا أَبَا العَبّاس نُحْل ونَطْرَبِ[2] ... ونَلْه مع اللّاهين يوما ونَشْرِب[3]

إذا ما رأيتَ اليوم قد بَانَ[4] خيرُه ... فَخُذْه بشــكر واتْرُكِ الفضلَ يَغْضَبِ

فأقمْنا يومَنا وسُرِرنا ؛ ثم صار إلى الفضل بن الربيع ؛ فسأله عن سبب تأخره عنه ؛ فحدّثه الحديث مع إسحاق وأنشده الشعرَ فغضِب على إسحاق ، وحوّل وجهه عنه وأمر عوناً حاجبَه ألا يَسْتأْذِنَ عليـه ولا يُدخِله إليه ولا يُوصِل له رقعة ، فعمل إسْحاق :

حرامٌ علىّ الراحُ[5] ما دُمتَ غَضْبانَا ... وما لم يَعُد عنى رضاك كما كانا

فأحسِن فإنّى قد أَسأْتُ ولم تزَل ... تُعَوِّدُنى عنـــد الإساءة إحْسَانا

وأنشدهما إيّاه فرَضِىَ عنه وعاد إلى ما كان عليه له ، وعمل إسحاقُ فى عَوْن الحاجِب :

عونُ يا عونُ ليس مثلَك عونُ ... أنت لى عُدَّةٌ إذا كان كون

لك عندى والله إنْ رَضِى الفضـ ... ـل غُلَامٌ يُرْضِيك أو بِرْذَوْن

---

(١) فى ت : وسميت !

(٢) فى غ : أقم يا أبا العوام ويحك نشرب .

(٣) فى غ : ونطرب .

(٤) فى غ : جاء .

(٥) فى غ : الكأس .

قال: فأتى عونٌ إلى الفضل بالشعْرَيْن جميعا ؛ فقرأهُما وضَحِك وقال : ويلك[١] إنَّمَا عَرَض بك بقوله : « غُلَامٌ يُرْضِيك » بالسّـوء ، فقال عون : قد وعدنى بما سَمِعْت فإن شِئْتَ ألا تَحْرِمَنِيه فافْعَـل[٢] ، فأمره بإحْضَارِه فَحَضَر ورَضِيَ عنه ووَفَى لِعَوْن .

وكَانَ فى خُلُق إسحاق نَبْوَة عن الوَتْر .

قال [حماد بن] إسحاق : كان أبى يوما عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب ، فلما جلس للشرب جعل الغِلْمَان يَسْقُونَ مَنْ حضر ، وجاء غلامٌ قبيح الوجه إلى أبى بقدَحٍ فلم يأْخذه منه ، ورآه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فقال له : لِمَ لا تَشْرب ؟ فـكتب إليه فى زجاجة :

اصبَـح نَدِيمَك أقداحاً يُسَلْسِلُها ... من الشَّمُول وأَتْبِعْها بأقـداحِ
من كَفّ رِيمٍ مليح الدَّلِّ رِيقتُه ... بعد الهُجُوع كمِسك أو كتُفَّاح
لا أشربُ الراحَ إلا من يدىْ رشَأٍ ... تقبيلُ رَاحتِه أَشْهَى من الرّاح

فضحك ثم قال : صدقت والله ، ثم استَدْعى بوصيفة كأنها صورةٌ ، تامّةُ الحسن لطيفةُ الخصر فى زِىّ غـلام عليها أَقبِيَة[٣] ومِنْطَقة[٤] ، فقال لها : تولَّىْ سَقْىَ أبى محمد ! فما زالت تَسْقِيه حتى سكر ؛ ثم أمر بتَوْجِيهِها إليه وجَمِيع مالهـا ، فحُمِلت إليه .

وكان لإسحاق غلام اسمه زياد مولَّد من مُوَلَّدى الـكوفة فَصِيحا ظَرِيفا وكان قد جعله سَاقيا وكان أصفرَ رقيقَ اللون حُلو الوجهِ ، لا يُرَاجِعه أحد ولا يستطيع

---

(١) فى غ : ويحك .

(٢) فى غ : فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم .

(٣) الأقبية : جمع قباء بالفتح ؛ وهو ثوب يلبس فوق القميص ويتمنطق به .

(٤) فى ت : ممنطقة .

أن يقول له : زِدْنى ولا نَقّصنى[١] . وكان لطيفَ السقى لَبِقاً .

وكان فيه يقول إسْحاق :

خَلِيلَىّ هيَّا نَصْطَبِح بِسَواد ونَرْوِ قلُوباً هَامهن صَوَاد

وقــولا لِسَاقِينا زِيَادٍ يُرِقُّها فقد هَدَّ[٢] بعضَ القومِ سَقْىُ زِيَادِ

قال[٣] أحمد بن الهَيْثم : كنت يوما جالسا بسُرَّ من رأى عند إخوان لى ، وكان طريقَ إسحاق فى مضيه إلى دار الخليفة ورجوعه علينا ، فجاءنى الغلام يوما وعندى أصدقائى ، فقال : إسحاق بن إبراهيم الموصلى بالباب فقلت : يَدْخل أَو فى الأَرض أحدٌ يُستأذَن عليه لإسحاق؟ فذهب الغلام يأذن له ، وبادرت إلى تَلَقِّيه ، فدخل وجلس منبسطا آنسا ، فعرضنا عليه ما عندنا ، فأجاب إلَى الشّراب ، فأحضرناه نَبِيذا مُشْمِساً[٤] ، فشرب منه . ثم قال : أتحِبُّون أن أُغَنِّيَكم ؟ قلنا : إى والله ، أطال الله بقاءك ، إنَّا لنحب ذلك ، قال : فَلِم لا تسألونى ؟ قلنا : هِبْناك ، قال : فلا تفعلوا ، ثم دعا بعود فأحضرْناه ، فاندفع فغَنَّى فشربنا وطربنا ، فلما فرغ قال : أحسنت أم لا ؟ فقلنا : بلى والله ، جعلنا فداك ، لقد أحسنت ، قال : فما منعكم أن تقولوا لى أحسنت ؟ قلنا : الهيبة والإجلال لك ، قال : فلا تفعلوا هذا فيما تَسْتَأْنِفُون ، فإن المُغَنِّى يُحِب أَن يقال له أحسَنْت ! ثم غَنَّى :

خَلِيلَىَّ هَيَّا نَصْطَبِح بِسَواد ونرو قــلوبا هامهن صَوَاد

البَيْتَين ، فقلنا له : ياأَبَا مُحَمد ، فمن هو زِيَاد ؟ قال : غلامى الواقف على البابِ ،

---

(١) فى غ : أنقصنى .

(٢) فى ت : هن « تحريف » .

(٣) جاء هذا الكلام ضمن خبر إسحاق مع غلامه زياد فى الجزء العشرين من الأغانى ص ٢٨٥ طبعة بيروت .

(٤) مشمسا ، أى يشمس بصاحبه : يجمح به .

أدعوه يا غلام ، فدخل فإذا هو غلام خِلَاسى[1] قِيمَتُه عشرون دينَاراً أو نحوها ، فأمسَكْنَا ، فقال : أتسألُونِى عنه فأعرّفكم إياه ، وأدخله إليكم ويخرج كما دخل ، وقد سَمِعتم شعرى فيه وغنائى ؟ أُشهدكم أنه حُرّ لوجه الله تعالى، وقد زوجته أَمَتى[2] فلانة : فأعينوه على أمره . قال : فلم يخرج حتى أوصلنا إليه عِشرِين ألفَ دِرْهم من أَمْوَالِنا .

اصْطَبَح[3] محمد الأمين ذات يوم وأمر بالتَّوجيه إلى إسحاق ، فوجه إليه عدّة رسل كُلّهم لايصادفه ، حتى جاء أحدهم به ، فجاء منتشيا ، ومحمد مغضب ، فقال له: أين كنت ويلك ! قال : أصبحت يا أميرَ المؤمنين نَشِيطاً فبكرت إِلَى بعض المُنْتَزَهَات ، فاستطبت الموضع فأقمت فيه ، وسقانى زياد ، فذكرتُ أبياتا للأخطل وهو يسقينى ، فدَارَ لِى[4] فيها لحن حَسَن ، فصنعته ، وقد جِئْتُك به ، فتبسم وقال : هاته ، فما تزَال تأْتِى بما يُرضى عنك عند السخط ، فغنّاه :

إذا ما زِياد عَلَّنى ثم عَلّنى ثلاثَ زُجَاجَاتٍ لهُنّ هَدِيرُ
خرجتُ أجرّ الذيلَ حتى كأَنَّنى عليك أميرَ المؤمنين أميرُ

فقال : بل على أَبيك قبَح الله فعلك ، فمازال إحسانُك فى غنائك يَمْحو إساءتك فى فعلك ، وأمر له بألف دينار. وأَصْل قول الأَخْطل : إِذَا ما نَدِيمى عَلَّنى ...

قال إسْحاق بن إبراهيم : بَعَثَ إِلَىَّ طَلْحَةُ بنُ طَاهِر وقد انصرفَ من وقعة الشُّراة[5] وقد أصابته ضربة فى وجهه ؛ فمضيت إليه فإذا هو جالس قد عصب ضربته

(١) الخلاسى : من يولد بين أبوين أبيض وأسود .

(٢) فى ت : أختى .

(٣) جاءهذا الخبر ضمن أخبار إسحاق مع غلامه زياد فى الجزء العشرين منالأغانى ص ٢٨٧ طبع بيروت .

(٤) فى ت : فدارك « تحريف » .

(٥) الشراة : الخوارج .

وتَقَلْنَس بقَلَنْسُوة مكية ؛ فقلت له : سبحان الله أيُّها الأمير ! ما حملك على لُبس هذا ؟ قال: التبرُّم بِغَيْره . ثم قال: غَنِّني لبَعْضِ الأَعْراب :

إنّى لأَكْنِى بأجبال عَنَ أَجْبُلِها ... وبأسم أودِية عَنِ اسم واديها
عَمْداً ليَحْسَبَها الوَاشُونَغَانِيَةً[1] ... أخرى وتَحْسَبُ أَنّى لا أُبَالِيها
ولا يُغَيِّرُ وُدِّى أَنْ أُهَاجِرَها ... ولا فراقُ نَوًى فى الدَّار أَنْوِيها
وللقَلُوصِ ولِى مِنْها إذا بَعُدت ... لواعجُ[2] الشوق تُنْضِينى وأُنْضِيها

فغنَّيتُه إيَّاه ، فقال : أحسنت والله ! أَعِد ! فأعدتُ عليه وهو يشرب حتى وَصَل[3] العَتَمَة وأنا أُغَنِّيه ؛ فأقبل على خادم له فقال له : كم عنـدك ؟ فقال : مقدارُ سَبْعِين أَلف دِرْهم فقال : تُحْمَل مَعَه . فلمّا خرجتُ من عنده تَبِعَنى الغلمانُ يسألونني، فوزَّعت المال بينهم ؛ فرُفِع الخبرُ إليه فأغضبه ولم يُوَجِّه إلَىَّ ثلاثاً ، فقُلْتُ :

عَلَّمنى جودُكَ السَّماحَ فما ... أبقيتُ شيئاً لدىّ من صِلَتِك
لم أُبقِ شيئاً إلّا سمحتُ به ... كأنَّ لى قُدْرَةً كمَقْدِرَتك
تُتْلِف فى اليوم بالهبات وَفِى السَّـ ... ـاعة ما تَجْتَنيه فى سَنَتك
فلستُ أَدْرِى من أَينَ تُنْفِق لو ... لا أَنَّ رَبِّى يَجْزِى على هبتك[4]

فلما كان فى اليوم الرابع بَعَث إلَىَّ ، فصِرْتُ إليه فسلَّمت عليه ؛ فرفع بصَرَه إلَىَّ وقال : اسقُوه رِطْلًا فشَرِبت فقال : وآخر فشَرِبت ثلاثةَ أَرْطال . ثم قال : غَنِّنى :

إنى لأَكْنِى بأَجْبَال عن أُجْبُلِها ... وبأُسم أَوْدِية عن أُسم وَادِيها

فغنَّيتُه فقال : ادنُ ، فدنوت ، فأمرنى بإعادة الصوت الذى صنعته فيه وهو :

---

(١) فى ت : غانية « تحريف » .
(٢) فى غ : بوارح .
(٣) فى غ : صلى .
(٤) فى غ : صلتك .

علَّمنى جودُك السَّماحَ فما أبقيتُ شيئاً لدىّ من صِلَتك

فلما فهمه قال للخادم له : أَحْضِر لى فُلاناً فأحضره ، فقال : كَمْ قِبَلك من مَال الضِّياع ؟ فقال : ثمانمائة ألفِ دِرْهَم ! قال : أحْضرها السَّاعَة ؛ فجىء بِثمَانِين بَدْرَة ؛ فقال للخادم : جئنى بِثمَانِين غُلَاماً مَمْلُوكا ، فأُحْضِرُوا ؛ فقال : احملوا المالَ ؛ ثم قَالَ لى : يا أَبَا مُحَمَّد خُذِ المالَ والمَمَالِيك حتى لا تحتاج إلى أَحَد تُمْطِيه شيئاً .

قال محمد بن عمر(١) الجُرْجَانِىّ . وقد ذُكِر عنده إسحاق : ما تذكرون من إسحاق شيئاً تقاربون به وصفه . كان والله إسحاق غُرَّةً فى زمانه، وواحداً فى عصره(٢) عِلْمًا وفَهْماً وأَدَباً ووَقَاراً وجودةَ رأْى وصحَّةَ مودَّة . وكان يُخْرِس الناطق إذا نطق ويحيِّر السامعَ إذا تحدّث ، لا يَمَلّ جليسُه مجلسَه ، ولا تمجّ الآذانُ حديثَه ، ولا تنبو النفسُ عن مُطَاولته . إن حدّثك ألهاك ، وإن ناظَرك أفادك ، وإن غنّاك أطربك. وما كنتَ ترى خَصْلة من الأدب ولا جِنْسا من العلم فيُقدِّم أحدٌ فيه على مُسَاجلته ولا مباراته.

قال إسحاق : لاعبتُ الفضلَ بن الربيع ، فوقَعَ بيننا خِلَاف ، فحلَف وحلفت ، وغَضِبَ على وهجَرَنى فأتيتُ عونا وكان يَحْجُبه ، فخاطبتُه فى ذلك ، فكلّمنى بما كَرِهتُ ؛ فقلت له : أيدخل بَيْنى وبين الأمير أحَدٌ فرضيته واصْطَلَحْنا ، وقال الفضلُ لِى : أصلح قلبَ عون . وكان عَوْن يُرمى بالأُبنة ، فقلت فيه :

وراكب(٣) أمر ضَاقَ ذرْعا بذكره وقَاسٍ لِدَاءٍ(٤) منه مُتَّسِع الخرْقِ

---

(١) فى ت : عمران .

(٢) فى غ : دهره .

(٣) فى غ : وذاكر .

(٤) فى ت : وقاس كذا « تحريف » .

ثم علمتُ ألا يتِمّ لى أمرٌ إلا بعد أن يَرْضى فكتبت إليه :

عونُ ياعونُ ليس مثلك[(١)] عَون ... أنتَ لِى عُدّةٌ إذا كان كَوْنُ

لَكَ عندى والله إنْ رَضِى الفضـ ... ـل غلامٌ يُرضيك أو بِرْذَوْن

فدخل الفضلُ فترضّاه لى فرضى ثم قال له : ويلك ! إنّه والله إنّما هجاك يا عَوْنُ وأنت ترى أنّه مدَحك ! ألا ترى إلى قوله غلام يُرْضيك هذا تَعْرِيض بك ، فقال : فكيف أصنع به مع مَحَلّه عند الأمير ؟.

قال إسحاق استدنانى الأمينُ[(٢)] يوما وهو مُسْتَلْقٍ على فِراش حتى صارت ركبتى على الفراش ، ثم قال : يا إسحاق ، أَشْكُو إليك أَصْحَابى ، فعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ، وفعلت بفلان كذا ففعل كذا ، حتى عدّد جماعةً من خَوَاصّه ؛ فقلت له : أنت يا سيدى تَتَفَضّل علىّ وتُحْسن رأيك فىّ ، ظننتَ أَنَّنى ممن يُشاور فى مِثْل هذا الحديث ، تجاوزتَ فى حَدّى ومِقْدارى ، وهذا رأْىٌ يَجِلّ ولا يبلُغه قَدْرى ؛ فقال : ولم ؟ أنتَ عندى عالِم عاقِل فَاصِح ! فقلت : هذه المنزلةُ عند سَيِّدى ، علَّمَتْنِى أَلَّا أقولَ إلا ما أعرِف ولا أطلب إلا ما أنال ؛ فضحك وقال : بلغنى أنّك عَمِلْت فى هذه الأيام لَحْنًا فى شعر الرّاعى فلم أسمَعْه منك ؛ فقلت : يا سيدى ، ما سَمِعه أحد إلا جَوَارِىّ ولا حضرتُ عندك منذ صنعتُه ؛ فقال : غنِّه ، فقلتُ : الهَيبَة والصَّحْو يَمْنَعَانى أَنْ أُؤَدِيَه كما أُرِيد[(٣)] ، فلو آنس أميرُ المؤمنين عبدَه بشىء يُطربه ويُقوِّى طبعَه كان أجودَ ؛ قال : صدقت ، ثم أمر بالغداء فتغدَّيْنا ، وأمر بالستائر فمُدَّت وغَنَّى من وَرائها وشربنا أَقْدَاحا فقال : يا إسحاق : أما جاء أوانُ الصوتِ ؟ فقلت : بلى يا سَيِّدى ؛ وغَنَّيْتُ فى شعر الرّاعى :

---

(١) فى ت : لمثلك « تحريف » .

(٢) فى غ : المأمون .

(٣) فى غ : تريد .

ألم تسألْ بعارِمــةَ[1] الدِّيارَا ... من الحيِّ المُفَارق أين ســارا[2]

بَلَى ساءلتُهــا فأبَتْ جَــوَاباً ... وكيف تُسائِل الدِّمَنَ القِفَارَا

فاستحْسَنَه وطَرِب عليه وقال : يا إسحاق لا طَلَب بعد البُغْية ووجود المنية ، وما أَشْرَبُ بَقِيَّة يومى إلّا على هذا الصوت ، ووصلنى وخلع علىّ من ثيابه .

كان الواثِقُ إذا صنع غِناءً فى شعر قال لإسحاق : هذا وقع إلينا البارِحةَ فاسمعه ، فكان ربّما أصلح فيه الشىء بعد الشىء . فكادَه مخارق عنده وقال : إنّما يستجِيد صنعتَك إذا حضر لِيُقارِبَك ويستخرجَ ما عِنــدك ، فإذا فارق حضرتَك قال فى صَنْعَتك غيرَ ما تسمع ؛ قال الواثق : فأنَا أُحِب أن أقف على ذلك ؛ فقال مُخارِق فأنا أغنِّيه :

أيَا مُنْشِرَ المَوْتَى أقِدْنى مِــنَ الّتِى ... بِهــا نَهِلتْ نفسى سَقــاماً وعَلَّت

لقــد بَخِلت حَـتّى لو أنى سألتُهــا ... قَذَى العين من سافِى التراب لضَنَّت

فإنّ إسحاق لا يعلم أنَّ ذلك لك ولا سمعه من أحد ؛ قال : افعَل . فلما دَخَل إسحاق غَنَّاه مُخارِق وتعَمَّد لأن يفسده بجَهْدِه ، وفعل ذلك فى مَواضِـع خَفِيَّة لم يعْرِفها الوَاثِق فى[3] قِسْمته ؛ فلما غَنَّاه قال الوَاثِق لإسحاق : كيف تَرَى هذا الصوت ؟ قال : فاسدٌ غيرُ مَرْضِيّ ؛ فأمَر به فسُحِب فى[3] المجلس حتى أُخْرِج عنه ، وأمر بنَفْيه إلى بغداد . ثم جرى ذكره يوما . فقالت له فَرِيدَةُ : يا أمير المؤمنين ، إنّما كادَه مُخارِق فأفسد الصوتَ من حيث أُوهمَك أنه زَادَ فيه بحذقه نَغَماً وجَوْدَة ، وإسحاق يأخذ نفسَه بقول الحق فى كل شىء ساءَه أو سَرَّه ، ويفهم من غامِض الصَّنْعَة

---

(١) عارمة : موضع فى ديار بنى عامر بنجد ، وقيل : ماء لبنى تميم بالرمل .

(٢) فى غ : صارا .

(٣) فى غ : من .

ما لا يفهمه غيره ؛ فليُحْضِره أمير المؤمنين ويُحَلِّفه بمُغَلَّظ(١) الأَيمان أن يَصْدُقه عما يسمع ، وأُغَنِّيه أنا حتى يَقِف على حقيقة الصوت ؛ فإن كان فَاسِداً فصدق عنـه لم يكن عليه عَتْب ، ووافَقْناه عليـه حتى يستوى ، وليس يجوز أَنْ نَتْرُكَه فاسدا إنْ كان فيه فساد ، وإن كان صحيحا قال ما فِيهِ ؛ فأمر بحَمْله ُفحمِل ، وأظهر له الرِّضَا عنه ولزمه أياما ؛ ثم حَلّفه أن يصدقَه عما يمرّ فى مجلسه َفحَلَف له . ثم غَنَّى الواثقُ أصواتاً يسأله عنها أجمع فيُخبره فيها بما عنده ؛ ثم غَنّته فَرِيدَةُ هذا الصوت وسأله الواثق عنه ، فرَضيه وأُستجاده وقال : ليس على هذا سمعتهُ المرةَ الأولى ، وأبان عن المواضع الفاسدة وأَخْبر بإفساد ُمخَارِق لها ؛ فسكن غَضَبُه ، ووصل إسحاق ، وتنـكَّر لُمخَارِقٍ مُدّة .

قيل : كان إسحاق بعد المأمون لا ُيغَنِّى إلا َلخِليفة أو وَلِىّ عهد أو رَجُل من الطَّاهِرية مثل إسحاق بن إبراهيم وطبقته ؛ فاجتمعا عِند الوَاثِق وهو ولى عَهْد الُمعْتَصم ، فاشتهى الواثق أن ُيضَرِّب(٢) بين ُمخَارِق وعَلّويه وإسحاق ، ففعل حتى تَهَاتَر ثم قال لإسحاق : كيف هما عِندَك ؟ فقال : أما مخارق فمُنَادٍ طيِّب الصوت وأما عَلّويه فهو خَيْر ِحمَارى العِبَادى(٣)، وهو على كل حال ُشَيْءٌ ، يريد تصغير شيء ؛ فوثب عَلّويه مُغضَبا ، ثم قال للواثق : جوَارِيه حَرَائر ونِسَاؤه طَوَالق إن لم تحلفه بحَيَاتك وحَقِّ أبيك أن يصدُق عما أَسْأله عنه ، لأتوبن عن الغناء ما عِشْتُ ؛ فقال له الواثق : لا تعربد يا على(٤) ، نحن نفعل ما سألت ؛ ثم حلّف إسحاق أن يصدُق

---

(١) فى غ : بغليظ .

(٢) يضرب : يغرى .

(٣) يشيرإلى المثل؛ وهو ما يقال من أنه كان لعبادى حماران ، فقيل له : أى حماريك شر ؟ قال : هذا ثم هذا ، أى لافضل لأحدهما على الآخر . وفى ت : خير جماوى الغناء « تحريف » .

(٤) فى ت : لا توجد على ياعلى «تحريف» .

فحلف ؛ فقال له : من أحسن النَّاسِ اليومَ صنعةً بعدك ؟ فقال : أنت . قال : فمن أضرب الناس بعد ثَقيف ؟ فقال : أنت . قال: فمن أطيب الناس صوتا بعد مُخارق؟ قال : أنت . قال عَلّويه لإسحاق : أهذا قولك فىّ وأنتَ تعلم أنّى مُصلِّى[1] كلّ سابق فاضل ، وأنى ثالِثُ ثلاثة أنت أحدهم لم يكن فى الدنيا مِثْلُهم ولا يكون ! فما أنت وغناؤك الذى لا يُسْمع إلا انخفاضا[2] ! فغَضِب إسحاق ، وانتهر الوَاثِقُ عَلّويه . ثم أخذ إسحاق عوداً فثقّل مَثْناه إلى البَمّ[3] ، وزِيرَه إلى موضع المَثْلَث ، والمَثْلث مكان المَثْنَى ، وضرب وقال : أتعرِف شيئا ؟ فغَنّى مُخارق عليه .

تَقَطّع مِنْ ظَلّامَةَ الوصلُ أجمعُ أخيراً على أنْ لم يَكُن يَتقطّع

وضرب عليه إسحاق فلم يَكُن فى الأوتار[4] خلاف ولا فُقِد مِنْ الإيقاع شىء[5] ولا بان فيه اُختلال ؛ فعظُم عجبُ الوَاثِق من فعله ؛ وقام إسحاق ورَقَص طرباً وكان يَرْقُص أحسنَ من رَقْص كُبَيْش وعبد السلام — وكانا من أرْقص النـاس — فقال الواثق : لا يكمُل أحد فى صِناعته مِثْلَ كمال إسحاق .

قال عُبَيْدالله بن عبد الله بن طاهر : حدَّثتْنى شَهوَاتُ الصَّنَّاجَة التى كان إسحاق أهداها إلى الواثق أنَّ محمدا الأمين لمَّا غَنَّاه إسحاق لحنَه فى شِعْره :

يا أيُّها القائمُ الأمينُ فَدَتْ نفسَك نفسِى بالمـال والوَلَدِ

بَسَطْتَ للنّاس إذْ وَلِيتَهُمُ يَدًا من الجود فوق كلِّ يَدِ

أمر له بألفِ ألْف دِرْهم ؛ فرأيتُها قد دخلت دارنا يَحْمِلُها[6] مائة فرّاش .

---

(١) المصلى : التالى للسابق من خيل السباق.

(٢) فى ت : أعقاصا « تحريف » .

(٣) البم : الوتر الغليظ من أوتار المزهر .

(٤) فى ت: ليقوما بر « تحريف ».

(٥) فى ت : من له الانتفاع بشىء « تحريف » .

(٦) فى ت : محملة .

حدّث إسحاق قال : عَشِقْت جارية قلتُ فيها :

هل إلى أن تنــام عَيْنى سبيل ⁂ إنّ عهدي بالنّوم عهدٌ طوِيل

غاب عَنّى مَنْ لا أُسَمِّى فعَيْنى ⁂ كلَّ يوم وَجْدًا عليه[1] تَسِيل

قال : ثم ملكتُها ، فكنتُ مشغوفا بها ، حتى كَبِرتُ واعتلّت عَيْنى ، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيامَه المتقدّمة ، فما زلت أبكى وأذكُر دَهْرى الذى كنتُ فيه .

وكان السَّبَب فى عِلَّة عينيه وضَعْفِ بصره أنَّ إبراهيم ابن أخى سَلَمة الوَصِيف نازَع إسحاق فى شىء من الغناء ، فردّ عليه إسحاق ، فشَتَمه إبراهيم ، فرد عليه وأسرف فى الرد ، فقال إبراهيم : أتَرُدّ علىّ وأنا مَوْلَى أمير المؤمنين ! فقال له إسحاق: اُسكُت فإنك من موالى العيدَيْن ، فقال له الرّشيد : ياإسحاق وإيش تكون[2] مَوَالى العيدين ؟ قال: يا أمير المؤمنين تَشْتَرِى الخلفاء فى العيد للعِتْق غِلْمانا يكون فيهم الحائِك والحجّام والسّائس ، فهو أحد هؤلاء الذين ذكرت . فخرج إبراهيمُ فوقف له على طَرِيقه ، فلمّا جاز عليه منصَرِفا ضرب رأسه بِمِقْرَعة فيها مِعْوَل ؛ فكان ذلك سَبَب ضعف بصره ؛ وبلغ الرشيد الخبرُ فأمر أَنْ يُحْجَب عنه إبراهيم وحَلَف ألّا يدخل عليه ؛ فدَسَّ إلى الرشيد من غناه بشِعْر أَبى العتاهية :

مَنْ لِعَبْد أذَلَّه مولاه ⁂ ما له شافِع إليه سِوَاه

يَشْتَكِى مَا بِهِ إليه ويَخْشَا ⁂ ه ويرجو مِثْلَ ما يَخْشَاه

فلما غُنِّى الرشيدُ بهذه الأبيات سأل عن صَانِع لَحْنها فعُرِّفه ، فحَلَف ألّا يَرْضَى عنه حتى يَرْضَى عنه إسحاق ؛ فقام وقال : يا سَيِّدى قد رَضِيتُ رِضَاء

---

(١) فى غ : عليه حزنا .

(٢) فى غ : وأى شىء تكون .

صحيحا ، وقبَّل الأرضَ بين يَدَيْه شكرا لِمَا كان من قوله ؛ فرضى عنه وأحْضَره وأمره أن يَتَرَضَّى إسحاق ففعَل .

وكان إسحاق إذا غَنَّى هذا الصوتَ أخذ بلِحْيَته وبكى :

إذا المرء قَاسَى الدهرَ وأبيضّ رأسُه ... وثُلِّم تَثْلِيم الإناء جَوَانِبُه

فَلَلْمَوْتُ خير من حياة كريهة[1] ... تباعده طَوْرًا وطَوْرًا تُقَارِبُه

قال إسحاق : دخل أعرابى من بنى سُلَيْم سُرَّ مَنْ رَأَى — وكانَ يُكْنَى أَبَا الْقَنَافِذ — فحضر باب المعتصم مع الشعراء فأُذِن له فلما مَثُل بين يَدَيْه أنشده من أبيات :

مِراضُ العُيُون خِمَاصُ البُطُون ... طِوالُ المُتُون قِصَارُ الْخُطَا

عِتَاق النّحور[2] رِقاق الثّغور ... لطاف الخصور خِدَال[3] الشوى[4]

عَطَابِيلُ[5] من كل رَقْرَاقَة[6] ... تَلُوث[7] الإزارَ بدِعْص[8] النَّقَا

إذا هُنَّ مَنَّيْنَنَا نَائِلا[9] ... أبى البُخلُ منهنَّ ذاك المُنَى

إلى النَّفَر البيض أَهْلِ[10] البطاح ... وأهل السَّماحِ طَلَبْنا النّدى

---

(١) فى غ : خسيسة .

(٢) عتاق النحور : جيلاتها .

(٣) الخدال جمع خدلة وهى من النساء : الغليظة الساق المستديرتها .

(٤) الشوى : الأطراف . وفى ت : الشعر « تحريف » .

(٥) العطابيل جمع عطبولة وعطبول ، وهى الجارية الفتية الجميلة الطويلة العنق .

(٦) رقراقة : كأن الماء يجرى فى وجهها . وفى ت : ذقرانة .

(٧) فى ت : يكون .

(٨) الدعص : كثيب الرمل المجتمع .

(٩) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(١٠) فى ت : ذاك «تحريف» .

لهم سطواتٌ إذَا هُيِّجُوا   وحِلمٌ(١) إذا الجهل حَلَّ الُحبا
يَبِينُ لك الخيرُ فى أوجه   لهم كالمصابيح تَجْلُو الدُّجَى(٢)
سعى الناس كى يُدْرِكوا فضلَهم   فقصَّرَ عن سعيهم مَنْ سعى
سَعَى للخلافة فاُقتادها   وبَرّز بالسبق لما جرى

قال : فاستحْسَنَها المُعْتَصِم وأَمَرنى فغنَّيت بِهاَ(٣) ، وأمر للأعرابى بعِشرين ألف دِرْهم .

قال إسحاق : قَدِمت على الوَاثِق فى بعض قَدَماتى ، فقال لى : أما اشْتَقْتَ إلينا؟ قلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وأنشدته :

أَشْكُو إلى الله بُعدى عن خَليفَته   وما أُعالج من سَقَم ومن كِبَر
لا أَسْتَطِيع رحيلًا إنْ هممتُ به   إليه يوما ولا أَقْوى على السَّفَر
أَنْوى إليه رَحِيلا ثم يَمْنَعُنى   ماأحدثَ الدهرُ والأَيَّام فى بَصَرى

قال إسحاق : أقام المأمون بعد قدومه بغداد عشرين شهراً لم يسمع حرفاً من الأَغَانى ، ثم كان أوَّلَ مَنْ تَغَنَّى بحضرته أَبُو عيسى بن الرشيد ، ثم واظب على السماع مستَتِرا مُتَشَبها فى أول أمره بالرَّشيد ، فأقام على ذلك أربعَ حِجَج ، ثم ظهر للندماء والمُغَنِّين . وكان حين أَحَبَّ السماع سأل عنِّى ، فجُرِحْتُ بحضْرَته ، وقال الطاعِنُ عَلَىَّ : ما يقول أميرُ المؤمنين فى رجل يَتِيه على الخلافة ! وما أبقى من التِّيه(٤) شيئاً حتى أستعمله . فأمسك المأمون عن ذكرى ، وجفانى مَنْ كان يصلنى لسوء رَأْيه فِىَّ ؛ فأضَرَّ ذَلِك بى ؛ حتى جاءنى عَلّويه يوماً فقال لى : أَتأْذَن لِى فى ذكرك ؟

(١) فى ت : وحكم « تحريف » .
(٢) فى ت : هم كالمصابيح تحت الدجى .
(٣) فى غ : فيها .
(٤) فى ت : آلته « تحريف » .

فإنَّا قد دُعِينا اليوم ؛ فقلت: لا ! ولـكن غنّه بهذا الشعر ؛ فإنه سيبعثه على أن يسألك: لمن هذا ؟ فإذا سألك انفتح لك ما تُريد ، وكان الجوابُ أسهلَ عليك من الابتداء ؛ فقال : هات . فألقيتُ عليه لَحْنى فى شِعْرى :

يا سَرْحةَ الماء قد سُدَّت موارده أمَا إليكِ طريقٌ غـيرُ مسدودِ
لحائمٍ حَامَ حتى لا حراكَ بـه(١) مُحَلَّأٍ عن طريقِ المـاء مَطْرُودِ

ومضى عَلّويه ، فلما استقرّ به المجلس غنّاه فما عدا المأمون أنْ سَمِع(٢) الغناء حتى قال : ويحك يا عَلّوية ! لمن هذا الشعر ؟ قلت : يا سيدى لعَبْدِك ابن عَبْدك إسحاق ، جفوتَه واطّرحته بغير جُرْم . فقال : إسحاق تَعْنِى ؟ فقلت : نعم . فقال : يحضر السّاعة . فجاءَنِى رَسُوله ، فحضرت فلمّا دخلتُ قال : أُدنُ فدنوت ، ورفع يديه مادّهما إلىّ ، فأكبَبْت عليه فاحتَضَنَنِى بيَدَيْه ، وأظهر من بِرِّى(٣) ما لو أظهره صديق مُؤَانِس لصديق لسره(٤). وكان إسْحَاق يأْخُذ عن الأَصْمَعِى ويذكُر عنه الرِّوَايَات ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسْحَاق وثَلَبه ، وذكر عند الرّشيد أنه قليل الشـكر بَخِيلٌ ساقط النفس ، لا تَزْكُو الصنيعة عنـده ، ووصف(٥) له أَبَا عُبَيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى بالثّقة والصّدق والسّماحة واشتِمَاله على جَمِيع علوم العرب ؛ وفعل مثل ذلك عِنْد الفَضْل بن الرَّبيع ولم يَزَل بهما حَتّى وضع مَنْزِلة الأَصْمَعِى عندهما . ثم أَنْفَذَا إلى أبى عبيدة مالًا جليلا واستَقْدَمَاه ، فـكان إسحاق سبب ذلك .

---

(١) فى غ : حيام له .
(٢) فى غ : يسمع .
(٣) فى ت : بشرى .
(٤) فى غ : لبره .
(٥) فى ت : وشـكر .

قال إسحاق : جاء عَطاء الملطى[١] بجماعة من أَهْل البَصْرة قُرِيْباً أَبَا الأَصمعى ـ وكان نَذْلًا مِنَ الرِّجَال ـ فوجده ملتفا[٢] فى كساء نَائماً فى الشَّمس فوكزه[٣] برِجْله وقال : وَيْلَك يا قُرَيْب ، قم فقام فقال له : هل لَقِيتَ أَحداً من أهل العلم قَطّ ، أو من أهل اللُّغَة ، أو مِن الفُقَهَاء أَوْ مِنَ العَرَب ؟ فقال : لاوالله ؛ فقال : ولا سمعت شيئاً تَرْوِيه لنا أو تُنْشِدُنا إِيَّاه أو نكتبه عنك ؟ قال : لا والله ؛ فقال لِمَنْ حضر : هذا أَبُو الأَصْمَعى فاَشْهَدُوا عليه وعَلَى مَاسَمِعتم منه ، لا يَقُل لكم ولدُه غداً : حَدَّثَنِى وَالِدِى ، أَنْشَدَنى وَالِدى ، وتركه فَضِيحَة وانصرف .

كان لإسحاق غلامٌ يَسْتَقِى الماءَ لأهل دَارِه على بَغْلين دائما يقال له فَتْح ، فرآه يوما حَرِجاً ، فقال له إسحاق : أَىّ شيء خبرك ؟ قال: خبرى أَنَّه ليس فى الدار أشقى مِنْك ومِنّى . قال : وكيف ذلك ؟ قال : أنت تُطْعِمُهُم الخبزَ وأنا أَسْقِيهم الماء . فاستظرف ذلك منه وضَحِك وقال له : فما تَشْتَهِى ؟ قال : تُعْتِقُنِى وتَهَب لى البغلين أستقى عليهما ؛ قال: قد فَعَلْتُ .

قال إسحاق : نَهَانِى الرَّشيدُ أَنْ أغنّىَ أحداً غيره ؛ ثم استَوْهَبَنِى جعفرُ بن يَحْيى وسأله أن يأذن لى فى أن أُغَنِّيَه ، ففعل ، واتفقْنا يوما عند جَعْفر ـ وعنده أخُوه الفَضْل ، والرشيدُ يومئذ عَقِيب علة قد عُوفِى منها وليس يَشْرَب ـ فقال لى الفَضْل : انصرف إلىّ الليلةَ حتى أهبَ لك مائةَ ألف درهم ؛ فقلت له : إنَّه الرَّشِيدُ وإنَّه نَهَانى أن أغنى إلّا له ولأَخِيك ، وليس يَخْفى عنه خَبَرى ، وأنا مُتَّهم بالميل إليكم ، ولست أتعرّض له ولا أعرضك[٤] . فلمّا نكبَهم الرَّشيدُ قال : إيه

(١) فى غ : عطاء الملك .
(٢) فى ت : ملتى .
(٣) فى غ : فركضه .
(٤) فى ت : لعرضك .

يا إسْحَاق، تَرَكْتَنِي بالرَّقّة وجلست ببغداد تُغَنِّى الفضلَ بْنَ يَحْيى ! فحلفْتُ بحياته أنى ما جالستهُ قَطّ إلّا على الحديث والمُذَاكَرَة ، وأنَّه ما سمعَنى قط إلا عِنْد أَخِيه وحَلَّفْتهُ بتُربة المهدى أَنْ يَسْأَل عن هَذَا فى داره من نسائهم[1]؛ فسألَ عنه فحُدِّث بمثل ما ذكرتُه وعرف خبرَ المائة ألف الدَّرهم التى بذلها لى ورَدَدْتُها. فلما دخلت إليه[2] ضحك إلىّ ثم قال : سألت عن أمرك فعرفتهُ مثل ما عَرَّفْتَنِى ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم عِوَضاً عَمَّا بذله لك الفضل .

قال إسحاق : أنشدتُ الفضلَ بن يَحْيى قولَ نُصَيْب مَوْلَى المَهْدِى فيهم :

عند الملوك مضرة ومنافع[3] وأرى البَرَامِكَ لا تَضُر وتَنْفع
إن كان شَرٌّ كان غيرهم لـه أو كان خـيرٌ فهو منهم[4] أجمع
إن العروق إذا استَسَرَّ بها[5] الثَّرى أَشِر النَّبَاتُ[6] بها وطاب المَزْرع
فإذا جهلتَ من امرئٍ أعرَاقَه وقديمَه فانظر إلى ما يَصْنَع

فقال : كأَنّا والله لم نسمع بهذا الشعر قط وقد كنا وصلناه بثلاثين ألف درهم ، وأنا أجدِّد ذلك له ، وأجدّد لك الصلةَ الساعة لحفظك الأَبْيَات ؛ وأمر لى بثلاثين ألف درهم .

عتب المأمونُ على إسحاق فى شىء ، فكتب إليه رقعة وأوصلها إليه من يده فيها :

---

(١) فى ت : أسبابهم .
(٢) فى غ : عليه .
(٣) فى ت : منافع ومضرة .
(٤) فى غ : فيهم .
(٥) فى ت : استثير .
(٦) فى ت : الثياب .

لا شىء أعظمُ من جُرمى سِوَى أَمَلى ... لحسن عفوكَ عن جرمى[1] وعن زَلَلى
وإن يكن ذَا وذَا فى القَدْرِ قد عَظُما ... فأنت أعظَمُ من جُرْمى ومن أَمَلى

فضحك ؛ ثم قال : يا إسحاق ، عذرك أعلى قَدْرًا من جُرْمك ، ولا جَالَ بفِكرى ولا خَطَرَ به بَعْدَ انقِضَائه .

قال إسحاق : دخلت يوما على المُعْتَصِم وعنده إسْحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فاستَدْنَانِى فى المَجْلِس فدَنَوْت ، ثم اُستدنَانِى فتوقَّفْت ، خوفاً من أن أكونَ مُوازِيا لإسحاق بن إبراهيم فى المَجْلس ، ففَطِن المُعْتَصم لذلك فقال : إن إسحاقَ كَرِيم ، وإنَّك لم تَسْتَنْزِل ما عِنْد الـكَرِيم بمثل إكرامه[2] . ثم تَحَدَّثْنَا فأَفْضَتْ بنا المُذَاكَرَة إلى قول أبى خِرَاش الهُذَلى :

حَمِدت إلٰهى بعـد عُرْوَة إذ نجا ... خِرَاشٌ وبعضُ الشر أهونُ من بَعْضِ

فأنشدها المعتصم إلى آخرها وأنشد فيها :

ولم أَدْرِ من أَلْقى عليـــه رِدَاءَه ... على أنه قد سُلَّ[3] عن[4] ماجدمحض

والرواية : «قد بُزَّ عن مَاجد» فغَلِطت وأسأتُ الأَدَب ، وقلت : ياأمير المؤمنين هذه رواية الـمَكْتَب وما أخذتُ عن المُعَلّم ، والصحيحُ « قَدْ بُزَّ » فقال لى : صدقت ، وغَمزَنى بعينه ، يحذِّرنى من إسحاق ؛ ففطِنت لغَلَطى فأمسكتُ ، وعلمت أنَّه أشفقَ علىّ من إسحاق من بَادِرة تَبْدر منه ؛ لأنه كان لا يحتمل هذا الخطأ عَلَى الْخلفَاء من أحد حتى يُعْظِم عُقُوبَتَه ويُطِيل حَبْسَه ، كائنا من كان ، فنبَّهنى ـ رحمه الله تعالى ـ على ذلك حتى أَمْسَكْت .

---

(١) فى غ : ذنبى .
(٢) فى ت : الـكرامة .
(٣) فى غ : حط .
(٤) فى ت : من .

قال إسحاق : قال الفضلُ بن يَحيَى لأَبِى : مَالِى لا أَرَى إسحاق ؟ عرفنى خبره ، قال : خير . ورأى فى كلامه شيئاً شَكَّكَه ، فقال : أعليل هو ؟ قال : لا ، ولكنه جاء مَرَّات فحجبه نَافِذ الخادم فلحِقَتْه جَفْوة ؛ فقال له : إن حجبه بعدها فَلْيَنِكْه . فجاءنى أبى وقال لى : إلْقَه ، فقد سألنى عنك ؛ وأخبرنى بالصُّورة[1] فجئت فحُجِبْت أَيْضاً ، فخرج الفضل ليركب ، فدفَعْت إليه رقعة فيها :

جُعلت فِداءكَ من كلِّ سُوء ... إلى حُسْن رأيك أشكو أُنَاسا

يحولون بينى وبين الكلام ... فما إن أُسَلِّم إلّا اختلاسا

وأنفذتُ رأيك فى نَافِذ ... فما زاده ذاك إلاَّ شِمَاسا

فلما قرأها ضحك حتى غُلِب ثم قال: أَو قد فعَلْتها يا فاسق ؟ ! فقلت : لا والله يا سيدى ، وإنَّما مزحت ، فخجل نَافِذ خَجَلًا شديدا ولم يعد بعد ذلك إلى إساءتى .

قال إسحاق: ذكر المعتصمُ يوما بعض أصحابه وقدْ غاب عَنْه فقال : تعالَوْا نَقُلْ ما يَصْنَع فى هذا الوقت ، فقال قوم : يلعب بالنَّرْد ، وقال قوم : يغَنِّى ، فبلغت النوبة إلىَّ فقال : قل يا إسحاق . قلت : إذًا أقول فأُصيب ، قال : أتَعْلَم الغَيْب ؟ قلت : لا ، ولكنّى أعلم ما يصنَع وأَقْدِر على معرفته ، قال : فإن لم تصب ؟ قلت : فإن أصبتُ ؟ قال : لك حكمك ، وإن لم تُصِب ؟ قلت : لك دَمِى ؛ قال : وجَب ، قل . قلت : يتَنَفَّس ، قال : فإن كان ميِّتا ؟ قلتُ : تحفَظ الساعة التى تكلمْتُ فيهاَ ، فإن كان مَاتَ فيها أو قبلها فقد قَمَرْتَنى . قال : قد أنصفْت . قلت : فالحُكْم ؟ قال : احتكم ما شئت ، قلت : ما حُكْمى إلا رِضَاكَ يا أمير المؤمنين قال : فإن رِضَاَىِ لَكَ ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درْهم ، أَتَرَى مَزِيدًا ؟ فقلت : ما أولاك يا أَميرَ المُؤْمنين ، قال: فإنّها مائَتا ألف درهم ، أَتَرَى مَزِيدًا ؟ فقلت ما أَحْوَجَنى يا أمير المؤمنين إلى ذلك ،

(١) فى غ : بما جرى .

قال : فإنها ثلاثمائة ألف درهم ، أترى مزيدا ؟ قلت : ما أولاك يا أمير المؤمنين !
قال : يا صفيق الوجه ، ما تزيد على هذا !

قال إسحاق : عمل محمد المخلوع سفينة فأعجب بها ، وركب فيها يريد الأنبار .
فلما أمعن وأنا مقبل على بعض أبواب السفينة صاحوا : إسحاق إسحاق فوثبت ،
فدنوت منه ، فقال لى : كيف ترى سفينتى ؟ فقلت : حسنة يا أمير المؤمنين ، عمرها الله
ببقائك . فقام يريد الخلاء وقال لى : قل فيها أبياتا ، فقلت ، وخرج فقمت بالأبيات
إليه ؛ فاستحسنها جدا ، وقال لى : أحسنت يا إسحاق ، وحياتك لأهبن لك عشرة
آلاف دينار ، فقلت : متى يا أمير المؤمنين ؟ إذا وسع الله عليك وفتح لك؟ فضحك
ودعا بها على المكان .

قال إسحاق : لم أر قط مثل جعفر بن يحيى ، كانت له فتوة وظرف وأدب
وحسن غناء وضرب بالطبل ، وكان يأخذ بأجزل حظ من كل فن من الأدب
والفتوة . فحضرت باب أمير المؤمنين يوما ، فقيل لى : إنه نائم . فقال لى : قف مكانك
ومضى إلى دار أمير المؤمنين ، فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائم ، فرجع وقال :
قد نام أمير المؤمنين فسر بنا إلى المنزل حتى نخلو جميعا بقية يومنا وتغنينى وأغنيك ،
ونأخذ فى شأننا من وقتنا هذا ؛ قلت : نعم ، فسرنا إلى منزله ، فطرحنا ثيابنا ،
وطعمنا ، وأمر بإخراج الجوارى وقال : أبرزن ؛ فليس عندنا من نحتشمه ؛
فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه ؛ ثم دعا بخلوق فتخلق به ، ودعا لى
بمثل ذلك ، وجعل يغنينى وأغنيه ؛ ثم دعا بالحاجب وتقدم إليه بألا يأذن لأحد
من الناس كلهم ، وإن جاء رسول أمير المؤمنين فليعلمه أنى مشغول ، وتقدم إلى
جميع الحجاب والخدم بمثل ذلك . ثم قال : إن جاء عبد الملك فأذنوا له ؛ يعنى رجلا
كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته ثم أخذنا فى شأننا ، فوالله إنا لعلى حال سارة

عَجِيبة إذ رُفِع السِّتر وإذا عبد الملك بن صالح الهَاشِمى قد أقبل ، وقد غلط الحاجب فلم يفرق بينه وبين عبد الملك الذى عناه جَعْفَر بن يَحيي ؛ وكان عبـد الملك بن صالح رَجُلًا من جلالة القدر والتَّقَشُّف(١) والامْتنَاع من منادمة الخلفاء على أمر عَظِيم ، وكان الرَّشِيد قد اجْتَهد به أن يَشْرَب معه فلم يَفْعَل رفعاً لِنَفْسِه . فلما رأيناه مُقْبِلا أقبلَ كُلٌّ منا يَنْظُرُ إلى صاحبه ، وكادَ جعفر أن ينشَقَّ غيظا . وفَهِم الرجل حالَنا ، فأقبلَ نحوَنا حتى إذا صار إلى الرِّواق الذى نحن فيه نزع قَلَنْسُوَته فرَمَى بها مع طَيْلَسَانه جَانِبا ؛ ثم قال : أطعمونا شيئا ؛ فدعا له جعفر بالطعام وهو مُنْتَفِخ غَيْظاً وغَضَبا فطَعِم ، ثم دعا بِرِطل فشَرِبه ، ثم أقبل على المجلس الذى نحن فيـه [فأَخَذَ بِعِضَادَتَى البَاب ، ثم قال : أَشرِكُونا فيما أنتم فيه ؛ فقال له جعفر : أُدخل ؛ ثم دعا بقميص حرير وخَلُوق ، فلبس وتخَلَّق ، ثم دعا برطل ورِطل حتى شرب عدّة أرطال ، ثم اندفع لِيُغَنِّينا ، فـكان واللهِ أحسنَنَا جميعا غِناء](٢) .

فلما طابت نفسُ جعفر وسُرِّى عنه ما كَانَ به الْتَفَت إليه وقال له : ارفع حَوَائِجَك ؛ فقال : ليس هذا موضعَ حَوَائِج ؛ قال : لتفعلن ، وألَحَّ عليه حتى قال له : أميرُ المؤمنين علىَّ واجد ، فأحِبّ أن تترضَّاه ؛ قال : فإنَّ أمير المؤمنين قد رضى عنك ، فهَاتِ حوائِجَك ؛ قال : هذه كانت حَاجَتِى ، قال : ارفع حَوَائِجَك كما أقول لك ؛ قال : علىَّ دين قدره أربعة آلاف ألف درهم ، قال : هَذه أربعةُ آلاف ألف درهم ، فإن أحببتَ أن تقبضَها فاقبضها من منزلى الساعةَ ، فإنَّه لم يمنَعْنى إعطاؤُكَ إيّاها إلا لأَن قدرَكَ يَجلّ عن أن يَصِلك مِثْلى ، ولـكنِّى ضامِن لها حتى تُحْمَل إليك من مال أمير المؤمنين غَداً ؛ فاسأَلْ حوائِجَك أيضاً ، قال : ابْـنِى تُنَوِّه بذكره وتُـكَلِّم

---

(١) فى غ : التقشف . (٢) ما بين القوسين بياض فى الأصل، والتـكملة من الأغانى .

أمير المؤمنين فى رفع اسمه وقَدْرِه قال : قد وَلَّاه أميرُ المُؤْمنين مصرَ وزوّجه ابنته العَالِية ، ومهرَها عنه ألْفَى ألْف دِرْهم .

قال إسْحاق : فقلت فى نَفْسى : قد سَكِر الرجلُ يعنى جَعْفَرا، فلما أصبحتُ لم يكن لى هِمَّة إلّا الحضور فى دَارِ الرَّشِيد فإذا جعفر قد بَكَّر ، ووجدت فى الدار جَلَبة ، وإذا أبُو يوسف القاضِي ونظراؤه قد دُعوا ودُعى بعبد الملك بن صالح وأبنه فأُدْخِلا على الرَّشيد ؛ فقال الرَّشيد لعبْد المَلِك : إنَّ أميرَ المؤمنين كانَ واجداً عليك وقد أمر لك بأربعَة آلاف ألف دِرْهم فاُقبِضها من جَعْفر بن يحيي الساعة ، ثم دعا بابنه وقال : اشْهَدُوا على أنِّى زوجتهُ العَالِية بنتَ أمير المُؤْمنين ، وأمهرتُها عنه من مالى بألْفَى ألْف دِرْهم ، ووليته مِصْر . فلمَّا خرج جعفرَ بن يحيي سألتهُ عن الخبر ، فقال : بكّرت إلى أمير المؤمنين فحكَيْتُ[1] له جَميع ما كان منا وما كُنَّا فيه حَرْفاً حَرْفاً ، ووصفت له دُخولَ عبد الملك وما صَنَع ، فعَجب من ذلك وسُرَّ به ؛ ثم قلتُ له : قد ضَمِنت عنكَ يا أميرَ المؤمنين ضَمَاناً ؛ فقال : ما هو ؟ فأعلمتهُ ، فقال : نفِى لك بضمانِك ، وأمر بإحضاره فكانَ ما رَأَيْتَ .

قال إسحاق : غدوتُ يوما وأنا ضَجِر من مُلازَمة دَارِ الخَلِيفة والخِدْمَة فيها ؛ فخرجت وركبت بُكرة ، وعزمت على أنْ أطوفَ بالصَّحْراء[2] وأتَفرَّج ؛ وقلت لغلمانى : إن جاء رسولُ الخليفة أو غيرُه فعرِّفوه أنى بكَّرت إلى بعض مُهِمَّاتى ، وأنكم لا تعرفون إلى أيْنَ تَوَجَّهت ؛ ومضيتُ وطُفْتُ ما بَدَا لِى ، ثم عُدت وقد حَمِى النهار ؛ فوقفتُ فى شارع المُخَرِّم فى فناء ثَخِين الظّلّ وجناح رَحْب على الطَّرِيق لأَسْتَرِيح ؛ فلم ألبث أنْ جاء خادمٌ يقود حِمَارًا عليه جَارِيَة رَاكِبة تَحْتَها مِنديل

---

(١) فى ت : فأحكيت .

(٢) فى غ : الصحراء .

دَ بِيقِيّ ، وعليها من الثِّياب الفَاخِرة ما لا غاية بعده ، ورأيت لها قَوَاماً حسناً وطَرْفاً فاتِرا وشَمَائل حسنة ؛ فحسبت أنها مُغَنِّية ، فدخلتُ الدارَ التي كنتُ واقفاً عليها . ثم لم ألبَثْ أن أقبل رَجُلان شابَّان جَمِيلان ، فاُستأْذَنا فأُذِن لهما فنَزَلا فدَخَلا ، فدخلتُ معهما فظَنَّا أنَّ صَاحِبَ البيت دعاني وظَنَّ صاحبُ البيت أنِّي معهما ؛ فجلسنا ، وأُتِيَ بالطعام فأكلنا وبالشراب ، وخَرَجَت الجارية وفي يدها عودٌ فغَنَّت وشَرِبنا ، وقمت قَوْمَةً فسأل صاحب المنزل عَنِّي الرَّجُلَيْن فأخبراه بأنَّهُما لا يَعْرِفاني . فقالوا : هذا طُفَيْلي ، ولـكنه ظَرِيف فأَجْمِلوا عِشْرته ، وجئت فغَنَّت الجارِية في لحن لي في شعر ذي الرمة :

[ذكرتُكِ أَنْ مَرَّت بنا أُمُّ شَادِنٍ أَمَامَ المَطَايَا تَشْرئِبّ وتَسْنَح

من المُؤْلِفَاتِ الرمل أدماء حُرَّةٌ شُعَاعُ الضحى في مَتْنها يَتَوَضَّح

فأدّته أَدَاءً صالحا وشَرِبَت ، ثم غنَّت أصواتاً شَتَّى ، وغنَّت في أضعافها مِن صَنْعَتي والشِّعْرُ لابْنِ يَاسِين][1] :

الطُّلُولُ الدَّوَارِسُ فارَقَتْها الأَوَانِسُ

أَوْحَشَتْ بعد أَهْلِها فهي قَفْرٌ بَسَابِس

فـكان أمرُها فيه أصلحَ من الأوَّل . ثم غَنَّت أَصْوَاتاً[2] من القديم والحديث ، وغنت في أضعافها من صنعتي :

قل لمن صَدَّ عاتِباً ونأى عَنْك جَانِبا

قد بلغتَ الّذي أردْ تَ وإن كنتَ لاعِباً

فـكان أصلح ما غَنَّت ، فاستعدتُه لأصَحِّحَه لها ؛ فأقبل عليّ أحدُ الرجلين فقال :

---

(١) بياض في الأصل ، والتـكملة من الأغاني .

(٢) ف ت : أصولها .

ما رأيت طُفَيْلِيًّا أسفقَ وجهاً منك ! لم ترضَ بالتَّطفيل حتى اقترَحْت ، وهذا غاية المثل : « طُفَيْلِي ويَقْتَرِح » . فأطرقْتُ ولم أُجبه ، وجعل صَاحِبُه يكفّه عنى وهو لا ينكفّ . ثم قَامُوا إلى الصَّلاة وتأَخَّرت قَليلا ، فأخذتُ العودَ وشَدَدْت طبقته وأصلحته إصلاحا محكما ، ثم عُدْت إلى موضعى ، فصلَّيتُ وعَادُوا وأخذ ذلك الرجل فى عَرْبَدته علىّ وأَنَا صامت ؛ ثم أخذَت الجارِية العودَ فجَسَّتْه فأنكرَتْ حالَه وقالت : مُسَّ عُودِى ! قالوا : ما مَسَّه أحد . قالت : بَلَى والله ، قد مَسَّه حَاذِق مُتَقَدّم ، وشَدَّ طبقتَه وأصلحه إصلاح مُتَمكّن من صِنَاعته . فقلت لها : أنا أَصْلَحْته . فقالت : بالله عليك خُذْه فاَضرب بِه ، فأخذتُه وضربت به مبدأ عَجِيباً ظَرِيفاً صَعْباً فيه نَقَرَات محرّكَة ، فما بَقِى منهم أحَدٌ إلّا وثب وجَلَس بَيْنَ يدَىّ وقالوا : بِالله يا سَيِّدى أَتُغَنّى ؟ فقلت : نعم . وأُعَرِّفُكم نَفْسِى ، أنا إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلِى ، ووالله إنى لأَتِيه على الخليفة إذا طلبنى وأنتم تُسْمِعُونَنِى ما أكره مُنْذ اليوم ، ووالله لا نَطَقْت بحرف ولا جلستُ معكم حتى تخرجوا هذا المُعَرْبِد المَقِيت[1] الغَثّ ؛ فقال له صاحبه : مِن هذا حَذِرت عليك ؛ فأخذ يعتذر ؛ فقلتُ : والله لا نَطَقْت بحرف ولا جَلَسْتُ معكم حتى يَخْرج ! قال : فأخذوا بيده وأخرجوه وعادوا ، فبدأْت فغَنَّيتُ الأصوات التى غنتها الجارية من صَنْعَتى . فقال لى الرَّجُل : هل لك أن تُقيم عندى شَهْرا ، والجارِيَة والخادِمُ والحِمَارُ لك مع ما عليهم . قلت : أفعل . فأقمت عنده ثلاثين يوما لا يعرف أحَدٌ أينَ أنا ، والمأمون يطلبنى فى كل مَوْضِع فلا يعرف لى خبَراً . فلما كان بعد الشهر سَلّم إلىَّ الجارية والخادِمَ والحِمَار ، فجئتُ بذلك إلى مَنْزِلى ، وركبت إلى المَأْمون مِنْ وَقْتى ؛ فلما رآنى قال : ياإسحاق أين كُنْت ؟ فأخبرتُه خَبَرى ، فقال : علىَّ بالرجل السَّاعة ، فدللتُهم عليه ، فأحضره

(١) فى ت : المقت « تحريف » .

وسأله عن القِصَّة فأخبره ؛ فقال : أنت رَجُلٌ ذُو مروءة وسبيلك أن تُعَانَ على مُرَوءتك ، وأمر له بِمائة ألفِ درهم ، وقال له : لا تُعَاشِر ذلك الرجل المُعَرْبد النَّذْل ؛ وأمر لى بخمسين ألف درهم وقال : أَحْضِرني الجارية ، فأحضرته إيَّاها ، فأعجبَتْه وقال لى : قد جعلتُ للجارية نوبةً فى كل يوم ثلاثاء تُغَنِّى من وراء الستارة مع الجَوَارى وأمرتُ لها بخمسين ألف دِرْهم فربحت بِتلك الرَّكْبَة وأَرْبَحْتُ .

قال إسحاق : أخرجَ إلىَّ عبدُ الله بن طاهر بَيْتى شِعْر فى وَرَقة[1] وقال : هذان البَيْتَان وجدتُهُمَا على بساطٍ طَبَرِىّ أَصْبَهَنْدِىّ أُهدِىَ إلىَّ من طَبَرِسْتَان وأُحِبّ أن تغنى فيهما وهما :

لَجَّ بالعَيْن وَاكِفُ من هَـوًى لا يُسَاعِفُ
كُلَّمَا كَفَّ غَرْبُهَا هَيَّجَتْه المَعَــازِف

فغنيّت فيهما وغَدَوْتُ بِهما إليه ، فأُعْجِب بالصوت وَوَصَلَنى بِصِلة سَنِيّة . وكان يشتهيه ويَقْتَرِحه ، وشاع خبر إعجابه به . فبينما المُعْتَصِم جالس يُعْرَض عليه فرشُ الربيع ، إذ مر به بِسَاطُ دِيبَاج فى نهاية الحسن ، عليه هَذَان البَيْتان ومعهما هَذَان البَيْتان أيضاً :

إنَّما الموتُ أن تفا رق مَنْ أَنْتَ آلِف
لَكَ حُبَّان فى الفؤا دِ تَلِيدٌ وطَارِفُ

فأمر بالبِسَاط فحُمِل إلى عبد الله بن طاهر ، وقال للرّسول : قل له : إنى عرفت شَغَفك بالغناء فى هذا الشِّعر ، فلمّا وَقَع هذا البساط أحبَبْت أن يَتِمّ سرورُك به . فشكَر عبدُ الله بنُ طاهر ما تَأَدّى إليه من هذه الرسالة ، وأعظَم مِقْدَاره ، وقال : شَغَفى بِتَمَام الشِّعر أحبُّ إلىّ من كُلّ شىْء .

---

(١) فى غ : رقعة .

قال(١) إسحاق : كان بيني وبين الحارث بن بُسْخُنَّر(٢) مودّة فتغيّر لى ، وحَال عما عَهِدْته ، فقُلْتُ :

تَنَـكَّر(٣) لِي فيمن تَنَـكَّر(٣) حَارِث ورب أخٍ(٤) قد غَيَّرته الحوَادِث
أَحَارِثُ إن شُورِكْتُ فِيكَ فربَّما(٥) غَنِينا وما بيني وبينك ثالث

وتُوفى إسْحَاق فى رَمَضان سنة خَمْسٍ وثَلاثِين ومائتَيْن أول خلافة المُتَوَكّل فى بَغْداد . وكان يسأل الله عز وجل ألا يَبْتَلِيه بالقُولَنج لِمَا رأى من صُعُوبته على أَبيه فأرى فى منامه قائلا يقول له قد أُجيبَتْ(٦) دعوتُك ، ولستَ تموت بالقُولَنْج ، ولكنك تَمُوتُ بضِدِّه فأصابه ذَرَبٌ ، وكان يَتَصَدَّق فى كل يوم يمكنه صِيَامه بمائة درهم ثم ضَعُف عن الصوم ولم يُطِقه وَمَات .

ولَمَّا نُعِىَ إلى المُتَوَكّل غمَّه وحَزِن عليه ، وقال : ذهب صَدْرٌ عظيم من جَمَال المُلك وبهائِه وزينته ، ثم نُعِي إليه بعده أَحْمَدُ بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين والله أعلم بما قال . ورُثِىَ بعِدَّة قصائد طوال .

---

(١) جاء هذا الخبر فى ترجمة إبراهيم بن العباس فى الجزء العاشر ص : ٤٥ طبع دار الكتب وقيل: البيتان لإبراهيم بن العباس.
(٢) فى ت : تسحر « تحريف » .
(٣) فى غ : تغير .
(٤) فى غ : وكم من أخ .
(٥) فى غ : فطالما .
(٦) فى ت : أجبت .

أحمد النَّصْبي (1)

هو أحمد بن (2) أُسَامة الهَمْدانى ، من رَهْط الأَعْشى الأَدْنَيْن ، يقال : إنه أول مَن غَنَّى بالطُّنْبور فى الإسلام . وكان ينادم عُبَيْد الله بن زِياد سِرًّا ويُغَنِّيه . وكان بَخيلا على يساره يُقرِض بالرِّبا . ولم يخدُم خليفة ولا كان له شعر ولا أدب ،

ومات فى دعوة دُعِى إليها فغُصَّ بفَالُوذَجَة حارّة جمت أحشاءه فمات . روى جَحْظَة : والصحيح أنه خرج مع أَعْشَى هَمْدان فى عَسْكر ابن الأَشْعَث فقُتِل فيمَن قُتِل .

وللأَعْشَى شعر فى سَلِيم بن صالح بن سَعْد (3) بن جَابِر العَنْبَرِىّ (4) وكان منزل سليم بسَابَاطِ المَدَائن (5) وكان الأَعْشَى وأحمد قد خرجا فى بعض مَغَازِيهما فنزلا على سَلِيم فأحسن قِرَاهما وأمر لدوابّهما بعَلَف وقَضِيم (6) ، وأقسم (7) عليهما بأن ينتقلا إلى منزله ففعلا ، وعرض عليهما الشراب فأَنْعَما به فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان ، فقال أحمد النَّصْبي للأَعْشَى : قل فى هـذا الرجل الكريم شعرا تمدحه فيه حتى أُغَنِّيه .

---

(1) فى ت : النصيبي « تحريف » .

(2) فى ت : أبو « تحريف » .

(3) فى ت : شعيب « تحريف » .

(4) فى ت : العزى « تحريف » .

(5) فى ت : المدلين « تحريف » .

(6) القضيم : شعير الدابة .

(7) فى ت : وأمر « تحريف » .

فقال له الأَعْشَى :

يا أَيُّها القلبُ المطيع الهوى　　أَنَّى اُعتراكَ الطربُ النَّازِحُ
تذكُرُ جُمْــلا فإذا ما نَأت　　طار شَعاعاً قلبُك الطامِحُ
هَلّا تَنَاهَيْت وكنتَ امرأً　　يزجُرك المُرْشِدُ والنَّاصِح
ما لك لا تترُكُ جهلَ الصِّبا　　وقد علاكَ الشَّمَط الوَاضِح
فصار مَنْ ينهاكَ[1] عن حُبِّها　　لم ترَ إِلَّا أَنَّه كاشِح
يا جُمْلُ ما حُبِّى لكم زائلٌ　　عنِّى ولا عن كَبِدى نَازِح
حُمِّلتُ وُدًّا لكم خالصاً　　جِدًّا إذا ما هزَل المَازِح
إنِّى توسّمت امرأً ماجِــداً　　يصدُق فى مِدْحته المادح
ذؤابةَ العنبر[2] فاُخترتُه[3]　　والمرء قد يُنْعِشُــه الصالح
أبلجَ بُهْلولا وظنِّى به　　أَنَّ ثنائى عنــده رَابِح
سَلِيم[4] ما أنت بِنكْسٍ ولا　　ذَمَّك لى غادٍ ولا رَائِح
أعطيتَ وُدِّى وثَنَائى معــا　　وخَلّةً ميزانُهــا رَاجح
قد عَلِم الحىّ إذا أَمْحلُوا　　أنّك رَفّادٌ[5] لهم مانِح
فى اللَّيْـلة القَالِى قِراها التى　　لا غَابِقٌ فيها ولا صابِح
والضيفُ معروف له حَقُّــه　　له على أبوابكم فاتِح

---

(١) فى ت : ينهك « تحريف » .
(٢) فى ت : الغبر « تحريف » .
(٣) فى ت : فأخبر به .
(٤) فى ت : سلم .
(٥) فى ت : فاد .

والخيلُ قد تعــلم يوم الوَغَى … أنك عن جمرتها[1] نَاضِح
إنِّى لِمَن سالمتَ سِلْمٌ ومن … حاربتَ[2] أُمْسى ولَهُ[3] نَاطِح
فى الرأسِ منــه وعلى أَنْفِهِ … من نَقَمَاتِى مِيسَمٌ لَائِح

فغَنَّى أحمد النَّصْبى فيها ، وجاريةٌ لسَلِيم فى السطح جالسة ، فسَمِعَت الغناء ، فنزَلَت إلى مولاها فقَالَت له : إنّى سمعت من أضيافك شعراً ما سمعتُ أحسن منـه وغِناءً قد غَنَّوْا فيه أحسنَ غِناء ، فخرج مولاها فاستمع حتى فَهِم ثم دخل عليهما فقال لأحمد : لِمَنْ هذا الشِّعر ؟ ومَنْ أنتما ؟ فقال : الشِّعر لِهَذا ، وهو أبو المُصَبَّح أَعْشَى هَمْدان ، والغِناء لى ، وأنا أحمد النَّصْبى الهَمْدانى ؛ فانـكب على رأس أعشى هَمْدان يُقبِّله وقال : كتمتُمانِى أنفسَــكما وكدتما أن تفارِقَانى ولم أَعْرِفْـكُما ولم أعرف خَبَرَكما فاحتبَسهما عنده شَهْرًا ثم حملهما على فرَسَيْن ، وقال : خَلِّفا عندى ما كان من دَوَابِّـكما وارجعا من مَغْزَاكما إلىّ[4] ، فمضَيا إلى مَغْزَاهما ، فأقاما حِينا ثم انصرفا ، فلمّا شارَفَا منزلَه قال أحمد للأعشى : إنِّى أَرَى عَجبًا ! قال : ما هو ؟ قال : أرى فوق قصر سَلِيم ثَعْلَبا ؛ قال : إنْ كنتَ صادقا فما بَقِى فى القرية أَحَد . قال : فدخلا القَرْيَة ، فوجدا سَلِيما وجميعَ أهله قد أصابهم الطَّاعُون ، فماتَ أكثرُهم وانتقل بَاقِيهم .

وقيل: إنّ الحجَّاج طالب سَلِيما بمال عظيم، فلم يخرج منه حَتَّى باع كلمايملـكه ، وخَرِبت قريتهُ وتفرق أهلُها ؛ ثم باعه الحجّاج[5] فاشتراه بعضُ أشراف الـكوفة : إما أسماء بنُ خارِجَة أو بعض نظرائه فأعْتَقَه .

(١) الجمرة : القبيلة فيها ثلاثمائة فارس ، وقيل : ألف . وفى غ : من جمرتها .
(٢) فى غ : عاديت .
(٣) فى ت : وبه .
(٤) فى ت : إلى عندى !
(٥) فى غ : ثم باعه الحجاج عبدا .

إسماعيل بن جامع

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطّلب بن أبى وداعة[1] بن ضُبَيْرَة بن سعيد[2] بن سهم بن هُصَيْص بن كَعْب بن لؤى بن غالب .

مات ضُبَيْرَة السّهمى[3] وله مائة سنة ولم يَظْهر فى رأسه ولا فى لِحْيَته شَيْب .

وأُسِر أبو وَدَاعة يوم بدر وهو كافِر ففَدَاه المُطَّلب[4] ، وكان المُطَّلب رجلَ صدق . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم الحديث .

وكُنية إسمَاعِيل بن جامع أَبُو القاسِم .

وأُمّه امرأة من بنى سَهم ، وتزَوَّجَت بعد أبيه رجلا من أَهْلِ اليَمَن .

قال عَوْن صَاحِب معن بن زائدة : أتت أُمّ ابن جامع معن بن زائدة وابن جامع معها وهو صَغِير يَتْبَعها ويَطَأُ ذيلَها وكانت من قريش ، ومَعْنٌ يومئذ على اليَمَن . فقالت: أصلح الله الأمير ، إنَّ عَمِّى زَوَّجَنى زَوْجاً ليس بكُفْء ، ففرِّق بَيْنِى وبَيْنَه . فقال : ومن هُو ؟ قالت : ابن ذى مناجب . قال : علىّ به . فدخل أقبحُ خَلْق الله وأَشْوَهُهم خَلْقاً . فقال : مَنْ هذه منك ؟ قال : امرأَتِى . قال : خَلِّ سَبِيلَها ، ففعل . فأطرقَ معن ساعة ثم رفع رأسه فقال :

لعمرى لقد أصبحتَ غير محبَّب ... ولا حَسَنٍ فى عينها ذا مَنَاجِبِ
فما لمتُها لَمَّا تبيَّنْتُ وجهَه ... وعيناً له حوصاءَ من تحت حاجب

---

(١) فى ت : ردعة « تحريف » .
(٢) فى ت : سعد .
(٣) فى ت : السى « تحريف » .
(٤) فى غ : ابنه المطلب .

وأنْفا كأنف البَكْر يقطرُ دَائِباً على لِحْيَةٍ عَصْلَاء(١) شَابتْ وشارِب
أتيتَ بهـا مثلَ المَهاة تسوقهـا فيا حُسْنَ مَجْلُوب ويا قُبْحَ جَالِب

وأمر لها بمائتى دينار .

وقال يَحْي : كان ابنُ جَامع أحفظَ خَلْق الله للقرآن وأعلمهم بما يَحْتاج إليه ، وكان يخرج من منزله الفَجْر يوم الجُمعة فيُصَلِّي الصبحَ ثم يَصُفّ قدميه حَتى(٢) تطلع الشمس ، ولا يُصَلّي الناسُ الجمعةَ حتى يختم القرآن ثم يَنْصَرِف إلى منزله .

قال إسحاق بن إبراهيم المَوْصِليّ : أتيت أبي يوما مسلِّماً فقال : يا بُنَي ما أَعْلَمُ أَنَّ أحداً بَلَغ من بِرٍّ ولَده ما بلغتُه من برّك ، وإنى لأستقلُّ لك ذَلك ، فهل مِنْ حَاجَة أَصِيرُ فيها(٣) إِلَى مَحَبَّتك ؟ فقلت : قد كان ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ كُلُّ ما ذكرتَ فأطال الله لِي بقاءَك ، ولكِنِّي أسألك وَاحِدة : يموت غداً أو بعد غَد هذا الشَّيْخ ولم أسمَعْه فيقول الناس لى مَاذَا وأنا أَحُلُّ منك(٤) هذا المَحَل ؟ فقال لى : ومَنْ هُو ؟ قلت : ابن جامع . قال : صدقت يا بُنَي أَسْرِجُوا لَنَا(٥) . فجِئْنَا إلى ابن جَامع ، فدخلنا عليه فقال : يا أبا القاسم قد جِئْتُك فى حَاجَة ، فإن شئتَ فاشتُمْنِي غير أنه لا بُدَّ لَكَ من قَضَائِها ، هذا عَبْدُك وابن أَخِيك قَالَ لِي : كَذَا وكَذَا ، فركِبْتُ معه أسأَلُك أن تشفعه(٦) فيما سَأَل ، فقال : نعم بشريطة : تُقيمان عندى أُطْعِمكما مَشُوشَة وقَلِيّة(٧) وأسْقِيكُما من نَبيذى التَّمْرِي وأغنيكما ، فإن جاءَنا رسولُ الخليفة

(١) عصلاء : معوجة
(٢) فى ت : حين .
(٣) فى ت : أصرفها .
(٤) فى ت : قبل .
(٥) أسرجوا لنا : شدوا على الخيل السروج لتركبها .
(٦) فى ت : تسعفه .
(٧) القلية : مرقة تتخذ من أكباد الجزور ولحومها .

مضَيْنا إلَيْه وإلّا أقمْنا يوْمَنا ، فقال أَبِى : السمع والطاعة ، وأمر بالدواب فرُدَّت وجاء بِمَا ذكَره فأَكَلْنا وشَرِبْنا ، ثم أندفع فغنَّانا ، فنظَرْت إلى أَبِى يَقِلّ فى عَيْنى ويَعْظُم ابْن جَامِـع حَتّى صارَ أَبِى فى عينى كلا شَىْء ؛ فلَمَّا طربنا غايَةَ الطَّرَب جاءَ رَسُولُ الْخليفة فركبا وركبْتُ مَعَهما ، فلما كنا فى بعض الطريق قال لى أَبِى : كيف رأيتَ ابْنَ جَامِع يا بُنَىّ ؟ قلت له : أَوَ تَعْفِينِى جُعِلْتُ فِداكَ ! قال : إِنِّى لستُ أُعْفِيك . قال : فقلتُ له : رأيتُك ولا شىء أكبرُ عِنْدِى مِنْك قد صغُرت عِنْدِى فى الغناء مَعَه ، ثم مَضَيا إِلَى الرَّشِيد وأنصرَفْتُ إِلَى منزلى لأَنِّى لم أَكُن بعدُ وصلتُ إِلَى الرَّشيد ، فلما أصبحْتُ أرسلَ أَبِى إِلَىَّ فقال : يا بُنَى هذا الشِّتَاء قد هَجَمَ عليكَ وأنتَ تَحتَاجُ إِلَى مَئُونة ، وإذا مَال عَظِيم بين يديه ، فأصرف هَذَا المَالَ فى حَوَائِجك ، فقمتُ فقبّلْت يدَه ورأسَه وأمرتُ بحمل المال وأتبعْتُه ، فصوت على[1] : يا إسْحَاق أرجع ، فرجَعْتُ . فقال لى : أتَدْرِى لِمَ وهبتُ لَكَ هذا المال ؟ قلت : نعم لِصِدْقِى فِيك وَفِى ابْنِ جَامِع ، قال: صدقتَ يا بُنَىّ ، امْضِ رَاشِداً.

قَدِم ابنُ جامع قدْمَةً له من مكّة إلى الرشيد ، وكان ابنُ جامع حَسنَ السَّمْت كثيرَ الصَّلاة وقد أخذ السجودُ فى جَبْهته ، وكان يَعْتَمّ بِعِمامة سوداءَ على قَلَنْسُوَة ، ويلبس لباس الفقهاء ، وركب حِمَارا فى زى أهل الحجاز . فبَيْنا هو واقف على بَابِ يَحْيى بن خالد يَلْتَمِس الإذْنَ عليه ، فأقبل أبُو يوسف القاضى وأصحابه أَهْلُ القَلانس؛ فلما هجم على الباب نَظَر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه ، فوقعت عينه على ابن جامع فرأَى سَمْتَه وحلاوة هيئته ، فجاء فوقف إلى جانبه فقال له : أَمْتع اللهُ بِك ، توسمتُ فيك الحجَازِيّة والقرَشيّة ؛ قال : أصبت . قال : فمِن أَىّ قريش ؟ قال : من بَنِى سَهْم . قال : أَىّ الحرمين منْزِلك ؟ قال : مكة . قال : فمَن لَقِيت ؟ قال : سل عَمَّن شِئت .

---

(١) فى غ : بى .

ففاتحه الفقهَ والحديثَ فوجد عندهَ ما أحبّ منه ، فأُعجِبَ به . ونظر النَّاسُ إليهما فقالوا : هذا القاضِي أقبلَ على المُغَنِّى ، وأبو يوسف لا يعلم أنه ابنُ جَامِـع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه ! ثم قالوا : لعلَّه لا يعود إلى مُوَافقته بعد اليوم ، فلما كان الإذْنُ الثَّانِي غدا أبو يوسف فنظر يَطْلب ابنَ جَامِع فرآه ، فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه كما فعَـل فى الإذْن الأوَّل . فلمَّا انصرف قال له بعضُ أصحابه : أتعرف هذا الذى توافقه وتحادثه ؟ قال : نعم ، رجل من أهل مكة من الفُقَهَاء . فقالوا : هذا ابْنُ جَامِـع المغـنّى ؛ فقال : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون » قالوا : إنَّ النـاسَ قد شَهَرُوكَ بموافقته وأنـكروا ذَلِك من فِعْلك . فلمَّا كان الإذْنُ الثالث جاء أَبُو يُوسف ونظر إليه فتَنَـكَّبه ، وعرف ابنُ جامع أنه قد أُنْذِر به ، فجاء حتى وقف فسلَّم عليه ، فرَدَّ عليـه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذى تَلَقَّاه ثم انحرف عنه . فدنا منه ابنُ جَامِع ، وعرَف الناسُ القِصَّـه ، وكان ابنُ جامع جَهيرا فرفع صوته ثم قال : يا أَبَا يوسف ، مالك تنحرف عني؟ أيَّ شيء أنـكرتَ ؟ قالوا لك : ابنُ جَامع المُغَنِّى فـكرهت مُوَافَقتى ! أسألك عن مسألة ثم اصنع ما شِئْت ؛ وأقبل الناس نَحْوَهما . فقال : يا أبا يوسف لو أنَّ أعرابيا جِلْفاً وقف بين يديك فأنشدَك بجفَاء وغِلْظَة مِن لسانه فقال :

يا دَارَ مَيَّةَ بالعَلْيَاء فالسَّنَدِ ... أَقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأَبَدِ

أ كنت ترى بذلك بأساً ؟ قال : لا ، قد رُوِى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سَمِع الشعر ، قال ابن جامع : فإن قلتُ أنا هـكذا ، واندفع يُغَنِّى فيه حتى أتى عليه ، ثم قال : يا أبا يوسف هل رأيتنى زدت فيه أو نقصت منه ؟ قال : عافاك الله أَعْفِنا من هذا ، قال : يا أبا يوسف ، أنتَ صاحب فُتْيَا ، ما زِدْتُه على أن حَسَّنْتُه بألفاظى تحسُن فى السَّماع ووصل إلى القلب ، ثم تَنَحَّى عنه ابنُ جَامع .

قال ابنُ جَامع : لولا أنَّ القِمار وحُبَّ الـكلاب قد شَغَلانى لتركتُ المُغَنِّين لا يأكلون الخبز .

أَهْدَى رجل إلى ابن جَامع كلبا فقال : ما اسمه ؟ قال : لا أدرى ، فدعا بدفتر فيه أسماء الـكلاب فجعل يدعوه بكل اسم فيه[1] حتى أَجَابه الـكلب .

قال سفيانُ بن عُيَيْنة لبعض أَصْحابه وقد مَرّ به ابنُ جَامِع يسحَب الخزّ : بلَغَنى أن هذا القرشى أصابَ مالا من الخلفاء فبأَىِّ شىءٍ أَصَابه ؟ قالوا : بالغناء . قال : فمن منـكم يذكر بعض ذلك ؟ فأنشد بعض أصحابه :

وأَصْحَبُ باللَّيل[2] أهلَ الطَّوَاف ... وأرفَعُ من مِئْزَرِى المُسْبَل

قال : أحسن ، هيه ! فقال :

وأسجُد باللَّيل[3] حتى الصباح ... وأتلو من المُحْكَم المُنْزَل

قال : أحسن ، هيه ! فقال :

عَسَى فارِجُ الهَمِّ عن يوسف ... يُسخِّر لى رَبَّةَ المَحْمِـــل

قال : أمَّا هذا فدعه لا سَخَّرها الله له .

قالت حَوْلَاء مولاةُ ابن جامع : انتبه مولاىَ من قَائِلَته يوماً فقال : علىّ بهِشام « يَعْنِى ابنَه » ادعُوه لى عَجِّلُوا به ، فجاء مُسرعا فقال : يا بنى ، خُـذِ العود ، فإن رجلًا من الجِنّ ألقى علىَّ فى قَائِلَتى صوتاً فأخافُ أن أنساه . فأخذ هِشَام العودَ وتَغَنَّى ابن جامع عليه رملا :

---

(١) فى ت : باسم اسم منها .
(٢) فى ت : ياليل .
(٣) فى ت : ياليل .

أمستْ رُسـوم الدار غيَّرها هوجُ الرِّياح الزَّعازِع العُصُفِ
وكُلُّ حنَّانة[1] لهـا زَجَلٌ مثلُ حنين الرَّوائم الشُّغُفِ

قال ابنُ جامع : أخذتُ من هارون بيتَيْن غنَّيْتهما إيَّاه :

لا بُدَّ للعاشق من وَقْفَـة تـكون بين الوَصْل والصَّرْم
يَعتِب أحياناً وفى عَتْبِـه إظهارُ ما يُخْفِى من السُّقْم
حتى إذا ما مَضَّه هَجْـره راجَع مَنْ يَهْوَى على الرَّغْم[2]

لـا مات المَهْدِى ومُلِّك موسى الهادى أعطى الفضلُ بن الربيع [الطرَّاز][3] من يده دنانير وقال : الحق بمـكة وأْتنى بابْنِ جَامِع وأحمِله فى قُبَّـة ولا تُعْلِمَنَّ به أحدا ، ففعل وحضر فأنْزله عنده واُشترى له جَارِية ، وكان ابن جامع صاحبَ نساء ، فذكَره موسى الهادى ذَاتَ ليلة ، وكان هو مِمَّن انقطع إلَى الهَادِى أيَّام المَهْدِى وضربه المَهْدِى وطرده . فقال الهَادِى لجُلَسائه : أمَا فيكم أحد أرْسَل إلى ابْن جَامِع وقد عرفتم موقعه مِنِّى ! فقال له الفضل بن الربيع : هو عندى يا أميرَ المؤمنين وقد فعلت الذى أردتَ . فبعث إليه فأُتِى به فى الليـل وَوَصَلَ الفضلَ فى تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولَّاه حِجَابَته .

وكان سبب عزل العثمانىّ أن ابنَ جامع سأل الرشيد فى أن يأذنَ له فى المُهَارشة بين الدُّيُوك والـكِلَاب وألا يُحَدّ فى النَّبيـذ ، فأذِن له وكتب بذلك كِتَاباً إلَى العُثْمَانى . فلما وصَل إليه الـكتابُ قال له : كذبت ! أمير المؤمنين لا يُحِل ما حَرَّمه اللهُ تعالى ، وهذا الـكِتَاب مُزَوّر . والله لَئِن لقيتُك على حال من هذه

---

(١) فى ت : خبابة « تحريف ».

(٢) فى غ : رغم .

(٣) ساقط من ت . والطراز : يريد الفضل .

الأحوال لأُوَدِّبنَّك . قال : فحذِره ابنُ جامع . ووقع بين العُثْمَانى وحمّاد اليَزِيدى [ما يقع بين العمال] فلما حجَّ هارون قال حمّاد لابن جَامِع : أعِنّى عليه حتى يَعْزِله ؛ قال : أفعل . قال : فابدأ أنت فقل لأميرالمؤمنين : إنه ظَالِم فَاجِر واستشهِدْنى . فقال ابنُ جامع : هذا لا يَقبل فى العُثْمَانى شَيْئاً ، ويفهم أميرُ المؤمنين كَذِبنا ، ولكن أَنَا أحتال من جهة ألطف من هذه ، فسأله هارون ابتداء : فقال يا ابنَ جامع ، كيف العُثْمَانى أمِيرُكم ؟ فقال : خيرُ أمير وأعدَلُه وأفضلُه وأقومُه بالحق لولا ضعف عقْله . قال : وما ذاك ؟ قال : أفْنى الكِلاب ، قال : وما دعاه إلى قَتْلها[1] ؟ قال : زعم أن كلبا دَنَا من عثمان بن عفان يوم أُلقِى على الكِنَاس فنهَشَ وجهَه فغَضِب على الكلاب فهو يَقْتُلُها . فقال : هذا ضَعِيف العَقْل فاعْزِلُوه ، فعُزِل .

كان ابنُ جامع أَحسن ما يكون إذا حَزِن ، وأَحَبَّ الرشيد أن يَسْمَعه على تلك الحالِ فقال للفَضْل بن الربيع : ابعث إلىَّ خَرِيطة فيها نعىُ أم ابن جامع ، وكان بَرّاً بأمه ففعل ، فوردت الخَرِيطة على أمير المؤمنين وهو فى مجلس لَهْوه ، فقال : يا ابن جامع فى هذه الخَرِيطة نعىُ أمك ؛ فاندفع ابن جامع يُغَنِّى بتلك الحرقة :

كَمْ بالدُّرُوب وأرْضِ الروم مِنْ قَدَمٍ
ومن جَمَاجم صَرْعى ما بها قُبِرُوا

بقُنْدَهَار[2] ومن تُكْتَب[3] منيته
بقُنْدَهَار يُرجَّم دونه الخبر

قال : فأملَكْنا أنفسَنا ورأيتُ الغلمان يَضْرِبون بوجوههم الحِيطَان والأَسَاطِين.

---

(١) فى غ : إفنائها .

(٢) قند هار : مدينة كبيرة بالقرب من كابل ، عاصمة أفغانستان الآن .

(٣) فى غ : تقدر .

بلغ أُمَّ جَعْفر أنَّ الرشيد جالِس وحده وليس معه أَحَد من الندماء ولا المسامرين؛ فأرسلت إليه : يا أمير المؤمنين ، إنى لم أرك منذ ثلاث ، وهذا اليوم الرَّابع . فأرسل إليها : عندِى ابن جَامع : فأرسلت إليه : أنت تعلم أننى لا أتهنَّى بشرَاب ولا بسماع إلَّا أن تَشْرَكَنى فيهِ ، فما كان عليك أَنْ أشركَك فى هذَا الذى أنت فيه ! فأرسل إليها : إنى صائِر إليك فى هذه السَّاعة . ثم قام وأخذ بيد ابن جامع ، وقال لحُسَين الخادم : امض إليها وأعلمها أنِّى قد جِئْت . وأقبل الرَّشيد ، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله ، فوجّه إليها : إنّ معى ابنَ جامع ، فعدلت إلى بعض المَقَاصير . وجاء الرّشيد وصيّر ابنَ جامع فى بعض المواضع التى يُسمع منه ولا يكون حاضراً معه . وجاءت أُمّ جعفر فدخلت على الرشيد فأكبَّت عليه ، فأجلسها إلى جانبه واعْتنقَها واعْتَنَقَتْه . ثم أمر ابن جامع أن يتغنَّى فغنَّى :

ما رَعَدتْ رعدةً ولا برَقَت ... لكنها أُنْشئت لنا خَلِقه
الماء يجْرِى ولا نِظَام[1] له ... لو يجِد الماء مخرَقاً خرَقَه
بِتْنَا وبَاتَت على نَمارقها ... حتى بدا الصبحُ عينُها أرِقه
أَن قِيل إنَّ الرحيلَ بعد غدٍ ... والدارُ بعد الجميع مُفْتَرِقَه

فقالت أُمّ جعفر للرشيد : ما أحسنَ ما اشتهَيْته ! ثم قالت لمُسلم خادمها : ادفع لابن جامع لكل بيت مِائَةَ ألف درهم . فقال الرشيد : غلبتنا يا ابْنَةَ أَبِى الفضل وسَبَقْتِنَا إلى بِرّ ضيفِنا . فلما خَرَج ، حمل إليها مكان كل درهم دِينَارا .

قال إسماعيل بنُ جامع : ضَمّنى الدهر ضَمًّا شديدا بمكة ، فانتقلتُ منها بعيالى إلى المدينة ، فأصبحت يوما ومَا أملك إلا ثلاثةَ دراهم ، فهى فى كُمّى إذا أنا بجارية على رقبتها جَرَّة تَمْشى[2] بين يدىَّ تترنّم بصوت شَجِى :

(١) فى غ : على نظام .

(٢) فى غ : تسعى .

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا ... فقالوا لَنَا : ما أقصرَ الليلَ عِندنَا
وذاك لأنَّ النومَ يغشى جفونَهم[1] ... سِرَاعاً ولا يغشَى لنا النومُ أعينا
إذا ما دَنَا الليلُ المُضِرُّ بِذِى[2] الهوى ... جَزِعْنَا وهم يَسْتَبْشِرون إذَا دَنَا
فلو أنهم كانوا يلاقون مِثْلَ مَا ... نُلاقِى لَكَانوا فى المضاجع مِثْلَنَا

قال : فأخذ الغِنَاء بقَلْبى ولم يَدُرْ لى منه حرف . فقلت : يا جارية ، ما أدْرِى أوجهُك أحسن أم غناؤك ! فلو شئت أعدتِ ! فقالت : حُبًّا وكَرَامَةً . ثم أسندَتْ ظهرَها إلى جدار قريب مِنْها ورفعتْ إحدى رجليها فوضعَتْها على الأخرى ، ووضعت الجرَّة على ساقها ثم انبعَثَت تُغَنِّيه ، فوالله ما دَارَ لى منه حرف ؛ فقلت : لو أحسنت وأَعَدْتِيه مَرَّةً أخرى ! فقَطَّبَت[3] وكَلَحَت وقالت : ما أعجب أمْرَكم ! أحدُكم لا يزال يجىء إلى الجارية عليها الضَّرِيبة فيشغلها ! فضربتُ يَدِى إلى الدراهم فدفعتُها إليها ، وقلت لها : أقيمى بها وجهَك اليومَ إلى أن نلتقى[4] ، فأخذتْها كالكارِهة وقالت : فأنت الآن تريد أن تأخذ مِنّى صوتاً بثلاثة دراهم ، أحسبك ستأْخُذُ بِهِ أَلْفَ دِينار وألف دينار وألف دينار . وانبعَثَت تُغَنِّى فأعملتُ فِكْرى فى غِنائها حتى دَارَ لِى الصوتُ ففَهِمتُه ، وانصرفت مسرورا إلى منزلى أُرَدِّدُه حتى خَفَّ على لسانى . ثم خرجتُ إلى بغداد فدخلتها ، فنزل بى المكارى على باب مُحَوَّل[5] ؛ لا أدرى أين أتوجّه ولا مَنْ أَقْصِد . فمشيت مع الناس حتى أتيت الجِسْر ، فعبَرْت مَعَهم

---

(١) فى غ : عيونهم .
(٢) فى غ : لذى .
(٣) فى غ : فقطنت .
(٤) فى ت : نكتفى .
(٥) باب محول : محلة كبيرة من محال بغداد كانت متصلة بالكرخ . وفى ت : باب المحول .

حَتَّى انْتَهَيْتُ إلى شَارِع عال(١) ، فرأيتُ مسجدا بالقرب من دار الفضل بن الربيع مُرْتَفِعا ، فقلت : مسجدُ قوم سَراة ، فدخلتُه ، وحضرتُ صلاةَ المغرب فصَلَّيت وأقمتُ مكانى حتى صَلَّيْتُ العشاء على جوع وتعب ، وانصرف أهلُ المَسْجِدِ وبقى رجل يُصَلِّى خلفه جماعة خدم وخؤولة ينتظرون فراغَه فصلَّى مَلِيًّا ، ثم انصرف فقال : أَحْسَبُكَ غَرِيباً ؟ فقلت : أَجَلْ . قال : فمَتَى كنتَ فى هذه المدينة ؟ قلت : دخلتها آنفا ، وليس لى بها منزل ولا معرفة ، وليست صناعتى من الصنائع التى يُمَتّ بها إلى أهل الخير . قال : وما صناعتك ؟ قلت : الغناء ، فوثب مُبَادِرا فدخل ووكّل بى بعض مَن معه . فسألت المُوَكَّل بى عنه فقال : هذا سَلَّام الأبرش(٢) . قال : فانْتَهَى بى إلى قصر من قصور الخلافة ، وجاءوا بى من مقصورة إلى مقصورة ، ثم أُدْخِلت مقصورة فى آخر الدهاليز ، ثم دعا بطعام فأُتِيت بمائدة عليها من طعام الملوك ، فأكلت حتى امتلأت . فإنى على ذلك إذْ سمعت رَكْضاً فى الدهليز وقائلا يقول : أين الرجل ؟ فقيل : هو هذا . قال : ادعوا له بغَسول وخِلْعة وطِيب ، ففُعِل بى ذلك . وحُمِلت على دَابّة إلى دار الخلافة فعرفْتُها بالحرس والتَّكْبِير والنِّيران . فجاوزتُ مقاصِيرَ عِدّة ، حتى صرت إلى دارٍ قوراء فيها أَسِرَّة فى وسطها ، قد أُضِيف بعضها إلى بعض . فأمرنى الرجل إلى الصعود فصعِدْتُ ، فإذا رجل جالس عن يمينه ثَلَاثُ جوار فى حجورهن العِيدَان ، وفى حِجْر الرجل عود . فرحَّب بى وإذا بين الأَسِرَّة شىء قد قام عنه قوم ، فلم أَلبَث أن خَرَج خَادِم من وَرَاء السِّتْر فقال للرجل : غَنِّ ؛ فانبعث يُغَنِّى بصوت لى :

لم تَمْشِ مِيلًا ولم تركب على قَتَب ولم تَرَ الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ

---

(١) فى ت : عالى « خطأ » .

(٢) خدم المنصور ، وتولى المظالم للمهدى وعاصر الهادى والرشيد .

فغنّى بغير إصابة وأوتار مختلفة . ثم عاد الخادمُ إلى الجارية التى تَلى الرجل فقال : تَغَنَّىْ ، فغنَّت أيضاً بصوت لى كانت فيه أحسنَ حالًا من الرجل :

يا دار أَضْحت خَلَاء[1] لاأَنيس بها إلا الظباء وإلا النَّاشِط[2] الفَرِدُ[3]
أينَ الّذين إذا ما زرتُهم جَذِلوا وطار عن قلبيَ الأشواق[4] والكَمَد

ثم عاد إلى الثانية فأحسبه أغفلها وما تَغَنَّت ، ثم عاد إلى الجارية التى تليها فانبعثت تغنّى بصوت لحكم الوادىّ :

فوالله ما أَدرِى أَيغلِبُنى الهوَى
إذا جَدّ جَدّ[5] البَيْن أم أنا غالبُه
فإن أستطِع[6] أغلِبْ وإن يغلب الهوى
فمثل الذى لاقيتُ يُغْلَب صاحِبُه

ثم عاد الرجل إلى الجارية الثَّالِثة فغنّت بصوت لحُنَيْن :

مَرَرْنا على قَيْسيّة عامريّة لها بَشَر صافِى الأَدِيم هِجانِ
فقالت وألقت جانب السِّتْر دونَها مِن أَيّة أرض أومَن الرّجُلان
فقلت لها أَمَّا تَميم فأسرتى هُديتِ وأما صاحبى فيمان
رَفيقان ضَم السَّفْرُ بينى وبَيْنَه[7] وقد يَلْتقِى الشَّتّى فيأتلفان

---

(١) فى ت : خلوا .
(٢) الناشط : الثور الوحشى أو الحمار الوحشى .
(٣) الفرد : المنفرد .
(٤) فى غ : التشواق .
(٥) فى غ : وشك .
(٦) فى ت : أستطيع « خطأ » .
(٧) فى ت : بينهم « تحريف » .

ثم عاد إلى الرجل فغنّى صوتاً لى فشبّه فيه فى شعر عمر بن أبى ربيعة :

أمسى بأسماء هــذا القلبُ معمودا إذا أقول صَحَا عن غيِّه[١] عِيدا

كأنّ أحور[٢] من غزلان ذى بَقَر[٣] أعارهــا شَبَهَ العينين والجيدا

ومشرقاً كشُعاع الشمس بهجتــه ومُسْبَطِرًّا على لبّاتهــا سُودا

ثم عاد إلى الجارية فغنّت صوتاً لحكم الوادىّ :

تُعيِّرنا أنّا قليلٌ عَديدُنا فقلتُ لها إن الكرامَ قليل

وما ضرّنا أنّا قليل وجارُنا عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل

وغنت الثانية :

ولما توافقنا وسلمتُ أسْفَرَت وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنّعا

تبالهن[٤] بالعرفان لمّا عرفننى وقلن امرؤٌ باغٍ أكلّ[٥] وأوضعا

ولما تنازعن[٦] الأحاديثَ قلنَ لى أخِفْتَ علينا أن نغرَّ ونُخدَعا

فتوقعت مجىء الخادم إلىّ ، فقلت للرجل : بأبى خذ العود وشدّ وتر كذا وارفع الطبقة ، ففعل ما أمرته . وخرج الخادم وقال تغنّ عافاك الله ؛ فتغنّيت بصوت الرجل الأول على غير ما غنّاه ، فإذا جماعة من الخدم وقالوا : ويحك ! لمن هــذا الغناء ؟ فقلت : لى ؛ فانصرفوا عنى وخرج إلىّ الخادم وقال لى : كذبتَ ! هذا لابن جامع .

(١) فى غ : يعتاده .
(٢) فى ت : أعور « تحريف » .
(٣) فى ت : ذى تفر ؛ وكلاهما اسم موضع ، فذو بقر : واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة ، فى ديار بنى أسد . وذو تفر : موضع على ثمانية أميال من السليلة بينها وبين الربذة .
(٤) فى ت : تبالهم (تحريف) .
(٥) أكل : أعيا .
(٦) فى ت : تبارين .

ودَارَ الدورُ ؛ فلما انتهى الغناء إلىَّ قلتُ للجارية التى تَلِى الرَّجُل شُدِّى العود وعملت ما أُريد وغَنَّيْتُ بصوتِها الذى غَنَّته فخرج إلىّ جماعة من الخــدم فقالوا : ويحك ! لمن هذا الغِناء ؟ قلت : لى ، فرجعوا ورجع الخادم فقال لى : كذبتَ هذا لابن جامِع . ودَارَ الدَّوْرُ فلما انْتَهى الغِنَاء إلىَّ قلت للجارية الأُخْرَى : سَوِّى لىالعودَ على ما كَانَ فَعملت ما أريد وخَرَج الخَادِم وقال لى تَغَنَّ فتغَنَّيْتُ بصوت لا يعرف إلاَّ بِى وسَقَوْنى فتزيّدْت فى الصنع.

عُوجِى عــلىّ فسَلّمى جَــبْرُ ... فيمَ الصُّــدُود[1] وأنتم سَفْرُ
مــا نلتقى إلاّ ثــلاثَ مِــنًى ... حَــتى يُفرِّقَ بَيْنَنَا الدهرُ[2]

قال : فزُلْزِلت والله الدَّار عليهم ، فخرج الخادم وقال لى : ويْحَك ! لمن هَذَا الغناء ؟ فقلت : لى . فرجع ثم خرج فقال لى : كذبت ! هذا لإسماعيل بن جامع فقلت : أنا إسماعيلُ بن جامع . فما شَعَرت إلا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أَقْبلا من وراء الستر الذى كان يَخْرُج منه الخادم . فقال لى الفضْل بن الربيع : هذا أميرُ المؤمنين قد أقبل إليْك . فلما صعد السَّرِير وثبتُ قَائِمًا فقال : ابنُ جَامِع ؟ فقلت : ابنُ جَامع ، جَعَلنى الله فداكَ يا أمير المؤمنين . قال : ويحك ! متى كنت فى هذه المدينة[3] ؟ قلت : آنفا ، دخلتها فى الوقت الّذى عَلِم بى أَميرُ المؤمنين . فقال : اجلس ، ومَضَى هو وجعفر فجلسنا فى تلك المجالس ، وقال لى : أبْشِرْ[4] وابسُط أَمَلَك ؛ فدعوتُ له . ثم قال : غَنّ يا ابن جامع فخطر بقلبي صوتُ الجارية ، فأمرتُ الرجل بإصلاح العُود على ما أردتُ فوزَن العودَ وَزْنًا وتَعَاهَده حتى استقَامت الأوتار

(١) فى ت : الوقوف .
(٢) فى ت : يا ملتقى الأثلث حتى تفرق بيننا النفر « تحريف » .
(٣) فى غ : البلدة .
(٤) فى ت : اشرب .

وأخذت الدَّسَاتِين مَوَاضِعَها ، وانبعثتْ أُغَنِّى صوت الجارِية ، فنظَر الرشيد إلى جَعْفر وقال : أسَمِعت كذا قط ؟ فقال : لا والله ما خَرق مسامعى كذا قط . فرفع الرشيدُ رأسَه إلى خادم بقربه فدَعَا بكيس فيه ألفُ دينار فجـاء به فرمى به إلى ، فوضعته تحت فَخِذى ودعوتُ لأَمِـيرِ المُؤْمنين . فقال : يا أبن جامع ، رُدَّ على أمير المؤمنين هذا الصوت ، فرددتُه وتَزيدت فى غنائى . فقال له جعفر : يا سَيّدى ، أما تَراه كيف يَزِيد فى الغناء ! هذا خلاف ما سمعناه أولا ، فدعا بكيس آخر فيه ألف دينار فَجاءنى به فصَيَّرْتُه تحت فَخِذى الآخر وقال : تَمَنَّ ياإسماعيل ما حَضَرك . فجعلت أَقْصِد الصوت بعد الصوت ممـا كان يَبْلُغُنى أنه يَشتَرِى[1] عليه الجوارى فأُغَنّيه ، ولم نزل إلى أن عَسْعَسَ الليل . فقال : أتعبْناك يا إسماعيل هذه الليلة بِغِنَائك ، فأَعِد على أمير المؤمنين ذلك الصَّوت يَعْنِى صوتَ الجارية ، فتغنيّتُه ودعا الخادم بكيس ثالث فيه أَلفُ دينار . قال : فذكرت ما كان من قول الجارية[2] فتبسمت ، ولحظنى فقال : يا أبن الفاعلة مِمّ تَبَسَّمت ؟ فجثوتُ على ركبتىّ وقلت : يا أمير المؤمنين ، الصِّدقُ مَنْجَاة فقال لى بانتهار[3] : قل . فقصصتُ عليه خبرَ الجارية . فقال : صدقت ، قد يكون مثل هذا . وقام . ونزلتُ مِن السرير ولا أَدْرِى لمن أَقْصِد فابتدرنى فَرّاشان فَصَارَا بى إلى دَار قد أَمَر لى أميرُ المؤمنين بها ؛ ففُرِشَت وأُعِدَّ فيها جَمِيعُ ما يكون فى مثلها من آلة تصلح لجُلَسَاء الملوك ونُدَمَائهم من الخدم، ومن كل آلة وخَوَل وجَوَارٍ وَوُصَفَاء فدخلتها فقيرا وأصبحت من جِلّة[4] أهلها ومَيَاسِيرِهم .

---

(١) فى ت : يشرب « تحريف » .
(٢) فى ت : الخادم « تحريف » .
(٣) فى ت : بأسمار « تحريف ».
(٤) فى ت : جملة .

إسماعيل الهِرْبِذ

مولًى مَكّى لآل الزُّبَيْر بن العوّام ، وقيل : بل مولى لبَنِى كِنَانة ، أدرك[1] آخرَ أيام بنى أميّة وغَنَّى الوليد بن يزيد ، وعُمّر إلى آخر أيام الرشيد، وكان قد قدم عليه من مَكّة فدخل إليه وهو يومئذ خَاثِر[2] به خُمَار شديد فغنّاه ابنُ جَامِع ثم فُلَيح ثم إبراهيم وابنه إسحاق فما حرّكه أحد منهم ولا أطْرَبه ؛ فاندفع إسماعيل فغَنّى فعَجِبوا من إقدامه على الرّشيد ومن جُرْأته وهو على تلك الحال :

يا راكبَ العيس التى ... وخَدَت إلى[3] البلد الحرام

قل للإمام أبن الإما ... م أخى الإمام أبى الإمام[4]

زينِ البرية إذ بدا ... فيهم كمصباح الظلام

جعل الإله الهِرْبِذِى ... فِدَاكَ من كل[5] الأَنام

فاستخفّ الرشيدَ الطربُ وكاد أن يرقص حتى ضَرَب بيديه ورجليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فقال : يا أمير المؤمنين إنّ لهذا الصوت خبرا عجيبا فإن أذِن مولاى حَدَّثْتُه به ؛ قال : حدِّث .

قال : كنت مملوكا لرجل من ولد الزُّبَيْر ، فدفع إلىّ مولاى دِرْهَمَيْن أبتاع له بهما لحما ، فخرجت فوجدت جارية على رأسها جَرّة فيها ماء من العَقِيق[6] وهى تُغَنِّى

(١) فى ت : إذ ولى « تحريف »

(٢) خاثر : غاثية نفسه مختلطة .

(٣) فى غ : وفدت من .

(٤) فى ت: قل للإمام ابن الإما ... م أبى الإمام أخى الإمام

(٥) فى غ : بين .

(٦) العقيق : واد بناحية المدينة فيه عيون ونخيل .

هذا اللحنَ فى شعر غير هذا الشِّعر فى وَزْنه ورويّه ؛ فسألتُها أن تُعَلِّمَنيه ؛ فقالت : لا وحق القبر[1] إلا بدرهمين، فدفعتُ إليها الدرهمين وعلَّمَتْنيه ؛ ورجعت إلى مولاى بغير لحم فضربنى ضرباً مُبَرِّحاً شُغِلْت منه بنفسى فأُنْسيت الصوت . ثم دَفَع إلىّ درهمين آخرين بعد أيام أبتاع له بهما لحما فَلَقِيَتْنى الجارِية فسألتُها أن تُعيدَ الصوتَ ؛ فقالت : لا والله إلَّا بدرهمين ؛ فدفعتُهُما إليها فعادته[2] مِرَارًا حتى أخذتُه . فلمّا رجعتُ إلى مولاى بلا لَحْم أيضاً قال : ما القصّة فى الدِّرْهَمين ؟ فصدقتُه القَضِيَّة وأعدتُ عليه الصوتَ فقَبَّلَنى وأَعْتَقَنى ، فرحلتُ بالصوت إليك ، وقد جعلتُ اللحنَ فى هذا ، فقال : دَعِ الأوَّل وأَقِم على هذا ؛ وأما مَوْلاك فإنى سأَدْفع إليه بكل دِرْهَم ألفَ دِينَار وأمر بها فحُمِلَت إلَيْه .

(١) تريد قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) فى غ : فأعادته .

أبو زَكَّار الأعْمى

هذا رجل من أهل بغداد من قدماء المُغَنِّين ، وكان مُنْقَطِعا إلى بنى بَرْمك ، وكانوا يُؤْثِرُونه ويقدِّمونه ويُفضِلون عليه إفضالا واسعا .

قال(١) مَسْرور : لما أرادَ الرشيدُ هارونُ قتلَ جعفر بن يحيى لم يُعْلِم بذلك أحَداً حتى دخل عليه جعفر فى اليوم الذى قَتَله فى ليلته فقال له : اذهب اليوم فتَشَاغل بمَن تأْنَس به واصطبح فإنى مُصطَبِح مع الحُرَم والجوارى فَمَضَى جَعْفر . ولم يزل برّ الرّشيد وألطافه تَتَابع إلى جعفر طول ذلك النهار لئلا يَسْتَوْحش . فلمَّا كان فى الليل دَعَانى فجئْتُ فقال : اذهب فجئنى الساعةَ برأس جعفر بن يحيى وضَمَّ إلَىَّ جماعةً من الغلمان ، فمضيتُ حتى هَجَمْتُ عليه فوجدتُه جالسا وإذا أبو زَكَّار الأَعْمى يغنِّيه فى شعر كُثَيِّر :

فلا تَبْعَد فكُلّ فتًى سيأْتى ... عليه الموتُ يطرُقُ أو يُغَادى
وكل ذَخِيرَة لا بُدَّ يوما ... وإن بَقِيت تَصِير إلى نَفَاد
[يعِزّ على أن نَغْدُو جميعا ... وتُصْبِح ثَاوِيا رَهْناً بِوَادِى](٢)
فلو فُودِيت من حَدَث المنايا(٣) ... فديتك بالطَّرِيف وبالتِّلاد

فقلتُ له : والله فى هذا المعنى جِئْتُك فأجب . فارتاع ووثب قائما وقال : ما الخبر يا أبا هَاشم جعلنى الله فداك ! قلتُ : قد أُمِرت بأخذ رأسِك . فأكَبَّ على رجلَىَّ

---

(١) جاء الخبر مستوفى فى ترجمة كثير وخندق الأسدى فى الجزء الثانى عشر من الأغانى ص ١٩١ طبع دار الكتب .

(٢) لم يرد البيت فى غ .

(٣) فى غ : ولو يفدى من الحدثان شيء .

يقبِّلُهما وقال : الله الله يا أبا هاشم رَاجِع أمير المؤمنين فِيَّ ، فقلت : ما إلى ذلك سَبيل قال : فأَعْهَد ، قلت : ذَلِك إليك . فذهب ليدخل إلى النساء فمنعتُه من ذلك ولم أمكِّنه وقلت له : أعهد فى مكانك ، فدعا بدَوَاة وقرطاس وكتب فيه أحرفا على دَهَش ثم قال : يا أبا هاشم بَقِيت لى واحدة . قلت : هاتها ، فقال : يا أَبَا هاشم خُذْنى معك إلى أمير المؤمنين حتّى أخاطبَه بما فى نفسى ويخاطِبَنى بما فى نفسه وتَمضى علىّ بأمره . فقلتُ له : هيهات ما إلى شيء من ذلك سَبِيل . قال : ويحك ! لا تقتلنى بأمره على النَّبيذ وهو سكران . فقلت : هيهاتَ ما شَرِب اليوم شيئاً . قال: فخذنى واحبِسْنى عندكَ فى الدَّار وعاوِدْه فى أَمْرى . قلت : أفْعَل فأخذتُه . فقال أبو زَكَّار الأعمى : نشدتُك بالله إن قتلتَه إلا ألحقتَنِى به . فقلت له : يا هـذا لقد اخترتَ غير مُخْتَار قال : وكيف أَعيشُ بعده وحياتى كانت معه ، وأغنانى عمَّن سِوَاه ، فما أُحب الحياةَ بعده ، فقلت : أستأمر أمير المؤمنين فى ذلك . فمَضَيتُ بجعفر ودخلت على الرَّشيد فلما رآنى قال : أَيْنَ رأسُه ويلك ؟ فأخبرتُه الخبَر . فقال : يا ابن الفاعلة ، أقسم بالله لئن لم تَجِئْنى برأسه الساعة لآخذَنّ رأسَك ! فمضيت إليه فأقمتُه فضربت عنقَه وجئت برأسه فوضعته بين يدَيْه وأخبرته بالخبَر وما سمعت من أَبى زَكَّار مُغَنِّيه وذكرتُ له ما قال أبو زَكَّار الأعمى وما سأل من قتْله معه . فلمَّا كان بعد مُدَّة أمرنى بإحضار أَبى زَكَّار الأعمى فوصله وبرَّه وقال لى : هذا فيه مُصْطَنَع فاضمُمْه إليك وانظر ما كان جعفر يُجريه عليه فأقِمه له ، وأمر له بجِراية داره .

إسماعيل السّيد الحِمْيَرِى

السّيّد لَقَبٌ غلب عليه ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن رَبيعة الحِمْيرى المعروف بابن مُفَرِّغ .

كان يهجو بَنِى زِيَاد وَيَنفِيهم عن آل حرب ؛ وحبسه عُبَيْد الله بن زياد من أجل ذلك وعَذَّبه ، ثم أطلقه معاوية .

ومُفَرِّغ هو ربيعة لُقِّب بذلك ؛ لأنه رَاهَن أن يُفرِّغ عُسًّا من لبن فشَرِبه حتى فَرَّغه ، فلُقِّب مفرِّغا ، ومن قال : يَزِيد بن رَبيعة[1] بن مفرغ فقد أخطأ ، وكُنْيةُ السيد أَبو هَاشِم ، وأُمُّه امرأة من الأزد .

وكان شَاعِراً مُكثِراً مطبوعا . يقال : إن أكثر الناس شعرا فى الجاهلية والإِسْلام ثلاثَةٌ : بَشَّار ، وأَبُو العَتَاهِيَة والسَّيِّد ؛ فإنّه لا يُعلَم أَنَّ أَحَداً قدرَ على جمع شعر أحد منهم حتى يستوعبه كله. وإنما أَمَاتَ ذِكْرَه وهَجرَ الناسُ شِعْرَه إفراطُه فى سَبِّ بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض أَزواجِه وإفحاشُه فى شتمهم وقذفُهم والطعنُ عليهم فتَحَامَى الرواةُ شعرَه وهجروه لِهذَا خوفا وتَحَوُّباً[2] . وليس له شىء من الشعر على كثرة تصرفه فيه وقوله له إلّا[3] وهو مَوْصُول[4] بمدح بَنى هاشم وذَمِّ غيرهم ممن هو عنده ضِدّ لَهُم . وكان أبواه إبَاضِيّين وكان[5] منزلهما

(١) كذا فى ت : وتجريد الأغانى ، وفى غ : ومن قال : يزيد بن معاوية فقد أخطأ .

(٢) كذا فى تجريد الأغانى ، وفى ت : تحرياً . وفى غ : وتراقبا !

(٣) بياض بالأصل، والتكملة من تجريد الأغانى .

(٤) كذا فى التجريد ، وفى ت : موصوف « تحريف » .

(٥) بياض بالأصل ، والتكملة من غ . والأباضية : فرقة من الخوارج .

فى البَصْرة فى غرفة فى بنى ضَبَّة وكان السَّيِّد يقول : طَالَما سُبَّ أمير المؤمنين[1] فى هذه الغرفة. وكان إذاسئل عن التَّشَيّـع من أين له ؟ قال : غاصت الرَّحْمَةُ على غَوْصاً . ولما علم أبواه بمذهبه همّا بقتله[2] ، فأتى عقبة بن سلم الهنائى[3] فأخبره بذلك فقال : اُلْزَمْـنِى[4] ولا تَقْرَبهُما ووهب له منزلا فكان فيه حتى ماتا فورِثهُما .

وكان السيد يذهب مَذْهَب الكَيْسَانِيّة ويقول بإقَامَة[5] محمد بن الحَنَفيّة بعد الحَسَن والحُسَيْن رِضْوَانُ الله عليهما ، ورُوى أنّه رجع عن مَذْهَبِه هو وأَتَى جعفر بن محمد وقال بإمامته .

وكان السيّد أسمر ، تامَّ القامة ، أشنب أوفر حسن الوجه حسن الألفاظ جميل الخطاب إذا تَحَدَّث فى مجلس قوم أعطى كل رجل فى المجلس[6] نَصِيبَه من حديثه وكان مع جماله أنتنَ الناسِ إِبِطَيْن ، لا يقدر أحد على الجلوس معه لنَتْن رائحتهما[7] .

قال الحسين[8] بن ثابت : قدِم علينا رجل أَرْوَى الناس لشِعْر جَرِير ، فكان يُنشدنى الشىءَ من شعره ، فأنشده فى معناه للسيّد حتى أكثرتُ . فقال لى : ويْحَك ! لمن هذا ؟ هذا والله أشعرُ من صَاحِبنا .

وقال الأصمَعِىّ لمّا قرأ شيئا من شعر السّيد : قاتَله الله ! ما أطْبَعه وأسلكه لسبيل الشعر[9] ! والله لولا مافى شعره من سَبّ السّلف ماقدّمتُ عليه أحداً من طَبَقته.

---

(١) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٢) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٣) فى ت : قتيبة بن مسلم الباهلى والتصحيح من غ والتجريد .

(٤) فى ت : أكرمتنى « تحريف » والتصحيح من تجريد الأغانى .

(٥) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٦) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٧) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٨) فى ت : الحسن .

(٩) فى غ : الشعراء .

وقال الطُّوسيّ : إذا رأيت فى شعر السَّيِّد « دَعْ ذَا » فدعه ، فإنه لا يأتى بعده إلا سَبٌّ السلف أو بَلِيَّةٌ من بَلَايَاه .

جاء رجل إلى السيد فقال : بلغنى أنك تقول بالرَّجْعة ؛ قال : صدق الذى يقول ذلك ، هذا دينى . قال أفتُعطينى دينارا بمائة دينار إلى الرَّجْعة ؟ قال السيد : نعم وأكثر ذلك إن وَثَّقْت لى ؛ مَنْ يَضْمَن لى أَنَّك ترجع إنسانا ؟ قال : فأَىَّ شىء أرجع ؟ قال : أَخْشَى أن ترجع كلباً أو خِنْزِيرا فيذهبَ مالى ! فأَفْحَمه .

لما استقام الأمر لبنى العباس قام السيد إلى أبى العباس السَّفَّاح حين نَزل من المنبر فأنشده :

دُونَكُموها يا بنى هاشم ... فَجَدِّدوا من عهدها الدَّارِسا
دَونَكُموها لا عَلَا كعبُ مَنْ ... كان عليكم مُلكها نَافسا
دونكموها فالبَسُو تاجَها ... لا تَعْدَمُوا منكم له لَابِسا
قد سَاسَها قبلكم ساسَةٌ ... لم يتركوا رَطْباً ولا يابسا
لو خُيِّرَ المِنبرُ فُرسانَه ... ما اختار إلا منكُم فارسا
فلستُ من أن تَمْلِكوها إلى ... مَهبِط عيسى فيكُم آيسا

فسُرَّ أبو العباس بذلك ، وقال : أحسنت يا إسماعيل ! سل حاجتك فقال : تُوَلِّى سليمانَ بن حبيب الأهوازَ ، ففعل .

ثم دخل السيد على سليمانَ بن حَبِيب بالأهواز فقال : مَرْحباً وَافِد وشَفِيع وشَاعِر ، حاجتك ؟ قال : جواد وسائسه وجارية ومن يخدمها ومطية محملة وألف دينار. فأمر له بذلك أجمع .

قال إسماعيلُ التَّيمىّ : كنت عند أبى عبد الله جعفر بن محمد وقد استأذَنَ عليه آذِنُه للسيّد فأَذِن له ، وأقعد حُرَمَه خلف سِتْر فدخل وسلّم وجلس : فاستَنْشَدَه فأنشده :

امْرُرْ على جَدَث الحسَـ ... يْن فقل لأَعظُمِه الزَّكِيَّهْ
يـا أعظا(١) لا زلت فى ... وطفاءَ ساكبةٍ رَوِيَّهْ
وإذا مـررتَ بقـبره ... فأطِل به حبس(٢) المطِيَّهْ
وأبك المُطهَّر للمُطهَّـ ... ـر والمُطهَّرة النَّقيَّـهْ
كبُـكاء مُعْـولِة أتتْ ... يوما لواحدها المَنيّةْ

قال : فرأيت دموع جعفر تتحدَّر على خَدّيه ولحيته ، وارتفع البكاء والصُّراخ من داره حتى أَمره بالإمْسَاكِ فأمسك . قال : فحدثتُ أبى بذلك فقال : ويلى على الكَيْسَانِى الفاعِل يقول :

وإذا مررت بقـبْره ... فأَطِل به حَبْسَ المطية

قلت : يا أَبَت ، فماذا يصنع ؟ قال : أَفَلَا يَنْحَر ! أَوَلَا يَقْتُل نفْسَه ! ثكِلَته أُمُّه .

تَلَاحَى رجلان من بنى دارم فى المُفَاضَلَة بعد رسول الله صلى الله عليـه وسلم ؛ فرَضيا بحكم أول مَنْ يطلع . فطلع السّيد ، فقاما إليه وهما لا يعرفانه ، فقال له مُفضِّل على بن أبى طالب رضى الله عنه : إنِّى وهذا اختلفنا فى خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أنا : على بن أبى طالب . فقطع السّيدُ كلامَه وقال : أىَّ شىء يقول هذا ابنُ الزّانِيَة ! فضحك مَنْ حضر وَوجِم الرجل ولم يُحِرْ جَوَاباً .

قال فُضَيْل : أنشدتُ جعفر بن محمد رضى الله عنهما قصيدة السيد :

لأُمّ عمرو باللِّوَى مَرْبَعُ ... دارسةٌ أعلامُه بَلْقَع

فسمعتُ النحيبَ فى داره . فسألنى لَمنْ هى ؟ فأخبرتُه أنها للسّيد ، فسألنى عنه

---

(١) فى غ : آ أعظما لا زلت من .
(٢) فى غ : وقف .

فمرّفتُه وفاته ؛ فقال : رحمه الله . قلت : إنى رأيتُه يشرب نبيذ الرُّسْتاق[١] قال: أتعْنِى الخمرَ ؟ قلت : نعم. قال: وما خطرُ ذنبٍ عندالله أن يغفره لمُحِب علىٍّ بن أبى طالب « إنّ مُحِب علىٍّ لا تزَال له قدم إلاّ ثبتَتْ أُخْرَى » .

قال زيد[٢] بن موسى بن جعفر: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وقُدَّامَه رجل جالس عليه ثياب بيض ؛ فنظرتُ إليه فلم أعرِفْه إذ التفتَ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

لأُمّ عَمْرو باللوى مَرْبَعُ

فأنشدَه إياها كُلَّها ما غادر منها بيتا واحدا وحَفِظْتُها عنه كُلّها فى النَّوم .

جلس المَهْدِىّ يوما يعطى قريشاً صِلَاتٍ أمر بها لهم وهو ولى عهد ، فبدأ ببنى هاشم ثم بسائِر قريش . فجاء السّيِّد فدفع إلى الربيع رقعة مختومة وقال له : إن فيها نَصِيحَةَ إلى الأمير فأوصِلْها إليه فأوصلها . فإذا فِيهاَ :

قل لابن عَبّاس سَمِىِّ محمّـد ... لا تُعْطِيَنَّ بنى عَدِىٍّ درهمـا
واحرِم بَنِى تَيْم بن مُرَّةَ إنّهم ... شَرُّ البَرِيّة آخرا ومُقَدَّمَا
إن تُعْطِهم لا يشكرُوا لك نِعمَةً ... ويُكافِئوكَ[٣] بأن تُذَمَّ وتُشْتَمَا
وإن ائتمنتهم أو استعملتهم ... خانوكَ واتَّخَذُوا خَرَاجَكَ مَغْنَمَا
ولئن منعتَهم لقــد بدءوكُم ... بالمَنْع إذ ملكوا وكانوا أظْلَمَا
منعوا تُرَاثَ محمد أعمامَه[٤] ... وأبنيه وابنتَه عَدِيلَةَ مَرْيَما[٥]

---

(١) الرستاق : السواد والقرى .
(٢) بياض بالأصل والتكملة من غ .
(٣) فى ت : ومن سول ؟ « تحريف » .
(٤) فى ت : بجماعة « تحريف » .
(٥) فى ت : مرحما « تحريف » .

وتأمروا من غير أن يُسْتَخْلَفوا ... وكفى بما فعلوا هنالك مأْثَمَا
لم يشكروا لمحمد إنْعَامَه ... أفيَشْكُرُون لغيره إن أنْعَمَا
والله مَنَّ عليهم بمحمد ... وهداهم وكسا الجُنوب وأطْعَمَا[1]
ثم انبَرَوْا لوصيِّه ووليِّه ... بالمُنكَرَات فجَرَّعُوه العَلْقَمَا

وهى قصيدة طويلة حذف باقيها لقبح ما فيه. قال: فرمى بها إلى أبى عبيد الله ثم قال: اقطع العطاء فقطعه؛ وانصرف الناس؛ ودخل السيد إليه، فلمّا رآه ضحك وقال: قد قبلنا نَصِيحَتك يا إسماعيل، ولم يعطهم شيئا.

قدم السيد الحِمْيرى إلى القاضى سَوَّار ليشهد عنده، وقد كان دافع المشهودَ له بذلك وقال: اعفنى من الشهادة عند سَوَّار وبذل له مالا فلم يعفه. فلما تقدم إلى سَوَّار وشهد: قال ألست المعروف بالسَّيِّد! قال بلى؛ قال: أستغفر الله من ذَنْب تَجَرَّأْت به على الشهادة عندى، قم لا أُمَّ لك فقام مغضبا وكتب إلى سَوَّار رقعة فيها:

إن سوّار بنَ عبد الله ... ه من شرّ القضاة
جَدُّه سَارِقُ عَنْز ... فَجْرَةً من فَجَرَات
لرسول الله والقا ... ذِفِه بالمنكرات
وابنُ من كان ينادى ... مِن وراء الحُجُرات
يا هَنَاهُ اخرُج إلينا ... إننا أهلُ هَنَات

فلما قرأها سَوَّار وثب من مَجْلِسه وقصد المنصور وهو يومئذ نازل بالجسر فسبقه السَّيِّد إليه وأنشده:

[قل للإمام الذى يُنْجَى بطاعته ... يوم القيامة من بُحْبُوحَة النار
لا تستعِينَنْ جزاك الله صالحةً ... يا خير مَن دَبّ فى حكم بسَوَّار

(١) فى ت: وبسا الجلود وأعظما «تحريف».

لا تستعن بخبيث الرأى ذى صَلَف جَمٍّ العيوب عظيم الكِبْر جَبَّار
تُضْحِى الخصوم لديه من تَجَبُّرِه لا يرفعون إليــــه لَحْظَ أبصار
تِيهاً وكِبْرًا ولولا ما رفَعت له من ضَبْعه كان عين الجائع العارى

ودخل سَوَّار ؛ فلمّا رآه المنصور تبَسَّم وقال : أما بلغك خبر إياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد فى الشهود ! فما أحوجك للتعريض للسَّيِّد ولسانه ! ثم أمر السَّيِّد بمصالحته .

[حدّث الحارث بن عبـد المطلب قال : كنت فى مجلس أبى جعفر المنصور][1] وكان بالجسر الأكبر الذى عقده على دجلة وسَوَّار بين يديه والسَّيِّد ينشده :

إنَّ الإلٰهَ الذى لا شىء يُشْبِهُه أعطاكم الملكَ للدُّنْيَا وللدِّين
أعطاكم اللهُ ملكاً لا زوالَ له حتى يُقَاد إليكم صاحبُ الصِّين
وصاحبُ الهِنْد مأخوذًا[2] برُمته وصاحب الترك محبوسا[3] على هُون

والمنصور يضحك مسرورا بما يُنْشِده ؛ فحانت منه التفاتة فرأى وجه سَوَّار يَتَرَبَّدُ غضَباً ويَسْوَدّ حَنَقاً وغَيْظاً ويدلُك إحدى يديه بالأُخرى ؛ فقال له المنصور : ما لك أَرَابك شىء ؟ قال : نعم ، هذا رجلٌ يعطيك من لسانه ما ليس فى قلبه ، والله يا أمير المؤمنين ما صَدَقك ما فى نفسه ، إن الذين يُوَالِيهم غَيْرُك . فقال له المنصور : مهلا ! هذا شاعرُنا[4] وَوَلِيُّنا ، وما عُرِف منه إلّا الصدقُ فى المَحَبَّة والإخلاصُ والطَّاعَة ، فقال له السَّيِّد : والله يا أمير المؤمنين ما حُلتُ عنكم لأحد

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ت ، والتكملة من الأغانى .
(٢) فى ت : مأخوذ .
(٣) فى ت : محبوس .
(٤) فى ت : ساعدنا .

وَمَا وجدتُ أبوَيَّ عليه فاقتديت[١] بهما ومازلتُ مشهورا بمُوَالاتِكم في أيام عدوكم. فقال له : صدقت . قال: ولكن هذا وأهلُوه أعداء الله وأعداء رسوله قديما ، والذين نَادَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الُحجُرات فنزل فيهم القرآن أن « أكثرهم لا يَعْقِلون » وجرى بينهما خطاب طويل .

فقال السيد من قصيدة :

قم بنا يا صَاحِ وأربَع ... بالمَغَانى المُوحِشَات
يا أمِينَ الله يا مَنْـ ... صُور يا خير الوُلَاة
إنَّ سَوَّار بن عبد الله ... له من شَرِّ القُضَاة

وذكر القصيدة المتقدمة إلى أن قال :

فاكْفِنيه لا كفاه اللهُ شَرَّ الطَّارِقَات

فشكاه سَوَّار إلى أبى جعفر المنصور ، فأمره أن يصير إليه معتذرا فصار إليه فلم يَعْذِرْه فقال :

أتيت دَعِيَّ بَنِى العَنْبر ... أروم اعتذَارا فلم يَعْذِرِ[٢]
فقلتُ لنفسى وعاتَبْتُها ... على اللُّؤْم فى فعلها أَقْصِرِى
أيَعْتَذر الحرُّ فيما[٣] أَتَى ... إلى رجل من بَنِى العنبر
أَبُوكَ ابنُ سارق عَنْز النبى ... وأُمُّك بنت[٤] أبى جحدر
ونحن على رغمك الرَّافِضُو ... ن لأهل الضَّلَالة والمُنْكَر

---

(١) فى غ : فافتننت .
(٢) فى غ : أعذر .
(٣) فى غ : بما .
(٤) فى ت : تحت « تحريف » .

وبلغ السَّيِّد أنَّ سَوَّارا قد أعد جماعةً يشهدون عليه بسرقة ليَقْطَعه ؛ فشكاه إلى أبي جعفر ؛ فدعا بسَوَّار وقال له : قد عزلْتُك عن الحكم على السَّيِّد والنَّظَر في شيء من أمره فَمَا تعرَّض له بسوء حتى مات .

ولما مات سَوَّار أُخْرِج عشاء وحُفِر له فوَقَع الحفر في موضع كَنيف .

ومات عقب يوم عَبَّاد[١] بن حَبِيب بن المهلَّب .

وكان بين الأَزْد وبين تميم عداوة فهجا السَّيِّد سَوَّارا في قصيدة رثى بها عَبَّادا ودفعها إلى نوائح الأَزْد لما بَيْنَهُم وبين تميم :

يا من غدا حاملا جُثْمان[٢] سَوَّار ... من داره ظَاعِناً منها إلَى[٣] النَّار

لا قَدَّس الله روحا كان هَيْكَلَهَا[٤] ... فقد مضى[٥] بعظيم الخِزْي والعَارِ

حتى هوت قَعْر بُرْهُوتٍ[٦] مُعَذَّبةً ... وجسمُه في كَنِيف بين أَقْذَار

ولم يقدر على هَجْوِه في حياته لِنَهْي المنصور له عن ذلك .

قال المدائني : كان السيد يأْتي الأَعْمش[٧] فيكتب عنه فضائلَ على رضى الله عنه ويخرج من عنده فيقول في تلك المعاني شِعْرا . فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد خَلَع عليه وحَمَله على فرس فوقف بالكُناسة وقال : يا معشر الكوفيين، من جاءَني منكم بفضيلة لعَلِيّ بن أبي طالب لم أَقُل فيها شعرا فله فَرَسي هذا. فجعلوا

(١) في غ : فمات عقب موته عباد .

(٢) في ت : جسمان .

(٣) في ت : لك .

(٤) في ت : منكلها .

(٥) في غ : مضت .

(٦) برهوت : بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول إلى قعرها ، وكانوا يدعون أنها مأوى أرواح الكفار والمنافقين .

(٧) الأعمش هو سليمان بن مهران مولى بني كاهل الكوفي الإمام ، كان ثقة عالما فاضلا .

يحدِّثونه ويُنْشِدهم فيها؛ حتى أتاه رجل فقال له : إن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه عَزَم على الركوب فلَبِس ثيابه وأراد لُبسَ الخفِّ فلبِس أحدَ خُفَّيه ، ثم أَهْوَى إلى الآخَر ليأخذه فانقضَّ عُقابٌ من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه أَسْوَدُ(١) فانساب فدخل جُحْرًا فلبس عَلِيٌّ الخفَّ . قال : ولم يكن السيِّد قال فى ذلك شعرا ففكر هنيهة ثم قال : قد قلت .

ألا يا قوم للعَجَبِ العُجَاب ... لخفّ أبى الحسين وللحُبَاب(٢)
أتى خُفًّا له فانساب فيه ... لينهَشَ رجلَه منه بنَاب
فخرَّ من السماء له عُقابٌ ... من العِقْبَان أو شِبْهُ العُقَاب
فطار به فحلّق ثم أهوى ... به للأرض من دون السّحاب
إلى جُحْرٍ له فانساب فيه ... بَعيدِ القعر لم يُرْفَع بِبَاب
كَرِيهُ الوجه أسودُ ذُو بَصِيص ... حديدُ النابِ أزرقُ ذو لُعاب
ودُوفع عن أبى حسن عَلِيٍّ ... نَقِيعُ سِمامه بعد انْسِيَاب

وحرّك فرسه ثم مَضَى وجعل تَشْبِيبَها(٣) بعد ذلك :

صبوتُ إلى سُلَيْمَى والرَّبَابِ ... وما لأخى(٤) المَشِيبِ وللتَّصَابِى(٥)

وقد روى أبو الفرج مؤلف هذه المَنْقَبَة لعلىّ رضى الله عنه بسنده عن مشايخه أنّ عليا رضى الله عنه قام لطُهْر الصلاة فنزع خفه ، فانْسَابَتْ فيه أَفْعَى ثم عاد ليَلْبَسَه فانقضَّت عُقاب فأخذته فحامت به ثم ألقته فخرجت الأفعى منه .

(١) الأسود : العظيم من الحيات .
(٢) الحباب : الحية .
(٣) فى ت : ينشدها « تحريف » .
(٤) فى ت : لاح « تحريف » .
(٥) فى ت : والشباب « تحريف » .

وقد رُوِى مثل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا أراد حاجة تباعد حتى لا يراه أحد فذهب مرّة لحاجته فنزع خفه فإذا عُقاب قد تَدَلّى فرفعه فسقط منه أسودُ سالخ . فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهمّ إنى أعوذ بك من شرّ ما يمشى على بطنه ومن شرّ ما يمشى على رجلين ومن شرّ ما يمشى على أربع ومن شرّ الإنس والجن » .

خرج السَّيِّد من منزل نَصْر بن مسعود كاتب عُقْبَة بن سَلْم فلما كان بزَهْرَان لقيته بنتُ الفُجَاءة بن عمرو بن قَطَرِىّ بن الفُجَاءة ، وكانت امرأة بَرْزَةً حسناء فصيحة ، فرافقها السَّيِّد وتخاطب معها وأنشدها من شعره بتَجْمِيش . فأعجبَ كلٌّ واحد منهما صاحبه . ثم خطبها ، فقالت : كيف هذا ونحن على ظَهْر الطريق ؟ فقال : يكون كنِكاح أمّ خارجة ، قيل لها : خِطْب ، فقالت : نِكْح . فضحكت وقالت نَنْظُر فى هذا وعلى ذلك فمَنْ أنت ؟ فقال :

إنْ تَسأليني بقومى تَسْأَلِى رَجُلا ... فى ذِرْوة العزّ من أحياء ذى يمن
حولى بها ذو كَلَاع فى منازلها ... وذو رُعَيْن وهَمْدَانٌ وذُو يزَن
والأَزْدُ أزد عُمَان الأكرمون إذا ... عُدَّت مآثرُهم فى سالف الزمن
بانَت كَرِيمتهم عَنِّى فدارُهُم ... دارى وفى الرُّحْب من أوطانهم وطنى
لى منزلان بلَحْجٍ منزلٌ وسطٌ ... منها ولى منزل للعزّ فى يَمَن(1)
ثم الوَلاء الَّذى أرجو النجاة به ... من كَبَّة(2) النار للهادى أبى حَسَن

فقالت : قد عرفتك ولا شىء أعجبُ من هذا : يَمَانِىٌّ وتَمِيمِيَّة ، ورَافِضِىّ وإِبَاضِيَّة ، فكيف يجتمعان ! فقال : بحسن رأيك وبسُخُوّ نَفْسك ، لا يَذْكُرَنْ

---

(١) فى غ : عدن .

(٢) فى ت : كفة .

أحدٌ سَلَفاً ولا مَذْهَباً . قالت : أفليس التَّزويجُ إذا تَجَلَّى انكشف معه الستور وظهرت خَفِيَّاتُ الأمور ! قال : فأنا أَعْرِضُ عليكِ أُخْرَى . قالت : ما هى ؟ قال : المُتْعَة التى لا يعلم بها أَحَد . قالت : تلك أُختُ الزِّنَا . قال : أُعيذكِ بالله أن تَكْفُرِى بالقرآن بعد الإيمان ! قالت : وكيف ذلك ؟ قال : قال الله عز وجل : « فما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ولا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ به مِنْ بَعْدِ الفَرِيضَةِ » فقالت : أَسْتَخِيرُ الله تعالى وأُقَلِّدُن إذ كنتَ صاحبَ قياس . فَفَعَلَتْ . وانصرفت معه وبات مُعْرِساً بها . وبلغ أمرُها أهلَها من الخوارج فتوعَّدُوها بالقَتْل، وقالوا : تزوجت بكافِر ! فَجَحَدت ولم يعلموا بالمُتْعَة ولم تزل تَخْتَلِف إليه مُدَّة على هذا السبيل من المُتْعَة حتى افْتَرَقَا .

قال المُغيرة : كنتُ مع السَّيِّد الحميرى على باب عُقْبَة بن سَلم ومعنا ابنٌ لسليمان ابن علىّ ننتظره وقد أُسرِج له ليَرْكَبَ . فقال ابنُ سليمان بن علىّ يُعَرِّض بالسَّيِّد : أشعر الناس الَّذى[1] يَقُول :

مُحمدٌ خيرُ من يمشى على قَدَمٍ ... وصاحباه وعثمانُ بنُ عَفَّانا

فوثب السَّيِّد إليه وقال : أشعر منه الذى يقول :

سائِلْ قريشاً به إن كنت ذا عَمَه ... من كان أثبتَها فى الدِّين أوتادَا
من كان أعلمها علماً وأَحْكَمَها ... حكماً[2] وأصدقَها قولا وميعادا
إن يَصْدُقُوكَ فلن يعدوا أَبَا حَسَنٍ ... إنْ أنتَ لم تلقَ للأَبْرَار حُسَّادا

ثم أقبل على الهاشِمِىّ فقال : يا فتى ، ما نعم الخلف أنت لشَرِيفِ سَلَفك ؛ أراكَ تَهْدِم شرفَك ، وتَثْلِب سَلَفك ، وتسمى بالعَدَاوة وتَفْضِيل مَن لا يَشْرُف

---

(١) فى ت : التى « تحريف » .

(٢) فى غ : أحلمها حلما .

على مَنْ شَرَفُكَ مِنْه وفَضْلُك مِنْ فَضْله ، وسأُخْبِر عنك أميرَ المؤمنين بهذا حتى يضمَك موضعَك الذى تستحقه، فوثب الفتى خَجِلًا ولم ينتظر عُقْبَة بن سَلْم ، فكتب إليه صاحب الخبر بذلك فما خرج لرُكُوبه حتّى خرجَت الجائِزَةُ لِلسَّيِّد .

وكان السيد قَدِم الأهوازَ وأبو بُجَيْر بن سِمَاك[1] الأسدىّ يتولّاها ، وكان له صَديقا . وكان مُتَشيِّعا . فذهب السيّد إلى قوم من أصحابه بالأهواز فنزل بهم وشَرِب عندهم ؛ فلما أمسى أنصرف ، فأخذه العَسَس فحَبَسه . فكتب من غد إلى يَزِيد بن مَذْعور مولى أبى بُجَير بهذه الأبيات ، فدخل على أبى بُجَيْر وقال له : قد جَنَى عليك صاحبُ عَسَسِك بما لا قِوَام لكَ بِه، قال : وماذَاكَ ؟ قال: هذه أبيات كتب بها السيد من الحبس :

قِفْ بالدّيَار فحَيّها يا مِرْبَع ... وأسأل وكيف يُجِيب مَنْ لايَسْمَع

إلى آخرها فلما سمعها أبو بُجَير دعا بصاحب عسسه فَسَبَّه وقال : جَنَيْت علىّ ما لا يَدَ لى[2] به ، فاذهب صاغرا إلى الحبس فأَخْرِج أبا هاشم واحمله على دَابَّتك وامشِ معه صَاغِرا حتى تأتِيَنِىّ به ، ففعل . وأتى إلى الحبس فلم يجبه السيد إلى الخروج إلا بعد أن يُطلِق له كلّ من أُخِذ معه . فعاد إليه فأعلمه فقال : الحمد لله الذى لم يقل أَخْرِجْهم وأَعْط كُلَّ واحد منهم مالا ، فما كنا نقدر على خلافه ؛ أفعل ما أحب برغم أَنْفِك خلِّ سبيله وسَبِيلَ كل من كان معه وجاء به إلى أبى بُجَير فتناوله بلسانه وقال : قدِمت علينا فلم تأتِنا وأتيت أصحابَك الفُسَّاق وشرِبت ما حُرِّم عليك حتى جرى ما جرى ؛ فاعتذر إليه من ذلك ، فأمر له أبو بُجَيْر بجائزة سنية وحمله وأقام عنده مدة .

---

(١) فى ت : أبو يحيى بن أبى سماك « تحريف » وقد تكرر ذكر اسم أبى بجير محرفا .

(٢) فى ت : لك .

ورأى أبو يحيي وجه السيد مُتغَيِّرَ اللون ، فسأله عن خبره فقال : فقدتُ الشرابَ الذى أَلِفته لكراهَةِ الأميرِ فيه ، قال : فاُشربْه فإنَّا نحتمله لك . قال : ليس عندى ، فقال لكاتبه : فاكتب له بمائتى دورق مِيبَخْتَج[1] ، فقال له السيد : ما هذا العِىّ ؟ فقال : وأىّ عِىٍّ ترى ؟ قال : البلاغة أن تأتى من الكلام بما يُحتاج إليه دون ما يُسْتَغْنَى عنه. قال : فكيف أقول؟ قال : اُكتب بمائتى دورق « مِى » ولا تكتب « بختج » فإنك تستغنى عنه . فضحك ، وقال : اكتبوا بذلك، فكتب به قال : والمِى : الخمر[2] . وبختج : مطبوخ .

وروى عن السيد أنَّه رَأَى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم .

فاستنشده فأنشده قوله :

لأُمِّ عمرو باللوى مَرْبَع   طامسة أعلامــه بلقع

حتى انتهى إلى قوله :

قالوا لــه لو شئتَ أعلمتنا   إلى مَنِ الغَايَةُ والمَفْزَع

فقال : حسبك ؛ ثم نهض[3] وقال : قد والله أعلمتُهم .

وروى أبو داود وإسماعيل بن السَّاحر أنهما حضرا السيّد عند وفاته بواسط وقد أصابه شَرَّى[4] وكربٌ فجلس ثم قال : اللهم هذا كان جزائى فى حُبّ آل محمد ! فكأنها كانت ناراً أُطفِئَت عنه .

---

(١) ميبختج : كلمة فارسية مركبة من لفظين : « مى » ومعناها النبيذ أو الخمر و « بختج » أى مطبوخ .

(٢) فى غ : النبيذ .

(٣) فى غ : نفض يده .

(٤) الشرى : داء يأخذ فى الجلد أحمر كهيئة الدراهم .

قال أبو جعفر المنصور : بلغَنى أن السّيِّد مات بواسط فلم يَدْفِنوه . فوالله إن تَحَقَّقَ(١) عندى ذلك لأحرِقَنَّها !

قال عَبَّاد بن صُهَيْب : كنت عند جعفر بن محمد فأتاه نَعْىُ السيد ، فدَعَا له وترحم عليه فقال له رجل : يا ابن رسول الله إنه يشرب الخمر ويؤمن بالرَّجْعَة ! فقال : حدثنى أبى عن جَدّى أن مُحِبِّى آل محمد لا يموتون إلّا تَائِبين وقد تاب ، ورفع مُصَلّى كان تحته ، وأخرج كتَابًا من السيد يعرِّفه أنه قد تاب ويسأله الدعاء .

قال بَشِير(٢) بن عمار : حضرت وفاة السيد بالرُّمَيْلة ببغداد ، فوجّه رسولا إلى صفّ الخرَّازين(٣) الكُوفِيِّين يعلمهم بحاله ووفاته ؛ فغلِط الرسول فذهب إلى صوف السَّمُّوسين ، فشتموه ولعنوه ؛ فعلم أنه قد غَلِط فعاد إلى الكوفِيين فأعلمهم أنه قد احتُضِر ؛ فوافاه سبعون رجلا معهم سبعون كفناً وحَضَرْناه جميعا وإنَّه ليسوَدُّ وجهُه وما يتكلم إلى أن أفاق إفاقة وفتح عينيه ونظر إلى ناحية القبلة وقال : يا أَمير المؤمنين أَيُفعل هَذَا بِوَليِّك ! « قالها ثلاث مرات » قال : فتجلى والله فى وجهه عِرْقُ بياض فما زال يتّسع ويَلْبَس وجهَه حتى صار كالبَدْر وتوفِّى فجهزناه ودفناه فى خِلَافَةِ الرَّشيد .

---

(١) فى ت : حق .

(٢) فى ت : بشر .

(٣) فى غ : الجزارين .

امرؤ القيس

هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حُجْر آكل المُرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع. وقيل: أُمرؤ القيس ابن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث ابن يَعْرُب[1] بن ثَوْر بن مُرْتِع بن معاوية بن كِنْدَة على أختلاف فيه .

وقالوا : كِنْدة بن مُرْتع بن عُفَيْر[2] بن عدىّ بن الحارث بن مُرّة بن عَدِىّ ابن أُدَد بن عَمْرو بن مِسْمَع[3] بن عريب بن عمرو بن زيد بن كهلان .

وأم امرىء القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زُهَير أخت كُلَيب ومُهَلْهِل ابنى ربيعة .

وقال من زعم أنه امرؤ القيس بن السِّمط بن امرىء القيس بن عمرو بن معاوية ابن ثور : إنّ أمّ امرىء القيس تَمْلِك بنت عمرو بن زُبَيْد بن مَذْحِج رهط عمرو بن معدى كرب . وقد ذكر ذلك امرؤ القيس فى شعره فقال :

أَلَا هــل أتاها والحوادثُ جَمَّةٌ ... بأنَّ أمرأ القيس بن تَمْلِكَ بَيْقَرا

أى نزل العراق ونزل أهله البادية . ويقال بَيْقَر الرجل إذا هَاجَر .

وقيل : أمّ حُجْر أبى أمرىء القيس أُمُّ قطَام بنت سَلَمَة امرأة من كندة[4] .

---

(١) فى ت : يعقوب .

(٢) فى ت : عفر .

(٣) فى ت : هميسع.

(٤) فى غ : عنزة .

وكُنْيَة : امرئ القيس أبُو وَهْب . وكان يقال له: المَلك الضِّلِّيل وقيل له أيضا: ذُو القُروح . وإياه عنى الفرزدق بقوله :

وهَبَ القصائدَ لى النوابغُ إذْ مَضَوْا ‏ ‏ ‏ وأبُو يَزِيد وذُو القروح وجَرْوَلُ

يعنى بأَبِى يَزِيد : المُخَبَّل السَّعدى ، وجَرْول: الحُطَيْئة .

وولِد امرؤُ القيس ببلاد بَـنِى أَسَد .

وسُمِّىَ كِنْدَةَ لأنه كَنَدَ أباه أى عَقّه .

وسُمِّىَ مُرْتِع بذلك لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مَرْتَعاً له ولماشِيَته .

وسمى حُجْر آكل المُرَار لأنه لما أتَاه الخبر بأن الحارث بن جَبَلة كان نائما فى حِجْر امرأته هند وكانت تَفْلِيه جعل يأكل المُرار « وهو نبت شديد المرارة » وهو لا يَدْرِى من الغيظ .

وقيل: بل قالت هند للحارث وقد سألها : ماتَرَيْنَ حُجْرا فَاعِلا : قالت : كأنك به قد أدرَكَك فى الخيل وهو كأنه بَعِير قدأكل المُرَار ، وسُمِّىَ عمرو المَقْصور لأنه قُصِر[١] على ملك أبيه أى أقعد فيه كَرْها .

وكان أخوه عَمْرو[٢] الجَوْن على اليمامة ، وأُمُّهما شُعْبَة ابنة أبى مُعَاهِر بن حسان ابن عمرو بن تبع[٣] .

ولما مات ملك بعده ابنُه الحارث وكان شديدَ المُلك بعيد الصِّيت[٤] .

ولما ملك قُبَاذ بن فَيْروز خرج فى أيام ملـكه رجل يقال له: مَزْدَك فدعا الناس

(١) فى ت : أقصر .
(٢) فى غ : معاوية .
(٣) فى ت : حادر بن ربيع .
(٤) فى ت : الصوت « تحريف » .

إلى الزندقة وإباحة الحُرَم وألاّ يمنع واحد منهم أخاه ما يريد من ذلك . وكان المُنْذِر بن ماء السماء يومئذ عاملا على الحِيرة ونَوَاحيها فدعاه قُباذ إلى الدخول معه فى ذلك فأَبَى . فدعا الحارثَ بن عمرو فأجابه ؛ فشدّد له فى ملكه وطَرَدَ[1] المنذر عن مَمْلَكته وغلب عليها . وكانت أمُّ أَنُو شِرْوان يوما بين يدى قُبَاذ ، فدخل عليه مَزْدَك . فلما رأى أمّ أَنُو شِرْوان قال لقُبَاذ : ادفعها إلىّ لأقضى حاجتى منها ؛ فقال : دونكها . فوثب إليه أنو شروان فلم يزل يَسْأَله ويَتَضَرَّع إليه أن يهب إليه أمّه حتى قَبَّل رجله فتركها ؛ فكانت تلك فى نفسه . فهلك قُبَاذ على تلك الحال .

وملك أَنُوشروان فجلس فى مجلس المُلْك . وبلغ المُنْذرَ هلاكُ قُباذ وقد علم خلاف ولده أنوشروان عليه فأقبل عليه فأذن أنو شروان للناس ودخل عليه مَزْدَك ثم دخل المنذر . فقال أنو شروان : إنى تمنّيت أمنيَّتَين أرجو أَنْ يكون الله عز وجل قد جمعهما [لى فقال مَزْدَك : و] ما[2] هما أيها الملك ؟ قال: تَمَنَّيْت أن أَملك فأستعمل هذا الرجل الشريف[3] وأن أقتل هؤلاء الزَّنَادِقة . فقال مزدك : أَتَستطيع أن تَقْتُلَ الناسَ جَميعا؟! فقال: أَنْتَ هَاهُنَا يا ابْنَ الزَّانِيَة ! والله ماذهب نَتْن جَوْرَبك من أَنْفِى مذ يوم قَبَّلْتُ رجلك إلى يومى هذا ! ثم أمر به فقُتِل وصُلِب ، وأمر بقتل الزَّنَادقة فقتل منهم ما بين جازِر[4] إلى النَّهْرَوان إلَى المدائن فى ضَحْوة واحدة مائة ألف زِنْدِيق. وطَلَب[5] أَنو شِرْوَان الحارِثَ بن عمرو ؛ فبلَغه ذلك وهو بالأنبار فخرج هارِباً فى ماله[5] وولده .

---

(١) فى غ : وأطرد .

(٢) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٣) يعنى بالشريف المنذر .

(٤) جازر : قرية من نواحى النهروان . وفى ت : حارد « تحريف » .

(٥) بياض بالأصل والتكملة من غ .

وإنَّمَا سمِّيت الأنبار لأَن أهراء[1] الطعام كانت بها وهى الأَنَابير فمر الحارث بالثَّوِيَّة[2] وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وإياد وبَهراء فلحقه بأرض كَلْب فنَجا ، وانتهبوا ماله وهَجَائنه وأخذت بنو تَغْلب ثمانية وأربعين نفسا من بنى آكل المُرار فقدم بهم على المُنذر فضرب رِقَابهم بحفَر الأملاك من ديار بنى مَرِينا[3] العِبَادِيِّين بين دَيْر هِنْد والكُوفة . فذلك قول عمرو بن كُلْثُوم :

فآبوا بالنِّهاب وبالسَّبَايَا ... وأُبْنَا بالملوك مُصَفَّدِينَا
ملوكٌ من بَنِى حُجْر بن عَمْرو ... يُساقون العشيَّة يُقْتَلُونَا[4]
فلو فى يوم معركةٍ أصيبوا ... ولكن فى ديار بنى مَرِينَا
فلم تُغْسَل جمَاجِمُهُم بِغسْل ... ولكن فى الدماء مُرَمَّلِينا
تَظَلُّ الطير عاكفةً عليهم ... وتنتزع الحواجبَ والعيونا

ومضى الحارث فأقام فى أرض كَلْب . وكلب يزعمون أنهم قتلوه . وعلماء كندة يزعمون أنه خَرَج إلَى الصيد فألَظَّ[5] بتيس من الظِّباء فأعجزه .

وآلى أَلِيَّة ألا يأكل أول أكلة إلّا من كبده وطلبته الخَيْلُ ثلاثا فأُتِى به بعد ثالثة وقد هلك جُوعا فشُوِىَ له بَطْنه فتناول فِلْذَةً من كبده حارَّة فأكلها فمَات . وفى ذلك يقول الوليد بن عَدِىّ الكِنْدِى فى أحد بنى بَجيلة :

فشووا وكان شِوَاؤهم حتفاً[6] له ... إنَّ المَنِيَّةَ لا تُجِلُّ جَلِيلا

---

(١) الأهراء : الأكوام . وفى ت : أهداء « تحريف » .
(٢) الثوية : موضع قريب من الكوفة وقيل بالكوفة.
(٣) بنومرينا : قوم من أهل الحيرة .
(٤) فى غ : نسب هذا البيت والأبيات الثلاثة التى تليه لامرئ القيس .
(٥) ألظ به : لزمه وألح عليه ليصطاده .
(٦) فى غ : خبطا .

وقيل : إنَّ قباذَ بن فَيْرُوز لم يُمَلِّك الحارثَ بن عمرو وأن تُبَّعاً الأخير هو الذى ملَّكه .

ولما أقبل المُنْذِر إلى الحيرة وهرب الحارثَ تبِعَتْه خيل المنذر فقتلت ابنه عمراً وقتلوا ابنه مالكا بِهِيتَ[١] وصار الحارث إلى مُسحُلان فقتلته كلب وقيل : مكث فيهم حتى مات حَتْفَ أَنْفِه .

ولما قتَل الحارثُ بن أبى شَمر الغَسَّانى عمرَو بن حُجْر ملَّك بعده ابنَه الحارث بن عمرو ، وأمه بنت عَوْف بن مُحَلِّم بن ذُهل الشَّيْبانِى ونزل الحيرة .

فلما تفاسدت القبائل من نِزار أتاه أشرافهم فقالوا : إنَّا فى دينك ونحن نخاف أن نتفانى مما يحدث بيننا ، فوجه معنا بنيك ينزلون[٢] فينا فيكُفُّون بعضَنا عن بعض . ففرَّق ولدَه فى قبائل العرب ، فملَّك ابنه حُجْراً على أسد وغَطَفان ، وملَّك ابنه شُرَحْبِيل قتيل يوم الكُلاب[٣] على بكر بن وائل بأَسْرِها وبنى حَنْظَلة بن مالك بن زَيْد مَناة ابن تميم وبنى أسد بن عمرو بن تميم وطوائف من بنى عمرو بن تميم والرِّباب ، وملَّك ابنه مَعْديكرِب وهو غَلْفاء[٤] « سمى بذلك لأنه كان يُغَلِّف رأسه » على بنى تَغْلِب والنَّمِر بن قَاسِط وسَعْد بن زيد مَناة وطوائف من بنى دارم بن حنظلة ، والصنائع وهم بنو رُقَيَّة قوم كانوا يكونون مع الملوك من شُذَّاذِ العرب . وملَّك ابنه سَلَمة على قَيْس .

---

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد .

(٢) فى ت : يقولون .

(٣) الكلاب بضم أوله : اسم ماء بين الكوفة والبصرة ، وقيل ماء بين جبلة وشمام : وكان للعرب يومان مشهوران بيوم الكلاب : « انظر معجم البلدان لياقوت » .

(٤) كذا فى غ والقاموس واللسان (غلف) .

وقيل: إنّ حُجْراً كان في بني أَسَد، وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة لمؤونته[١] فقصَّروا بذلك فبعث إليهم جابيه الذي كان يخدمه[٢] فتكلم بذلك — وحجر يومئذ بتهامة — فضربوا رُسله. فبلغ ذلك حُجْراً، فسار إليهم بجند من ربيعة وجند من عند[٣] أخيه من قيس وكنانة، فأتاهم وأخذ سَرَاتَهم فجعل يُقتِّلهم بالعصا وأباحَ الأموالَ وسيَّرهم إلى تِهامة وآلى بآليّة لا يساكنونه أبدا في بلد، وحبس منهم عمرو ابن مسعود بن كِلْدة[٤] بن فَزَارة[٥] الأسدى وكان سيِّدا، وعَبِيدَ بن الأَبْرَص الشاعر. فسارت بنو أسد ثلاثاً.

ثم إنَّ عبيد بن الأبرص قال: أيها الملك اسمع مقالتي، وقال:

يا عينُ فابكي ما بني ... أسدٍ فهم أهلُ النَّدَامَهْ
أهلَ القِبَابِ الحُمرِ والنَّـ ... ـعَمِ المُؤَبَّلِ والمُـدَامَه
وذَوِي الجِيَادِ الجُرْدِ والأ ... سَلِ المُثَقَّفَةِ المُقامه
حِلًّا أبيت اللعنَ حِـلًّا ... إنّ فيما قلتَ آمه
في كل وَادٍ بَيْنَ يَثْـ ... ـرِبَ فالقُصُورِ إلى اليَمَامه
تصويت[٦] عانٍ أو صِيَا ... حُ مُحرَّقٍ أَوْ صَوْتُ هَامَه
ومنعتَهم نجداً فقَدْ ... حَلُّوا على وَجَلٍ تِهَامَه
بَرِمَتْ بنو أسدٍ كما ... بَرِمت ببيضتها النعامه[٧]

---

(١) في غ: مؤقتة.
(٢) في غ: يجبيهم.
(٣) في غ: جند.
(٤) كذا في ت وتجريد الأغاني، وفي غ: كندة.
(٥) في ت: ولده.
(٦) في غ: تطريب!
(٧) في غ: الحمامة.

مهما تَركتَ تَركتَ عَفْـ وا أو قتلتَ فلا مَلامَه
أنتَ المَليكُ[١] عليهم وهُمُ العَبيدُ إلى القيامه
ذَلّوا لسَطْوِك[٢] مِثْلَ ما ذل الأُشَيْقِر[٣] ذوالخِزَامَه[٤]

قال : فرقّ لهم حُجْر حين سمع قولَه ، فبعث فى آثارهم فأقبلوا . حتّى إذا كانوا على مسيرة يوم من تِهامة تـكهّن كاهنهم ، وهو عَوْف بن رَبيعة بن عامر بن سَوَاءَة[٥] ابن سعد بن مالك بن ثَعْلبة بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيمة ، فقال لبنى أسد : يا عِبادى ! قالوا : لبيك ربنا . قال : مَن الملك الأَصهبُ[٦] الغَلّاب غير المُغَلَّب ، فى الإبل كأنها الرَّبْرَب لا يُعلَقُ رأسُه الصَّخَب[٧] ، هذا دمه يَنْثَعِب وهو غدا أول من يُسْلَب . قالوا : ومن هو يا ربَّنا ؟ قال : لولا أن تَجيش نَفسٌ جاشية ، لأخبرتـكم أنَّه حُجْر ضاحِية . فركبوا كُلّ صَعْب وذَلول ؛ فما أشرق عليهم النهار حتى بلغوا عسكر حُجْر فهجموا على قُبَّته وكان حُجَّابه من بنى الحارث بن سَعْد يقال لهم: بنو خَدَّان بن خَنْثَر، منهم معاوية والحارث[٨] وشَبيب[٩] ورُقَيّة ومالِك وحبيب ، وكان حجر قد أعتق أباهم من القتل . فلما نظروا إلى القوم يريدون قتله جَثَوا[١٠]

(١) فى ت : الملوك « تحريف » .
(٢) فى غ : لسوطك .
(٣) الأشيقر تصغير الأشقر ، وهو الأحمر من الدواب .
(٤) الخزامة : حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير يشد بها الزمام .
(٥) فى غ : سوادة .
(٦) فى ت : الصلهب .
(٧) فى غ : لا يعلق رأسه الصخب .
(٨) فى غ : معاوية بن الحارث .
(٩) فى ت : شيث.
(١٠) فى غ : خيموا .

عليه ليمنعوه ويجيروه ، فأقبل عِلْبَاء بن الحارث الكاهلىّ ، وكان حُجْر قد قتل أباه ، فطعنه من خَلَلهم فأصاب نَسَاه فقتله . فلما قتله قالت بنو أسد : يامعشر كنانة وقيس، أنتم إخواننا وبنو عَمِّنا ، والرجل بعيد النسب مِنّا ومنكم ، وقد رأيتم سيرَته وما كان يصنع[1] بكم هو وقومُه . فانتهبوهم فشدُّوا على هَجَائنه فمزّقوها ولَفُّوه فى رَيْطة بيضاء وطرحوه على ظهر الطريق . فلما رأته قَيْس وكنانة انتهبوا أسلابه . ووثب عمرو بن مسعود فضم عِيَاله وقال : أنا لهم جار .

وعِدّة قبائل من بنى أسد يدعون قتل حُجْر ويقولون : إن عِلْبَاء كان السّاعى عليه وصاحبَ المَشُورة فى قتله ولم يقتُلْه هو .

وخَدَّان فى بنى تميم[2] وفى بنى جديله بالخاء مفتوحة ، وخُدَّان بالخاء مضمومة فى الأَزْد، قالوا : وليس فى العرب غير هؤلاء .

وقيل : إن حُجْراً لما خاف من بنى أسد استجار عُوَيْر بن شَجْنة أحد بنى عُطَارِد ابن كعب بن زيد مَنَاةَ بن تميم لبنته هند وعِيَاله وقال لبنى أسد لمَّا كَثَروه : أَمَّا إن كان هذا شأنكم فإنى مرتحل عنكم ومُخَلّيكم وشأنكم، فوادَعوه[3] على ذلك . ومال مع خالد بن خَدَّان أحد بنى سَعْد بن ثَعْلبة . فأدركه عِلْبَاء بن الحارث أحد بنى كاهل فقال : يا خالد اقتُل صاحبك لا يُفلت فيعرُّكَ[4] وإيانا بشَر ، فامتنع خالد ومر علباء بقصدة رمح مكسورة فيها سِنَانها فطعَن خاصِرَة حُجر وهو غافل فقتله ، ورجع عنه . ففى ذلك يقول الأسدى :

وقِصْدَةُ عِلْبَاء بن قَيْس بن كاهِل ... مَنِيَّةُ حُجْر فى جِوَار ابن خَدَّانِ

---

(١) فى ت : صنع .

(٢) فى غ : أسد .

(٣) فى غ : فواعدوه .

(٤) يعرك : يصيبك . وفى ت : فيغزوك .

وقيل : إنه لما استجار عُوَير بن شجنة لِبَنِيه وقَطِينه[١] تحوّل عنهم وأقام في قومه ، وجمع لبني أسد جَمْعا كثيرا من قومه وأقبل مُدِلّا بمن معه من الجنود . فتوافرَت[٢] بنو أسد وقالوا : والله إن قهركم هذا ليحكُمَن عليكم حكم الصَّبي ! فما خيرُ عيش يكون بعد قَهْر وأنتم بحمد الله أشَدُّ العرب ! فموتوا كِراما . فساروا إلى حُجْر وقد ارتحل نحوَهم فلقُوه فاقتتلوا قِتالًا شديدا . وكان صاحب أمرهم عِلباء ابن الحارث ، فحمل على حُجْر فطعنه فقتله ، وانهزمت كِنْدة وفيهم امرؤ القيس فهرب على فرس له أشقر فأعجزهم ، وأسروا من أهل بيته رجالًا وقتلوا وملأوا أيدِيَهم من الغنائم ، وأخذوا جوارى حُجْر ونساءه وما كان معه فاقتسموه بَيْنَهم .

وقيل في قتله : إنه كان وفد إلى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذى ماتَ فيه وأقام عنده حتى هلك ، ثم رجع إلى بنى أَسَد وقد كان أغار عليهم وأساءَ ولَايتَهم ، وكان يُقدّم بعضُ ثَقَله أمامه ويُهَيَّأ نُزُلُه ثم يجىء وقد هُيِّئ له ما يصلحه[٣] فينزل فيُقَدَّم مِثْلُ ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فلما دنا من بلاد بنى أسد وقد بلغهم موت أبيه طمعوا فيه . فلما أظلّهم وضُرِبت قِبابه اجتمع بَنُو أسد إلى نَوْفل بن ربيعة بن خَدّان ؛ فقال : يا بنى أَسَد من يَلْقَى هذا الرجل منكم فيَقْتَطِعه ؟ فإنى قد أجمعتُ على الفَتْك به . فقال القوم : ما لهذا أحدٌ غيرك . فخرج نَوْفل بن ربيعة فى خَيْله على وجهين من قومه حتى أغار على الثَّقَل فقتل مَنْ وجد فيه ، وساق الثَّقَل وأصاب جارِيَتَيْن لحُجر وأتى قومه . فلما رأى قومُه ما فعل علموا أَنَّ حُجرا يُقاتِلهم وأنهم لا بُدَّ لهم من القتال ، فحشد الناس لذلك . وبلغ حُجْراً أمرُهم ، فأقبل نَحْوَهم ،

---

(١) القطين : الخدم والحاشية .

(٢) فى غ : فتآمرت بنو أسد بينها .

(٣) فى غ : يعجبه .

فلما غَشِيَهم ناهضوه القِتَال وهم بين أَبْرَقَيْن من الرمل فى بِلَادِهم يُدْعَيَان اليوم أَبْرَقَى حُجْر ، فلم يَلْبَث حجر أن هَزَمُوا أصحابَه وأسروه فَحَبَسوه . وتشاوروا فى قتله ؛ فقال لهم كَاهِن من كَهَنَتهم بعد أن حَبَسُوه ليَرَوْا فيه رأيهم: أَىْ قوم! لا تعجَلوا بقَتْل الرَّجُل حتى أَزْجُرَ لكم . فانصرف عن القوم لينظر لهم فى قتله. فلما رأى ذلك عِلْبَاء بن الحارث خشى أن يَتَوَاكَلُوا فى قَتْله ، فدعا غلاما من بَنِى كاهل ، وكان ابن أخته وكان حُجْر قد قتل أباه زوج أخت علباء ، فقال : يا بُنى أعندك خير فَتَثْأَر بأَبيك[1] وتنالَ شرفَ الدهر فإن قومك لن يقتلوك ؟ ! ولم يزل بالغلام حتى حَرَّبه[2] ، ودفع إليه حديدة قد شحذَها وقال : ادخل عليه فى قومك ثم أطعَنْه فى مقتله . فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها ثم دخل مع الأسديين إلى حُجْرفى قُبَّته التى حبسوه فيها . فلما رأى الغلام غفلةً وثَب عليه فقتله ؛ فوثب القوم على الغلام . فقالت بنو كاهل : ثأرُنا وفى أيدينا . وقال الغلام : إنما ثأرتُ بأبى فخَلّو عنه . وأقبل كاهنهم فقال : أَىْ قَوْمِ ! قتلتموه ! قالوا : نعم . قال : مُلْك شهر ، وذُلّ دَهْر . إنَّه والله لا تَحْظون بعدها عِنْدَ المُلوك أَبَدًا .

ولما طَعَن الأَسَدِىّ حُجْرا ولم يُجْهِز عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال : أذهب إلى ابْنِى نَافِع — وكان أكبرَ ولده — فإن بكى وجزع فالْهُ عنه واستَقْرِهم وَاحداً واحداً حتى تأتى عَلَى امرئ القَيْس — وكان أصغرهم — فأيّهم لم يجزع فادفَع إليه خَيْلِى وسِلَاحِى وَوَصِيّتِى وقُدُورِى . وقد كان بَيَّن فى وصيته مَنْ قتله وكيف كان خبره، فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ؛ فأخذ التراب فوضعه على رأسه ثم استقراهم واحداً واحداً فكُلُّهم فعل مثل ذلك حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نَدِيم له يشرب

(١) فى ت : أعندك خير بثأر بأبيك .

(٢) حربه : حرشه .

الخمر ويلاعبه بالنَّرْد فقال له : قُتِل حُجْر ، فلم يلتفت إلى قوله ؛ فأمسك نديمه فقال له امرؤ القيس : اضربْ فضرب . حتى إذا فرغ قال له : ما كنتُ لأُفسدَ دَسْتَك . ثم سأل الرسول عن أمر أبيه فأخبره . فقال : الخمر على حرامٌ ، والنساء حرامٌ حتى أقتُل من بنى أسد مِائَةً وأحلق مِائَةً[1] ثم أنشأ يقول :

أرِقْتُ ولم يأرَق لذلك[2] نَافِع وهاج لِي الشوق الهمومُ الروادعُ

وقيل : إن حجرا كان طَرَدَ امرأ القيس وآلى ألا يُقيم معه أنَفَةً من قول الشعر ، وكانت الملوك تأنَف من ذلك ، وكان يسير فى أحياء العرب من طيِّئ وكَلْب وبَكْر ابن وائل ؛ فإذا صادف غَدِيرا أو روضة أو موضع صيد أقام به فَذَبَح لمن معه فى كل يوم ، وخرج إلى الصيد فتَصَيَّد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر فسقاهم وغَنَّته قِيانُه فلا يزال كذلك حتى يَنفَد ماء الغدير ثم يَنتَقِل عنه إلى غيره . فلما أتاه خبر مقتل أبيه وهو بَدمّون من أرض اليمن ، أتاه به رجل من بنى عِجْل يقال له عامر الأعور أخو الوَصَّاف فلمّا أخبره بذلك قال :

تَطاوَلَ الليلُ عَلَى دَمُّونْ دَمُّونْ إنّا معشرٌ يَمَانُون

وإنّنا لأهله مُحِبُّون

ثم قال : ضيّعنى صغيرا وحمّلنى دمه كبيرا . لا صَحْوَ اليوم ولا سُكْر غدا « اليوم خمرٌ وغداً أمرٌ » فذهبت مثلا .

ثم قال :

خليلى ما فى اليوم مَصْحًى لِشَارِب ولا فى غَدٍ إذ ذاك ما كان يُشْرَب

ثم شرب سبعا . فلما صحا آلى أَلِيَّة ألّا يأكل لحما ، ولا يشرب خمرًا ،

---

(١) فى غ : وأجز نواصى مائة .

(٢) فى غ : لما بى .

وَلا يدّهِنَ ، ولا يُصِيبَ امرأة ، ولا يَغْسِل رأسَه من جنابة ، حتى يدرك ثأره .
فلما جَنّه الليل رأى بَرْقا فقال :

أرِقتُ لبرقٍ بليــلٍ أَهلْ ... يُضىء سَنَاه بأعلَى الجَبَلْ
أتانى حــديثٌ وكذّبتُــه ... بأمرٍ تزَعْزَعُ منــه القُلَلْ
بقتــلِ بنى أَسَــدٍ رَبَّهُم ... أَلا كُلُّ شىء سواه جَلَلْ[1]
فأينَ رَبِيعــةُ عن ربِّهــا ... وأين تميمٌ وأين الخَــوَل
أَلَا يحضُرون لدى بابه ... كما يحضُرون إذا ما استَهل[2]

وقيل : إن امرأ القيس لمَّا قُتِل أبوه كان غلاما قد ترعرع مقيما فى بنى حنظلة ، لأن ظئره كانت امرأة منهم . فلما بلغه قتل أبيه قال :

يا لهفَ هند إذ خَطِئْنَ[3] كاهلا ... القاتلين المَلِك الحُلاحِلا[4]
تالله لا يذهب شَيْخِى باطــلا ... يا خــير شيخ حَسَباً ونائلا
وخيرَهم ــ قد علموا ــ فَوَاضِلا ... يَحْمِلْنَنَا والأَسَــلَ النَّوَاهِلا
وحَىّ صَعْب والوَشِيجَ الذَّابِلا ... مُسْتَثْفِرَاتٍ بالحصى جَــوَافِلا[5]

يعنى صَعْبَ بن على بن بكر بن وائل . معنى قوله : مستثفرات يعنى أثارت الحصى بحوافرها من شدة جَرْيِها حتى ارتفع إلى أشفارها فكأنها استَثْفَرَت به .

ولما قُتِل حُجْر بن الحارث وأَخَذَ بنتَه وقَطِينَه عُوَيْرُ بن شَجْنة . قال له قومه : كُلْ أموالَهم فإنهم مأكولون ، فأبى . فلما كان الليل حمل هندا وقَطِينها وأخذ بخِطام

---

(١) جلل : هين .
(٢) فى غ : أكل .
(٣) خطىء : أخطأ .
(٤) الحلاحل : السيد الكريم .
(٥) جوافل : مسرعات .

جملها وأشأم(١) بها(٢) فى ليلة طَخْيا مُدْلَهِمّة . فلما أضاء البرق أبدى عن ساقيه وكانتا حَمْشَتَيْن فقالت له هند : ما رأيت كالليلة ساقَىْ وَافٍ · فسمعها فقال : يا هند هما سَاقَا عَاد(٣) ومَرّ بها الفِجَاج(٤) حتى أطلعها نَجْرَان ، وقال لها : إنى لستُ أُغْنِى عنك شيئا وراء هذا الموضع ، وهؤلاء قومك ، وقد بَرِئَت خِفَارَتى . فمدحه امرؤ القيس بعدّة قصائد منها قوله :

ألا إنّ قوما كنتم أمسِ دونَهم ··· هم منعوا جاراتكم(٥) آل غُدْرَان
عُوَيْرٌ ومن مثلُ العُوَيْر ورهطِه ··· أبرّ بأيمان(٦) وأوفَى بجيران
هم أبلغوا الحىّ المضلّل(٣) أهله ··· وساروا بهم بين الفُرات ونَجْرَان

ومما قاله فيه :

ألا قَبّح اللهُ البراجمَ كلها ··· وجَدّع يربُوعاً وعفرّ دارِما
فما فعلوا فِعْلَ العُوَيْرِ ورهطِه ··· لدى باب حُجْر إذ تَجَرّد قَائما

وقيل : إن القِصّة المذكورة مع عوير كانت مع أبى حنبل وجَارِية بن مر .

ويقال : كانت مع عامر بن جُوَيْن الطائِى وإن ابنتَه أشارت عليه بأخذ مال حُجْر ، فقام فدخل الوَادِى فصاح : ألا إنّ عامر بن جوين غدر ، فأجابه الصّدَى بمثل قوله؛ فقال: ما أقبح هذا من قَوْل! ثم صاح : أَلَا إن عامرَ بن جُوَيْن وَفَى ، فأجابه الصّدَى بمثل قوله ؛ فقال : ما أحسن هذا من قول ! ثم دعا بجَذَعَةٍ من غَنَمه

---

(١) فى ت : تشاءم .
(٢) فى غ : بهم .
(٣) فى غ : غادر شر .
(٤) فى غ : النجاد .
(٥) فى ت : جاراتهم .
(٦) فى غ : بميثاق .
(٧) فى غ : المضيع .

فعقلها وضرب واستلقى على قفاه وقال : لا والله لا أغدُر ما أجزأتني جُدْعَة . ثم نهض وكانت ساقاه خَمْشَتَين فقالت له ابنته : والله ما رأيت كاليوم سَاقَيْ وَافٍ . قال: فكيف بهما إذا كانتا ساقَيْ غادِر ! هما والله حينئذ أقْبَح .

وقيل : إنَّ امرأ القيس ارتحل حتى نزل بَكْرًا وتَغْلِبَ ، وسألهم النصرَ على بني أسَد فأجابوه، فبعث العيونَ على بَنِي أسد ونَذِروا بالعُيُون فلجأوا إلى بَنِي كنانة . وكان الذى أنذرهم بهم عِلْباء بن الحارث . فلما كان الليل قال لهم عِلْباء : يا معشر بني أسد تَعْلمون ! والله إن عُيُونَ امرىء القيس قد أتوكم ورجعوا[1] إليه بخبركم فارحلوا بليل ولا يعلم بكم بنو كنانة فَفَعَلُوا . فأقبل امرؤ القيس بمَن مَعه من بكر وتَغْلِب حتى انتهَى إلى بَنِي كنانة وهو يحسَبهم بني أسد حتى وَضَع السِّلاح فيهم وقال : يالثَّارَات المَلِك الهُمام ! فخرجت إليه عجوزٌ من كِنَانة فقالت : أبيت اللَّعنَ ! لسنا لكَ بالثَّأْر ، ونحن بنو كنانة فاطلب ثأْرك؛ فإن القوم قد ارتحلوا بالأمس فتَبِع بني أسد ففاتوه ليلتهم تلك فقال فى ذلك :

ألا يا لهف قلبي من أُنَاس[2] هم كانو الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جَدُّهم ببنى أبيهم وبالأشْقَيْنَ ما كان العِقَاب
وأفلتهن عِلْبَاء جَرِيضا[3] ولو أدْرَكْنه صَفِر الوِطَابُ

يعنى ببنى أبيهم بَنِى كِنَانة ؛ لأنّ أسدا وكنانة ابنى خُزَيْمة أخوان . ومعنى قوله : صفِر الوِطَاب يقول : لو أدركوه قتلوه واستاقوا إبله فصَفِرت وِطَابُه من اللبن .

---

(١) فى غ : أتتكم ورجعت .

(٢) فى غ : ألا يالهف هند إثر قوم .

(٣) أفلتهن جريضا : أفلتهن بعد جهد ومشقة .

وقيل: إنه أراد جِسْمه، أى أنه كان يُقتل فيكون جسمه صِفراً من دمه كما يكون الوِطَابُ صِفْراً من اللَّبَن. فلما أصبح امرؤ القيس رأى آثار القوم منطلقين، فأتبع الأثر فأدركهم ظهرا وقد تَقَطَّعت خيله وقطع أعناقهم العطش وبنو أسد جَاثِمُون[1] على الماء، فقاتلهم حتى كثرت القَتْلَى والجَرْحَى فيهم، وحَجَز الليلُ بينهم، وهربت بنو أَسَد. فلمّا أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يَتَّبِعوهم وقالوا: قد أصبت ثأرك. قال: لا، والله مافعلتُ ولا أصبت من بنى كَاهِل ولا من غيرهم من بنى أسد أحداً. قالوا: بلى ولكنك رجل مشئومٌ وكرهوا قتالهم بَنِى كنانة وانصرفوا عنه فمضى هاربا لوجهه حتى لحق بِحِمْير.

وقيل: إن امرأ القيس لما أفلت من الحرب على فرسه الشقراء لَجأ إلى ابن عمّته عمرو بن المُنْذِر وأُمُّه هند بنت عمرو آكل المرار بن حجر. وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتفرُّق ملك أهل بيته. وكان عَمْرُو يومئذ خليفةَ أبيه المنذر بِبَقَّة وهى بين الأنبار وهيتَ. فمدحه وذكر صِهْرَه ورحمه وأنه قد تعلّق بحباله ولجأ إليه فأجاره ومكث عنده زمانا. ثم بلغ المنذر مكانهَ عنده فطلبه فأنذره عمرو فهرب حتى أتى حِمْيَر.

ولما امتنعت بكر بن وائل وتغلب من اتّباع بنى أسد خرج امرؤ القيس من فوره ذلك إلى اليمن فاستنصر أَزدَ شَنُوءة؛ فأبوا أن ينصروه وقالوا: إخواننا وجِزْبُنا[2]. فنزل بقَيْل يُدْعى مَرْثَدَ الخَيْر بن ذى جَدَن الحِمْيرى، وكانت بينهما قرابة، فاستنصره واستمدَّه على بنى أسد؛ فأمده بخمسمائة رجل من حِمْير؛ ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم، وقام بالمَمْلَكة بعده رجل من حمير يقال له: قَرْمل، ويقال: قرمل بن الحميم وكانت أمّه سوداء، فردَّد امرأ القَيْس وطوّل عليه حتى همَّ بالانصراف فقال:

---

(١) فى غ: جامون.

(٢) فى غ: جيراننا.

وإذْ نحن ندعو مَرْثد الخير ربَّنا وإذْ نحن لا نُدْعَى عَبِيداً لِقرْمَلِ

فأنْفَذَ له ذلك الجيش ؛ وتبعه شُذَّاذٌ من العرب ، واستأجر من قبائل اليمن(١) رجالا فسار بهم إلى بَنِي أَسَد ومرّ بتَبَالَةَ(٢) وبهـا صنم للعرب تعظمه يقال له: ذو الخَلَصة ؛ فاستقسم(٣) عنده بقِداحه وهى ثلاثة : الآمر والنَّاهى والمُتَربِّص ، فأجالها فخرج الناهى ، ثم أجالها فخرج الناهى ، ثم أجالها الثالثة فخرج الناهى ؛ فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال : مَصِصْتَ بَظْر أُمِّك ! لو أبوك قُتِل ما عَوَّقْتنى . ثم خرج فظفر ببنى أسد .

فيقال : إنه ما استُقْسِم عند ذى الخَلَصة أحد بقداح بعد ذلك حتى جاء الإسلام وهَدَمه جَرير بن عبد الله البَجَلىّ .

وألَحَّ المُنذِر فى طلب امرئ القيس ووجّه الجيوش فى طلبه من إياد وبَهْراء وتنوخ ولم تكن لهم(٤) طاقة ، وأمدّه أنوشروان بجيش من الأكاسرة والأَسَاورة فسرحهم فى طلبه . وتفرقت حِمْير ومن كان معه عنه . فنجا فى عُصْبَة من بنى آكل المُرَار حتى نَزَلَ بالحارث بن شهاب(٥) . من بَنِي يَرْبوع بن حَنْظلة ، ومع امرئ القيس أدراع خمس : الفَضْفَاضَة والصَّافية والمُحَصَّنَة والخِربق وأمّ الذّيول كُنّ لبنى آكل المرار يتوارثونها ملكا عن ملك . فقلّما لبثوا عند الحارث بن شِهاب حتى بعث إليه المنذر المائة من أصحابه يتوعده بالحَرْب إن هو لم يُسلم بنى آكل المرار فأسلمهم . ونجا امرؤُ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث بن قتيبة وهِنْد بنتُ

---

(١) فى غ : العرب .

(٢) تبالة : موضع بين مكة واليمن .

(٣) استقسم : طلب معرفة ما قسم للمرء مما لم يقسم .

(٤) فى ت : له .

(٥) فى ت : هشام « تحريف » .

أمرئ القيس والأدرع والسلاح وما كان بقي معه . فخرج على وجهه حتى نزل على سعد ابن الضِّبَاب الإيادي سيِّد قومه فأجاره . وكانت أمّ سعد بن الضِّباب تحت حُجْر أبي أمرئ القيس فطلقها وكانت حاملا وهو لا يعلم ، فتزوّجها الضِّباب فولدت سعدا على فراشه ، فلحق نسبه به فقال امرؤ القيس يذكر ذلك :

يُفاكِهُنا سعـدٌ ويُنعِم بالنّا ... ويغدو علينا بالجِفَان وبالجُزُرْ

وتَعْرِف فيه من أبيه شمائلا ... ومن خاله ومن يزيدَ ومن حُجُرْ

سماحةَ ذا وبرَّ ذا ووفاء ذا ... ونائل ذا إذا صحَا وإذا سَكِر

ثم تحول عنه فوقع بأرض طيّئ فنزل برجل من بني جديلة يقال له المُعَلَّى بن تَيْم . ففي ذلك يقول :

كأنّي إذ نزلتُ عـلى المُعَلَّى ... نزلتُ على البواذخ من شَمَام

فـما مَلِكُ العِراق على المُعَلَّى ... بمقتدرٍ ولا مَـلِكُ الشَّآم

أقرّ حَشَى أمرئ القيس بن حُجْر ... بنو تَيْمٍ مصابيحُ الظَّلام

فلبث عنده واتَّخَذَ إبلا ، فغدا قوم من بني جَدِيلة يقال لهم: بَنُو زيد فطرَدُوا الإبـل .

وكانت لامرئ القيس رواحل مُقَيَّدة عند البيوت خوفا من أن يَدْهَمَه أمر ليسبق عليهن . فخرج نفرٌ منهم فركبوا الرَّوَاحِل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جَدِيلة ، فرجعوا إليه بلا شيء . فقال في ذلك :

عَجِيبٌ له مَشْي الخُزَقَّةِ خالد ... كمشي أتـانٍ حُلِّيت عَنْ مَنَاهِل[1]

فدع عنك نَهْباً صِيحَ في حَجَرَاته ... ولـكن حديثاً ماحَدِيثُ الرَّوَاحِل

---

(١) في غ :

وأعجبني مشي الحزقة خالد ... كمشي أتان حلئت بالمناهل

وهي رواية الديوان .

فمزّقت عليه بَنُو نَبْهان فِرْقاً مِن مِعْزَى يحلُبها . فأخذ ذلك وأنشأ يقول :

إذَا ما لم تــكن إبل فمِعْزَى   كأنّ قرون جِلّتِها عِصِيّ
إذا ما قام حَالِبُهـا أرنّت   كأنّ القومَ صبّحهم نَعِيّ
فتمــلأ بيتنَا أقِطاً وسَمْناً   وحَسْبُك من غنِيّ شِبَعٌ ورِيّ

فكان عندهم ما شاء الله . ثم خرج فنزل بعامر بن جُوَين واتخذ عنده إبلا . وعامر يومئذ أحد الخُلَعَاء[1] الفُتّاك قد تبرأ قومُه من جرائِره فأقام عنده ما شاء الله . ثم هَمّ عامِر أن يَغْلِبَه على أهله وولده وماله . ففَطِن امرؤ القيس بذلك من شعر كان ينطِق به عامر وهُوَ :

فكم بالصَّعيد من هِجَان مُؤَبَّله   تسير صِحَاحاً ذات قيـد ومُرْسَله
أردتُ بهــا فتكا فلم أرتَمِض له   ونَهْنَهْتُ نَفْسِي بعد ما كدتُ أفعلَه

وكان عامر أيضا يعرّض بهند بنت امرئ القيس بقوله :

ألا حَيِّ هنـداً وأطـلالها   وتَظعـانَ هِند وتحـلالها[2]
همَمْـتُ بنفسيَ كُلَّ الهموم   وأوْلَى لِنَفْسِي أَوْلَى لَهـا
سأحمـل نفسى على آلة[3]   فإمّـا عليهـا وإمـا لهـا

ويقال : إن هذه الأبيات للخنساء بنت عمرو بن الشَّرِيد في قصيدتها :

ألا ما لِعَيْنِي ألا ما لَهــا   لقد أخضَلَ الدمعُ سِرْبالَهـا

فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على نفسه وماله وأهله انْتَقَل إلى رجل من بني ثُعَل يقال له : حارثة بن مُرّ فاستجار به فأجاره . فوقع الحرب بين عامر وبين

---

(١) في ت : الخلفاء .
(٢) في ت : وترحالها .
(٣) الآلة : الحالة .

الثُّعَلِيّ وجرت فى ذلك أمور فخرج من عنده ونزل برجل من بنى فَزَارة يقال له: عمرو ابن جابر بن مازن يطلب منه الجِوَار حتى يرَى ذاتَ عَيْبه .

فقال له الفزَارِى : يا ابن حُجْر ، إنى أراك فى خَلَل من قومك وأنا أهش(١) بمثلك من أهل الشرف وقد كدت بالأمس تؤُكل فى دار طيئ . وأهلُ البادِية أهل وبر(٢) لا حصون تمنعهم ، وبينك وبين اليمن ذُؤْبانٌ من قيس ، أفلا أدلك على بلد ! فقد جِئْتُ قيصرَ وجِئْتُ النعمان فلم أرَ لضَيْف نازل ولا لمُجْتَدٍ مِثلَه ولا مثل صاحِبه . قال : ومَنْ هو وأينَ مَنْزِله؟ قال : السمَوْءَل وهو بتيماء ، وسوف أضرب لك مَثَله، هو يمنع ضعفك حتى ترَى ذاتَ عيبك وهو فى حصن حَصِين وحَسب كَبير، فقال امرؤ القيس : وكيف لى به ؟ قال : أوصلك إلى من يوصلك إليه ؛ فمضى إلى رجل من فَزَارة يقال له: الرَّبيع بن ضَبُع قد كان ممن يأتى السموْءل فيحْمِله ويُعْطيه، فلما صار إليه قال له الفزَارِىّ إن السموءل يعجبه الشعر . فتعال حتى نتناشد أشعارا . فقال له أمرؤ القيس : قل حتَّى أقول . فقال الربيع :

قل للسموءل(٣) أىّ حِين نَلْتقِى ... بِفِناء بيتك فى الحضيض المَزْلق

وهى طَوِيلة يَقُولُ فيها :

ولقد أتيتُ بَنِى المُصاص(٤) مُفَاخِراً ... وإلى السموءل زُرْتُه بالأبْلَق

فأتيتُ أفضلَ من تحَمَّل حاجةً ... إن جِئتَه فى غارِمٍ أو مُرْهَق

عرفَتْ له الأقوامُ كُلَّ فَضِيلة ... وحَوَى المَكارِم سابقا لم يُسْبَق

---

(١) فى غ : أهَس .

(٢) فى غ : بر

(٣) فى غ : للمنية !

(٤) فى ت : المضاف .

فقال امرؤ القيس :

طرقتك هِندٌ بعد طول تَجَنُّبٍ ... وَهْناً ولم تكُ قبل ذلك تَطْرُقُ

وهي طويلة .

والظاهر أنها مُنْتَحَلة لأن التوليد فيها بَيّن ، وليست مما يُشَا كل كلامَ امرىء القيس وما دَوَّنها في ديوانه أحَدٌ من الثِّقات ؛ وأحسبها مما صنعه دَارِم لأنّه من ولد السّموءل .

فوفَد الفزَارِي بامرىء القيس إليه . فلما كانوا ببعض الطريق إذا ببقرة وَحْشِيّة مَرْمِيّة . فلما نظر إليها أصحابُه قاموا إليها فذكّوها . فبيناهم كذلك إذا هم بقُنَّاصها وهم قوم من بني ثُعَل[1] فقالوا[2] لهم : مَنْ أنتم ؟ فانتسبوا لهم وإذا هم جيران السموءل فانصرفوا جميعا إليه وقال امرؤ القيس :

رُبَّ رام من بني ثُعَلٍ ... مُخرِجٍ كَفَّيْه من قُتَرِه[3]

عارضٍ زوراءَ من نَشَمٍ ... غير بانَاةٍ[4] على وَتَرِه

قد أتته الوحش وَارِدَةً ... فَتَنَحَّى[5] النزع من يَسَرِه

فرماها في فَرَائصها ... بإزاء الحوض أو عُقُرِه

برِهيشٍ[6] من كنانته ... كتَلَظِّي الجمر في شَرَرِه

رَاشَه من ريش ناهضةٍ ... ثم أمْهاه على حَجَرِه

---

(١) ثعل : قبيلة من طيء .

(٢) في ت : فقال .

(٣) في ت : ستره .

(٤) في غ : مع باناة . والباناة : لغة طيء في البانية، كما يقولون : في ناصية ناصاة . والبانية من القسي : التي لصق وترها بكبدها حتى كاد ينقطع وترها في بطنها من لصوقه بها ، وهو عيب .

(٥) في غ : فتثني النزع في يسره .

(٦) الرهيش : السهم الضامر الخفيف .

فهـــو لا تَنْمى رَمِيَّتُهُ ماله لا عُدَّ من نفره
[مُطعِم للصَّيْد ليس له غيرها كَسْب على كِبَرِه](١)

ثم قدموا على السموءل فأنشده الشعر ، وعرف لهم حقهم ؛ فأنزل المرأة فى قُبّة من أدَم وأنزل القوم فى منزل له بَرَاحٍ فكان عنده ماشاء الله .

ثم إنه طلب منه أن يكتب له إلى الحارث بن أبى شمر الغسّانى بالشأم ليوصله إلى قيصر ؛ واستنجد معه رجلا واستودعه المرأة والأدراع والمال وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث بن معاوية وهو ابن عمه فمضى حتى انتهى إلى قيصر ؛ فقبله وأكرمه وكانت له عنده منزلة .

فاندس رجل من بنى أسد يقال له الطمّاح ، وكان امرؤ القيس قتل أخاه فورد بلاد الروم فأقام هناك مستخفِيا . ثم إن قيصر ضم إليه جيشا كثيفا وفيهم جماعة من أبناء الملوك فلما فصل قال قوم لقيصر : إن العرب قوم غَدرٍ ولا تأمن أن يظفر فيغزوك بمن بعثت معه . وقيل : بل قال الطماح : إن امرأ القيس غَوِىّ عاهِر وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يواصل ابنتك ويراسلها ، وهو قائل فى ذلك أشعارا يُشَهِّرها بها فى العرب فيفضَحُها ويفضحك . فبعث إليه بحُلّة من وَشْى مَسْمُومة ثم قال له : إنى أرسلت إليك بحُلّتى التى كنت ألبَسُها تكرِمةً لك فإذا وصلتْ إليك فالبسها باليمن والبركة ، واكتب إلىّ بخبرك من مَنزِل مَنْزِل . فلما وصلت إليه لبسها واشتد سروره بها ؛ فأسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سُمّى ذَا القُرُوح .

وقال فى ذلك :

لقد طمَح الطمّاح من بُعد أرضه ليُلبسنى مما يُلَبِّس أبؤسا
فلو أنّها نفس تموت سَوِيّةً ولكنّها نفسٌ تساقط أنْفُسا

(١) لم يرد هذا البيت فى غ .

فلما صار إلى بلد من بلاد الروم تُسمّى أنقرة احتُضِر بها .

فقال :

رُبّ خُطبةٍ مُسْحَنْفِرهْ   وطَعنةٍ مُثْعَنْجِره
وجَفْنةٍ مُتحَيِّره   حَلّتْ بأرض أنقره

ورأى قبر امرأة من بنات الملوك ماتت هناك فدُفنت فى سفح جبل يقال له: عَسِيب؛ فسأل عنها فأُخبر بقصّتها فقال :

أجارتَنا إن الخُطوبَ تنُوب(١)   وإنى مقيم ما أقام عَسِيب
أجارتنا إنا مقيمان(٢) هاهنا   وكُلّ غريب للغريب نَسِيب

ثم مات فدفن إلى جَنْب المرأة فقبره هناك .

قال عبد الملك بن عُمَيْر : قَدِمَ علينا عمر بن هُبَيْرة الكوفة فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وجوه أهل الكوفة فسمرنا عنده ثم قال : ليحدّثْنى كُلُّ رجل منكم أُحدوثة وابدأ أنت يا أبا عَمْرو(٣) . فقلت : أصلح الله الأمير أحديثَ الحقّ أم حديثَ الباطل ؟ قال : بل حديثَ الحق . قلت : إن امرأ القيس آلى بأَلِية: ألّا يتزوج بامرأة حتى يسألها عَن ثمانية وأربعة واثنَتين ؛ فجعل يخطب النِّساء فإذا سألهنّ عن ذلك قلن : أربعة عشر . فبينا هو يسير فى جَوْف الليل إذا هو برجل يحمل ابنةً صغيرةً له كأنها البدر فأعجبَتْه ؛ فقال : يا جارية ؛ ما ثمانية وأربعة واثنتان ؟ فقالت له : أما الثمانية فأطباء الكَلْبة . وأما الأَرْبعة فأخلافُ الناقة . وأما الاثنتان فثدْيا المرأة . فخطبها إلى أبيها فزوّجها إياه . وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك وعلى أن يَسُوق إليها مائة من الإبل وعشرة أعْبُد وعشر

(١) فى غ : إن المزار قريب .

(٢) فى غ : غريبان .

(٣) يكنى عبد الملك بن عمير أبا عمر وأبا عمرو .

وسائف وثلاثةَ أفراس، ففعل ذلك . ثم إنَّه بعث عبدا له إلى المرأة وأهدى لها حُلَّة من عَصْب ونِحْياً من سَمن ونِحْياً من عسل . فنزل العَبْدُ ببعض المِياه فَنَشَر الحُلَّة فلَبِسها فتعَلَّقت بسَمُرة[1] فانشقت ، وفتح النِّحْيين فأطعم أهلَ الماء منهما فنقَصا . ثم قدم على حَيّ المرأة وهم خُلُوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها هديتها . فقالت له : أعْلِمْ مولاكَ أن أبى ذهب يُقرِّب بعيدا ويُبَعِّد قريبا وأن أمى ذهبت تَشُقّ النَّفْسَ نَفْسَين وأن أخى ذهب يُرَاعِى الشَّمْس ، وأن سماءكم انْشقّت وأن وِعَاءيْكم نَضَبا . فقدم الغلام على مولاه فأخبره . فقال: أما قولُها: ذَهب أبى يقرِّب بعيدا ويبعد قريبا، فإن أباها ذهب يُحالف قوما على قومه. وأمَّا قولها: ذهبت أُمِّى تشقّ النفس نفسين ، فإن أمها ذهبت تَقْبَلُ[2] امرأة نُفَسَاء . وأما قولُها ذهب أخى يُرَاعِى الشمس ، فإن أخَاها فى سَرْح له يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس لِيَرُوحَ به . وأمَّا قولها: فإن سماءكم انشقت ، فإن البُرْد الذى بعثت به انشق . وأما قولها: فإن وعاءيكم نَضَبا ، فإن النحيين اللذين بعثتُ بهما نَقَصا . فاُصدُقْنِى، فقال : يا مولاى ، إنّى نزلت بماء من مياه العرب ، فسألونى عن نسبى فأخبرتُهم أنى ابنُ عمّك ، ونشرتُ الحلّة وتجمَّلْت بها فلَبِسْتُها فتعلَّقت بسَمُرَة فانشقَّت ، وفتحتُ النِّحيين فأطعمتُ منهما أهل الماء . فقال : أَوْلَى لك ! ثم ساق مِائةً من الإبل وخرج ومعه الغلام فنزل منزلا فقام الغلام يسقى الإبل فعَجَز ؛ فأعانه امرؤ القيس ؛ فرمى به الغلام فى البئر وخرج حتى أتَى[3] المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجُها . فقيل لها : قد جاء زَوْجُك . فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ! ولكن انحروا له جَزُورا وأطْعِمُوه من كَرِشها وذَنَبِها ففعلوا . فأكل ما أطعموه فقالت : أسقوه لبنا حازرا

(١) فى غ : بعشرة . والسمرة : الشوكة .

(٢) قبلت المرأة الولد : تلقته عند الولادة .

(٣) فى ت : نزل.

وهو « الحامض » فسقوه فشرب . فقالت : أفرِشُوا له عند الفَرْث والدم ، ففعلوا فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : إنى أريد أن أسألك . قال : سَلِى عما بدا لك . فقالت : مِمَّ تَخْتَلِج شَفَتَاك ؟ قال : لتَقْبِيلِى فَاكِ[1] . قالت : فلِم يَخْتَلِج كَشْحَاكَ ؟ قال : لالتزامى إيَّاكِ . قالت : مِمَّ يَخْتَلِج فَخِذَاك ؟ قال : لتورُّكِى إيَّاكِ . فقالت : عليكم العبدَ فشُدُّوا أيْدِيكم به فَفَعلوا . ومر قَوْمٌ فاستخرجوا امرأ القيس من البِئْر ؛ فرجع إلى حَيِّه فاستَاقَ مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجك ، فقالت : والله ما أَدْرِى أزوجِى هو أَمْ لَا ! ولكن انْحَروا له جَزُوراً وأطعموه من كَرِشِها وذَنَبِها ففعلوا . فلما أَتَوْه بذلك قال : وأين الكَبِدِ والسَّنَام والمَلْحَاء[2] ؟ وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبنا حَازراً . فأُتِى به فأَبَى أن يشربه وقال : أين الصَّرِيفُ[3] والرثيئة[4] ؟ فقالت : افرِشُوا له عند الفَرْث والدَّم ففرشوا له فأَبَى أَنْ يَنَام وقال : افرشوا لى فوق التَّلْعَة الحَمْرَاء ، واضْرِبوا عليها خِبَاء . ثم أرسلت إليه : هَلُمَّ شَرِيطَتِى عليك فى المَسَائل الثلاث . فقال : سلِى ما شِئْت فقالت مِمَّ تَخْتَلِج شَفَتَاك ؟ قال : لرشْفِى المُشَعْشَعَات . قالت : فلم يَخْتَلِج كَشْحَاك ؟ قال : لِلُبْسى الحِبَرَات . قالت : فلم يختلج فَخِذاك ؟ قال : لِرَكْضِى المطَهَّمات . قالت : هذا زَوْجِى لعَمْرِى ! فعليكم به ، واقتلوا العبد ، فقتلوه . ودخل امرؤ القيس بالجارية . فقال ابن هبيرة : حسبكم فلا خَيْر فى الحديث سائر الليلة بعد حَدِيثك يا أبا عمرو ؛ ولن يأتينا أعجب منه ، وأمر لى بجائزة .

---

(١) فى غ : إياك .

(٢) الملحاء : لحم فى الصلب من الكاهل إلى العجز من البعير .

(٣) الصريف : الحليب الحار ساعة ينزل من الضرع .

(٤) الرثيئة : اللبن الخاثر .

قال الخليل بن أحمد : قدم على امرئ القيس بعد مقتل أبيه رجال من قبائل العرب وكان في بني أسد مقيما وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وردا وإصداراً ، فعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناف بلده من العرب . فلما علم بمكانهم أمر بإنزالهم وتقدم بإكرامهم وأفضل عليهم واحتجب عنهم ثلاثا . فسألوا من حضرهم من رجال كندة عنه ، فقالوا : هو في شغل بإخراج ما في خزائن حجر من السلاح والعدد . فقالوا : اللهم عفوا[1] ، إنما قدمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلف ونستدرك به ما فرط ، فليبلغ ذلك عنا . فخرج إليهم في قباء وخف وعمامة سوداء والعرب لا تعتم بالسواد إلا في طلب الثارات . فلما نظروا إليه قاموا فبدر قبيصة فاعتنقه وسلم عليه الآخرون وجلس وجلسوا ، فقال قبيصة : إنك في المحل والقدر من المعرفة بتصرف الدهر وما تحدثه أيامه وتنتقل به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصرة من واعظ ولا تذكرة من مجرب . ولك من سؤدد منصبك وشرف أعراقك وكرم أصلك في العرب محتد يحمل[2] ما حمل عليه من إقالة العثرة ، ورجوع عن هفوة[3] ، ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصفح في احتمال الهفوة وإقالة النبوة ما يطول رغباتها ويستغرق طلباتها . وقد كان الذي كان من الخطب الجليل الذي عمت رزيته نزارا واليمن ، ولم تخصص بذلك كندة دوننا للشرف الباذخ وكان لحجر ذي التاج والهمة فوق الجبين الكريم وأصناف الحمد وطيب الشيم . ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا بها على مثله ببذل ذلك كله ولفديناه ولكن

---

(١) في غ : غفرا .

(٢) في غ : محتمل يحتمل .

(٣) في غ : هفوة .

مَضَى فى سبيل الله لا يَرْجِع أُولاه على أُخْرَاه ولا يَلْحَق أقصاه أدناه . فأحمدُ الحالات فى ذلك أن تعرف الواجبَ عليك فى إحدى خلال : إما اخترت من بنى أسد أشرفَها بيتا ، وأعلاها فى بناء المَكْرُمات صوتا ، فقدْنَاه إليك بِنِسْعة تذهب مع شَفَرات حُسامك ما فى قَصَرَته[1] ، فيقول رجل : امتُحِن بِهُلْك عزيزه فلم تُسَلّ سَخيمتُه إلا بتمكينه من الانتقام ؛ أو فداء بما يَرُوح على بنى أسد من نَعَمِها فهى أُلُوف تُجاوز الحِسْبَة فكان ذلك فداء رجعت به القُضُب إلى أجْفَانِها ولم تَردها بتسليط الإحن على البرآء وإمّا أن وادَعْتَنا إلى أن تَضَع الحوامل فَتَسْدِل الأُزُر وتَعْقِد الخُمُر فوقَ الرّايات . قال : فبكى ساعة ثم رفع رأسه وقال : لقد علمت العرب أنه لا كفء لحجْر فى دم ، وإنى لن أعتاض به جملا ولا ناقة أكْتَسب به سُبَّةَ الأبدَ وفَتَّ العَضُد . وأمّا النَّظِرة فقد أوجبتُها للأجِنَّة فى بطون أمَّهَاتِها ولَنْ أكُونَ لعَطَبِها سببا ، وستعرفون طلائع فتيان كِنْدة من بعد ذلك تحمل فى القلوب حَنَقاً وفوق الأسنة عَلَقا ثم قال :

إذا جالت الخيـــل فى مأزِق ... تُصَافِح فيـــه المَنَايا النفُوسا

أتقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل تنصرف بأسوأ الاختيار وأبلى الاجترار لمكروه وأذِيّة ، وحرب وبَلِيَّة . ثم نهضوا عنه وقبيصة يقول متمثلا :

لعلك أن تَسْتوخِمَ الورْد[2] إن غدت

كتائِبُنا فى مأزِق المـــوت تَمْطُرُ

---

(١) القصرة : أصل العنق . وفى غ : قصدته .

(٢) فى غ : الموت .

فقال امرؤ القيس : لا والله ولكن أستعذبه فرُوَيْداً تنفرج لك دُجَاها عن فُرسان كِندة وكَتَائِب حِمْيَر . ولقد كان ذكرُ غير هذا أَوْلى بي إذ كنت نازلا برَبْعِي ؛ ولكنك قلت فأجبتُ .

فقال قبيصة : إن ما يُتَوَقَّع فوق قدر المُعَاتَبَة والإعتاب . قال أمرؤ القيس فهو ذاك[1] .

---

(١) ق ت : كذلك .

أشهب بن رميلة

هو أشهب بنُ ثَور بن حارِثَة بن عبد الدان بن جَنْدل بن نَهْشَل بن دَارِم بن عمرو ابن تَميم .

ورُمَيلة أمه ، هي أَمةٌ لخالد بن مالك بن رِبْعى بن سَلْمَى بن جَنْدَل بن نَهْشَل ابن دَارِم .

وولدُها يزعمون أنها كانت سَبِيَّة من سَبَايَا العرب ، فولدت لثور بن حارِثة أربعة نفر ، وهم رَبَاب وحَجْنَاء ، والأشْهَب وسويد[1] وكانوا من أشدّ إخْوَة فى العرب لِسَاناً ويَدًا ، ومَنَعَةً للجانب ، وكَثُرت أموالهم فى الإسلام .

وكان أبوهم ثورٌ أبتاع رُمَيْلة فى الجاهليّة ، وولدتهم له فى الجاهليّة ، فعَزُّوا عِزًّا عَظِيما حتى كانوا إذا وردوا ماء من مياه الصَّمّان[2] حظروا على الناسَ ما يُرِيدونه منه .

وكانت لرُمَيْلَة قَطِيفة حَمْرَاء ، وكانوا يأخذون الهُدْبَ من تلك القطيفة فيُلقونه عَلَى[3] الماء ، أى قد سبقنا إلى هذا وشربنا منه ، فلا يَرِدُه أحد لعِزّهم ، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه ويَدَعُون ما يستغنُون عنه . فوردوا فى بعض السنين ماء من مياه الصَّمّان وورد معهم ناسٌ من بنى قَطَن بن نَهْشَل .

وكانت بنو قَطَن بن نهشل وبنو زيد بن نَهْشَل وبَنُو عبد مناف[4] بن دَارِم

(١) فى ت : أشهب وسويط

(٢) الصمان : جبل فى أرض تميم.

(٣) فى ت : بأعلى .

(٤) فى غ : مناف .

حُلَفَاء . وكانت الأَعْجَازُ[1] عليهم . وهم جَنْدل وجَرْوَل وصَخْر بَنُو نَهْشَل . فأورد بعضُهم بعيَره فأشرعه حوضاً قد خَطَروا عليه وبانهم ذلك فغضِبوا منه واجتمعوا وأحلافُهم ، واجتمعت الأحلافُ عليهم ، فاقتتلوا وضرب رَبَابُ بن رُمَيْلَة رأس نُسَيْر ابن صُبَيْح المعروف بأبي بَدَّال ، وأمه بنت أبي الحَكَم بن قُرَاد بن مَخْزوم . وقال رباب في ذلك :

ضربتُه[2] عَشِيَّةَ الهِلَال ... أوَّلَ يوم عُدَّ من شوَّالِ

ضرباً على رأس أبي بَدَّال ... ثُمَّتَ مــا أُبْتُ ولا أُبَالِي

ألا يؤوبَ آخرَ الليالي

فجمع كُلّ واحد منهما لصاحبه . فقالت بنو قَطَن : يا بنى جَرْول ويا بَنِي صَخْر ويا بَنِي عَبْد مَنَاف[3] ، ضرب صاحبُكم صاحبَنا ضربةً لا نَدْرِى أيموت منها أم يعيش . فأنصِفوا ، فأبى القومُ أن يَفْعَلُوا فاقتتَلُوا يومهم إلى اللَّيْل .

وكان أُبَىّ بن أشيَم أخو بنى جَرْول وهو سيدُّهم قد خرج لحاجة ، فلقيه بعض بنى قَطَن فأسَره وأَتَى به أصْحَابه . فقال نهشل بن حَرِّيّ : يا بنى قَطَن . أطيعونى اليوم واعصونى أبدا فقالوا : نعم فقال : إن هذا لم يشهد أمركم[4] ولا حَرْبَكم ولا يحل لكم دمُه ، وإن قومَه أحرُّ مَنْ يقاتلكم وشوكَتُهُم ؛ فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم وخَلُّوا سَبِيله . قالوا : افعَل ما رأيت فأتاه نَهْشل فقال له : يا أبا أسماء ، إن قومك قد حالوا بيننا وبين حقِّنا وقد قاتلونا دونه. وقد أمكننا اللهُ منْك وأنتَ والله أوْفَى دماً عندنا من بنى رُمَيْلَة ، فوالله لأقتُلَنَّك أو تُعطِيَنى ما أسألك ، قال : افعل . قال :

---

(١) فى ت : الأحجار .

(٢) فى ت : مر به .

(٣) فى غ : مناف .

(٤) فى غ : شركم .

تَصْرِف عَنّا بَنِي جَرْول ، فإن لم يطيعوك انصرفتَ بنى أَشْيَم ، فإن لم يطيعوك أتيتنا ، قال: نعم. تُخلِّى سبيلَه تحت الليل فأتاهم وهم بحيث يرى بعضُهم بَعْضًا فقال : يا بنى جَرْول انصرفوا ؛ أتَعْتَرِضُون على قوم يريدون حَقَّهم! ألا تخافون الله والله! لقد أسرَنى القوم ولو أَرَادوا قَتْلى لكان فيه وفاء بحقِّهم(١)، ولكنهم يكرهون حربَكم فلا تبغوا عليهم. فانصرف مِنهُم أكثر من سَبْعين رجلا .

فلما رأى ذلك بَنُو صَخْر وبنو جَرْول قالوا : والله إنا لنَظْلِم قومَنا إن قاتلناهم. وانصرفوا وتخاذل القومُ .

فلما رأى ذلك أشهب بن رُمَيْلة قال : ويلكم أفى ضربةِ عصا لم تصنع شَيْئًا تسفِكون دِمَاءكم ! والله ما به من بأس ، فأعطُوا قومَكم حقَّهم، فقال حجناء ورَبَاب : والله لنَنْصَرِفَنّ(٢) فنلحَقَنَّ بغيركم ولا نُعْطى ما بأَيْدِينا . فجعل الأشهب يقول : ويلكم أتخربون دار قومكم فى ضربة عصاً لم تبلغ شيئا ! فلم يزل بهم حتى جاءوا بِرَبَاب فدفعوه إلى بنى قَطَن وأخذوا منهم أبا بَدَّال ومات المَضْروب تلك الليلة ، فكتموا أمره وأرسلوا إلى عَبَّاد بن مسعود ومالك بن رِبْعِى ، ومالك بن عَوْف والقَعْقَاع بن سعيد، فعرضوا عليهم الدية فقالوا : وما الدِّيَة وصاحبنا حَىّ ! قالوا : فإن صاحبكم ليس بحىٍّ . فأَمْسَكُوا وقالوا : نَنْظُرُ . ثم جاءوا إلى رَبَاب وقالوا : أوْصِنَا بما بَدَا لك. قال دَعُونى أُصَلِّ ركعتين. قالوا صلِّ فصلَّى ثم قال: أما والله إنى إلى ربى لَذُو حَاجَة ، وما يمنعنى أن أزيد فى صلاتى إلا أن تَروا أَنّ ذلك فَرَقٌ من الموت ، فليضرِبنى رجل منكم شَدِيدُ السَّاعد حديدُ السيف . فدفعوه إلى أبى خُزَيْمة بن نُسَيْر المكنِىّ بأَبى بدَّال فضرب عنقه ودفنوه .

---

(١) فى ت : لحظكم .

(٢) فى ت : لتنصرون .

وذلك فى الفتنة بعد قَتْل عثمان . فقال الأشهب يرثى أخاه ويلوم نَفْسه فى دَفْعه إليهم لتَسْكُنَ الحربُ :

أعينَىَّ قلَّت عبرةٌ من أخيكما ... بأن تَسْهَرا اللَّيْلَ التِّمام وتَجْزَعا

وباكية تَنْعَى رَبَاباً(١) وقائلٍ ... جزَى اللهُ خيرا ما أعفَّ وأمنَعا

وأضربَ فى الهَيْجَا إذا حَمِىَ(٢) الوغى ... وأطعمَ إذْ أمْسَى المَراضيع جُوَّعا

إذا ما اعتوضنا(٣) من أخينا أخَاهم ... رَوِينا ولم نشف الغليل فينَقْعَا

قَرَوْنا دَماً والضيفُ مُنْتَظِرُ القِرَى ... ودعوةِ داعٍ قد دعانا فأسمعا

مَرَدْنَا وكانت هفوةً من حُلُومنا ... بثَدْيٍ إلى أولاد ضَمْرَةَ أقطعا

وقد لامَنِي قَوْمِى ونَفْسِى تَلُومُنى ... بما قَال رأيى(٤) فى رباب وضَيَّعَا

فلو كان قلبي من حديد أذابَه ... ولو كان من صُمِّ الصَّفَا لتصدَّعَا

---

(١) فى غ : تبكى الرباب .

(٢) فى غ : حمس .

(٣) فى غ : اعترضنا .

(٤) فى ت : رأى .

المعتَضِد بالله أحمد

هو أبُو العبّاس، أحمد بن الموفق أبى أحمد، طلحةُ بن المتوكل على الله جعفر بن المتصم أبى إسحاق محمد بن الرشيد هارون . وأمه ضرار . ولد فى ذى الحِجَّة سنة اثْنَتَيْن وأربَعِين وما ئَتَيْن .

قال عبيد الله[1] بن سليمان : دعانى المتضد يوما فقال لى : لا تعاتب بدرا على ما لا يزال يستعمله فى التخرّق فى النفقات والزّيادات والصِّلَات ! وجعل يؤكد القول علىّ فى ذلك ؛ فلم أخرج من حضرته حتى دخل عليه بدر فجعل يستأذنه فى إطلاقات مُسْرِفَة ويَسْتأْمِره فى نفقات وَاسِعَة وصلات سنيَّة وهو يأذن له فى ذلك . فلمّا خرج رأى فى وجهى إنكاراً لِماَ فعله بعد ما جرى بينى وبينه ؛ فقال لى : يا عبيد الله[1]: عرفتُ ما فى نفسك ؛ وإنى وإيّاه لكما قيل :

فى وَجْهِه شافِعٌ يمحو إساءَتهُ ... مِنَ[2] القلوب مطاعٌ حيثما شَفعَا

مُستقبَلٌ بالذى يهْوَى وإن كثُرت ... منْه الإساءة معذور بمـا[3] صنعا

وكان المُعْتَضِد يُغنِّى ، ومن جيِّد أصواتِه :

أناةً فإنْ لم تُغْن عقّب بعدها ... وَعِيدًا فإن لم يُغْنِ أغنتْ عَزائِمُه

وهذا الشعر لإبراهِيمَ بن العَبّاس وكان وَقع له فى أثناء مُكاتبَة على أنّه نثر فلما رآه شعرا أخرجه فى شعره وسنذكره فى ترجمته هنا :

---

(١) فى ت : عبد الله .

(٢) فى ت : إلى .

(٣) فى غ : مغفور لما .

إبراهيم بن العباس

هو إبراهيم بن العَبَّاس بن محمد بن صُول ، وكان صُولٌ تركيا ، فتح يزيد بن المهلّب بلده وأسلم على يده ، فهُم مَوَالِي يزيد. ولما دَعَا يزيد إلى نفسه لَحِق به صُولٌ وغيره لينصره فصادفه وقد قُتِل .

وكان يقاتل كُلَّ مَنْ بَيْنَه وبين يَزِيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه : صُولٌ يدعوكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . فبلغ ذلك يَزِيدَ بن عبد الملك ، فاغتاظ وقال : وَيْلِي على ابن الفَلْفَاء[1] ! ماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ولعله لا يَفقَه صلاته ! وكان ابنه محمد بن صُول من رجال الدَّولة العَبَّاسِية ودُعَاتِها . وقد كان بعض أهليهم ادَّعى أنهم عرب وأن العباس بن الأحنف الشاعر خَالُهم .

وكان صول وأخوه فيروز ملكين على جُرْجَان[2] [وكانا][3] تركيين تمجَّسا تَشَبُّهاً بالفرس . فلما حضر يزيد بن المهلب جُرْجَان[2] أمَّنهما ، وأسلم صول على يده ولم يزل معه حتى قُتِل يوم العَقْر . وكان محمد بن صول يكنى أبا عمارة أحدَ الدُّعَاة ، قتله عبد الله بن عليّ لما خالف مع مُقاتِل بن حكيم .

وأمَّا إبراهيم بن العَبَّاس وأخوه عبد الله فكانا من وجُوهِ الكُتَّاب ، وكان عبدُ الله أسنَّهما وأشدَّهما وأوفاهما تَقَدُّما ، وكان إبراهيمُ أحسنَهما شعراً وأدباً يقول الشعر ثم يختاره ، ويُسقط رَذْله ، ثم يُسقِط الوسَط ، ثم يُسقِط ما سُبِق إليه ، فلا يَدَع من القصيد إلا اليسير ، وربما لم يدع منها إلا بيتاً أو بَيْتَيْن .

---

(١) فى ت : القلفاء .

(٢) فى ت : حرحران .

(٣) ساقطة من ت .

فمن ذلك قوله :

ولكنّ الجوادَ أبا هِشامٍ وفىٌّ العهد مأمُون المَغيب

وهذا يدل على أنّ قبله غيره ؛ ومن شعره :

[أناةً فإن لم تُغنِ عَقَّب بعدها
وَعِيداً فإن لم يُغنِ أغنت عَزَائِمُهْ][1]

هذا البيت قاله وهو لا يعلم أنه شعر وإنما كتب رسالة إلى بعض الأطراف فقال فى فصل منها : « وإن عند أمير المؤمنين فى أمرك أناةً فإن لم تغنِ عقَّب بعدها وعيدا ، فإن لم يُغنِ أغنت عزائمه » فلما تأمّله رأى أنه شعر وأنه بيت نادر فأخرجه فى شعره .

وإبراهيم وأخوه عبدُ الله من صَنَائع ذِى الرِّيَاسَتَين ، اُتّصلا به فرفع منهما . وتنقَّل إبراهيم فى الأعمال الجليلة والدواوين إلى أن مات وهو مُتَولٍّ ديوان الضِّياع والنفقات بسُرّ مَنْ رأى فى نصف شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

وكان دِعْبِل يقول : لو تكسَّب إبراهيم بن العَبَّاس بالشِّعْر لتركنا فى غير شىء . وكان يستحسن قوله :

إن امرأً ضنّ بمعروفه عنى لمبذولٌ له عذرى
ما أَنَا بالراغب فى عُرفه إن كان لا يرغب فى شكرى

وكان إبراهيم بن العباس صديقا لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شحناء عَظِيمة لم يمكن تلافيها . وكان إبراهيم يهجوه من ذلك :

أبا جعفر خَفْ خَفْضَةً بعد رِفْعَة وقصِّر قَليلا عن مَدَى غُلَوائكا
فإنْ كان هذا اليومُ يوماً حَوَيْتَه فإنَّ رجائى فى غد كَرَجائكا

---

(١) جاء هذا البيت وما أعقبه من تعليق عليه ضمن ترجمة المعتضد فى الجزء العاشر من الأغانى طبع دار الكتب ، ص : ٤٢ .

وقال أيضاً :

دعوتُك فى بَلوى ألَمّت صروفُها   فأوقدتَ من ضِغن علىَّ سعيرَها

وإنّى إذ أدعــوك عند مُلِمّةٍ   كداعية بين(١) القبورِ نَصيرَهَا

وله فيه :

لمَّا أتانى خَــبَرُ الزّيَّات   وأنه قــد صار فِي الأمْوَات

* أيقنتُ أنّ موتَه حَيَاتِى *

ولما انحرف محمد بن عبد الملك الزيات عن إبراهيم تَحَاماه الناس أن يلقوهْ وكان الحارث بن بُسْخُنَّر صديقا له مصافيا ، فهجره مع من هجره من إخوانه .

فكتب إليه :

تغيَّر لى فيمن تغــيــر حَارِث   وكم من أخٍ قــد غيَّرتْه الحوَادِث

أحارِثُ إن شُورِكْتُ فيك فطالما   غنينا وما بينى وبينك ثَالِثُ

وله فيه :

خــــلِّ النفاق لأهـــله   وعليـــكَ فالتَمِس الطَّرِيقَا

وأُرغَبِ(٢) بنفسك أن تُرَى   إلّا عَـــدُوًّا أو صَدِيقَا

وكان عامر يهوَى مُغَنِّيةً(٣) بِسُرَّ مَنْ رأى يقال لها : سامر، فجلس يوما للشّرب ومعه إخوان له وكان مَنْ حضر من جَوَارِى القِيان ، فدعاها ، فأبطأت فتنغّص عليهم يومُهم لِما رأوا من شُغل قلبهَ بتأخُّرها ثم وافت فسُرِّى عنه وطابت نفسه وشرب وطرب . وكتب :

---

(١) فى غ : عند .

(٢) فى غ : واذهب .

(٣) فى غ : قينة .

أَلَمْ تَرَيَا(١) يومنـا إذ نـأَت فلم تَأْت من بين أَتْرَابهـا
وقد غمرتنا دَوَاعى السرور بإشعـالهـا وبإلهَـابهـا
وَمدَّت علينـا سماء النَّعيم وكُلّ المُنى تحت أَطْنَابِها
ولـمـا نأَت كيف كُنَّا لَهَا ولما دَنَت كيف صِرْنَا بِها

وأمر من قرأ عليها الأبيات فتَجَنّت وقالت : ما القصة كما وصفتَ ، ولقد كنتم فى قصْفكم مع مَنْ حضر ، وإنما تجمَّلتم لى لمَّا حضرت . فقال فيها أبياتا أخرى حتى رضيت عنه .

ومن جَيّد شِعْره وكان الأخفش يستجيدها :

أميل مع الصديق(٢) على ابن أُمِّى وأَقْضِى(٣) للصديق على الشَّقِيق
أُفَرِّق بـين معـروفى ومَنِّى وأجمع بـين مَالِى والحُقوق
وإن أَلفَيْتَنِى ملِكا(٤) مُطَـاعاً فإنك واجدى عَبْد الصَّـدِيق

كان لابراهيم بن العباس ابن قد يَفَع وتَرعْرَع وكان به مُعْجَبا فاعتلَّ عِلّة لم تَطُل ومات . فجزع عليه جزعا شديدا ، ورثاه بمَرَاثٍ كثيرة منها :

كنتَ السوادَ لمُقْلَـتِى فبـكى عليك النَّـاظِر
من شـاء بعدك فليَمُت فعليك كنتُ أحـاذر

وهب عبد الله بن العبَّاس لأَخِيه إبراهيم ثُلُثَ مَالِه ولأَخِيه(٥) الآخر الثُّلُثَ وصار مُسَاوِيا لهما .

---

(١) فى غ : ترنا .
(٢) فى غ : الذمام .
(٣) فى غ : وآخذ . . من .
(٤) فى غ : حرا . وجاء البيت الثالث مكان الثانى .
(٥) فى غ : ولأخته الثلث الآخر .

فقال إبراهيم :

ولكن عبدَ الله لَمَّا حوى الغِنَى ... وصار له من بين إخوته[1] مَالُ

رأى خَلَّةً منهم تُسَدّ بمَالِه ... فساهَمَهم حتى استوت بِهِم الحالُ

كان محمد بن عبد الملك قد وجّه بأبي الجَهْم أحمد بن سيف[2] إلى الأهواز ليكشِف إبراهيم[3] بن العباس فتحامل عليه تحاملا شديدا . فكتب إبراهيم إلى محمد يشكوه إليه ويُعرّفه أمره ويقول له : أبو الجهم كافِرٌ لا يبالى ما عمِل ، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت :

تركتَ عبيد بنى طاهرٍ ... وقد ملأوا الأرض عَرْضاً وطُولا[4]

وأقبلتَ تسعى إلى واحدى ... ضِرَاراً كأنّى قتلتُ الرسولا

فسوف أدِين بتَرْك الصَّلاة ... وأصطَبِح الخمرَ صِرْفاً شَمُولا

وكان محمد لعصبيَّته على إبراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لأبى الجَهْم وإنما إبراهيم قاله ونسبه إليه .

لمّا عُزِل إبراهيم بن العبّاس عن الأهواز فى أيام محمد بن عبد الملك الزيات اُعتُقِل بها وأوذى ، وكان محمد قَبْل الوزارة صديقَه ، وكان يؤمل أن يُسَامِحَه ويُطلِقَه . فكتب إليه :

فلو إذ نَبَا دهرٌ وأُنكِر صاحبٌ ... وسُلِّط أعداء وغاب نَصِيرُ

تكون عن[5] الأهواز دارى بنجوة ... ولكن مقاديرٌ جرت وأُمورُ

وإنى لأرجو بعد هذا مُحَمَّدا ... لأفضَلِ ما يُرْجى أخٌ ووَزِيرُ

---

(١) فى ت : إخوانه .

(٢) فى ت : يوسف .

(٣) فى ت : ليكشف على إبراهيم .

(٤) جاء هذا البيت فى غ مكان الثانى والثانى مكان الأول .

(٥) فى ت : مع .

فأقام محمد على قصده والإساءة [إليه][1] حتى بلغ منه كل مكروه ، وانفرجت الحال بينهما بعد ذلك ، وهجاه إبراهيم هجاء كثيرا وبسط لسانه فيه . فمن ذلك ما قاله فيه لما رفع الواثق يده عنه ورده إلى الحضرة مصونا :

قدرت ولم تَضْرُرْ[2] عَدُوًّا بقُدْرَة ... وسُمْت به إخوانَك الذُّلَّ والرَّغما
وكنت مليئاً بالتي[3] قد يَعافُها ... من النَّاس مَنْ يأبى الدَّنِيَّة[4] والذَّمّا

قال جَعْفَر بن رفعة : دعانى إبراهيم بن العبَّاس وقال : قد قلت فى أمير المؤمنين المتوكل بَيْتَيْن فغَنِّ فيهما وأسْمِعْهما ، ودعا لى بطِيب كثير فأعطانيه ، وخَلَع على خِلْعَة سَنِيَّة[5] فغَنَّيْتُ فيهما . وهما :

مـا واحدٌ من واحدٍ ... أولى بفضل أو مُرُوَّة
ممّن أبوه وجَدُّه[6] ... بين الخلافة والنُّبُوَّه

فأسمعتهما وغَنَّيْت بهما المتوكل فاستحسنهما ووصلنى بصلة سَنِية .

دخل إبراهيم بن العباس عَلَى عِلِى الرِّضا رضى الله عنه وقد عقد له المأمون ولاية العهد .

فأنشده قصيدته :

أزالت عَزَاءَ القلب بعدَ التَّجَلُّد ... مصـارعُ أولادِ النبى مُحَمَّد

فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التى ضربت باسمه فلم تزل عند إبراهيم وجعل منها مهور نسائه وخلّف بعضها لكفنه وجهازه وقبره .

---

(١) ساقطة من ت .
(٢) فى غ : تضرب .
(٣) فى ت : مليا بالذى .
(٤) فى غ : الدنيئة .
(٥) فى غ : سرية .
(٦) فى ت : مجد .

قال عَلِى بن يَحْيَى : بعث المتوكل إلى إبراهيم بن العباس يأْمُره أن يصف له القدورَ الإبرَاهِيمِيّة ، التى كان ابتدعها ، فكتب له صفتها ، وكتب فى آخرها فى ذِكر الأبازير « ووزن دَانِق » ونسى أن يكتب من أىّ شىء. فلما وصلت إليه الصفة اُغتاظ غيظا وقال لعَلِىٍّ : أَحْلف بحَيَاتى[1] أن تقول له ما آمرك ، ففعل . فقال : قل له : وزن دَانق من أىّ شَىْء؟ أمِن[2] بَظْر أمّك ! قال على بن يحي : فدخلتُ إليه فقلت: إنى جئتُ فى رسالة عزيز علىّ أن أؤَدّيها لك وأدّاها فقال له: ارجع إليه فقل له: يقول لك: يا سَيّدى إن علىّ بنَ يَحْيَى أخِى وصَدِيقِى فإن رأيتَ أن تجعلَ الدّانق من بَظْر أمه تَفَضّلْتَ بذَلِك ، فقال له. قبّحك الله! وأنا أىّ شىء ذَنْبِى ! فقال : قد أديتَ الرسالةَ وهذا جوابُها. فدخلتُ على المتوكل فقال : إيه ما قال لك؟ فقلت له: قبح الله ما جئتُك بِه! وأخبرتُه الجواب ؛ فضَحِك حتى فَحَص بِرجْلَيْه وجعل يَشْرَب عليه بَقِيَّة يومه. وإذا لقيتُه قال لى : ياعلىّ ، وزن دَانِق من أىّ شَىء ! فأقول: لعنة الله على إبراهيم .

كتب إبراهيم بن العباس شَفَاعَةً لرجل إلى بعض إخوانه : وإن فلاناً ممن يزْكو شكره ويحسُن ذِكْرهُ ويَعْنى[3] أمرُه ، والصَّنيعَة عنده وَاجدَة مَوْضعها[4] وسَالِكة به طَرِيقَتَها :

وأفضَلُ ما يَأْتيــه ذُو الدِّينِ والحجَا ۝ إصــابَة شكر لم يَضِع معــه أَجْر

كان عُبَيْد الله بن يَحْيَى يقول للمتوكّل : إن إبراهيم بنَ العَبّاس فَضِيلَة خبأها الله عزوجل لَكَ ، وحسنة[5] ذَخَرها لِدَوْلَتِك .

---

(١) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٢) فى ت : من بظر أمك ؟ .

(٣) بياض بالأصل والتكملة من « غ » .

(٤) فى غ : واقعة موقعها .

(٥) فى غ : وذخيرة .

دعا الحسنُ بنُ وَهْب إبراهيمَ بن العبّاس ؛ فقال له : أركَبُ وأَجيئك عشاء(١) فلا تَنْتَظِرْنى الغداة . فأبطأ عليه ، وأسرع الحسن فى شُرْبه فسكِر ونام ، فجاء إبراهيم فرآه على تِلْك الحال ، فدعا بدواة وكتب :

رُحنا إليك وقد راحت بك الرّاح وأسرعت فيك أرطَالٌ(٢) وأقداح

ونظر إبراهيم بن العباس يوماً إلى الحسَن بنِ وَهْب وهو مَخْمور فقال :

عيناكَ قد حَكَتَا(٣) مبيـــتك كيف كُنْتَ وكيف كانَا

ولرُبَّ عَيْنٍ قــد أَرتْـــك مَبيتَ صاحبها عِيَانَا

لَبِس إبراهيم بن العبّاس سِلاَحَه وقال : يا غلام هات ذلك السَّيْفَ الذى ما ضَرَّ الله تعالى به أحداً غَيْرِى .

وسأل يوما عن ابن أخيه أحمد بن عبد الله بن العباس المعروف بطماس فقيل له : إنه مشغول بطبيب ومُنَجِّم عِنْده ، وكان يَسْتَثْقِله فقال : قولوا له : مالَكَ فى النَّاس طِبٌّ ؛ ولا فى السماء نَجْم ، فما هَذَا التكَلّف !

أمر إبراهيم بن العباس أن يُجْمَع كُلّ أعور يمُرّ فى الطَّرِيق ، فلمَّا جمعوهم وأوقفوهم خرج ومعه طماس ، وقال له : كُلّهم مِثْلُك فاتْرك ذا الصَّلَف إنّه داعية(٤) إلى التّلف .

قال الحسن بن وَهْب لإبراهيم بن العبّاس: يا أبا إسْحَاق تعالَ حتى نَعُدَّ البُغَضَاء، فقال : ابدأ بِى أَوَّلا لأجل ابن أخى طماس ثم ثَنِّ بِمَنْ شِئْت .

---

(١) فى غ : عشيا .
(٢) فى غ : أوتار .
(٣) فى ت : جلتا « تحريف » .
(٤) فى ت : دل عليه « تحريف » .

كان المتوكل قدولّى ابن الـكلْبي البَرِيدَ ، وأحلفه بالطَّلَاق ألَّا يكتُمَه شيئاً من أمور النّاس ولا من أمره هو فى نَفْسِه . فـكتَب إليه يوما يخبره أنّ امرأته خرجت مع حُبَّتِها[1] فى نُزْهة وأن حُبّتها عربَدَت عليها وجَرَحَتْها فى صُدْغِها فقرأه إبراهيم بن العباس على المتوكل ثم قال له: ياأمير المؤمنين قد صحّف ابنُ الـكلبي إنما هو جرحَتْها فى سرمها فضَحِك المتوكل وقال: صدقت ماأظن القِصَّةَ إلا هـكَذَا . وأنـ الـكلبي هذا ليس من بَنِي كلب ، إنما كان أبوه يلقب « بكَلْب الرَّحْل» فقيل له: الـكلبيّ .

وكتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك الزيات : أَمَا والله لوأمنتُ ودّك لقلت ؛ ولـكنى أخاف منك عَتْبا لا تُنْصفني فيه، وأخشى من نفسى لائمةً لا تحتملها لى . وما قدِّر فهو كائن ، وعن كل حادثة أُحدُوثة . وما استبدلت بحالةٍ كنتُ فيها مغتبطا حالةً أنا فى مكروهها وألَمِها أشدّ علىّ من أَنّى فَزِعت إلى ناصرى عند ظلم لَحِقنى ، فوجدتُ مَنْ ظَلَمنى أخفَّ نيّة فى ظُلْمى منه ، وأحمدُ الله كثيرا . ثم كتب فى أسفلها :

وكنتَ أَخِي بإخاء الزَّمان ... فلما أُنتَـنى[2] صرت حَرْباً عوَانَا

وكنت أَذُم إليـك الزمَان ... فأصبحتُ فيك أَذُمُّ الزَّمَـانَا

وكنتُ أُعِدّكَ للنَّـائبَـات ... فها أنا[3] أطلب منك الأَمَانَا

قال إبراهيم بنُ المَهدى : جَرَى بين إبراهيم بن العَبّاس وبين أَخِي أحمد بن المُدَبّر كلام وكان يوَدُّنى[4] دون أَخِي ؛ فلقِيتُه فأعتذرت إليه عنه فقال : يا أبا إسحاق :

خلِّ النفاقَ لأهله ... وعليك فالتَمس الطريقا

واذهب بنفسك أن تَرى ... إلا عدوًّا أو صَديقا

---

(١) الحبة : المحبوبة .

(٢) فى غ : نبا .

(٣) فى غ : فأصبحت .

(٤) فى ت : مودى « تحريف » .

وقال إبراهيم بن العباس لأبى تَمّام وقد أنشده شعراً له فى المعتصم : يا أبا تَمّام ، أمراء الكلام رعيَّةٌ لإحسانك ، فقال له أبو تَمّام : ذاك لأَنّى أَسْتَضِيء بك وأرد شَرِيعَتَك .

قال أبو الفرج الأصبهانى : أنشدت عمِّى أبياتا لابن دُرَيد يمدح بها رجلا من البصرة :

يا مَنْ يُقَبِّل كَفَّ كُلِّ مُخَرِّق　　هَذَا ابْنُ يَحْيي ليس بالمخراق
قَبِّل أنامِلَه فلسنَ أنامِلًا　　لكنّهن مَفَاتِحُ الأرزاق

فقال لى : يا بنى هذا سرقه هو وابن الرّومى من إبراهيم بن العَبّاس يمدح الفَضْلَ ابنَ سَهل :

لفَضْل بن سهلٍ يَدٌ　　تَقَاصر عنها المُثُلُ[1]
فباطنها للنّدى　　وظاهِرُها للقُبَل
وبَسْطَتُها للغِنى　　وسطوتها للأَجَل
[من الفضل أَمْوَالُه　　ومن سائليه الأَمَل][2]

وسَرَقَه ابنُ الرُّومىّ فقال :

أصبحتُ بين خصاصة وتَحَمّل[3]　　والمرء[4] بينهما يَمُوتُ هَزِيلا
فامدد إلىَّ يداً تعوّد بطنها　　بذلَ النّوال وظَهرُها[5] التَّقْبِيلا

---

(١) فى غ : الأمل .
(٢) لم يرد هذا البيت فى غ فى هذا الخبر .
(٣) فى غ : مذلة .
(٤) فى غ : والحر .
(٥) فى غ : الندى وظهورها .

قال أبو العباس : أحمد بن يحيى ثعلب : كان إبراهيم بن العباس أشعرَ المُحْدثين ، وما روى ثعلب شعرَ كاتب قطّ غيره . وكان يستحسن كثيرا قوله :

لنا إبل كُومٌ يَضِيق بها الفضَا ... ويَفْتَر عَنهَا أرضُها وسَمَاؤُها

فمِن دونها أن تستباح دماؤنا ... ومن دوننا أن تُسْتَذَمّ(١) دِماؤُها

حِمًى وقرًى فالموتُ دُونَ مَرامِها ... فأيسر خَطْب يوم حَقّ فناؤُها

ثم يقول : والله لو كان هذا لبعض الأوائل لاستُجيد .

قال الحسن بن رجاء: لما بَنَى المأمونُ ببُوران بنتِ الحسَن بن سَهْل ، قدم إبراهيم ابن العباس علينا ودخل إلى الحسَن بن سهل فأنشده :

ليهنِك إصهارٌ أذلّتَ بعِزه ... خدودًا وجدّعتَ الأُنوفَ الرّوَاغِما

جمعتَ به الشملَين من آل هَاشِم ... وحُزتَ(٢) به للأكرمينَ الأكارما

بَنُوكَ غدًا(٣) آلُ النبي وَوَارِثُو الْـ ... خلافة والحاوُون كِسْرَى وهَاشِما

فقال الحسن بن سهل : « شِنْشِنَة أعرِفُها من أَخْزَم » أى إنك لم تزل تمدحنا ، وقال : أحسن الله جزَاءكَ يا أبا إسحاق ؛ فما الكثير من فعلنا بك بجزاء لليسير من حقك .

وقال إبراهيم بن العباس فى قَيْنة كان يهوَاها :

وعلمتِنِى كيفَ الهوَى وجهِلْته ... وعلّمكم صَبْرِى على ظُلْمِكم ظُلْمِى

وأعلَمَ مَالِى عندكم فيردّنى ... هَوَاى إلى جَهْلى(٤) فأرجعُ(٥) عَنْ عِلْمِى

(١) فى غ : تستباح .

(٢) فى ت : وجدت « تحريف » .

(٣) كذا فى الديوان . وفى الأصل : « غدوا » .

(٤) فى غ : جهل .

(٥) فى غ : فأقصر .

قال عُبَيْدُ الله بن عبد الله بن طاهر : لا أعلم لقديم ولا لمُحْدَث فى قِصَر الليل أحسن من قول إبراهيم بن العَبَّاس :

وليلة من الليـالى الزُّهْر   قابلتُ فيها بدرَهـا ببدْرِ
لم تكُ غـير شفَق وفَجْر   حتى تولَّت وهى بِكْر الدَّهْرِ

كان إبراهيم بن العَبَّاس يوما عند أحمد بن أبى دُوَاد ، فلما خرج من عنده لَقِيه محمد بن عبد الملك الزَّيَّات وهو خارج من عنده ، فتبين إبراهيمُ فى وجه محمد الغَضَب فلم يخاطبه فى العاجل بشىء .

فلما انصرف إلى منزله كتب إليه :

دَعْنِى أُوَاصِـل مَنْ قَطَعْـ   ـتَ يراكَ بى إذ لا يَرَاكا
إنِّى مَتى أَهْـجُر بِهَجْـ   ـرِكَ لا أضرّ به[1] سواكا
فإذا قطعتُك فى أَخِيـ   ـك قطعتُ فيك غدا أخاكا
حـتى أرى مُتَقَسَّما   يوماً لِذَا وغـدا لِذَاكا[2]

قال أبو العيناء : كنتُ عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتابا فنقَّط من القَلَم نقطةً مُفْسِدَةً فمسحها بكُمِّه ؛ فَعَجِبت منه فقال : لا تَعْجَب ، المـال فرع ، والقَلَم أَصْل ، ومن هذا السَّواد جاءت هـذه الثِّياب[3] ، والأصل أحوجُ إلى المراعاة من الفرع . ثم فكّر قليلا وقال :

إذا ما الفكر ولَّد حُسْنَ لفظ   وأسلَمه الوجود إلى العِيـانِ
ووشَّـاه فنَمْنَمَه مُسِـدّ[4]   فصيحٌ فى المقال بـلا لِسَان
ترى حُلَل البيان مُنَشَّرات   تجلَّى بينها صُوَرُ[5] المَعَانِى

(١) فى ت : لا أعزيه .
(٢) فى غ : يومى .. وغدى .
(٣) فى ت : جاء هذا البياض .
(٤) فى معجم الأدباء ١٨١/١ : بيان . والمسد : مصيب السداد .
(٥) فى معجم الأدباء : حلل .

لمّا عزم المأمونُ على الفتك بالفَضْل بن سهل ، وندب له عبدَ العزيز بن عمران الطائى ، ومؤنسا وسراجا الخادم وغيرهم ونمى الخبَرُ إلى الفضل ، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه . فلمّا قُتِل الفضل وقَتَلَ المأمون قَتَلَتَه ، سأل : من أين سَقَط الخبر إلى الفضل ؟ فعرف المأمون أنه من جهة إبراهيم بن العبّاس فطلبه فاستتَر . وكان إبراهيم عرَف هذا الخــبر من جهة عبد العزيز بن عِمران ، وكان الفضل اُستكتب إبراهيم لعبد العزيز بن عمران ، فأخبر به الفضل . وتَحَمَّل إبراهيم عن المأمون وجَرَّدَ فى أمره هشاما الخطيبَ المعروف بالعباسِى وكان جريئا على المأمون لأنه رباه ، وشخَص إليه إلى خُراسان فى فتنة إبراهيم بن المهدى ، فلم يُجِبْه إلى ما سأله فيه . فلقيه إبراهيم مستَتِراً وسأله عمّا عَمِل فى حاجته . فقال له هشام : قد وعدنى فى حاجتك بما تُحِب . فقال له إبراهيم : أظن الأمرَ على غير هذا ؛ قال : وما تظن ؟ قال : محلُّك عند أمير المؤمنين أجَلُّ من أن يَعِدَكَ شيئا فترضى بتأخيره ، وهو أكرمُ مِنْ أن يَعِد مثلَك شيئا فيؤخِّرَه عنك ، لـكن سمعت مالا تحب أن تغُمَّنى به فقلتَ لى هذا القَوْل ، وأحسنَ الله على كُلِّ الأحوال جَزَاءكَ ، فمضى هِشام إلى المأمون فعرَّفه خبر إبراهيم فعَجِب من فِطْنَته وعَفَا عنه . وفى هشام يقول إبراهيم بن العباس :

مَنْ كانت الأموالُ ذُخراً له ... فإنّ ذُخْرى أملى فى هشـام
فـتًى نَفَى(١) اللّامةَ عن عِرْضِه ... وأنهبَ المالَ قَضَاءَ الذِّمـام

دَخَل إبراهيم بن العبّاس على الفَضْل بن سَهْل فاستأذنه فى الإنْشاد ، فقـال: هات ، فأنشده :

يَقْضِى(٢) الأمــورَ على بديهته ... وتُريه فـكرتُه عَواقِبَهـا

---

(١) فى غ : يقى .
(٢) فى غ : يمضى .

فيظَلّ يُصْدِرُهـا ويُورِدُهـا فيعُمّ حاضِرَهـا وغائِبَهـا
وإذا ألمّت صعبةٌ عظُمت فيها الرزِيَّة كان صاحِبَهـا
المستقِل بها وقـد رَسَبَت ولوت عـلى الأيَّام جانِبَهـا
وعَـدَلْتها بالحق فاُعتدَلَت ووَسِمْت رَاغِبَهـا وراهِبَهـا
وإذا الحروبُ غلت بعثْتَ لها رأيا تَفُلُّ بـه كَتائِبَهـا
رأياً إذا نَبَتِ السيوفُ مضى عزمٌ بها فَشَفَى(١) مَضَارِبَهـا

ومما قاله فيه أيضا :

فلو كانَ للشُّكْرِ شخصٌ يَبِين إذَا ما تأمّـله النَّاظـر
لمثلتُـه لك حتَّى تراه فتعـلم أنّى امرؤ شاكِر

ومن شعر إبراهيم بن العباس فى أحْمَد بن المُدَبِّر وقد جاءه بعد خلاصه من النكبة مُهَنِّئا ، وكان اُستعان به فى أمر نكبته فقَعد عنه ، وبلغه أنه كان يحرِّض عليه ابنَ الزّيّات :

وكنتَ أَخِى بالدّهر حتَّى إذا نَبا نَبوتَ فلمَّا عادَ عُدْتَ مع الدّهر
فلا يومَ إقبال نَجِد بك طَائِلًا ولا يوم إدبار عددتُك من وِتْر
وما كنت إلا مثلَ أَحلام نَائِم كلا حالَتَيْـك من وَفَاء ومن غَدْر

لما عقد المتوكّل لوُلَاةِ العُهود من وَلَده ركب بسُرّ مَنْ رَأى رَكْبةً لم يُرَ أحسنُ منها ، وركب ولاةُ العهود بين يديه ، والأتراكُ بين أيديهم وأولادُهم يمشون بين يَدَى المُتوكّل بمَنَاطِق الذهب ، وفى أيديهم الأطبَار(٢) المُذَهّبة ثم نزل فى الماء وجلس فيه

---

(١) فى ت : عزم به يشفى .
(٢) أنواع من السلاح . وفى غ : الطبر : زينات .

والجيش معه من الجانبين وسائر السفن ، وجاء حتى نزل فى القصر الذى يقال له: العروس ، وأذن للناس. فدخلوا فلما تكاملوا بين يديه ، مثل إبراهيم بن العباس بين الصفين وأنشد :

ولمّا بَدَا جعفر فى الخميـ ـس بين المطلّ[1] وبين العروس
بَدَا لابساً بهما حُـلّةً أزيلت بها طالعاتُ النُّحُوس
ولمَا بَدَا بـين أحبـابه وُلاَةِ العُهود وعزِّ النفوس
بَدَا[2] قمراً بـين أقْمَارِه وشمساً مُكَلّلة بالشموس
لإيقَادِ نارٍ وإطفـائِها ويومِ أنيقٍ ويومٍ عَبُوس

وأقبل على ولاة العهود فقال :

أضحت عُرَى الإسلام وهى مَنُوطةٌ بالنَّصر والإعزازِ والتَّأْييـد
بخليفـة من هاشمٍ وثلاثةٍ كَنَفُوا الخلافةَ من وُلاَةِ عُهُودِ
قمـرٌ توافَتْ حوله أقمارُه فحَفَفْنَ مطلع سـعده بسعود
رفعتهم الأيّام وارتفعت بهم[3] فسمَوا بأكرم أنفُسٍ وجُـدُود

فأمر له المتوكل بمائة ألف درهم وأمر له ولاة العهود بمثلها .

اجتمع هارون بن محمد بن عبدالملك الزيات وابن بُرد الخَبّاز[4] فى مجلس عُبَيْد الله ابن سليمان قبل وِزَارته ، فجعل هارون ينشد من محاسن شعر أبيه ويُفضّله ويُقدّمه . فقال ابن بُرْد الخَبّاز[4] : إن كان لأبيك مثلُ قول إبراهيم بن العبّاس :

---

(١) فى ت : المطفل « تحريف ».

(٢) فى غ : غدا .

(٣) فى غ : وارتفعوا به .

(٤) كذا فى معجم الأدباء ١ / ١٨٣ . وفى غ : الحيار . وفى ت : الحبار، وكلاهما تحريف.

أسدٌ ضارٍ إذا هيّجته ... وأبٌ برٌّ إذا ما قدرا
يَعْرِف الأبعد إن أثْرى ولا ... يَعرِف الأدْنَى إذا ما افتقرا

ومثل قوله :

تلج السنون بيوتَهم وترى لهم[1] ... عن جار بيتهم ازورارَ مَناكِب
وتَرامم بسُيُوفهم وشِفَارِهم ... مُسْتَشْرِفين لِرَاغِبٍ أو رَاهِب
حَامِين أو قَارِين حيث لَقِيتَهم ... نَهْبَ العُفَاة ونُهْرَةً[2] لِلرّاغِبِ

فاذْكُرْهُ وفاخِرْ به وإلا فأقْلِلْ من التطاول والافتخار بما لا طائل فيه ؛ فخَجِل هارون وسَكَت .

(١) فى ت : لها . وفى غ ومعجم الأدباء : لهم .
(٢) كذا فى ت وغ . وفى معجم الأدباء : نزهة.

إبراهيم بن المهدى

كنيته أبو إسحاق . وأمه مولّدة اسمها شَكْلَة . أبوها من أصحاب المَازِيَار ، يقال له : شاه أَفْرند ، قُتل مع المَازِيَار وسُبِيَتْ شَكْلة ، وحملت إلى المنصور فوهبها لمُحَيَّاةَ أمّ ولده فربّتْها وبعثت بها إلى الطائف فنشأت هناك فلما كبرت رُدَّت إليها. فرآها المَهْدِى عندها فأعجبَتْه ، فطلَبها من مُحيَّاة فأعطتْه إيَّاها فولدت منه إبراهيم .

وكان إبراهيمُ رجلا فَهِما عاقلًا أَدِيباً شاعراً رَاوِيةً للشِّعر وأيَّام العرب خطيباً فَصِيحاً حسن العَارِضَة .

وكان إسحاق المَوْصِلى يقول : ما ولد العبّاس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن عباس أفضلَ من إبراهيم بن المهدى ، فقيل له : مع ما تَبَذَّل به من الغِنَاء ؟ فقال : وهل تَمَّ فضله إلا بذلك !

وكان إبراهيم أشدَّ خَلْق الله إعظَاماً للغِناء ، وأحرصَهم عليه ، وأشدَّهم منافسة فيه . وكانت صنعتُه إذَا صنعها ينسبها إلى شارِيَة ورَيِّق ، لئلا يقع عليه طعن أو تقريع ، فقلّت صنعتُه فى أيْدِى النَّاس مع كثرتها . وكان إذا قيل له فيها شَىْء يقول : إنما أصنع تَطَرُّباً لا تَكَسُّبا ، وأُغَنِّى لنفْسِى لا لِلنَّاس فأعمل ما أشْتَهى . وكان حسنُ صوتِه يستُر عَوَارَ ذلك .

وكان النَّاس يقولون : لم يُرَ فى جاهلية ولا إسلام أُخْتٌ وأَخٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدى وأخته عُلَيَّة .

وكان يناظر(١) إسحاق ويُجَادِله ، فلا يقوم له ولا يَفِى به ، ولا يَزال إسحاق

---

(١) فى غ : يغاظ أى ينازع .

يغلبه ويُغصّه بريقه ويَنْضّ منه ويظهر عليه السَّقَطات ويُبَيِّن خطأه وعجزه عن معرفة الخطأ الغامض إذا مَرّ به ؟ وقصورَه عن أداء الغِناء القَدِيم فيفضَحه بذلك .

وكانت بينهما مُنَازَعات لا تنقَطع ، وكانا يُجْرِيان كلّ قبيح ، وماتا على هذه الصورة من المُنَازَعَات والمُنَاظَرَات .

ولو شَرَحْتُ أخبارَ إبراهيم بن المَهْدِى لَمَّا وَلِىَ الخلافة وذكرتُ صفاتِه فى فصاحَة اللِّسَان، وحسن البيان ، وجَوْدَةِ الشِّعر ، ورِوَاية العلم ، والمعرفة بالجدَل ، وجَزَالة الرَّأى ، والتَّصرّف فى الفِقْه واللغة ، وسائر الآداب والعلوم الجليلة ، والأدوات الرَّفيعة لطال الأمر .

وكان يقول : لولا أنِّى أرفعُ نَفْسِى عن هذه الصِّنَاعة لأظهرتُ فيها ما يعلم الناس معه أنهم لم يرَوْا قَبْلِى مثلى .

وكان فى أول أمره لا يفعل ذلك إلا على حال تَصَوُّن عنه وترفُّع ، إلّا أن يدعوَه إليه الرشيدُ إليه فى خلوة والأمينُ بعدَه .

فلما أمَّنه المأمونُ تَهتَّك بالغِنَاء وشُرْبِ النَّبِيذ بحَضْرته وخرج من عنده ليلا مع المُغنِّين خوفا وإظهاراً له أنه خلع رِبْقَةَ الخلافة من عُنُقه وهتك سِتْره فيها حتى لا يصلُح لها .

وهو أول من أفسد الغِنَاء القديمَ وجعل للناس جسارة على تَغْيِيره ، والناس صِنْفَان : مَنْ كان على مذهب إسحاق وأصحابه ممّن كان يُنكر تغييرَ الغناء القَدِيم فهو يُغَنِّى القديمَ على هَيْئته ، ومن أخذ مذهب إبراهيم بن المهدى واقتدى به كمُخَارق وغيرِه فإنه يغنى الغِنَاء القَدِيم كما يَشْتَهى هو ، لا كما غَنَّاه من يُنْسَب إليه ، ويجد على ذلك مساعدين ممن يشتهى أن يَقْرُب عليه مأخذ الغِنَاء ، ويكره

ما تقِل ، وكثرت أجزاؤه[1] ، ويستطيل الزمانَ فى أَخْذ الغِناء الجيد على جهته لقصور معرفته .

قال أبو الفرج الأصبهانى فى أصله : وعلى أن الجميع من الصَّحِيح والمُغيَّر قد انقضى فى وقتنا هذا .

قال إبراهيم بن المهدى : دخلت يوما على الرشيد وبى فَضْلَة خُمار ، وبين يديه ابنُ جَامِع وإبراهيم الموصلى ، فقال : بحياتى يا إبراهيم غَنِّ . فأخذت العُودَ ولم ألتفت إليهما لما فى رأسى من الخُمار وغَنَّيْت :

أسرَى بخالدةَ الخيالُ ولا أرَى ... شيئاً ألذَّ من الخيالِ الطارقِ
إنّ البليَّةَ مَنْ تَمَل حديثَه ... فانقع فؤادَكَ من حديث الوامقِ
أهْوَاكِ فوق هوى النفوس ولم يزَل ... مـذ بِنْتِ قلبى كالجناح الخافق
شوقا[2] إليكِ ولم تُجازى مَودَّتى[3] ... ليس المُكَذِّب كالحبيبِ الصَّادق

فسمعتُ إبراهيم يقول لابْن جَامِع : لو طلَب هذا بهذا الغناء ما تَطْلُب لما أكَلْنَا خبزا أبدا . فقال ابن جامع : صدقتَ . فلما فرغت من غنائى وضعتُ العود ثم قلتُ : خذا فى حقكما ودَعا باطلَنا .

قال هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المَهْدِى : كان الرشيد يحب أن يسمع أبى فخلا به مرّات إلى أنْ سَمِعه . قال إبراهيم : فحضرتُه يوما وعنده سُلَيْمان بن أبى جَعْفر فقال لى : عَمُّك وسيّد ولد المنصور بعد أبيك وقد أَحَبَّ أن يسمعَك ؛ فلم يتركنى حتى غَنَّيت بين يديه للأَحْوَص :

(١) فى غ : وتقلت أدواره .
(٢) فى غ : طربا .
(٣) فى غ : ولم تبالى حاجتى .

سَقياً لربعك مِنْ ربع بذى سَلَم ... وللزّمان به إذ ذاك من زمن
إذ أنتِ فينا لمَن ينهاك عاصيةٌ ... وإذ أُجُرُّ إليكم سادِراً رسَنِى

فأمر لى بألف ألف درهم ، ثم قال لى ليلة ولم يَبْق فى المجلس عنده إلّا جعفرُ ابن يحيى : إنى أُحِب أن تُشرِّف جعفراً بأن تُغنيَه صوتا ، فغَنَّيْته لِلدَّارِى :

كأنَّ صورتَها فى الوصف إذ وُصِفت ... دينارُ عَيْن من المضروبة[1] العُتقِ
أو دُرَّةٌ أعيت الغوّاص فى صَـدَف ... أو ذَهَبٌ[2] صاغه الصَّوّاغُ من وَرِقِ

فأمر لى الرّشيد بألف ألف درهم .

قال محمد الحارث بن بُسْخُنَّر[3] : لمّا قدم المأمون من خُراسان لم يظهر لمُغَنّ بمدينة السلام غيرى ، فكنت أُنَادِمه سِرًّا ، ولا يظهر للنّدماء أربع سنين ، حتى ظَفِر بابن المهدى فلَمَّا ظفر به وعفا عنه ظهر للنُّدَماء ثم جمعنا ؛ ووجَّه إلى إبراهيم فحضر فى ثِيَاب بِذْلة[4] ، فلما رآه المأمون قال : أَلْقَى عَمِّى رداء الكِبْر عن مَنْكِبيه ، ثم أمر له بِخِلَع فاخرة وقال : غَدُّوا عَمّى ؛ فتغدّى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحوّل إلينا وكان مُخَارِق حاضرا فغَنَّى مخارق :

هـذا ورُبّ مسوّفِين صَبَحْتُهم ... من خمر بيابل لذّة للشارب
بَـكَرُوا علىّ بسُحْرةٍ فصبحتهم ... بإناء ذى كَرَم كقَعْب الحالِبِ
بزجاجة مِـلْء اليدين كأنّها ... قِنديل فِصْحٍ[5] فى كَنِيسَةِ رَاهِبِ

فقال له إبراهيم : أسأت فأعِدْ ؛ فأعادَ فقال : قاربتَ ولم تُصِب . فقال له المأمون :

---

(١) فى غ : المصرية .
(٢) بياض بالأصل والتكملة من غ .
(٣) فى ت محبر « تحريف » .
(٤) البذلة من الثياب مايلبس كل يوم .
(٥) الفصح : عيد النصارى .

إن كان أساء فأحسِن أنت . فغنّاه إبراهيم ثم قال لمخارق : غَنِّه فغنّاه. فقال : أحسنت ثم قال للمأمون : كم بين الأمرَيْن ؟ قال: كثير . فقال لمخارق : إنّما مَثَلُك مثل الثوب الفاخِر إذا غفَل عنه أهلُه وقع عليه التراب فأحال لونَه ، فإذا نُفِض عاد إلى جوهره . قال: ثم غَنّى إبراهيم :

يا صاحِ يا ذا الضَّامِر العَنْسِ والرَّحْل ذِي الأقْتَاد والحِلْسِ (١)

قال مخارق : وكانت لى جائزة قد خرجتْ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين يأمر سيِّدى بإلقاء هذا الصوت عليَّ مكان جائزتى فهو أحبُّ إليَّ منها. فقال : يا عمِّ ألقِ هذا الصوتَ على مخارق، فألقاه عليّ حتى إذا كدت أن آخذه قال : اذهب فأنت أحذق الناس به. فقلت: إنه لم يصلح بعد. فقال : فاغد على. فغدوت عليه فغناه مُتَلَوِّياً. فقلت : أيها الأمير ، لك فى الخلافة ما ليس لأحد ، أنت ابن خليفة وأخو خليفة وعم خليفة تَجُودُ بالرَّغائب وتَبْخَل عليّ بصوت . فقال لى : ما أَحْمَقك! إنّ المأمونَ لم يستبقنى مَحَبَّة لى ولا صلة لرَحِمِي ولا رِياءً للمعروف عندى ، ولكنه سمع منى هذا الجِرْم(٢) ولم يسمعه من غيرى. قال : فأعلمتُ المأمون مقالتَه. قال : فإنّا لا نكدِّر على أبى إسحاق عفونا عنه، فدعه .

فلما كانت أيام المعتصم نَشِط يوما للصَّبُوح فقال : أَحْضِروا عمِّى فجاء فى دُرَّاعة بغير طَيْلَسَان فأعلمتُ المعتصم خبر الصوت سِرًّا . فقال: يا عمِّ غن :

يا صاحِ يا ذَا الضامِر العَنْسِ

فغنّاه فقال : ألقِه على مخارق. فقال : قد سبق مِنِّى قولٌ فى هذا؛ ثم كان يَتَجَنَّب أن يغنّيه حيث أَحْضُر .

---

(١) فى ت : ذى الأفناء والخيس . « تحريف » .

(٢) الجرم : الصوت .

وكان إبراهيمُ بن المهدى أحسنَ الإنس والجن والوَحْش والطَّير صَوْتاً .

قالت أسماء بنتُ المَهْدى : قلت لأخى إبراهيم : أشتهى أن أسمع من غنائك شيئا ، فقال : إذًا يا أختى لا تَسْمَعين مثلَه وعلىَّ وعلىَّ وأغلَظ فى اليمين إن لم يكن إبليسُ ظَهَرَ لى وعلّمنى النَّقْر والنَّغَم وصافَحَنى وقال لى : اذهب فأنت مِنِّى وأنا مِنْك .

قال إبراهيم بن المَهْدِى : غَضِب علىَّ الأمين فى بعض هَنَاته فسلّمنى إلى كَوْثَر[1] فحبَسَنِى فى سرْداب وأغلقه علىّ فمكثت فيه لياتى . فلمّا أصبحتُ إذا أنا بشَيْخ خرج علىّ من زاوية السِّرْداب فدفع إلىَّ وسَطاً فقال : كلْ فأكلتُ ، ثم أخرج قِنِّينَة شراب فقال : اشرَب فشربتُ ثم قال لى : غنِ :

لى مدّة لا بد أبلُغها معلومَةً فإذا انقَضَت مُتّ
لو ساورتنى الأُسْدُ ضَارِيَةً لغلبتُها ما لم يَجِ الوَقْتُ

فغنَّيْته وسَمع كوثَر فصار إلى محمد فقال : قد جُنَّ عمك هو جالس يغَنِّى بكيت وكيت ، فأمر بإحضارى فأخبرته القِصّة فعجب من ذلك ، وأَمَرَ لى بسبع مائة ألف درهم ورَضِىَ عنِّى .

قال أحمدُ بن أَبى دُواد : كنتُ أعيب الغِناء وأطعَن على أهله فخرج المعتصم يوما إلى الشَّمَّاسِيَّة فى حَرَّاقة يَشرب ، ووجَّه فى طلبى فصرت إليه ؛ فلما قرُبت منه سمعت غناء حَيَّرنى وشَغَلَنى عن كل شىء ، فسقط سَوْطى من يَدِى ؛ فالتفتّ إلى غلامى أطلب منه سَوْطاً فقال لى : والله سَقَط منى سَوْطى. فقلت له : وما سبب سقوطه ؟ قال : صوت سمعتُه حَيَّرنى ، فما علمت كيف سقَط ؛ فإذا قِصَّتُه قِصَّتى. قال : وكنت أنكر أمر الطَّرَب على الغناء ومايَسْتَفِزّ الناسَ منه فيغلِب على عقولهم ، وأُناظِر المُعْتَصِم عليه[2]. فلمّا دخلتُ عليه يومئذ أعلمتهُ بالخبر ؛ فضَحك وقال: هذا عمى كان يُغَنِّينى:

---

(١) كوثر : خادم محمد الأمين .

(٢) فى غ : فيه .

إنَّ هذا الطويلَ من آلِ حَفْصٍ   نَشَرَ المَجْدَ بَعْدَ مـا كان مَـاتَا

فإن تُبْتَ مما كنتَ تُنَاظِرِ عَلَيْه مِنْ ذمِّ الغناء سألته أن يعيده . ففعلتُ وفعل . فبلغ بِى الطَّرَبُ أكثر مما يبلغه غيرى ؛ ورجعت عن رأيى فى الغناء مُنذُ ذلك اليَوْم .

وقال المُعْتصِمِ لإبراهيم : أما إذا كانت توبَتُه على يدك فلقد فُزْتَ بفخْرٍ وعدلت برجل ضَخْم عن رَأْيِه إلَى شَأْننا .

قال عبدُ الله بن العَبَّاس الرَّبيعى : كنا عند إبراهيم بن المَهْدِى ذاتَ يوم وقد دعا كل مُحْسِن من المغنِّين وهو جالس يلعب بالشِّطْرَنْجِ فترنَّم إبراهيم بصوت فَرِيدة فى شعر أبى العَتَاهِيَة :

قال لِى أحمدٌ ولم يَدْرِ مَا بى   أَتُحِبُّ الغَــداةَ عُتْبَةَ حَقّا

فتنفّستُ ثم قلتُ نعَمْ حُبًّـ   ـا جرى فى العروق عِرْقًا فعِرْقا

ما لدمعى عَدِمتهُ ليس يرقا   إنَّما يَسْتَهِلّ غَسْقًا فَغَسْقَا

وهو متّــكىء . فلما فَرَغ ترنم به مُخَارِق فأحسن فيه وأطربَ وزاد على إبراهيم ، فغَنَّاه إبراهيم وزاد فى صوته فغنّى على غِناء مُخَارِق . فلمّا فرغ رَدَّه مُخَارِق وغَنَّاه بصوته كُلّه وتحفَّظ فيه فكِدنا نَطير سُرُورا . فاستوَى إبراهيمُ جالِسا وغَنَّاه بصوته كُلِّه ووفّاه نَغَمَه وشُذُورَه ، ونظرتُ إلى كَتِفَيْه تَهْتَزّان وبَدَنُه أجمع يتحرَّك إلى أن فَرَغ منه ، ومُخَارِق شَاخِص نحوه يُرْعَد ، وقد امتقع لونُه وأصابعه تَخْتَلِج ؛ فَخُيِّلَ لى أن الإيوان يَسِير بنا . فلمَّا فرغ تقدم إليه مُخَارِق فقبَّل يده وقال : جَعَلَنى الله فداكَ أَيْنَ أنا منك ! ثم لم يَنْتَفع مُخَارِق بنفسه بَقِيّة يَوْمه فى غنائه . والله لكأنما كان يتحدَّث .

قال مَنْصور بن المَهْدِى : كنتُ عند أخى إبراهيم فى يوم كانت عليه فيه نوْبة لمُحَمَّد الأَمِين فتَشَاغل بالشُّرْب فى بيته ولم يمض ، وأرسل إليه عِدَّة رُسُل فتأخَّر

فلمّا كان من غدٍ قال لى إبراهيم : ينبغى أنْ نعمَل على الرّواح إلى أمير المؤمنين فنترضّاه ؛ فما أشكّ فى غضَبه علينا . فمضَيْنا فسألنا عن خبره ، فأُعْلِمْنا أنّه مشرف على الوَحْشِ[١] وهو مخمور ، وكان مِنْ عادَته ألّا يشرب إذا لحقه الُخمار فدخلنا ، وكان طريقنا على حُجرة تُعْمَل[٢] فيها المَلَاهى . فقال لى أخى : اُذهب فاخْتَر منها عُوداً ترضَاه وأصلِحْه غايةَ الإصلاح حتى لا تَحْتَاج إلى إصلاحه وتَغْيِيره عنـد الضَّرْب به ، ففعلتُ وجعلتهُ فى كُمّى . ودخلنا على الأمِين وظهرُه إلينا . فلمّا بَصُرنا به من بُعد قال : أخرج عودَك. فأخرجته واندفع يغنى :

وكأسٍ شَرِبت على لذَّة ... وأُخْرى تداويتُ منها بِها

لـكى يعلَم الناسُ أنى امرؤ ... أتيتُ الفتُوَّة من بابِها

وشاهدُنا الورد[٣] والياسَمِـ ... ـينُ والمُسْمِعات بقُصّابِها

وبَرْبَطُنا دائم مُعْمَـــلٌ ... فأىُّ الثّلاثةِ أزرى بها

فاُستوى الأمين جالسا وطَرِب طَرَباً شديداً وقال : أحسنت والله يا عَمِّ ، وأَحْيَيْتَ لِي طرباً ، ودعا برطل فشربه على الرّيق واُمتد فى شُرْبه ، وغَـنَّى إبراهيم يومئذ على أشَدِّ طبقة يُتَناهى إليها فى العُودِ ، وما سمعتُ مثـل غنائه يومئذ قطّ . ولقد كان إذا غَـنَّى أصغَتِ الوحوش إليه ومدَّت أعناقَها ، ولم تزل تَدْنُو منا حتى تـكاد تَضَع رءوسها على الدَّكّة[٤] التى كُنَّا عليها ، فإذا سكت نفَرَت وبعُدَت إلى أبعد غَايَة يمكنها التباعد عَنّا . وجعل الأمِينُ يعجبُ من ذلك ، واُنصرفنا ومعنا من الجوائز ما لم ننصرف بمثلها قطّ .

---

(١) فى غ : حير الوحش . والحير : الحظيرة والبستان .

(٢) فى غ : تصنع .

(٣) فى غ : الجلل .

(٤) فى غ : الدكان .

قال محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر(١) : وجَّه إلىَّ إبراهيم بن المهدى يدعونى ، وذلك فى أوّل خلافة المُعتصِم ، فصرت إليه وهو جالس وَحْدَه وجَارِيَتُه شَارِية خلف السِّتارة ، فقال : إنِّى قد قلت شعراً وغَنَّيْتُ فيه ، وطَرَحْتُه على شَارِية فأخذتْه وزعمت أنها أحذقُ بِهِ مِنِّى ، وأنا أقول : إنِّى أحذَقُ به منها ، وقد تَرَاضَيْنَا بحكمك بَيْنَنا لمَوْضِعك من هذه الصِّنَاعة فاسْمَعْه مِنِّى ومنها وأحكم ولا تَعْجَلْ حتى تَسْمَعَه ثَلاثَ مَرّات. فقلت : نعم . هات فَغَنَّى :

أَضَنُّ بلَيْلَى وهى غـير سَخِيَّة ... وتَبْخَلُ لَيْـلَى بالهوَى وأَجُودُ
[أُلَام فلا أُصْغِى إلى قول عَاذِل ... وأعلم أَنِّى مُخْطِىء وأَعُـود](٢)

فأحسن وأَجَاد ثم قال لها : تَغَنَّىْ ، فغنَّته فبرّزت فيه ، ونظر إلىَّ فعرف أَنِّى قد عرفت فضلَها عليه فقال : أمسك ، وتحدَّثْنَا ساعة ، وشَرِبنا ، ثم اندفع فغنَّاه ثانية فأضعفَ فى الإحْسَان ، ثم قال لها : تَغَنَّىْ فغنت فبرعَت وزادت أَضْعافَ زِيَادَته ، فكدت أَشُقّ ثِيَابى طَرَباً . فقال لى : تثبَّتْ ولا تَعْجَل . ثم غَنَّاه ثالثة فلم يُبْقِ غاية فى الإحْكام . ثم أمرها فغَنَّت فكأنَّه إنَّما كان يَلْعَبُ . فقال لى : قل فقضيتُ لهَا . فقال : أصبتَ ، فكم تساوى عنـدك الآن ؟ فحَمَلَنى الحسدُ له عليها والنَّفَاسَة بمثلها أن قلْت : تُسَاوِى مائة أَلْف دِرْهم . فقال : أَوَ ما تُسَاوِى على هذا الإحسان وهذا التَّفْضِيل إلّا مِائَة ألف دِرْهم ! قبَّح اللهُ رأيَك ! والله ما أَجد شيئاً أبلغ فى عُقُوبَتك من أن أصْرِفَك ، فقم فانصرف إلى منزلك مَذْمُوماً . فقلتُ له : ما القَوْلك: أُخرج من منزلى جواب، وقمتُ وانصرفْت ، وقد أحفظنى كلامُه وأرمضَنِى. فلمّا خطوتُ خُطُواتٍ التفتّ إليه فقلْت : يا إبراهيم ! أتطرُدنى من منزلك ! فوالله

(١) فى ت : تسحر « تحريف » .
(٢) لم يرد البيت فى غ فى هذا الخبر .

ما تُحسِن أنتَ ولا هى شيئاً . ثم ضَرَبَ الدهرُ ضَرْبَةً ودعَانا المُعْتصِم بعد ذلك فدخلتُ أنَا ومُخَارِق وعلّويه قبل مجىء إبراهيم ، وإذا هو مضطجع[1] وبين يديه ثلاثُ جامات : جام فضة مملوءة دَنَانير جُدُدًا ، وجَام مَمْلُوءة دَرَاهم ، وجَام قَوَارِيرَ مملوءة عَنْبَرًا ، فظنَنَّا أَنها لنا لم نَشُكَّ فى ذلك ، فغنَّيْنا وأَجْهدنا أنفسَنا ، فلم يطرب ولم يَتَحَرَّكْ لشىء من غِنَائنا . ودخل الحاجِب فقال : إبراهيم بن المَهْدِى . فأَذِن له فدخل ، فغنّاه أصواتاً أحسنَ فيها ، ثم غَنَّاه فى صوت[2] من صنعته :

ما بالُ شَمْسِ أَبى الخطَّاب قد غَرَبَت ... يا صاحبىَّ أَظُنُّ الساعةَ اقتربَت

أم لا فمَا بَال رِيحٍ كنتُ آمُلُها ... غدت علىَّ بِصِرٍّ[3] من بعد ما خُبِئَتْ

أَشْكُو إليك أَبَا الخطّاب جاريةً ... غَرِيرَةً بفؤادى اليوم قد لَعِبَتْ

فاستحسنه المعتصمُ وشرب عليه وطَرِب له ، وقال : أحسنت والله ! فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين فإن كنتُ قد أحسنتُ فهَبْ لى إحدى هذه الجامَاتِ . فقال : خذ أيّتها شئت ، فأخذ التى فيها[4] الدنانير ، فنظر بعضُنا إلى بعض . ثم غنّاه إبراهيم بشعر له :

ألا ليتَ ذاتَ الخالِ تَلقَى من الهوَى ... عَشِيرَ الّذى ألقى فيَلْتئِم الحبُّ

وصالُكم صَدٌّ وقربُكُمُ قِلًى ... وعَطْفُكم سُخْط وسِلْمُكُمُ حَرْب

فقال : أحسنتَ والله يا عَمّ ، وشرب فقال : ياأمير المؤمنين إن كنتُ قد أحسنتُ فهَبْ لى جاماً أُخْرَى ؛ فقال : خذ أيّتَهما شئتَ ، فأخذ التى فيها[4] الدراهم ؛ فعندها انقطع رجاؤنا، وغنّاه بعد ساعة :

---

(١) فى غ : مصطبح .

(٢) فى غ : بصوت .

(٣) فى ت : بصرى « تحريف » .

(٤) فى ت : الذى فيه « تحريف » .

أَضَنُّ بلَيْلَى وهى غـيرُ سَخِيَّةٍ   وتبخَل ليلَى بالهَــوَى وأَجُود

فارتَجَّ بنا المجلسُ الذى كنا فيه وطرب المعتصم واستخَفَّه الطرب فقام وجلس، وقال: أحسنت والله ياعَمّ ما شئت. فقال: إن كنتُ أحسنتُ يا أمير المؤمنين فهب لى الجام الثَالِثَةَ؛ قال: خذها فأخذها. وقام المعتصم، ودعا إبراهيمُ بمنديل وثناه طاقَيْن ووضع الجامات فيه وشَدّه ودعا بطين فختَمه ودعا بغلامه فدفعه إليه، ونهضنا للانصراف وقُدّمت دَوَابّنا. فلمّا ركب إبراهيم التفتَ إلىّ وقال: يا محمد ابن الحارث، زعمت أنّى لا أحسن أنَا ولا جَارِيتى شَيْئاً، وقد رأيتَ ثمرةَ الإحسان. فقلتُ فى نفسى: قد رأيتُ، فخُذْها لا بارك الله لك فيها! ولم أُجبْه بشىء.

لمّا ظَفِر المَأْمُونُ بإبراهيم بن المَهْدِىّ، جلس لِلنَّاس وأحضَرَهم على مَرَاتِبِهم، وجىء بإبراهيم فأحب المأمون أن يوبِّخَه على رءوس الناس، فجىء به يَحْجِلُ فى قُيُوده، فوقف على طرَف الإيوان وقال: السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال له المأمون: لا سلّم اللهُ عليك ولا حَفِظك ولا كلأك يا إبراهيم، فقال له إبراهيم: على رِسْلك يا أمير المؤمنين؛ فقد أصبحتَ ولِىَّ ثأرى، والقُدرَةُ تُذهِبُ الحَفِيظة، ومن مَدّ له الاغترَارُ فى الأمل هَجَمَت به الأَنَاةُ على التَّلَف. وقد أصبح ذنبى فوق كُلِّ ذنب، كما أصبح عفوُك فوق كُلِّ عفو فإن عاقبْتَ فبِحَقِّك وإن تَعفُ فبفَضْلك. قال: فأطرق مَلِيًّا ثم رفع رأسه فقال: إنّ هذين أشَارَا علىّ بقَتْلك. فالتفَت فإذا العبَّاس بن المأمون والمُعْتَصِم. فقال له: يا أمير المؤمنين، أما حَقِيقَةَ الرأى فى مُعْظَمِ تَدْبير الخلافة والسياسة فقد أشَارا عليك به وما غَشَّاك إذ كان مِنِى مَا كَانَ، ولَكِنّ الله عَوّدك من العفو عادةً جريتَ عليها دَافِعا ما تَخَافُ بما تَرْجو، فكفَاكَ اللهُ يا أمير المؤمنين. فتَبَسَّم المَأْمُونُ، ثم أقبل على ثُمَامَة فقال: إنّ من الكلام ما يفوق الدّرّ ويغلِب السِّحر، وإن كلام

عمّى منه ، أطلقوا عن عمّى حديدَه وردُّوه إلىّ مكرّما . فلما رُدَّ إليْه[1] قال : صِرْ إلى المُنَادَمَة ، وارجع إلى الأنس ، فلن ترى منّى أبداً إلّا ما تُحب . ولما كانَ من الغد بعث إليه بدَرْج[2] فيه أبيات :

يا خيرَ مَنْ ذَمَلت يمانِيَةٌ به … بعد الرسول لآيسٍ أو طامِع
وأبر[3] من عبد الإله على الهُدَى … عينا[4] وأحكَمه بحَقٍّ صادع
مُتَيَقِّظاً حَذِرًا وما يخشى العدى … نبهانَ من وَسَنَات ليلِ الهاجع
قَسَماً وما أُدلى إليك بحجة … إلا التّضرّع من مقر[5] خاشع
ما إن عَصَيْتُك والغُواةُ تَمُدّنى … أسبابُها إلّا بنيَّة[6] طائِع
حتى إذا عَلِقتْ حبائل شِقْوَتِى … بردًى على حُفر[7] المهالك هائِع[8]
لم أدرِ أنّ لمِثْلِ ذَنْبِى غافراً … فأقمتُ أرقُب أىّ حَتْفٍ صارِعى
رَدَّ الحياةَ إلىّ بعد ذَهَابِها … وَرَعُ الإمام القاهرِ المُتَوَاضِع
أحياكَ مَنْ وَلَّاك أطولَ مُدّة … ورمَى عدوَّك فى الوَتِين بقاطِع
إنَّ الّذِى قَسَم الفضائلَ حازَها … فى صُلْب آدم للإمَام السَّابِع
كم من يَدٍ لك لا تحدّثنى بها … نفسى إذا آلتْ إلىّ مطامعى
أسديتَها عفواً إلىّ هنيئةً … فشكرتُ مصطنعاً لأكرم صانِع

---

(١) فى ت : عليه .
(٢) الدرج : ما يكتب فيه .
(٣) فى ت : الأبر .
(٤) فى غ : نفسا .
(٥) فى غ : محب .
(٦) مطموسة بالأصل، وما أثبتنا من غ.
(٧) فى ت : من « تحريف » .
(٨) الهائع : المنتشر .

ورحمتَ أطفالًا كأفراخ القطَا　　وعويلَ عانسةٍ كقوس النَّازع
وعفوتَ عمّن لم يكن عن مثله　　عفـوٌ ولم يشفعْ إليك بشافع
إلّا العُلوّ عن العقوبة بعد ما　　ظفرت يداك بمُستَكينٍ خاضع

قال : فبكى المأمون ثم قال : عَلَيّ به ، فَخلَع عليه وحمَله وأمر له بخمسة آلاف دِينَار ودعا بالفرّاش وقال له : إذا رأيتَ عَمّي مقبِلًا فاطْرح له مُتّكأً وكان يُنادِمه ولا ينكر منه[1] شيئا.

وقيل : إنه لمّا فرَغ من خِطَابه دَفَعه إلى ابن أبي خَالد الأَحْوَل وقال : هو صديقك فخُذْه إليك . قال : وما تغْنِي صداقتي عنه وأَمِيرُ المؤمنين سَاخِط عليه ! أمَا إنّي وإن كنتُ له صديقًا لا أمتنع من قول الحَقّ فيه . قال : قل فإنك غيرُ مُتّهم . فقال وهو يريد التسلّق على العفو عَنْه : يا أَمِيرَ المؤمنين ، إنك إن قتلته فقد قَتَل الملوك قبلك من هو أقلّ جُرْما منه ، وإن عفوتَ عنه عفوتَ عمّن لم يَعْفُ الملوكُ قبلك عن مثله . فنكَتَ المأمون ساعةً بيده[2] ثم قال :

قَوْمِي هُمُ قتلوا أميمَ أخِي　　فإذا رميتُ يُصيبُني سَهْمِي[3]
فلَئِن عفوتُ لأعفوَنْ جَلَلًا　　ولئن سطوْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي

خُذه إليك يا أَحْمَدُ مكرّما . ثم كتَب إليه بالقصيدة المَيْنِيّة فرَقّ له وردّه إلى منزله وردّ ما قُبِضَ من أملاكه ومَالِه .

كان المأمون لما أطلق إبراهيم أمر محمد بن مَزْدَاد أن يمنع إبراهيم من دَارَي الخاصّة والعامّة ويوَكّل به من يُعرّفه أخبارَه كل يوم وما يتكلّم به . فكتب إليه المُوَكّل به : إنه لمّا مُنِع من دَارَي الخاصّة والعامّة تمثّل :

---

(١) في غ : عليه .
(٢) في غ : فنكت المأمون ساعة ثم تمثل .
(٣) في غ : جاء البيت الثاني مكان الأول .

يا سَرْحَةَ المَاءِ قد سُدَّت مَوَارِدُه ... أما إليكِ طَرِيقٌ غيرُ مَسْدُود
لِحَائِمٍ حَامَ حتى لا وُرُودَ به[1] ... مُحَلَّأٍ عن طريق المَاءِ مَطْرُودِ[2]

فلما قرأها المأمون بَكَى وأمر بإحضاره من وَقْته وأكرمه وأنزله فى مَرْتَبَتِه ؛ فلما دخل على المَأْمُون قبَّل البِسَاط وقال :

البِرُّ بى منك وطَّا العُذْرَ عندَكَ لِي ... دُونَ اعتذارى فلم تَعذِلْ ولم تَلُمِ
وقام علمُك بى فاحتجَّ عندكَ لِي ... مقام شاهِدِ عَدْلٍ غيرِ مُتَّهَم
رددتَ مَالِي ولم تَمْنُن علىَّ بِه ... وقبل رَدِّكَ مَالِي قد حَقَنْتَ دَمِي
فبُؤْتُ منك وقد كافأتُها بِيَد ... هى الحَيَاتَان من موت ومن عَدَمِ[3]
تَعْفُو بعدْلٍ وتَسْطُو إن سَطَوْتَ به ... فلا عَدِمْنَاكَ من عافٍ ومُنْتَقِمِ

فقال : اجلس يا عَمِّ آمنا مطمئنا ، فلن تَرَى مِنِّى أبداً ما تكره ، إلا أن تُحْدِثَ حَدَثا أو تُغِمَّ[4] طاعة وأرجو ألّا يكون ذلك منك إن شاءَ الله تَعَالَى .

قال عبدُ الله بن عيسى : دخلتُ يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلى فى حَاجَة فرأيتُ عليه مِطْرَفَ خَزٍّ أسودَ ما رأيتُ أحسنَ منه قَطّ ؛ فتحدَّثنا إلى أَنْ أخذْنا فى أمر المِطْرف فقال : لقد كان لكم أيّام حَسَنَة ودولة عَجِيبَة كيف ترى قِيمَة هذا؟ فقلت له : ما رأيتُ [مثله . فقال : إن قيمته مائة ألف درهم ، وله حديث عجيب . فقلت له][5] : ما أقوِّمه إلا نحواً من مائة دِينار ، فقال إسحاق : أسمع حديثه :

---

(١) فى غ : لا حيام له . وفى اللسان (سرح) : لا حراك به .
(٢) فى اللسان (سرح) : عن طريق الورد مردود .
(٣) فى غ : جاء هذا البيت آخر الأبيات وجاء مكانه الأخير .
(٤) تغم : تغير . وفى غ : أو تتغير عن طاعة .
(٥) سقط هذا الكلام من ت . والتكملة من غ .

شَربنا يوما من الأَيَّام ، فبت وأنا مُثْخَن ، فأُنتبهت برسول محمد الأَمِين ، فدخَل علىّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين: عَجِّل عَجِّل وكان بَخِيلا على الطَّعام . قلت : آكل قبل أن أذهب إليه فتسوّكْت وأصلحْتُ أمرى ، فأعجلَنى عن الغداء . فدخلتُ وإبراهيم ابن المَهدى جَالِس عن يمينه وعليه هذا المِطرف وجُبَّة خَزّ دكْناء . فقال لى محمد. يا إسحاق : تغدّيت ؟ فقلت : نعم ياسيِّدى . فقال : إنّك نَهِم ، فقلت: أصبحتُ يا أمير المؤمنين وَبى خُمَار، فكان ذَلك مما جرّأنى على الأكْل . فقال لهم: كَمْ شَرِبْنا؟ فقالوا : ثلاثة أرطال . فقال : أسقوه مِثْلَها . فقلت : إن رأيتَ أن تفرّقها علىّ ! فقال : تُسْقَى رِطْلَيْن وَرِطْلًا . فدُفِع إلىّ رِطْلَان فجعلتُ أشربُ وأنا أتوهّم أَنّ نفسى تَسِيل ، ثم دُفِع إلىّ رِطْلٌ آخر فشربتُه فكان سَبَباً لخَلَاعَتى ، فقال : غَنّ :

كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كان أكثر[1] نَاصِرا وأَيْسَر جُرْماً منك ضُرِّج بِالدَّم

فغنَّيْتُه فقال: أحسنتَ وطَرِب، ثم قَامَ فدخل على نسائه ، وكان كثيراً ما يَفْعَل ذلك فقمت فى أَثَر قيامه فدعوتُ غُلامى وقلْت : اُركُض إلَى بيتى وجئنى بِبِزْماوَرْدَتَيْن[2] وعَجِّل. فمضى وجاءنى بهما فأكلتهما فرجعت إلىّ نَفْسى وعُدْتُ إلى مجلسى. فقال لى إبراهيم : لى إليك حَاجَة أُحِبّ أن تَقْضِيَهَا فقلت : إنَّما أنَا عبدك وأبنُ عبدك فقل ماشئت . فقال: ترُدّ علىّ القوْلَ :

* كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كان أكثر نَاصِرًا *

وهذا المِطْرَفُ لك ، فقلت : أنا لا آخذ منك مِطْرفا على هذا ، ولكنى أصير إلى منزلك وألْقيه على جَوَارِيك وأرده عليك مِرَارًا . فقال : أُحِبّ أن تردّه علىّ الساعةَ وأن تأخذ هذا فإنّه من لُبْسِك ومن حاله كذا وكذا ، فردّدت عليه الصوت مرارا

(١) فى ت : أكبر .

(٢) البزماورد : طعام يسمى لقمة القاضى كان يصنع من اللحم المقلى بالزبد والبيض .

حتى حفظه . ثم سَمِعْنا حركةَ الأمين فقمنا حتى جاء مَجْلَس ثم قعدنا ، فشرب وتحدَّثْنا فغَنَّاه إبراهيم هـذا القول ، فـكأَنّى لم أَسْمَعْه قبل ذلك حُسْنا . وطَرِب محمد طَرَباً عَجِيباً وقال : أحسنتَ يا عَمّ ! يا غُلَام عَشْر بِدَر لِعَمّى الساعةَ فجاءوا بها . فقال : يا أمير المؤمنين إنّ لى فِيها شَرِيكا قال : ومَن هو ؟ قال : إسحاق . قال : وكيف ؟ قال : إنما أخذتُه منه الساعة لما قمتَ . فقلت له : ولِمَ ؟ أضاقت الأموالُ على أَمِير المؤمنين حتى يُشركَك فيما تُعْطاه ! قال : أما أَنَا فأُشْرِكك وأميرُالمؤمنين أعلم . فلمّا اُنصرفنا من المجلس أعطانِى ثلاثين ألفا وهذا المِطْرف . فهذا أخذتُه بمائة أَلْف درهم وهى قِيمَتُه .

قال إبراهيمُ بن المَهْدِى : حججتُ مع الرَّشيد فلما صِرْنا فى المدينة خرجتُ أدور فى عَرَصَاتِها فانتهيتُ إلى بئر وقد عَطِشتُ وجاريةٌ تَسْقِى منها ، فقلت : يا جَارِية ؛ امتَحِى لى دَلْوًا . فقالت : أنا واللّٰه عنك فى [شغل] بضَرِيبة لمولاى عَلَىّ . فنقَرْتُ بسَوْطى على سَرْجى وغَنَّيْتُ :

رامَ قَلْبى السُّلُوَّ عن أَسْمَاءِ وتَعَزَّى وما به من عَزَاء
سُخْنَةٌ فى الشِّتَاء بَارِدَة الصَّيْـ ـف سِرَاجٌ فى الليلة الظَّلْمَاء
كفَنَانِى إنْ مُتّ فىدِرْع أَرْوَى وامْتَحَا لى من بئر عُرْوَة مَائِى

قال إبراهيمُ : فرفَعَت الجارِيَةُ رأسَها إلَىَّ وقالت : أتعرف بئر عُرْوَة ؟ قلت : لا . قالت : هذه بئر عُرْوَة ثم سقَتْنِى حتى رَوِيت ، وقالت : إن رأيتَ أن تُعيدَه فعلتَ فأعدْتُه ، فطَرِبَت وقالَت : لأحمِلَنّ إلى رَحْلك قِرْبَة ماء . قلت : أفعلى ، ففعَلَت وجاءت معى تَحْمِلها . فلمّا رأَتِ الجيشَ والخدمَ فَزِعَت . فقلت لها : لا بأس عليك ! وكسوتُها ووهبتُ لها دَنَانِير وحبستها عِنْدِى ، ثم صِرْت إلى الرّشيد فحدَّثتُه خبرَها فأمر بابْتِيَاعها وأَعْتَقَها ؛ فما بَرِحت حتى اُشتُرِيَت وأُعْتِقَت ، وأخذتُ لَهَا مِنه صلةً وافترَقنا .

قال الفَضْل بن مَرْوان : لمّا دخل إبراهيم بنُ المهدى على المأمون لمّا ظَفِر به كَلَّمه بكَلَام كان سَعِيد بن العاص كَلَّمه مُعَاوِية بن أبى سفيان فى سَخْطَة سَخِطها عليه ، وكان المأمون يحفظ الكلام ، فقال المأمون : هيهاتَ يا إبراهيم ! هذا كلامٌ سبقك به فَحْلُ بنى أمية وقَارِحُهم سعيد بن العاص وخَاطَب به معاوية . فقال له إبراهيم : مَهْ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِين ؟ ! وأنت أيضاً إن عفوتَ فقد سَبَقَك فَحْلُ بنى حَرْب وقَارِحُهم إلى العَفْو ، فلا تَكُن حَالِى عندَكَ فى ذلك أبعدَ من حال سَعِيد عند معاوية ، فإنك أشرفُ منه ، وأنا أشرفُ من سَعِيد ، وأنا أقرَبُ إليكَ من سعيد إلى مُعَاوِية ، وإنّ[1] أعظمَ الهُجْنَة أن تَسْبِقَ أُمَيَّة هاشماً إلى مَكْرُمة . فقال له : صدقْتَ يا عَمّ فقد عَفَوْتُ عَنْك .

جَرَى بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المَهْدِىّ كلامٌ على النَّبِيذ ، فوجَد عليه محمد . فلمّا كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بألطَافٍ فلم يقبلها ؛ فوجَّه إليه بِوَصِيفة مَلِيحَة مُغَنِّية ، معها عُود معمول من عُود[2] ، وغَنَّى فى هَذِه الأبيات وألقاها عَلَيْها حتى أحكَمَتْها ، ووَجَّه بِهَا إليه . فوقَفَت بين يَدَيْه وقالت له : يا أَمِير المُؤمنين عَمُّك وعَبْدُك يَقُولُ لك وغَنَّت :

هتَكْت الضَّمِير بِرَدِّ اللَّطَفْ ... وكَشَّفْتَ هجرَكَ لِى فانْكَشَفْ
فإن كنتَ تُنْكِر شيئاً جَرَى ... فهَبْ لِلْخلَافة ما قد سَلَف
وُجدْ لى بصَفْحِك عَنْ زَلَّتِى ... فبالفَضْل يأخُذ أَهْلُ الشرف

فسُرّ بها مُحَمَّد وأرسل إلى إبراهيم فأحضَرَه ورَضى عنه وأمر له بخمسة آلاف دِينَار .

---

(١) فى ت : وإنّ .

(٢) فى غ : من عود هندى .

كانت لإبراهيم بن المهدى جارِية اسمُها صَدُوف وكان لهـا من قلبه مَوْضع ، فحسدها جَوَارِيه على مَحلّها منه ، فلم يزَلْن يبلّغنَه عنها ما يَكْره حتى غضِب عليها وجفاها ، ثم شَقّ ذلك عليه ولم يَطِب نفْساً بمراجعتها وصُلْحِها ، فدخل عليه الأعرابى أخُو مُعَلّلة صاحِبَة الفضْل بن الرّبيع فقال : مالِى أرَى الأمير – أكرمه الله – مُنْكَسِرا منذ أيام ؟ فأمسك . فقال : قد عرفت خبَر الأمِير وقلت فيه أبياتا فإن أذِن لى أنشدتُه إيّاها فقال : هات ، فأنشده :

أَعتبْتَ أم عَتبَت عليك صَدُوفُ … وعِتَابُ مِثْلِك مثلَها تَشْرِيف
لا تَقْعُدَنّ تـلومُ نفسَك دَائِباً … فيها وأنت بحُبّها مَشْغُوفُ
إنّ الصرِيعة لا ينُوء بحَمْلها … إلا القَوِىّ بها وأنتَ ضَعيف

فاستحسَن إبراهيمُ الأبيات وأمر له بِمَائتى دِينَار ، وبعث إلى صَدُوف فخرجَت إليه ورَضِى عنها ، وبعثت إليه صَدُوف بِمائة[1] دينار .

وكان إبراهيم بن المهدى شديدَ الانْحِرَاف عن أميرِ المؤمنين عَلِىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ فحدَّث المأمونَ يوماً أنه رأى عَلِيا فى النوم ، فقال له : مَنْ أنت ؟ فأخبره أنه عَلِىّ بن أبى طالب . قال: فمشَيْنا حتى جئنا قَنْطَرة فذهب يتقدّمنى لِعبُورِها؛ فأمسكته وقلت له : إنما أنتَ رجل تدَّعى هـذا الأمر بامْرأة ونحنُ أحَقُّ به منك ! فما رأيتُ له فى الجوَاب بَلاغَةً كما يوصف عنه . فقال : وأىّ شىء قال لك ؟ قال : ما زادنى على أنْ قَالَ : سلَاماً سلَاماً . فقال له المأمون : قد والله أجابك أبلغ جوَاب. قال : وكيف ؟ قال : عرّفك أنّك جاهِل لا يُجَابُ مِثْلك ؛ قال الله تعَالَى : « وإذَا خاطَبَهُمُ الجَاهِلونَ قَالُوا سَلَاماً » . فخَجِل إبراهيم وقال : ليتنى لم أحدّثك بِهَذَا .

---

(١) فى ت : بمائتى .

قال إبراهيم بْنُ المَهْدِيّ : كنتُ يوماً بين يدى محمد الأمين فغَنَّيْتُه :

أَقْوت مَنَازِل بالهِضابِ من آل هِنْد والرَّبَاب

خَطَّارة بِزِمَامِهـــا وإذا وَنَت ذُلُل الرِّكاب

فاستَحْسَنَ اللَّحْنَ ولم يتجاوَزْه ، ثم انصرفنا وطلبنى سحرا ، فلما جئتُ رآنى من بَعِيد فصاح بى : يا عَمّ بحيَاتى : « خطَّارة بِزِمَامِها » .

فغنَّيْتُ ودَخَلْت المجلس فخرجَت صَبِيَّة كأنَّها لُؤْلُؤَة فى يَدِها عُود . فقال : بحيَاتى يا عَمّ أَلْقِه عَلَيْها ! فأعَدْته مِرارًا وهو يشرب ؛ حتى ظننت أنها أَخَذَتْه ، فأمرتُها أَنْ تُغَنِّيه ، فإذا هو قد اسْتَوَى لها إلا فى مَوْضع منه كان صَعْباً جِدًّا ، فجهدت أن يَقَع لها طَلَباً لمَسَرَّته وكان حَقِيقاً[1] مِنِّى بذلك ، فلم يقع لها البتة ورأى جُهدى بأَمْرها وتمدُّرَه عليها فأقبل عليها وقد سَكِر وقال : نُفِيت عن الرشيد ، وكُلُّ أَمَةٍ لى حُرَّة لَئِن لم تَأْخُذِيه فى المرة الثالثة لآمرن بإلْقَائك فى دِجْلَة ! قال : ودِجْلة تَطْفَح وبَيْنَنا وبَيْنَها نحوُ ذِرَاع وذلك فى الربيع ، وتأمّلت القِصَّة فإذا هو قد سَكِر ، وإذا الجارية لا تقوله كما أقوله أبدا . فقلت : هذه والله داهية ، ويَتَنَغَّص عليه يومُه وأَشرَكُه فى دَمِها ، فعدلتُ عمّا كنت أُلقيه عليها ، وغَنَّيْتُه كما كانت هى تُغَنِّيه وردَّدْتُه ثلاثَ مَرَّات وأَريتُه أَنَّنى أَجْتَهِد ، ثم قلت لها : هاتِيه الآن ، فغَنَّتْه على ما كان وقَعَ لها . فقلت : أحسنَتْ يا أَمِير المؤمنين . وردَّدَتْه ثلاثَ مَرَّات وطابَت نَفْسُه ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم .

قال إبراهيمُ بنُ المَهْدِيّ : كنت بين يَدَى الرّشيد جالِسا على ظهر حَرَّاقة وهو يريد المَوْصل والمَدَّادُون يَمُدُّون السفن ، والشِّطْرنج بَيْنِى وبَيْنه والدَّسْت مُتَوَجِّه له ،

---

(١) فى ت : تحقيقا « تحريف » .

إذ أطْرَقَ هنيهة(١) ثم قال: ياابن أمٍّ ماأحسن الأسماء عندك ؟ قلت : محمدٌ اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : أىّ شىء بعده ؟ قلت : هارون اسم أمير المؤمنين . قال : فما أسْمَجُ الأسماء ؟ قلت: إبراهيم ، فزَجَرنى(٢) ثم قال : ويحك ! أتقول هذا! أليس هو اسم إبراهيم خليل الله ، صلى الله على نبيِّنا وعليه قلت له : لشُؤم هذا الاسم لَقِي من نمْرُودَ ما لَقِىَ وطُرِح فى النَّار . قال : فإبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم؟ قلت : فلا جرم إنَّه لم يُعَمَّر . قال : فإبراهيم الإمَام ، قلت : حَرَقَه اسمه ، قتَلَه مروان فى حَرّان . وأزيدك يا أمير المؤمنين : إبراهيمُ بنُ الوَليد خُلِـع ، وإبراهيمُ بن عبدالله ابن حسن قُتِل ، وعَمّه إبراهيم بن حسن سقط عليه السقف(٣) فمَاتَ ، وما رأيتُ والله أحَداً يُسَمَّى بهذا الاسم إلا قُتِل أو نُـكِب أو رأيتُه مَضرُوباً أو مَصْلوباً أو مَظْلُوماً أو مَقْذُوفاً . فما انقضى كَلَامى حتى سَمِعْنا مَلَّاحا يَصِيح بآخر يا إبراهيم يا عَاضَّ بَظْر أُمِّه مُدَّ ويلك ! فقلت له : أبَقِىَ شىء بعد هذا ! ليس والله فى الدنيا اسم أشأم من إبراهيم، فضَحِك حتى أَشْفَقْتُ عليه .

دخل الحسَن بن سَهْل على المأمون وهُو يَشْرَب فقال له : بحَيَاتى عليك يا أبا محمد إلَّا شَرِبت مَعِى قدَحاً وصَبَّ له مِن نَبيذه قدَحاً فأخذه فقال له : مَنْ تُحِبّ أن يغنِّيكَ ؟ فأومأ إلى إبراهيم بن المهدى، فقال له المأمون : غَنِّه يا عَمِّ فغنَّاه :

تَسْمَع الحَلْى(٤) وَسْوَاساً إذا انصرفَتْ كما استعَان بِريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ(٥)

---

(١) فى ت : هنيئة « تحريف » .

(٢) فى ت : فزبرنى .

(٣) فى غ : السجن .

(٤) فى ت : الحى « تحريف » .

(٥) فى ت : عشرت زحل « تحريف » والتصحيح من الأغانى الجزء التاسع / ١٠٢ طبع دار الكتب عند ذكر « أصوات معبد » المعروفة بالمدن .

يعرِّض به لما كان لَحِقه من السوداء والاختلاط . فغضِب المأمون حتى ظَنّ إبراهيم أنَّه سَيُوقع به ، ثم قال له : أبيت إلا كفرانًا أنت أكفر خَلْق الله لنِعمَه ! والله ما حَقَن دمَك غيرُه ! ولقد أردتُ قتلَك فقال لى : إن عفوتَ عنه فعلت فِعْلًا لم يسبقك أحدٌ إليه ، فعفوتُ عنك والله لقوله . أَفَحَقّه أن تعرِّض به ولا تَدَع كيدك ودَغَلك ! أَوَ أَنِفْتَ من إيمائه إليك بالغِناء ! فوثب إبراهيمُ وقالَ : يا أمير المؤمنين ، لم أذهب حيث ظننتَ ولستُ بِعائِد ؛ فأعرض عنه .

كان المأمون قد بلغه عن إبراهيم بن المهدى شىء أنكرَه فغَنَّى بين يديه يوما وهو مُصْطَبِح فى شِعْره :

ذهبتُ من الدُّنيا وقد ذهبت مِنِّى هوى الدهرُ بى عنها وولَّى بها عَنِّى
فإنْ أَبكِ نَفْسِى أَبْكِ نَفْسًا نفيسةً وإنْ أحتَسِبْها أحتَسِبْها على [ضَنّ](١)

فرَقَّ له المأمون لما سَمِعه وبكى ، وقال : لا والله لا تَذْهَب نَفْسُك يا إبراهيم على يَدِ أمير المؤمنين ، فَطِبْ نَفْسًا ؛ فإنَّ الله عز وجل قد أَمَّنك إلا أن تُحْدِث حَدَثًا يشهد عليك به عَدْل ، وأرجو ألا يَكُونَ ذلك إن شاء الله تعالى .

غَنَّى إبراهيمُ بن المَهْدِى يوما مُحَمَّدًا الأمين صَوْتًا فى شعر أَبى نُواس :

يا كَثِيرَ النَّوْحِ فى الدِّمَن لا عليها بل عَلَى السَّكَن
سُنَّةُ العُشَّاق واحِــدةٌ فإذا أحببتَ فاستَكِن
ظَنَّ بى مَنْ قد كَلِفْتُ به فهو يَجْفُونِى عَلَى الظِّنَن
رشأٌ لولا ملاحَتُــه خَلَت الدُّنيا مِنَ الفِتَن

فأمر له بثلاثمائة ألف دِينَار(٢) . فقال له إبراهيم : يا أمير المؤمنين قد أَجَزْتنى

---

(١) ساقطة من ت والتكملة من غ .

(٢) فى غ : درهم .

إلى هذه الغاية بِعِشرين ألف ألف دِرْهم ، فقال : وهل هي إلّا خراج بعض الكُوَر !
وقيل : إنه لمّا أراد الانصراف قال : أوْقِرُوا حُرّاقَةَ عَمّى دَنَانِير فأوقروها ، فكان مالًا جايلًا .

وقال الأمينُ لإبراهيم بن المَهْدِي في بعض خَلَوَاته : يا عَمّ أشتهى أن أسمعك[١] تَزْمُر . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما وضعْت على فِي نَايًا قطّ ولا أضعه ، ولكن يَدْعُو أميرُ المؤمنين بِفُلَانة — مِن مَوَالى المَهْدِي — حتى تَنفُخَ في النّاى وأُمِرّ يَدِى عليه . فأُحْضِرَت ، ووَضَعَت النّاى على فمها وأمسكه إبراهيم ، وجعل يُصَرِّف أصَابِعه فسُمِع منه ما أجْمَع سائِر مَنْ حضر أنه لم يَسْمَع مِثْلَه قطّ .

كان محمد بن مُوسَى المُنَجِّم يقول : حكمتُ أنّ إبراهيمَ بن المهدى أحسنُ النّاس كلهم غِناَء بِبُرْهَان ، وذلك أنى كنت أراهُ في مجالس الخلفاء يُغَنِّى المُغَنُّون ويُغَنِّى هو ، فإذا ابتدأ بالصوت لم يَبْقَ من الغِلْمَان أحدٌ إلا تَرَك ما في يده وقَرُب من أقرب موضع يُمكِنه أن يَسْمَع منه فلا يزَال مُصْغِيا إليه لاهيًا عمّا كانَ فِيه ما دام يُغَنِّى ، حتى إذا أمسك وغَنَّى غيرُه رَجَعُوا إلى التَّشَاغُل بما كانوا فِيه ولم يلتفتوا إلى ما يَسْمَعُون . ولا بِرهانَ أقوَى من هـذا من شهادة الفِطَن واتِّفَاق الطَّبَائع — مع اُخْتِلَافها وتَشَعُّب طُرُقها — على المَيْل إليه والانقياد نَحْوه .

قال هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدى : قلتُ يوما للمُعْتَصم : كانت لأبى أشياء لم يكن لأحدٍ مثلها . قال : وما هى ؟ قلت : شارِية وزَامِرَتُها مُعَمَّعَة . فقال : أمّا شارية فعندنا ، فما فعلت الزّامِرة ؟ فقلت : ماتت . فقال : وماذا ؟ قلتُ : وسَاقِيَته مَكْنُونة ، لم يُرَ أحسنُ وَجْهًا ولا أَلْبَق[٢] ولا أَظْرَف مِنها . قال :

(١) في غ : أراك .
(٢) في غ : ألين .

فما فَعَلَت ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : نَخْلَة تَحْمِل رُطَبا كُلّ رُطَبة شِبْر . قال : فما فَعَلَت ؟ قلت : جَزَرْتُها بعد وَفاته . قال : وماذا ؟ قلت : قَدَحُه الضَّحْضَاح. قال : فما فعل ؟ قلت : الساعة حَجَمَنى فيه أبو حَرْمَلَة فسألتُه أن يَهَبه لِي فَفَعَل ، ووجَّهْتُ بِهِ إلى منزلى فغُسِل ونُظِّف وأُعِيدَ إلى خِزَانتى ، فرأيتُ أبى فى المنـام فى ليلتى تِلك وهو يَقُول لى :

أَيُنْزَعُ ضَحْضَاحِى دَمًا بعدما غَدَتْ   علىَّ به مَكْنُونَةٌ مُتْرعاً خَمْرا

فإنْ كنتَ مِنِّى أو تُحِبّ مَسَرَّتِى[1]   فلا تَفْعَلَن قَبْلَ الصَّبَاح له كَسْرا

فانتبهْتُ فَزِعا ، وما بَرِق الصبح حتى كسرته .

---

(١) فى ت : بحيث تسرنى .

أَوْس بن حَجَر

هو على ما قِيلَ أوسُ بن حَجَر بن عَتَّاب بن عبد الله بن خَلَف بن نُمَيْر بن أسد ابن عمرو بن تميم .

ذكره أبو عبيدة من الطبقة الثَّالِثة ، وقَرَنَه بالحُطَيْئة والنَّابِغَة بن جَعْدة . وكان من فحول شعراء الجاهلية. وكان شاعرَ مُضَرَ حتى أسقطه النابغةُ وزُهَيْر فهو شاعر تَمِيم فى الجاهِلِيّة غيرَ مُدَافَع .

وكان ابن الكلبى يزعم أَنَّ من هذه الطبقة لَبِيد بن رَبِيعَة والشَّمَّاخ بن ضِرَار .

ومن الناس من يقول بتَقْدِيم عَدِىّ . ومن شعر أوس :

إنى أَرِقت ولم يأرق معى صاحى لمستكف بعيد النـوم لوّاح

دَانٍ مُسِفٍّ فُوَيْق الأَرْض هَيْدَبُه يَكَادُ يَدْفَعُه مَنْ قام بالرَّاح

إنْ أَشْرَبِ الخمرَ أو أُرزَأْ لها ثَمَنًا فـلا مَحَالَةَ يَوْمًا إنَّنِى صَاحِى[1]

وهذه القصيدة تُروى لعَبِيد بن الأَبْرَص .

خرج أعرابى مَكْفُوفٌ ومعه ابنة عَمٍّ له يَرْعَى غنمًا لها . فقال الشيخ : أَجد ريح النسيم قد دَنَا ، فارفعى رأسك فانظرى . فقالت: أراها كأنها رَبْرَبٌ[2] مِعْزَى هَزْلَى . فقال : أَرْعى واُحْذَرى . ثم قال لها بعد ساعة : إنى لأجد ريح النسيم قد دنا ،

---

(١) كذا فى ت، ولم يرد البيتان الأول والثالث فى غ. والبيتان الثانى والثالث من قصيدة عدتها خمسة عشر بيتا لعبيد بن الأبرص فى الديوان / ٧٥ طبع ليدن ، ولم يرد بها البيت الأول . والأبيات الثلاثة فىديوانأوس بن حجر منقصيدة عدتها واحدوعشرون بيتا علىخلاف فى الترتيب، طبع وين .

(٢) فى ت : سرب « تحريف » .

فارفَعِي رأسَكِ وانْظُرِي. قالت : أَرَى كأَنَّها بِغَالٌ دُهْم تَجُرّ جِلاَلَها . قال : أرْعَى واحْذَرِى . ثم مكث ساعةً ثم قال : إنى لأجد ريح النّسيم قد دَنَا فما تَرَيْن ؟ قالت : أَراهَا كأنها بَطْن حِمَار أَصْحَر . قال: أَرْعَى واحذَرِى . ثم مكث ساعة ثم قال : إنّى لأَجِد ريح النسيم قد دَنَا فما تَرَيْن ؟ قالت : أراها والله يا ابن عم كما قال الشاعر :

دَانٍ مُسِفٍّ فُوَيْقَ الأرض هَيْدَبُه ‏ يـكاد يَدْفَعُه مَنْ قام بالرّاح

كأَن بين أَعَالِيه وأَسْفَلِه ‏ رَيْطٌ مُنَشَّرَةٌ أو ضَوْءُ مصباحِ

فمَن بِمَحْفِله كَمَنْ بنَجْوته[1] ‏ والمُسْتَكِنّ كمَنْ يمشى بِقِرْوَاح

فقال : أنجِى لا أبَا لكَ ! فما انقضى كلامُه حتى هطلت السماء عليهما .

يقول : السحاب لقربه من الأرض يَكَاد يَدْفعه من قام براحته . والقِرْوَاحُ : الفضاء . وقوله : « فمَنْ بِمَحْفِله كمن بنَجْوته » يعنى فمَنْ هو فى هَذَا الموضع كمن هو بنَجْوَته أى فى ناحية عنه سواء لكثرة المطر .

وقولها : بَطْن حِمَارٍ أَصْحر : تَعنِى أَبْيَض فيه حُمْرة ، والصُّحْرة . لونٌ كَذَلك .

وكان أوسُ بنُ حجر غَزِلًا مُغْرَماً بالنِّساء ؛ فخرج فى سَفَر ، حتى إذا كان بأرض بنى أَسَد بين شَرْج ونَاظِرَة[2] ، فبينا هو يسير ظلاما إذ جالت به ناقته فصرَعَتْه فاندقَّت فخذه فبات مكانَه ؛ حتى إذا أصبح غدا جَوَارِى الحىّ يَجْتَنِين الكَمْأة وغيرَها من نبات الأرض والناس فى ربيع . فبينا هن كذلك إذْ بَصُرن بناقته تجول وقد عَلِق زمامها بشجرة وأبصَرْنَه مُلْقًى ، ففزِعْن وهربن . فدعا بِجَارِية

---

(١) بياض بالأصل والتكملة من غ . وفى الديوان / ٤ : فمن بنجوته كمن بعقوته .

(٢) شرج وناظرة : موضعان .

منهن وقال لها : من أنْت ؟ قالت : أنَا حليمة بنت فَضَالَة بن كَلَدَة ، وكانت أصغرهن ؛ فأعطاها حَجَرا وقال : اذهبى إلى أبيك فقولى له : أبنُ هذا يُقرِئك السلام . فأتته فأخبرته فقال : يا بُنَيَّة ، لقد أتيتِ أباكِ بمدح طويل أو هِجَاء طويل . ثم احتمل هو وأهله حتَّى بَنَى عليه بَنِيَّة[1] حيث صُرِع وقال : لا أتحوَّل أبدا أو تَبْرأ ؛ وكانت حَلِيمة تقوم عليه حتى استقلَّ فقال فى ذلك :

لعَمْرُكَ ما مَلَّت ثَوَاءَ ثَوِيِّها[2] حَلِيمَةُ إذْ أُلْقَى فَرَاشى بمَقْعَدِ[3]

ولكن تَلَقَّتْ باليَدَيْن ضَمَانَتِى وحَلَّ بِشَرْجِ القبائل عُوَّدى[4]

ولم تُلْهِها تلك التَّكاليف إنها كما شِئْتَ من أُكرومة وتَخَرُّدِ

سأجْزِيكِ أو يَجْزِيكِ عنى مُثَوِّبٌ[5] وقَصْرُكِ أنْ يُثْنَى عليكِ وتُحْمَدِى

ثم مات فَضَالة بن كَلَدَة وكان يُكْنَى أبا دُلَيْجَة فقال يرثيه :

يا عينُ لابدَّ من سَكْبٍ وتَهْمَال على فَضَالَةَ جَلَّ الرُّزْءُ والعالِى

أبَا دُلَيْجَة من يُوصِى لأَرْمِلَة[6] أم مَنْ لأشعثَ ذِى طِمْرَيْن مِمْحَالِ

أبا دُلَيْجَة مَنْ يَلْقَى[7] العشيرةَ إذ أمسَوْا من الأمر فى لَبْسٍ وبَلْبَال

لا زال مِسْكٌ ورَيْحَان لـه أرج على صَدَاكَ بِصَافِى اللَّوْن سَلْسَال

---

(١) فى غ : بيته .

(٢) فى ت : ثويته .

(٣) فى غ : مراسى مقعد .

(٤) فى ت : فالقباء برعددى .

(٥) فى ت : مسوف .

(٦) فى غ : توصى بأرملة .

(٧) فى غ : يكفى .

ومن نادِرِ مَرَاثِيه فيه :

أيَّتها النفسُ أَجْمِلِى جَـــزَعاَ ... إن الَّذى تَحْذَرِين[1] قد وَقَعاَ
إنَّ الَّذى جَمَّع المروءةَ[2] والـ ... ـنَّجْدَة والبِرَّ والتُّقَى[3] جُمَعَا
الُمُخْلِف المُتْلِف المرَزَّأَ لم ... يُمْتَع بضعف ولم يَمُت طَبَعاَ
أودى وهل تنْفَعُ الإشَاحَةُ مِنْ ... شىء لَمن قـــد يُحاول البِدَعا

---

(١) فى غ : تـكرهين .

(٢) فى غ : السماحة .

(٣) فى غ : الحزم والقوى .

أبو جِلْدَة(1) اليَشْكُرِى

هو أبو جلْدَة بن عُبَيْد بن مُنْقِذ بن حُجْر بن عُبَيْد الله(2) بن مَسْلَمة بن حُبَيِّب ابن عَدِى بن جُشَم بن غَنم بن حُبَيِّب بن كَعْب بن يَشْكُر بن بَكْر بن وَائِل شَاعِرٌ إسلامِى من شُعَرَاء بَنِى أُمَيَّة من سَاكِنِى الكُوفة وهو ممن خَرَجَ مع ابن الأشعث وَقَتَلَه الحجَّاج . وكان من أَخَصِّ الناس بالحجَّاج حتى إنَّه بعث به ومعه عبد الله بن شَدَّاد بن الهادِى اللَّيثىّ إلى عبدالله بن جعفر بن أبى طالب فخطَب الحجاج منه ابنته أُمَّ كُلْثُوم . ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأَشْعَث ، وكان من أَشَدِّ الناس تحريضا على الحجاج . فلمّا أُتِى الحجّاجُ برأْسِه ووُضع بين يديه نظر إليه طويلا ثم قال : كَمْ من سِرّ وضَعْته فى هذا الرأس فلم يَخرج منه حتى أُتِيتُ به مَقْطُوعا .

وكان يوم الزَّاوِيَة خرج أبو جِلْدَة بين الصَّفَّين وأَقْبَل على أهل الكوفة يحرضهم وينشدهم قصيدته الَّتى يقول فيها :

فقل لِلحَوارِيَّات(3) يبكين غيرَنا ... ولا تَبْكِنَا إلّا الكِلَابُ النَّوابِحُ

أَأَسْلَمْتمونا للعَدُوِّ وطِرْتُم ... شِلَالًا وقد طاحَت بهن الطَّوائِح(4)

ولا صبرَ للحرب العوان على القَنَا ... إذَا انْتُزِعت منها القُرونُ النَّوَاطِحُ

بكَيْنَ إلَيْنَا خشيةً(5) أن تبيحها ... رِمَاحُ النَّصارى والسيوفُ الجوارح

---

(1) فى ت : خلدة « تحريف » .

(2) فى ت : عبد الله .

(3) فى ت : الجواريات « تحريف » وفى لسان العرب (حور) الحواريات ، وهن النقيات الألوان والجلود لبياضهن .

(4) فى غ واللسان (حور) جاء مكان هذا البيت : « بكين إلينا خشية . . الخ » . وفى غ : جاء مكان العجز من هذا البيت : « إذا انتزعت منها القرون النواطح » ولم يرد هذ العجز فى غ، كما لم يرد فى غ أيضا صدر البيت الذى يليه « ولاصبر للحرب ...إلخ ».

(5) فى اللسان(حور) : خيفة .

بـــكَيْنَ لـكَيْمَا يمنعُوهن منهم ... وتأبى قُلوبٌ أجرتها[1] الجوانح
ونادَيْنَنـاَ: أينَ الفِرارُ[2] وكُنتم ... تغارُون أن تبدُوا البُرى والوشائحُ
فما غار منهم غـائرٌ لخليـلة ... ولا عَزَبٌ عزّت عليه المنـاكحُ

فأنفوا وثاروا وشدُّوا شدّةً تضعضع لها عسكر الحجّاج وثبت الحجّاج ونادى أهلَ الشام فتراجعُوا وثبتُوا، فكانت الدّائرة على أهْل العراق، وجعل يُقتّل الناسَ بقيَّةَ يومه، حتى صاح به رجُل: يا حجّاج، إن كنا أسأْنا فى الذّنب لمَا أحسنْتَ فى العفْو، ولقد خالفتَ الله تعالى فينا وما أطعته. فقال: وكيف ويلك[3]! قال: لأنّ الله تعالى يقول: «فإذا لقيتمُ الّذين كفرُوا فضرْبَ الرّقاب حتّى إذا أثْخنْتُمُوهُم فشُدّوا الوثَاقَ فإمَّا منًّا بعد وإمَّا فداءً حتّى تضَعَ الحربُ أوْزَارَهَا» وقد قتلتَ فأثخنْتَ حتى جاوزت الحدّ، فأسر ولا تقتل، وفَادِ وأمْنن. فقال: أوْلى لكَ!؟ ألَا كان هذا الكَلام قبْل هذَا الوقت! ثم رفع السيف[4] وآمن الناسَ جميعا.

وكان الحجَّاج يقُول ما حرّض أحدٌ عليّ كما حرّض أبُو جلْدة على، فإنّه نزل عن فرَسه[5] فى وسط عسكر ابن الأشْعث ووضـع سراويله وسَلَح فوقه والناسُ ينظُرون إليه. فقالوا: ما لك ويْلكَ أجُننْت! ما هذا! قال: كُلّكم فعل مثلَ هذا إلّا أنكم سترتموه وأظهرتُه. فشتموه وحملوا عليّ، فما أنساه يرتجز وهو يقدُمهم ويقول:

(١) فى غ: أضمرتها.
(٢) فى ت: ويادينا أين القرآن «تحريف».
(٣) فى ت: ذلك.
(٤) فى غ: أمن.
(٥) فى غ: على سرحة.

نحن جَلَبْنا الخيلَ من زَرَنْجا[1] ... ما لَكَ يا حَجّاجُ مِنّا مَنْجَى
لتُبْعَجَنَّ بالرِّماح[2] بَعْجا ... أو لَتَفِرَّن فذاك أَحْجَى

ووالله لقد كاد أهلُ الشأم يومئذ أن يَتَضَعْضَعُوا لولا أنّ الله تعالى أيّدهم بنَصْره .

وكان أبو جِلْدة مع القَعْقاع بن سُوَيْد[3] المِنْقَرِي بسِجِسْتان ، فذَمّ منه بعض ما عامَلَه به ، فقال فيه :

ستعلم أنْ رأيَك رأيُ سَوء ... إذا ظلُّ الإمارة عنك زَالَا
وراحَ بَنُو أبيك ولستَ فيهم ... بذى ذِكْرٍ[4] يَزِيدُهمُ جَمالا[5]
هناك تَذَكَّرُ الأسلافَ منهم[6] ... إذا الليل القصيرُ عليك طالا

فقال له القعقاع : ومتى يَطُولُ علىَّ الليلُ القصير؟ قال: إذا نظرتَ إلى السماء مُرَبَّعة. فلمّا عُزِل وحبس أخرجَ رأسَه فنظر فإذا هو لا يرى السماء إلا بقدر تَرْبيع السِّجن [فقال:][7] هذا والله الذى حَذَّرَنيه أبو جِلْدَة .

ثم تَوَلّى مِسْمَع بنُ مَالِك بن مسمع فخرج إليه فتَلَقَّاه ومَدَحه بقصيدته التى هى :

بانَتْ سُعَادُ فأمسَى حَبْلُها انْقَطَعَا ... وليتَ وَصْلًا لنا من حَبْلها رَجَعا
شَطّت بها غُربةٌ زَوْراء نَازِحةٌ ... فطارَت النَّفسُ من وَجْدٍ بها قِطَعَا

---

(١) زرنج : قصبة سجستان .
(٢) فى غ : بالسيوف .
(٣) فى ت : سور.
(٤) فى ت : زجر .
(٥) فى ت : جدالا .
(٦) فى ت : منكم .
(٧) ساقطة من ت .

ما قَرَّتِ العَيْنُ مُذْ وَلَّتْ[1] فينفعها طَعمُ الرُّقاد إذا ما هَاجِعٌ هَجَعا
غَـدَتْ تلوم على ما فَاتَ عَاذِلَتِي وقبل لَوْمك ما أَغْنَيْتِ مَنْ مَنَعا
مَهْلاً ذَرِيـنِي فإِنِّي غَالَنِي خُلُقِي وقد أرَى فى بلاد الله مُتَّسَعا
مَجْدِي[2] تَلِيدٌ وما أنفقتُ يُخْلِفهُ[3] سيبُ الإِلَه وخَيْرُ المَالِ ما نَفعا
ما عَضَّنِي الدهرُ إلّا زادَنِي كرماً ولا اُستكَنْتُ له إذْ جَارَ[4] أو خَدَعَا
ولا تُلَيِّنُ من عُودِي غَوَامِزُه[5] إذ المُغَمَّزُ منها لَانَ أو خَضَعَا
ولا أخاتل رَبَّ البَيْتِ غَفْلَته ولا أقول لشيء فَاتَ ما صَنَعا
[ما يَسَّر اللهُ من شيء قَنَعْتُ به ولا أَمُوتُ على ما فَاتَنِي جَزَعَا][6]
إنِي لأَمْدَحُ أقواماً ذوى حَسَبٍ لم يجعلِ اللهُ فى أخلاقهم طبعا
الطَّيِّبِين عـلى العِلَّات مَغْجَمَةً لو يُعْصَرُ المِسْكُ من أعطافهم[7] نَبَعا
بَنِي شِهَابٍ بهـا أعنى وإنَّهُم لأكرمُ النَّاسِ أحوالا ومُصْطَنَعَا

فوصله مِسْمَع بنُ مَالِك وحَمَله وكَسَاه وولّاه ثم تُوُفِّى مِسْمَع بسجستان . فقال أبو جِلْدة يَرْثيه :

أَقـولُ للنفسِ تأْسَاء وتَعْزِيَـة قد كان فى مِسْمَعٍ من مَالِكٍ خَلَفُ[8]
يا مِسْمَعَ الخيرِ مَنْ ندعو إذَا نَزَلت إحدى النوائبِ بالأَقوام واخْتَلَفُوا

(١) فى غ : إذ زالت .
(٢) فى غ : فخرى .
(٣) فى غ : أخلفه .
(٤) فى غ : إن خان .
(٥) فى غ : غمائزه .
(٦) لم يرد البيت فى غ .
(٧) فى غ : أطرافهم .
(٨) فى غ : قد كان من مسمع فى مالك خلف .

لو خَلَّدَ الدهرُ فيَّاضاً لمَكرُمَةٍ[1] ... وبَذْلِ جُودٍ لمَا أودى بك التلف

كنتَ الشهابَ الّذي يُرْمى العَدُوّ به ... والبحرَ منه سِجَالُ الجود تَغْتَرِف

كان أبو جِلْدَة قد ضِيمَ من بعض الوُلَاةِ فهَتَف بقومه فلم يقدِروا على مَنْعِه منه ولا على مَعُونته رَهْبَةً من السلطان ، فهتَف بأعلَى صَوْته : يامِسْمَع بن مَالِك ، يا أَمِيرُ بْنُ أَحْمَر ، ثم قال :

ولما أَنْ رأيتُ سَرَاةَ قومِى ... سُكُوتاً لا يَثُوب لهم زَعِيم

هتفت بِمِسْمَعٍ وصَدَى أميرٍ ... وقَبْرِ مُعَمَّر تلك القرومُ

فأبكى من حَضَر ، وقاموا جميعا إلى الوالى فسألوه فى أمره حتى كَفَّ عنه .

وأَمِيرُ بن أَحْمَر ، هو رَجل من يَشْكُر كان سَيِّدًا جَوَادًا وكان وَالياً على خُرَاسَان ، وفيه يَقُولُ زِيَادٌ الأَعْجَم :

لولَا أميرٌ هلكت يَشْكُر ... ويَشْكُر هَلْكى على كُلِّ حَالْ

ومُعَمَّر هو ابن شُمَيْر بن عامر[2] بن جَبَلَة ؛ وكان سَيِّدًا شريفاً وكان أميرَ سِجِسْتَان .

كان أبو جِلْدَة فى قرية من قرى بُسْت يقال لها : الخَيْزُرَان[3] ومعه عَمْرو بن صُوحَان أخو صَعْصَعَة فى جماعة يَتَحَدَّثون ويشربون ، فقام أبو جِلْدَة لِيَبُول وكان عَظِيمَ البَطْن فضَرِط فضَحِكَ القومُ منه ، فسَلَّ سيفَه وقال : لأضربن كُلَّ مَنْ لا يَضْرِط فى مَجْلسه هذا ضربة بسيفى ، أَمِنِّى تَضْحَكون لا أُمَّ لكم ! فما زال حتى ضَرَطوا جميعاً غير عَمْرو بن صُوْحان . فقال له : قد علمتَ أَنَّ عبدَ القيس

---

(١) فى غ : قد وسدوك يمينا غير موسدة .

(٢) فى ت : عمرو .

(٣) فى ت : الخزوان .

لا تَفْرِط ولك بدلها عشرُ فَسَوَات . قال : لا والله أو تُفْضِحَ بها فجَعَل يَنْحَسِي ولا يقدر عليها .

فقال أبو جلدة :

أمِن ضَرْطَة بالخيزُرَان ضَرَطْتها تَشَدَّد مِنّى تارة(١) وتَلِينُ
فما هُوَ إلّا السيف أو ضَرْطَةٌ لهَا يَثُورُ دُخَان سَاطِعٌ وطَنِينُ

سأل أبو جِلْدَة الحضين بن المنذر الرقاشى شيئاً فلم يعطه وقال : لا أعطيه ما يَشْرَبُ به الخمر . فقال أبو جِلْدَة فى ذلك :

يا بُؤْسَ يَوْمٍ(٢) طلعت شَمْسُه بالنَّحْس لا فارقتَ رأس الحُضَيْن
إن حُضَيْناً لم يزل باخِلًا [مذ كان](٣) بالمعروف كَزَّ اليَدَيْن

فبلغ الحُضَيْنَ قولُ أبى جِلْدَة ، فقال يُجيبُه :

عَضَّ أَبُو جِلْدَةَ من أُمِّه مُعْتَرِضًا ما جَاوَزَ الأَسْكَتَيْن(٤)
بظرا طويلا عَاصِبا(٥) رأسُه أعقف كالمِنْجَل ذَا شُعْبَتَيْن

كان أبو جِلْدَة عَشِق دِهْقَانَةً فى بُسْت فكان يَخْتَلِف إليها ويكون عندها فقالَ فِيهاَ :

وكأسٍ كأن المسك فيها حسَوْتها ونَازَعَنِيها صَاحِبٌ لى مُسَلَّمُ
أغرُّ كأنَّ البدر سُنَّةُ وَجْهِهِ له كَفَلٌ راب(٦) وفَرْعٌ ومَبْسِم

---

(١) فى غ : دارة « تحريف » .
(٢) فى غ : يا يوم بؤس .
(٣) ما بين القوسين ساقط من ت والتكملة من غ .
(٤) فى ت : الركبتين .
(٥) فى غ : غاشيا .
(٦) فى غ : واف .

يضيء دُجَى الظَّلْماءِ رَوْنَقُ وجهه[1] ... وينجاب عنه الليلُ والليلُ مُظْلِمِ
وثَدْيان كالحُقَّيْن والمَتْن مُدْمَجٌ ... وجِيدٌ عليه نَسْق دُرٍّ مُنَظَّمُ
وبَطْن طوَاه الله طَيًّا ومَنْطِقٌ ... شَهِيٌّ[2] ورِدْفٌ[3] نِيطَ بالحَقْو مفعم[4]
به تَبَلَّتْنِي واسْتَبَتْنِي وغادَرَت ... بنات فؤادى[5] نارُها يَتَضَرَّمُ
فمن مُبْلِغٌ قَوْمى الدُّنَا أَنَّ مُهْجَتى ... تبينُ لأن بانَت ولا تَتَكَلَّمُ[6]
أَبِيتُ بها أَهْذِى إذَا اللَّيْلُ جَنَّنِى ... وأُصْبِح مَبْهُوتًا فما أتَكَلَّمُ
فما بالُها ضَنَّت علىَّ بوُدِّها ... وقلبى بِهَا يا قَوْم عانٍ مُتَيَّمُ
وعَهْدِى بها ـ والله يُصْلِح شأنَها ـ ... تَجُودُ على مَنْ يَشْتَهِيهَا وتُنْعِمِ

فلما بلغها الشِّعر سألت عن تَفْسِيره ففُسِّر لهَا . فلما انتهى التفسيرُ إلى البيتين الأخيرين غضبت وقَالت : أنا زَانِية كما زَعَم ! أَوَ كُلَّما اشْتَهَانى إنسانٌ بذلْتُ له نفسى وأَنْعَمْتُ له لا كلمتُه أبدا . فصرَمَته فلم يَقْدِر عليها وهتف بها زمانا فلم يَصِل إليْهَا .

كان أبو جِلْدة يشرب مع أبن عَمٍّ له من بَكْر بن وَائِل فسَكِر نديمُه فعرْبَد عليه وشَتَمه فاْحْتَمَله أبو جِلدة وقال :

أَبَى لِى أن أَلْحَى نَدِيمِى إذا أنْتَشَى ... وقال كلاماً سَيِّئا لى على السُّكْرْ
وقَارِى وعِلْمِى بالشَّرَابِ[7] وأَهْلِه ... وما نادمَ القومَ الكِرام كذِى الحِجْرْ

---

(١) فى غ : خده .
(٢) فى غ : رخيم .
(٣) فى ت : وجهم « تحريف » .
(٤) فى غ : مفأم .
(٥) فى غ : لظى فى فؤادى .
(٦) فى غ : ألا تتلوم .
(٧) فى ت : بالشباب .

فلستَ بِــــلاحٍ لى نديمًا بزَلَّةٍ ولا هَفْوةٍ كانت ونحن على الْخَمرِ
عركتُ بِجَنْبِي قولَ خذْنى وصاحِبِي ونحن على صَهْباءَ طَيِّبَةِ النَّشرِ
فلما تمادى قُلْتُ خُذْهَــا عَرِيقَةً فإنك من قــــوم جَحَاجِحَةٍ زُهْرِ
فما زِلتُ أُسقيه وأَشربُ مِثْلَ مَا سَقَيْتُ أُخِى حَتَّى بَدَا وَضَحُ الفَجْرِ
وأيْقَنْتُ أَنَّ السُّكْرَ طَارَ بِلُبِّــهِ فأَغْرَق فى شَتْمِى وقال وما يَدْرِى
ولاكَ لسانًا كان إذْ كان صَاحِيًا يقلِّبــــه فى كل فَنٍّ من الشِّعْرِ

مَرَّ مِسْمَع بن مالك بأبى جِلْدَة فوثب إليه وأَنْشَأَ يَقُولُ :

يا مِسْمَع بن مَالِكٍ يا مِسْمَعُ أنت الْجوَادُ والْخطِيب المِصْقَعُ
فاْصنَع كما كان أَبُوكَ يَصْنَعُ

فقال له رجل هناك : إنْ قَبِل منك نَاكَ أُمَّه . قال: وكيف ؟ قال: لأنك أمرته أن يصنع كما كان أبوه يصنع ! [وإن أباه كان ينــكح زوجته](1) .

وكان مِسْمَعُ بن مالك يُعْطِى أبا جِلْدَة ويُحْسِن إليه ويَتَوَقَّاه لخُبْث لسانه . وله فيه عدة قصائد منها :

يسعى رجال لــكيْمَا يُدْرِكُوك ولو خَاضُوا بِحَارَكَ أوضَحْضَاحها غَرِقوا
وأنتَ فى الحرْبِ لا رَثُّ القوى بَرِمٌ عنـــد اللقاء ولا رِعْدِيدَة فَرِقُ
ساد العِرَاقَ وحَالُ النَّاسِ صَالِحَةٌ وسادَهم وزَمَانُ النــاس مُنْخَرِقُ
لا خَارِجِىٌّ ولا مُسْتَحْدَثٌ شَرَفًا بل مجدُ آلِ شِهابٍ كان مذ خُلِقُوا

ثم مدح أبو جِلْدَة مُقَاتِل بن مِسْمَع طَمَعًا فى مثل ما كان مِسْمَع يُعْطِيه ، فلم يلْتَفِت إليه وأمر أنْ يُحْجَبَ عنه . فقِيلَ له : تعرَّضْت لِلسان أبى جِلْدة وخُبْثِه . فقال : ومَنْ هو الْكَلْب ! وما عسى أن يقول قبَحه الله وقَبَح مَنْ هُوَ منه ! فلْيجْهَد جَهْدَه، فبلغه ذلك ، فقال فيه هِجَاء .

(١) زيادة فى ت لم ترد فى غ .

إسماعيل بن عمار

هو إسماعيل بن عمّار بن عُيَيْنَة بن خُزَيْمَة بن طُفَيْل بن عيسَى بن عَمْرو بن خَلَف بن زَبّان بن كَعْب بن مَالِك بن ثَعْلبة بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيْمة شاعِر مُقِل مُخْضَرَم من شعراء الدولتين يَنْزِل الكُوفة . وكان بالكوفة رجل يقال له ابن رامين[1] صاحب قِيَان قدم من الحجاز فكان يأتيه مَنْ يشرب النَّبِيذ ويَسْمَع الغِنَاء فيُقِيمُون عِنْدَه مثل يَحْيى بن زِيَاد الحارثىّ وشُرَاعَة بن الزَّنْدَبُوذ ، ومُطِيع بن إياس ، وعبد الله بن عباس وعَوْن العِبَادِىّ ومُحَمّد بن الأَشْعَث الزّهْرِى المغنى . وكان إسماعيل بن عمار يَغْشَاه أيضا ويَشْرَبُ عِنْده وكان فى جِوَاره فى بنى أسد وأنتقل مِنْ جوَاره إلى بنى عائذ الله[2] فكان إسماعيل يزوره هناك على مَشَقّة لبُعْد ما بَيْنَهُما . وكان لابن رامين جوارٍ عدة ، منهن سلّامَة الزّرقاء ، وسَعْدَةُ ورُبَيْحة ، وكُنّ من أحسن الناس غِنَاء . فاشترى محمد بن سليمان سَلّامة الزّرقاء وفيها يقول مُحَمّدُ بنُ الأَشْعَث :

أَمْسَى لسَلّامةَ الزرقاءِ فى كَبِدى ... صَدْعٌ مقيم طَوَالَ الدَّهْرِ والأَبَد
لا يستطيع صَنَاعُ القوم يَشْعَبه ... وكيف يُشْعَب صَدْعُ الحب فى الكبد[3]

وحَجّ ابن رامِين وجَوَارِيه مَعَه ، وكان مُحَمّد بن سليمان إذ ذَاكَ على الحجاز ، فاشْتَرى منه سَلّامَةَ الزرقاءِ بمائة ألفِ درهم . ولإسماعيل فى جَوَارى ابْن رامين عِدّة قَصَائد .

---

(١) فى ت : رامين بدون ابن « سهو » .

(٢) عائذ الله : حى من العرب . وفى ت : عابد « تحريف » .

(٣) فى غ : كبد .

قال رجل وَجيه من بَنِي أَسَد لإسماعِيل بن عمّار : هلُمّ أركبْ مَعِي إلى يوسف ابن عمر فإنه صَدِيقِي أُكلّمه فيك حتّى يستَعْملك على عمل تَنْتَفِع فيه . فقال إسماعيل : دَعْني حتى يَحُول الحوْل ، وأَنْظُر إلى عُمّاله ما يَصْنَع بِهِم ؛ فلما حال الحول نظر إسماعيل بن عَمّار إلى عُمال يوسف بن عمر يُعَذَّبون فقال فى ذلك :

رأيتُ صَبِيحَةَ النَّيروزِ أَمْراً　　فَظِيعا عن عِمَالتهم[1] نهاني
فررتُ من العِمَالَة بعد يَحْيَي　　وبعــد النَّهْشَلِي أَبِى أَبَانِ
فحَابِ بها أَبَا عُثْمَان غَيْرِى　　فما شأْنُ العِمَالَة[2] لِي بِشَان
أُحاذِر أَن أُقصِّر فى خَرَاجِى　　إلى النَّيْرُوزِ أو فى المِهْرَجَان
وما عُذْرِى إذا عَرَّضْت ظهرى　　لألف من سِيَاط الشَّاهِجَان
تُمَدّ ليُوسف عَدًّا صَحِيحا　　ويحفَظُهــا عليــــه الجالدان

كانت لإسماعيل جَارِية سيئة الخُلُق قد ولدت منه ، وكانت قَبِيحَةَ المَنْظَر وكان يُبْغِضها وهى تُبْغِضُه فقال فِيهَا :

بُلِيتُ بِزَمّردَةٍ[3] كالعَصَا　　أَلصّ وأخبثَ من كُنْدُشِ[4]
تُحِبّ النساء وتأْبَى الرِّجَال　　وتَمْشى مع الأسْفَه الأطْيَش
لهــا وَجْهُ قِردٍ إذا أُزَيِّنَت　　ولون كلون[5] القَطَا الأَبْرَش[6]

(١) فى غ : إمارتهم .
(٢) فى غ الإمارة .
(٣) زمردة، لغة فى « زعْردة » . والزعْردة : المرأة التى تشبه الرجال خلقا وخلقا .
(٤) كندش : لقب لص كان معروفا عندهم .
(٥) فى غ: كبيض .
(٦) الأبرش من البرش والبرشة : لون مختلف ، نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو غير ذلك .

وَمِن فَوْقه [لِمَّةٌ جَثْلَةٌ][1] كَرِيشِ[2] الخَوَافِي مِنَ المَرْعَشِ
وبطنٌ خَوَاصِرُه كالوِطَا[3] ب زاد على كَرِشِ الأَكْرَشِ
وإن نَكَهَتْ[4] كِدتُ من نَتْنِها أَخِــرّ على جَانِبِ الفَرْشِ
وثَدْيٌ تَدَلَّى على بَطْنِهـا كقِرْبَة ذى الثَّلَّةِ المُعْطِشِ
وفَخْذَانِ بَيْنَهُمَا نَفْنَفٌ[5] إذا ما مَشَت مِشْيَةَ المُنْتَشِي
وساقٌ يُخَلْخِلُهـا خاتمٌ كساق الجرادة[6] أو أحمش
وفى كُلِّ ضِرْسٍ لها أَكْلَةٌ[7] أَصَلُّ[8] من القبر ذى المَنْبَشِ
ولَمَّا رأيتُ خَوَا[9] أَنْفِها وفيهـا وإصْلَالَ[10] ما تَخْتَشِي
فَرَرْتُ من البيت من أَجْلِها فِرار الهَجِين من الأَعْمَشِ
لها رَكَبٌ[11] مثلُ ظِلْف الغَزَال أَشَــدُّ أَصفرارًا من المِشْمِشِ
وأبردُ من ثلج سَاتِيدَمَا[12] إذَا رَاحَ كالعُطُبِ[13] المُنْفَشِ

---

(١) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٢) فى غ : كمثل .

(٣) الوطاب : سقاء اللبن .

(٤) نكهت : تنفست على أنف آخر .

(٥) النفنف : المهواة بين الشيئين . وفى غ : بسطة .

(٦) فى غ : الدجاجة .

(٧) الأكلة «بفتح أوله وكسر ثانيه، وسكن هنا للشعر» : داء يقع فى العضو فيأتكل منه .

(٨) أصل : أنتن .

(٩) الخواء : الهواء بين الشيئين ، والقصر هنا للشعر .

(١٠) الإصلال : النتن .

(١١) الركب : الفرج . وفى غ : إلى ضاس .

(١٢) ساتيدما : جبل .

(١٣) العطب : القطن .

وأَرسَحُ[1] من ضِفْدعٍ عَثَّةٍ[2] ... تَنِقّ على الشَّطِّ من مَرْعَشِ[3]
وأَوسعُ من باب جِسْرِ الأَمير ... تُمِرُّ المَحَامِلَ لم تَخْدِشِ
فهذى صِفَاتى فلا تَأْتِها ... فقد قُلْتُ طَرْدًا لها كَشْكِشِى[4]

كان بجوار إسمَاعِيل رَجُلٌ من قومه ينهاه عن الشُّرْبِ والسُّكْرِ وهجاء النـاس ويَعْذِلُه، وكان إسمَاعِيلُ له مبغضا[5]، فبَنَى ذلك الرجل مسجدا يُلاصِق دارَ إسماعيل وحسَّنه ، وكان يجلس فيـه هو وقُرَّاء[6] قومه وذو الستر[7] والصَّلاح منهم عامّة نَهارهم ، فلا يقدر إسمَاعِيل أن يَشْرَبَ فى داره ولا يدخُل إليه أحد ممن كان يَأْلَفُهُ من مُغَنٍّ أو مُغَنِّيَة أو نديم ، وكان الرَّجُل يَتَوَلَّى شيئاً من الأوقاف[8] للقاضى بالكوفة فقال إسماعيل يَهْجُوه :

بَنَى مَسْجِدًا بُنْيَانُه من خِيَانَةٍ ... لَعَمْرِى لَقِدْمًا كنتَ غيرَ مُوَفَّق
كصَاحِبَة الرُّمَّان لَمَّا تصدّقت ... جرَت مَثَلًا للخَائِنِ المُتَصَـدِّق
يقول لها أَهْلُ الصَّـلاح نَصِيحَة ... لَكِ الويلُ لا تَزْنِى ولا تَتَصَدَّقِى

سَمِع إسماعيلُ بنُ عَمَّار رجلا يُنْشِد أبيات الفرَزْدَقِ يَهْجُو بها عُمَر بن هُبَيْرَة الفزَارِىّ لَمَّا وَلِىَ العِرَاق ويَعْجَب من وِلَايَته ، وكان خَالدٌ القَسْرِى قد وَلِىَ العِراقَ

---

(١) أرسح من الرسح ، وهو قلة لحم الفخذين والعجز .
(٢) العثة : الضئيلة الجسم .
(٣) مرعش : مدينة قرب الشام .
(٤) الكشكشة : الهرب . وكشكشى : اهربى .
(٥) فى غ : مغضبا .
(٦) فى غ : وقومه بدل وقراء قومه .
(٧) فى غ : التستر .
(٨) فى غ : الوقوف .

فى تلك الأَيَّام . فقال إسماعيل : أعجَبُ من وِلَاية ابن هُبَيْرَة وِلَاية خَالد القَسْرى وهو مُخَنَّث دَعِىّ ثم قال :

عَجِبَ الفرزدقُ من فزَارة أَنْ رَأَى عنهـا أُمَيَّـةَ بالمَشَارِق تَنْزِعُ
فلقد رأى عَجَبا وأُحْدِثَ بَعْدَه أمرٌ تطير له القُلُوبُ وتفزَع
بَـكَتِ المنابِرُ من فزَارة شَجْوَهَا والآن من قَسْرٍ تَضِجُّ وتَجْزَع
فملوكُ خنـدف أَضْرَعُونا لِلْعِدا لله دَرُّ مُلُوكنا ما تَصْنَع
كانوا كقَاذِفَة بَنِيهـا[1] ضَلَّةً سَفَهاً وغَيْرُهُم تَرُبُّ وتُرْضِـع

(١) فى ت : بنوها بالرفع خطأ .

أَسَاقِفَةُ نَجْرَان

ومُبَاهَلَة النبي صَلّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّم

قَدِم صُهَيب من نَجْران مع أهل نجران وهو غُلَام ومعهم الأُسْقُفّ والعَاقِب وأبو حَبَش[1] ، والسَّيد ، وقَيْس[2] ، وعبد المسيح وابنه الحَارِث ومعهم أربعون حِبْرًا[3] فوقفوا على اليَهُود فى بيت المِدْرَاس[4] ، فصاحوا بهم : يا ابن صُورِيّا يا كعب بن الأشرف[5] ، انزِلوا يا إخوة الخنَازِير والقِرَدة ؛ فقالوا لهم : هذا الرجل عندكم مُنْذُ كذا وكذا سَنَة قد غَلَبكم ، أَحْضِروا المُمْتَحَنة لِنَمْتَحَنه غدا . فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح قَامُوا فبَركوا بين يَدَيْه ثم تَقَدّمهم الأُسْقُفّ فقال : ياأبا القَاسم ، مُوسَى مَنْ أَبوه ؟ قال: عِمْران ، قال : فيُوسف مَنْ أبوه ؟ قال : يعقوب . قال : فأنْتَ مَنْ أَبُوكَ ؟ قال : عبد الله بن عبد المطلب . قال : فعيسى مَنْ أَبُوه ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانقَضّ جبريل عليه السلام ؛ فقال: « إنَّ مَثَل عيسَى عندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَم خَلَقَه من تراب » فتَلَاهَا النبي صلى الله عليه وسلم فنَزَا[6] الأُسْقُفّ ثم دِيرَ بِهِ مَغْشِيًا[7] عليه ، ثم رفع رأسَه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: فقال له : أتزعم أن الله تعالى أَوْحَى إلَيْك أنَّ عِيسَى خُلِق من تراب ! ما نجد

---

(١) فى ت : تحس « تحريف » .

(٢) فى ت : قس « تحريف » .

(٣) فى ت : أحبارا « تحريف » .

(٤) فى ت : المدارس « تحريف » . وبيت المدراس :البيت الذى يتدارس اليهودفيه كتابهم .

(٥) فى ت : يابن كعب بن الأشقر « تحريف » .

(٦) نزا : وثب . وفى ت : فبرا « تحريف » .

(٧) بياض بالأصل والتكملة من غ .

هذا فيما أُوحِي إلَيْنَا ولا نجده هَؤُلَاء اليَهود فِيمَا أُوحِي إليهم ، فأوحى الله إليه : « فَمَنْ حَاجَّك فيه مِنْ بَعْدِ ماجاءك من العِلْم فقل تَعَالَوا نَدْعُ أبناءنا وأبناءكم ونِسَاءنا ونِسَاءكم وأنفسَنا وأنفسَكم ثم نَبْتَهِل فنَجْعَلْ لعنةَ الله على الكَاذِبين » فقال : أنصفتنا يا أَبَا القَاسِم، فمتى نُبَاهِلك ؟ فقال : بالغَدَاة إن شاء الله . فانصرف النَّصارى وانصرفتِ اليَهود وهم يَقُولُونَ : والله ما نُبَالِي أيهما أهلك الله الحنيفيّةأوِ النصْرَانيّة فلمّا صارت النصارى إلى بُيُوتها قالوا : واللهِ إنكم لتعلمون أنَّه نبِي . وإنْ بَاهَلْنَاه إنَّا لنَخْشَى أن نَهْلك ، ولكن أستَقيلوه لعَلّه يُقيلنا .. وغدا النبي صلى الله عليه وسلم من الصُّبح وغَدَا معه عَلِيّ وفَاطِمَة والحَسَنُ والحُسَيْن رَضِي الله عنهم . فلما صلّى الصبحَ استقبَل الناس بوَجْهِه ، ثم جلس بَارِكا ، وجاء بِعَلِيّ فأقَامه بَيْن يدَيْه ، وجاء بفاطمة فأقَامَها بين كَتِفَيْه ، وجاء بالحَسَن فأقامه عن يَمِينه ، وجاء بالحُسَين فأقامه عن يساره ، فأقبلوا يَسْتَتِرون فى المَسْجد بالخُشُب فَرَقاً أن يبدأهم بالمُبَاهلة إذا رآهم ؛ فبَرَكُوا بين يَدَيْه ، ثم صاحُوا : ياأَبَا القَاسِم ، أقِلنا أقالك الله عَثَرَاتك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم ــ قال : ولم يُسْأَل النبيُّ صلى الله عليه وسلم شَيْئاً قَطّ إلّا أعْطاه. فقال : قد أَقَلْتُكم. فلما وَلّوا قَالَ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم : والّذى بعثنى بالحَقّ لو باهلتهم ما بَقِي على وَجْه الأرض نَصْرَانِيٌّ ولا نَصْرَانيّة إلّا أهلكهم اللهُ عز وجل .

ويقال : إنّ العَاقب وثَب فقال : أذَكِّركم اللهَ أن نُلَاعِن هذا الرجل ! فوالله إن كان كَاذِبا ما لكم فِي ملاعَنَته خَيْر ، وإن كان صَادِقا لا يَحُولُ الحَوْلُ ومنكم نَافِخ ضَرَمَة[1] فصالحوه ورَجَعوا .

وكان الأَعْشَى يسمع من أَسَاقِفَة نجران ويَنْقُل عنهم فيما نقل عنهم فى شعره قوله :

أستَأْثَر اللهُ بالوَفَاء وبالـ ... عَدْلِ وَوَلّى المَلَامَةَ الرَّجُلَا

(١) الضرمة : الجمرة . يقال : ما فى الدار نافخ ضرمة أى ما فيها أحد .

إبراهيم بن سيابة

مَوْلى بنى هاشم. يقال : إن جدّه حجّام أعتقه بعض الهاشميّين . مُقارِب لشُعَراء وقته ، وليست له نَباهَة ولا شِعْر شريف وكان يميل بمحبّته ومَدْحِه إلى إبراهيم وابنه إسحاق فغنّيا فى شعره ورفعا منه . وكان خليعا ماجناً طيّب النادرة وكان يُرْمى بالأُبْنَة .

هَوَى إبراهيمُ بن سَيَابة أَمَةً سوداء فعُوتبَ على ذلك من أهْله فقال :

يَــكُونُ الخالُ فى وَجْهٍ قَبيحٍ فيــكْسوه الملاحــةَ والجَمَالا
فــكيف يُلاَمُ مَشْغُوف [(١)] على مَنْ يَراهــا كُلَّهــا فى العَــيْن خَــالا

وكان لسَوّار بن عبد الله القاضِى ابنٌ أمردُ يهوَى مُغَنّية تسمى رُحَاص ، فسَكِر فنام وإبراهيمُ بن سَيَابة حاضر ، فجعل يُعَانِقه ويُقبِّله ، فلما انْتَبَه قال للجارية : ليت شِعْرى ما كان خَبَرُك مع ابنِ سَيَابة ؟ فقالت له الجارية : سل عن خَبَرِك أنتَ معه ، وحدثته بالقِصّة ، فهجرَه الغُلام وشَتَمه فقال :

أإن لثَمْتُــكَ سِــرًّا فأبصرَتْــنى رُحَــاصُ
وقـــال فى ذاكَ قَوْمٌ على انتِقَاصى حِرَاصُ
هجَرْتَنى وأَتَتْــنِى شَتيمَةٌ وانْتِقَــاصُ
فهَــاكَ فاقْتَصَّ مِنّى إنَّ الجُروحَ قِصَــاصُ

وقيل : إن رُحَاص هــذه كانت دايةَ ابْن القَاضى ، وأنّه لَقِيه وهو سَكْران فعانَقه وقبّله ودَايَتُه هذه معه فقيل للدّاية : إنَّ هــذا تَقْبِيلُ شَهْوة لا تقبيلُ سَلاَم فلحقته فشَتَمَته وأسمعته ما يَكْره ، وتحاماه الغُلاَم بعد ذلك .

---

(١) فى غ : معشوق !.

عُوتِبَ ابنُ سَيَّابَة على مُجُونه فقال : ويلكم ! لأَنْ أَلقَى اللهَ عزّ وجل بِذُلّ المَعَاصِي فيرحَمَنِي أحبُّ إليّ من أنْ ألقاه أتبختَرُ إدْلَالاً بحَسَنَاتي فيمقُتَنِي .

وسَكِرَ ابنُ سيابَة يوما حتى حُمِل فى طَبَق ومر به حَامِلُه على الجِسْر ؛ فسأله إنسان : ما هَذَا ؟ فرفع هو رأسَه وقال : هذا بَقِيّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ موسى وآلُ هَارون تَحْمِلُه الملائكة يا كِشْخَان[1] .

كتب ابن سَيَّابَة إلى صديق له يقْتَرِض منه شيئا ، فكتب إليه يعتذر ويَحْلِف أنّه ليس عنده ما طلبه ، فكتب إليه : « إن كنت كاذِباً فجعلَكَ اللهُ صَادِقاً ، وإن كنت مَلُوماً فجعلك الله مَعْذُوراً » .

كان ابن سيابَة يوما مع جماعة يتحدّث ويُنْشِد شيئا من شعره ، فتحرّك فضَرِط ، فضرب بيده على أُسته غير مكترث ، وقال : إمّا أن تسكُتِي حتى أتكلّم أنا ، وإمّا أن أسكتَ حتى تَتَكَلَّمِي .

عَبث ابنُ سيابَة بغُلام أَمْرد فأجَابه ، فمَضَى بِهِ إلى بَيْته ، فأكَلَا وشَرِبَا ، فقال له الغُلام : أنت ابن سَيَابَة الزِّنديق ؟ قال : نعم . قال : أُحِبّ أن تُعَلِّمَني الزَّنْدَقَة . قال : أفعلُ وكَرَامة . ثم بَطَحه على وجهه وتَمَكَّن مِنْه وَوَقع عليه فصَاح الغُلَام : أوّهْ أَيّ شيء هَذَا وَيْحك ! فقال : هذا أَوّل شَرَائع الزَّنْدَقة .

قال مُحرِز بن جَعْفر الكَاتِب : قال لى إبراهيم بن سَيَابَة : إذا كان فى جِيرَانك جِنَازَةٌ وليس فى بيتك دَقِيق فلا تحضُر الجنَازَة فإنّ المصيبةَ عندك أكثرُ منها عند القوم ، وبيتُك أَوْلَى بالمأتم مِنْ بَيْتِهم .

سَخِط الفضلُ بن الرّبيع على ابن سَيَابَة فسأله أَنْ يَرْضَى عنه فامتنع . فكتب إليه :

---

(١) الكشخان : الديوث .

إن كان جُرْمى قـد أحَاطَ بحُرْمَتى ... فأحِط بجُرمى عفوَكَ المَأمُولَا
فـكَم ارتَجَيْتُك فى الّتى لا يُرْتَجَى ... فى مِثْلِها أحَـدٌ فنِلْتُ السُّولَا
وضَلَلْت عنكَ فلم أجد لى مَذْهَبًا ... ووجدتُ حِلْمَك لى عليك دَليلا
هَبْنِى أسأتُ وما أسأتُ أُقِرُّ كَىْ ... يَزدادَا عفوُكَ بعد طَوْلك طُولَا
والعفوُ أجمَلُ والتفَضُّل بامرىءٍ ... لم يَعْدَم الرّاجُونَ منـه جَميلَا

فلما قرأها الفضلُ دَمِعت عينُه ورَضِى عن ابن سَيَابَة ، وأوصله إليه وأمر له بعشَرَة آلاف درهم .

جاء إبراهيم بنُ سَيَابة إلى بَشّار بن بُرْد فقال له : ما رأيتُ أعمَى قَطّ إلا وقد عُوِّض عن بصره ، إما الحِفْظُ والذَّكاء وإمّا حُسنُ الصّوْتِ فأىَّ شىء عُوّضْتَ ؟ قال : لا أرَى ثقيلًا مِثْلَك ، ثم قال له : من أنت ؟ قال: إبراهيم بن سَيَابة فضحك ثم قال :

لو نُـكِح الليثُ فى أسته خَضَمَا ... وماتَ جـوعا ولم يَنَل شِبَعا
كذلك السيف عنـد هِزّته ... لو بَصَقَ الناسُ فيـه مَا لَمَعَا(١)

(١) فى غ : قطعا .

الأَسْوَدُ بْنُ يَعفُر

هو الأَسْودُ بنُ يَعفُر بن عَبْد الأَسْود بن جَنْدل بن نَهْشَل بن دارِم بن مالِك ابن حَنْظَلَةَ بن مَالِك بن زَيْد مَناة بن تَمِيم . وأم الأَسْود رُهْم بنت العبَّاب ، من بَنِى سَهْم بن عِجْل شاعر فصيح متقدم من شعراء الجاهلية ، ليس بالمُكْثر . وجعله محمد بن سلام فى الطبقة الثامنة مع خِدَاش بن زُهَير ، والمُخَبَّل السعدى ، والنَّمر بن تَوْلَب . وهو من العُشْى المعدودين فى الشعراء . وقصيدته الدَّالِيَّة المشهورة :

نامَ الخلِىّ وما أُحِسّ رُقادى ... والهمّ مُحْتَضِر لَدَىَّ وسادى

مَعْدُودَة من مختار أشعار العرب وحِكَمِها ، مُفَضَّلَةَ[1] مأثورة .

قال الأَصمعى : تقدّم رجل إلى القاضى سوَّار بن عبد الله من أهل البصرة من بنى دارم ليقيم شهادة عنده ، فصادَفَه يتمثل بقول الأَسْود بن يَعْفر :

ولقد علمتُ لو انَّ علمىَ نَافِعِى ... أَنَّ السبيلَ سَبِيلُ ذى الأَعْوادِ

إنّ المَنية والحُتُوفَ كلاهما ... يُوفى المَنِيّة يَرْمِيانِ سَوَادِى

ماذا أُأَمِّل بعد آل مُحَرِّق ... تركوا منازِلَهم وبعدَ إياد

أهلِ الخورْنَق والسَّدِير وبَارِقٍ ... والقصرِ ذى الشُّرُفَات من سِنْداد

نزلوا بأنقُرةٍ يَسِيل عليهم ... ماءُ الفرات يَجِىءُ[2] من أطواد

جرت الرياح على رسوم[3] دِيَارِهم ... فكأنَّهم[4] كانوا على مِيعَاد

---

(١) فى غ : مفضلية .

(٢) فى غ : يفيض .

(٣) فى غ محل .

(٤) فى غ : فكأنما .

ولقد غَنُوا فيها بأنعم[1] عِيشَةٍ   في ظِلِّ مُلْكٍ ثابت الأوتاد
فإذَا النَّعيم وكُلّ ما يُلْهَى به   يَوْماً يصير إلى بِلًى ونَفـاد[2]

ثم أقبل على الدارىّ فقال : أتروى هذا الشِّعر ؟ قال : لا . قال : أفتعرف قائله ؟ قال : لا . قال : رجل من قومك له هذه النَّبَاهَة وقد قال مثلَ هذه الحِـكَم لا تعرفه ولا ترويها ! يا مزاحم ، أثبِت شهادتَه عندك ، فإنى متوقف عن قبولها[3] حتى نسأل عنه فإنى أظنه ضعيفا .

قال سِنَان بن يزيد : كنت مع مولاى جَرِيرِ بنِ سَهْم التَّميمىّ وهو يسير أمام عَلِىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يقول :

يا فَرَسِى سِيرِى وأُمِّى الشَّاما   وخَلِّفِى الأخـوالَ والأعمَامَا
وقطِّعِى الأجوازَ والأعلامَا   وقَاتِلِى مَنْ خالفَ الإماما
إنّى لأرجُو إنْ لَقِينَا العاما   جَمْعَ بَنِى أُمَيَّةَ الطَّغَامَا
أن نَقْتُلَ العَاصِىَ والهُمَامَا   وأن نُزِيـل من رِجَالٍ هَامَا

فلما انتهى إلى مدائن كسرى وقف علىّ رضى الله عنه ووقفنا فتَمَثّل مولاى بقول الأَسودِ بْنِ يَعْفُر :

جَرَتِ الرياحُ على مَحلِّ دِيَارِهم   فـكأنَّهم كانُوا عـلى مِيعَاد

فقال له على رضى الله عنه : فلِمَ لم تَقُل كما قال الله عزّ وجل : « كم تَرَكُوا من جَنَّاتٍ وعُيُونٍ وزُرُوعٍ ومَقَامٍ كَرِيم ونَعْمَةٍ كانُوا فِيهاَ فَاكِهِين كَـذَلِكَ وأَوْرَثْنَاها قَوْماً آخَرِينَ » ثم قال : يا أخى ، هؤلاء كفروا النعمة ، فحلّت بهم النقْمَـة ، فإيّا كم وكفرَ النِّعمة فتَحُلّ بكم النِّقْمَـة .

(١) فى تجريد الأغانى : بأعظم .
(٢) لم يرد هذا البيت والذى قبله فى غ .
(٣) فى غ : قبوله .

وجَرّاح بن الأسود بن يَعْفُر هو الذى أَخَذَ فرس بنى الحارث بن نعمة الله بن ثعلبة وهى أَجْوَدُ فرس فى الأَرْض وهرب بها وابْتَطَنَها[1] ثلاثةَ أَبْطُن ثم رد الفرسَ وأمسك أمهارَها وتوعَّدوه بسبَب ذلك .

وكان جَرّاح هذا فى صباه ضَعِيفاً وأُمّه أَخِيذَة ، أخذَها الأسودُ بن يَعْفُر من بنى نَهد فى غارة أغارها عليهم . ولَمَّا أسَنَّ الأسود كُفَّ بصرُه وكان يُقَاد إذا أراد مَذْهبا .

وكان للأسود أَخٌ يقال له: حُطَائط بن يعفر شَاعِر جَوَاد . وهو الذى يقول لأمه رُهْم بنت العَبَّاب لما عاتبته على جُوده :

تقول ابنةُ العَبَّاب رُهم حَرَبْتَنِى[2] ... حُطَائطُ لم تترك لنفسك مَقْعَدا
إذا ما أَفَدْنَا[3] صِرْمَةً بعد هَجْمةٍ ... تَكون عليها[4] كابن أُمك أسودا
فقلت ولم أَعْىَ الجوابَ تأَمَّلى ... أكانَ هُزَالا حَتْف زَيْد[5] وأَرْبَدا
أَرِينى جواداً مات هُزْلا لعلَّنى ... أَرَى ما تَرَيْن أو بَخيلًا مُخَلَّدا
ذَرِينى أَكُن للمَالِ رَبًّا ولا يَكُن ... لِىَ المالُ رَبًّا تَحْمَدِى غِبّه غَدَا
ذَرِينِى فما أَعْيَا بما حَلَّ سَاحَتِى ... أَسُودُ فأُكْفَى أو أطيع المسودا[6]
ذَرِينى يَكُن مالى لِعِرْضِى وقايةً ... يَقِى المالُ عِرْضِى قبل أن يَتَبَدَّدَا

(١) ابتطنها : نتجها ثلاث مرات .
(٢) فى ت : حرمتنى .
(٣) فى غ : جمعنا .
(٤) فى غ : علينا .
(٥) فى ت : أنفك أربدا .
(٦) فى ت : مسودا « بدون أل »

أرطاة بن سُهَيَّة

هو أَرْطَاة بنُ زُفَر بن عبد الله بن مالك بن شدَّاد بن عُقْفَان[1] بن أبي حارثة بن مُرّة بن نُشْبة[2] بن غَيْظ بن مُرّة بن سعد بن ذُبْيَان.

وسُهَيَّة أمة بنتُ زَامِل[3] بن مَرْوَان بن زُهَيْر بن ثَعْلَبَة بن حُدَيْج[4] بن أبي جُشَم بن كَعْب بن عُوف بن عَامر بن عوف سَبِيَّة من كلب. وكانت لضِرَار بن الأَزْوَر ثم صارت إلى زُفَر وهى حامل فجاءت بأَرْطَاة من ضِرَار على فِراش زُفَر؛ فلما ترعرع أرطاة جاء ضِرَارٌ إلى الحارث بن عوف فقال له:

يا حارث أفكك لى بُنَيّ من زُفَر ... فى بَعْضِ مَنْ تُطلِق مِنْ أَسْرَى مُضَر

إنَّ أباه أمرؤٌ سَوْءٍ إن كَفِر

فأعطاه الحارِث إيّاه وقال: أنطلق بِابْنِك، فأدركه نَهْشَلُ بن حَرِّى ابن غَطَفان فانتزعه منه وردَّه إلى زُفَر. وفى تَصْدَاق ذلك يقول أرطاة لبعض أَوْلَادِ زُفَر:

فإذا خَمِصتم قلتُم يا عَمَّنا ... وإذا بَطِنتم قلتم أبنَ الأَزْوَر

ولهذا غَلَبَت أمه سُهَيَّة على نسبه فنُسِب إليها. وضِرَار بن الأَزْوَر هذا قاتِل مَالِك بن نُوَيْرَة الذى يقول فيه أخوه مُتَمِّم:

نِعْمَ القَتِيلُ إذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَت ... تحت البيوت قَتَلْتَ يا أبن الأَزْوَر

---

(١) فى ت: غطفان «تحريف».

(٢) فى ت: سنية «تحريف».

(٣) فى ت: رامك «تحريف».

(٤) فى ت: جريج «تحريف».

وأَرْطَاة شَاعِر فَصِيح ، معدود فى طبقات الشعراء الإسْلَامِيِّين فى دولة بنى أُمَيَّة لم يَسْبِقْها ولم يُجَاوِزْها . وكان امرأ صِدْق شريفاً فى قومه جَوَادًا .

دخل أرطاةُ بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مروان ، فاستَنْشَدَه شيئاً مما نَاقَض به شَبِيبَ بن البَرْصاء فأنشده :

أَبى كان خيراً من أبيكَ ولَمْ يَزَل جَنِيباً لآبائى وأنت جَنِيبُ

فقال له عبد الملك : كذبتَ ، شَبيب خيرٌ منك أَباً . قال: ثم أنشده:

ومازلت خيراً منك مذ عَضَّ كارِهاً برأسِك عادىُّ النِّجادِ رَسوب(١)

فقال عبدُ المَلك : صدقتَ أنت فى نفسك خَيْر من شَبِيب . فعجب مَنْ حضر مِنَ عبد الملك ومن مَعْرِفته لسَائر النَّاس على بُعدهم منه فى بَوَادِيهم ، وكان الأمرُ كما قال ، فإن شَبِيباً أشرفُ أبا من أَرْطَاة ، وأرطاة أشرف نَفْسًا وفِعَالا من شَبيب .

دخل أرطاةُ بن سُهَيّة على عبد الملك بن مروان وقد أسَنَّ فقال له : كيف حالك يا أرطاة ؟ فقال : ضَعُفَت أوصالى ، وضَاعَ مَالِى ، وقل مِنِّى ما كُنت أحِبّ كثرَته وكَثُر ما كنت أُحِبّ قِلّته ، قال: فكيف أنت فى شعرك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ما أطرَب ولا أغضَب ولا أَرْغَب ولا أرْهَب ولا يكون الشِّعر إلا من هذه الأَرْبع . وعلى أَنِّى القائل :

رأيت المرءَ تأكُلُه اللَّيَالِى كأكْلِ الأرضِ سَاقِطَةَ الحدِيد
ومـا تَبغِى المَنيَّةَ حِينَ تَأْتِى على نَفْس ابْن آدَم من مَزِيدِ
وأعلَمُ أنَّها ستَكُرُّ حتى تُوفِّى نذرَها بأَبِى الوَلِيد

فارتاع عبد الملك ثم قال : تُوفِّى نذرَها بك ويلك ! مالى ولك ؟ فقال : لا تفزع يا أَميرَ المؤمنين ، فإنَّما عَنَيْتُ نَفْسِى ـ وكان أرطاةُ يكْنَى بأَبِى الوَلِيد ـ فسَكَن عبدُ الملك ، ثم استعبر باكِياً وقال : أما والله على ذلك لتَلُمَّنَّ بى أيضاً .

(١) فى ت : ركوب !.

وكانت بين أرْطَاة وبين شَبيب بن البَرْصَاء مُهاجَاة كثيرة .

وكان أرْطَاةُ بن سُهَيَّة يتحدّث إلَى امرأة من غَنِيّ يقال لها: وَجْزَة ، وكان يَهوَاها ويَهيم بها ، ثُمَّ افترقا وحال الزّمان بَيْنَهُمَا ، ثم اجتمعت غَنِيّ وبنو مُرّة فى دار فمر أرطاة بوَجْزَة وقد هرِمت وتَغيّرت محاسنها وافتقرت، فجلس إليها فشكت إليه أمرها . فلما أرادَ الانصرافَ أمَر رَاعيه فجاء بعشرة من إبله فربطها[1] بفنَائِها ثم انصرف وقال :

مررتُ على خِدْنى[2] برَمَّان[3] بعدما ... تَقَطَّع أقرانُ[4] الصِّبا والوَسَائل

فكنت كظَبْي مُفْلت من حبائل ... به الحَيْن حتى أُعْلِقَتْه[5] الحبائل

قال أرْطَاةُ بنُ سُهَيَّة لِلرَّبيع بن قَعْنَبٍ :

لقد رأيتُك عُريَانا ومُؤْتَزِراً ... فما عرفتُ أأُنثى أنتَ أم ذَكَرُ ؟

فقال له الربيع :

[لكن سُهَيَّة تَدْرى إذ أتَيْتُكُم ... عَلَى عريجاء لما أُحلّت الأُزر][6]

ولَجَّ الهِجَاء بينهما .

تزوّج عبد الرحمن بن سُهَيْل بن عمرو أُمّ هشام بنتَ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكانت من أجمل نساء قريش ، وكان يَجِد بها وَجْدًا شديدًا ، فمرض مَرْضَتَه التى هلك فيها ، فجعل يديم النظر إليها[7] وهى عند رأسه ، فقالت له : إنك

---

(١) فى غ : فعقلها .

(٢) فى غ : جدنى ؛ وهو المسامر .

(٣) رمان : جبل فى بلاد طيء

(٤) فى ت : أقراب .

(٥) فى ت : أعقلته .

(٦) لم يرد البيت فى غ . وجاء مكانه : لكن سهية قد عرفتنى .

(٧) فى ت : فيها .

لَتَنْظُرُ نَظَرَ رجل له حاجة ، فقال : إى والله إنَّ لِى إليكِ لَحَاجَة لو ظفرتُ بها لَهَانَ علىَّ ما أنا فيه . قالت : وما هِىَ ؟ فقال : أخاف أن تَزَوَّجى بعدى . قالت : فما يُرْضِيك ؟ قال : أن تُوثِّقى الأَيْمَانَ الغَلِيظة . فحلَفَت له بكُلِّ يمين سكنتْ إليها نفسُه . فلما انقضَت عِدَّتُها خطبهَا عمرُ بن عَبْد العزيز — وهو أمير المدينة — فأرسلت إليه : ما أَرَاكَ إلا قد بلغَكَ خَبَرَ يَمينى . فأرسل إليها : لك مَكان كُلِّ عَبْدٍ عَبْدَان، ومكان كُلِّ شيء ضِعْفه . فتَزَوَّجَتْه ، فدخل عليها رجل مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيش مُغَفَّل ، فلما رآها مع عمر جَالِسَةَ قال :

تبدَّلْتِ بعدَ الخيْزُرَان جَرِيدَةً وبعد ثِيَاب الخزِّ أحلامَ نَائِم

فقال عمر : وَيْلَكَ جعلتنى جَرِيدَة وأحلام نائم ! فقالت أمُّ هشام: ليس كما قُلت، ولكن كما قال أرطَاةُ بنُ سُهَيَّة :

وكائِنْ تَرَى من ذَاتِ بَثٍّ وعَوْلَة بكَت شَجْوَها بعد الحنِينِ المُرَجَّع
فكانت كَذَاتِ البَوِّ لما تَعطَّفَت على قطع من شِلْوِهِ[1] المُتَمَزَّعِ
متى لا تَجده تَنْصَرِفْ لِطِيَاتِهَا من الأرض أو تَعْمِد لإلْف فتَرْبَعِ[2]
عن الدَّهْر فاصفح إنَّه غيرُ مُعْتِبٍ وفى غيرِ مَنْ قد وَارَتِ الأرضُ فاطمع

وهذه الأبيات رثى بها أَرْطَاةُ ابنه عَمْرًا. وكان لَمَّا مات جَزِع عليه جَزَعاً شديداً حتى كاد يَذْهَب عقله وضرب بَيْتَه عنـد قَبْره وأقام عليه لا يُفارِقه حَوْلًا . ثم إنَّ الحَىَّ أرادوا الرَّحِيلَ بعد حول لنُجْعَة يَنْوها ، فغَدَا على قبره فجلس عنده حتى إذا آن الرَّوَاحُ نَادَاه : رُحْ يَا أبنَ سَلْمَى مَعَنا ! فقال له قومه : نَنْشُدُكَ الله فى عقلك ونَفْسِك ودِينِك ، كيف يَرُوحُ معك مَنْ مات مُنْذ حَوْل ؟ فقال : أنظِرُونى اللَّيلة

(١) فى ت : شلوها .
(٢) فى ت : فترتع .

إلى الغد . فأَقَاموا معه فلما أَصْبَح ناداه : أُغدُ يا ابنَ سَلْمَى معنا ، فلم يزل الناس يُذَكِّرُونه اللهَ عز وجل ويُنَاشِدُونه ، فانتضَى سيفَه وعقر راحلتَه على قَبْرِه وقال : والله لا أتبعُكُم فامضوا إن شئتم أو أقيموا ؛ فرَقُّوا له ورحموه ، وأَقَامُوا عَامَهم ذلك، وصبروا عَلَى مَنْزِلِهم . وقال أرطاةُ فيه هَذِه الأبيات :

وقفتُ على قبر ابن سَلْمَى فلم يَكُن ... وقوفى عليه غيرَ مَبْكًى ومَجْزَع

هل أنتَ ابنَ سَلْمَى إن نظرتُك رَائِحٌ ... مع الركبِ أو غادٍ غداةَ غَدٍ مَعِى

وقفتُ على جُثْمانِ عمرو فلم أَجِد ... سوى جَدَثٍ عافٍ ببَيْدَاء بَلْقَعِ

أأَنْسى ابنَ سَلْمَى وهو لم يأتِ دُونَه ... من الدهر إلا بَعْدُ[1] صيف ومَرْبَع

فدع ذِكْرَ مَن قد حالت الأرضُ دونه ... وفى غَيْرِ مَنْ قد وَارَت الأرضُ فاطمع

---

(١) فى غ : بعض .

الأُبَيْرِد الرِّياحى

هو الأُبَيْرِد بن المعذّر بن قيس بن عتّاب بن هَرْمِىّ بن رياح بن يربوع بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناةَ بنِ تميم . شاعر فصيحٌ بَدَوِى إسلامِى وأول دولة بنى أمة . وليس بمُكثِر ولا مدح الخلفاء ولا وفد عليهم .

قدم الأُبَيْرِد الرِّياحى على حارِثَة بْنِ بَدْر فقال: اكسُنى بُرْدَين أَدخُل بهما على الأمير - يعنى عُبَيْد الله بن زِيَاد - فكساه ثوبَيْن فلم يرْضَهما . فقال يهجوه :

أحارثُ أَمسِك فضلَ بُرْدَيْك إنما ... أجاع وأعرى اللهُ مَنْ كنتَ كاسِيا
وكنتُ إذا استمطرتُ منك سَحَابَةً ... لتُمْطِرَنى عادت عَجَاجاً وسافيا
أحارث عاود شربك الخمر إننى ... أرَى ابن زِياد عنك أصبح لاهيا
رأى[1] فيك رأيا من أبيه وعمه[2] ... وكان زِيادٌ مَـاقِتاً لك قالِيـاَ
ألا ليتَ حَظّى من غُدَانَةَ أنَّها ... تكون كَفافاً لا علىَّ ولا لِيَا
أَبَى اللهُ أَنْ يَهْدِى غُدَانَة للهُدى ... وألّا تكُونَ الدَّهرَ إلّا مَوَالِيَا

وبلغت أبياته حارثة فقال : قبّحه الله ! لقد شَهِد بما لم يَعْلَم .

قال أبو عبيدة: كانت بنو عِجْل جاورت بَنِى رياح فى سنة ، وكان الأُبَيْرِد يعاشر رَجُلا منهم ، يقال له سعد ، ويجالسه فمَالَت امرأةُ سعد إلى الأبيرد فومَقَتْه ، وكان الأبيْرد شابًّا ظَرِيفاً وكان سعدٌ شيخاً هِمًّا فذهب بها كل مذهب حتى ظهر أمرها ، وتُحُدِّثَ بهما وشَكَى سَعْد الأُبَيْرِدَ إلى قومه واستَعْذَرَهم مِنْه فقالوا له : مالك تَتَحَدَّث إلى امرأة الرجل ؟ فقال : وما بأس بذلك وهل خَلَا عربى منه ؟ فقالوا :

---

(١) فى غ : أرى .
(٢) فى ت : عمر « تحريف » .

فقد قيل فيكما مالا قرار عليه ، فاجتنب محادثتها ، فقال الأبيْرِد : إن سعداً لا خيرَ فيه لامرأته . قالوا : وكيف ؟ قال : لأنّى رأيتهُ يأتى فرسَه البَلْقَاء ، ولا فضل فيه لامرأته فهى تُبغِضه لفعله ، وهو يتّهِمُها لعجزه عنها ؛ فضَحِكوا من قوله ، وقالوا : وماعَلَيْك من ذلك ؟ دع الرجلَ وامرأته ولا تماوِدْها ولا تجلس إليها . فقال الأُبيْرِد :

تَبرَّأتُ من سعد وخُلَّة بيننا فلا هو يُمْطِينِى[1] ولا أَنَا سَائِلُه
متى تُنْتَجُ البَلقاء يا سعدُ أم متى تُلَقَّح مِن ذَاتِ الرِّبَاطِ حَوَائِلُه
يُحدِّث سعد أنّ زوجتَه زَنَت ويا سعدُ إنَّ المرء تَزْنِى حَلَائله
فإن تسمُ عينَاها إلَىَّ فقد رأت فتًى كَحُسَامٍ أخْلَصَتْه صَيَاقِلُه
فَتًى قُدَّ قَدَّ السيفِ لا متضائلٌ ولا رَهِل لَبَّاتُهُ وبآدِلُه[2]

أتى رجل الأُبيْرِدَ الرِّياحىَّ وابنَ عمه الأَحْوَص يطلب منهما قَطِرانا لإبله فقالا له : إن أنت بلّغت سحيم بن وَثيل الرِّياحىّ هذا الشّعر[3] أعطيناك قَطِرانا . فقال : قولا . فقالا : اذْهب فَقُلْ له :

فإن بداهتى وجِرَاء حولى لذو شِقّ على الحَطَم الحرون

فأتاه والشعر معه فقال له : إن الأُبيْرِد وجّهنى إليك وأنشده الشعر، فأخذ عصاه وانحدَرَ فى الوَادِى وجعل يُقْبِل فيه ويدبِر ويهَمْهِمُ بالشعر . ثم قال له : اذْهَبْ فَقُلْ لهُما :

فإن عُلَالَتِى[4] وجراء حَولِى لذو شِقّ على الضَّرَع الظَّنون

---

(١) فى غ : معطينى .
(٢) كذا فى اللسان (بأدل) . وقيل : البيت للعجير السلولى يرثى به رجلا من بنى عمه . والبأدلة : اللحمة بين العنق والترقوة. وفى غ : أباجله.
(٣) فى ت : الأبيات .
(٤) علالا فى (ت) « تحريف » .

أنا ابن الغُرِّ من سَلَفَىْ رياح كنصل السيف وضّاحُ الجبين
أَنا ابنُ جَلَا وطَلَّاعُ الثَّنَايَا متى أضع العمامة تعرِفُونِي
فإن مكاننا مِنْ حميرىّ مكانُ الليث من وسط العرين
وإن قنَاتَنا مَشِظٌ شَظَاها شديد مدُّها عُنُقَ القَرِين
وإنى لا يعُود إلىّ قِــرْنِى غداةَ الغِبِّ إلّا فى قرين
بِذى لَبِدٍ يصدّ الركبَ عنه ولا تُؤتَى فَرِيسَتُه لِحِين
عذرْت البُزْل إذْ هى صاولتنى فما بَالِى وبالُ ابْــنَى لبون[1]
وماذا تبْتغِى الشُّعَراء مِــنّى وقد جاوزت حَدّ[2] الأَرْبَعِين
أَخو الخَمْسِين مجتمعٌ أَشُدِّى ونَجَّذَنِى مُدَاوَلَةُ[3] الشُّؤُون
سأَحْيَا ما حَيِيت وإنَّ ظهرى لذو سَنَد إلَى نَضَدٍ أَمِين

فأتياه واعتذرا إليه. فقال: إن أحدَكم لا يرى أنَّه صَنَع شَيْئاً حتى يقيس شعره إلى شعرنا وحسَبَه إلَى حَسَبِنا ويستطيف بنا استطافة المُهْرِ الأرِنِ. فقالا له: فهل إلى النَّزْع من سَبِيل؟ فقال: لا، إنَّنَا لم نَبْلُغ أشيَاءَنا[4].

وكان الأُبيْرِد قد رثى أخَاه بُرَيْداً وكان قد حزن عليه حُزْناً شَدِيدا، وامتَنَع من الطّعام والشّراب أياما حتى قالوا له: إنك إن أَقَمْت على هذا الفِعْل تلفت فاتَّق الله فإن أخاك قد ذهب؛ فكأنه تعزَّى وأكل وشَرِب. وقال يرثيه:

تطَاولَ ليــلِى لم أَنم مُتَقلِّبًا[5] كأَنَّ فِرَاشِى حَالَ من دونه الجمرُ

---

(١) فى ت: ابن لبون.
(٢) فى غ: رأس.
(٣) فى غ مداورة.
(٤) فى ت: لم تبلغ أسناننا. وفى غ: لم تبلغ أنسابنا.
(٥) فى غ: أنعه تقلبا.

أراقِبُ من ليــل التَّمام نُجُومَه ... لدُنْ غَابَ قَرْنُ الشّمس حتى بدَا الفجْر
تذكرتُ قَوْماً بانَ منّا بنصره ... ونائِله يا حَبَّـــذَا ذلك الذُّكْرُ
فإن تــكن الإيامُ فرّقن بيْننَا ... فقــد عذرتنا فى صَحَابتنا العُذْرُ
أحقًّا عبادَ اللهِ أنْ لستُ لَاقِياً ... بُرَيْدا طَوَالَ الدهر ما لألأ العُفر
فليتَك كنتَ الحى فى الناس بَاقِياً ... وكنتُ أنا المَيْتَ الذى غَيَّب القَبْرُ
فتًى يشترى حسنَ الثَّناء بماله ... إذا السَّنةُ الشهباء قـلَّ بها القطْرُ
كأن لم يصاحبنا بُرَيْد بغبْطَة ... ولم يَأْتِنَا يـــوما بأخباره السَّفْرُ
ولمَا نعَى النَّاعِى بُرَيْـــداً تغوّلَت ... بِىَ الأرضُ فرطَ الحزْن(١) وانْقطع الظَّهْرُ
عساكِرُ تغشَى النفسَ حتى كأنَّنى ... أخو سَكْرة طَارَت بهامَته الخَمْرُ
إلى الله أشكو فِى بُرَيْدٍ مُصِيبَتى ... وبَثِّى وأحزاناً تضمَّنهَا الصَّــدْرُ
وقد كنتُ أستَعْفِى الإله إذا اشتكى(٢) ... مِنَ الأجْر لى فيـــه وإن سَرَّنى الأجر
وما زال فى عينىّ بعــدُ غِشَاوةٌ ... وسَمْعِى عَمَّا كنتُ(٣) أسمَعه وَقْر
عــلى أنَّنى أَقْنَى الحياَءَ وأَتَّقِى ... شَمَاتَةَ أعـــداءٍ عيونُهُم خُزْر
فَحَيَّاك عَنّى الليل والصبحُ إذْ بدَا ... وهُوجٌ من الأرواحِ غُدْوَتُها شَهْر
هو الخلَفُ المَعْرُوفُ والــدِّينُ والهُدَى(٤) ... ومِسْعَرُ حَـرْب لا كَهـامٌ ولا غُمْرُ

(١) فى ت : الحرص .
(٢) فى غ : شكا .
(٣) فى ت : كما قد كنت .
(٤) فى غ : التقى .

فتَى الحَىِّ والأَضْيافِ إن رَوَّحَتْهُم ... بَلِيلٌ وزَادُ السفرِ إن أَرْمَلَ السَّفْرُ
إذا جَارَةٌ حَلَّت لَـــدَيْه وَفَى بِها ... وآبت ولم يُهتَك لِجَارتهِ ســترُ
عَفِيفٌ عن السوءاتِ ما اُلتَبَست بِهِ ... صَلِيبٌ فما يُلفَى لعود له[1] كسرُ
سلـكت سبيلَ العالمين فمالَهم ... وراء الذى لاقيت معدًّى ولا قصر
وكُلُّ أمرئٍ يوما سَيَلْقى حِمَامَه ... وإن نَأَتِ الدَّعْوَى وطال بهِ العُمُرُ
فأبليتَ خـــيرا فى الحياة وإنَّما ... ثوابُك عندىاليومَ أن يَنْطِقَ الشِّعْرُ

---

(١) فى غ : به .

الأَسْوَدُ النَّوفَلِي

هو الأسودُ بنُ عُمارة بن الوليد بن عدىّ بن نوفَل بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلَاب بن مُرّة بن لُؤَى بن غالب شاعر من مُخَضْرَمى الدولتين ، وأبوه عُمَارة شاعر أيضا ، وهو القائل :

تِلْكَ هند تَصُدّ للبَيْن صَدّا ... أدَلَالًا أم هَجْر هند أَجَدّا[1]

أم لِتَنْكَأ بــه قروحَ فؤادى ... أم أرادت قَتْلِى ضِرَاراً وعَمْدا

أيها الناصِحُ الأَمِينُ رسولا ... قُلْ لهند عنى إذا جئْتَ هِنْدا

عَلِمَ اللهُ أن قــد أُوتيت مِنّى ... غــير مَنّ بِذَاك نُصْحاً ووُدّا

مَا تقرَّبتُ بالصَّفَاءِ[2] لأَدْنو ... منكِ إلا نأيتِ وازدَدتِ بُعْدا

وكان الأسود يتولّى بيتَ المال بالمَدِينة ، وكان قد عَشِق جارية يقال لها : مَرْيم ، فابتاعَتْها سَيِّدَتُها لرجُل من العِرَاق ، ولما توجَّه بها سيِّدها إلى العراق قال :

خَلِيلَىّ من سَعْد أَلِمَّا فسَلِّما ... على مريم لا يُبْعِد اللهُ مَرْيَمَا

وقولا لها هَذَا! الفِرَاقُ عزَمْته ... فهل من نوَال قبل ذاكَ فنَعْلَما

قال عبدُ الله بنُ مُحَمَّد البَوّاب : سألَتِ الخيزُرانُ موسى الهادى أن يُوَلِّى خالَه[3] الغِطْرِيف اليَمَن ، فوعدها بذلك ودَفَعَها[4] ، ثم كتبَتْ إليه يوما رُقْعَة تَتَنَجَّز فيها أمره ، فوَجَّه إليها برسولها يقول لها : خَيِّرِيه بين اليَمَن وطلاق ابْنَتِه

---

(١) فى غ : أم هند تهجر جدا .

(٢) فى ت : للصفاء .

(٣) فى ت : خالد « تحريف »

(٤) فى ت : دافعها .

أو مُقَامى عليها ولا أُوَلِّيه اليمن ، فأيُّهُما اُختار فَعَلْتُه ، فدخل الرسولُ إليها ، ولم يَكُن فَهِم منه ما قَالَ . فأخبرها بِغَيْرِه ، ثم خرج إلَيْه فقال : تَقُول لك : وِلاَيَة اليَمَن ، فغَضِب وطَلَّق ابنته ووَلَّاه اليَمَن ، ودخل الرسول فأعلَمَهم بذلك ، فارتفع الصِّيَاح . فقال : ما هَذَا ؟ فقالوا : مِن دَارِ بِنْتِ خالك[1] . قال : أو لم تَخْتَر ذَلك ؟ قالوا : لا ولكن الرَّسُولَ لم يَفهم ما قُلْت ، فأَدَّى غيرَه ، وعَجَّلْت بطَلاَقِها ، فنَدِم ودَعَا صَالِحاً صاحِبَ المُصَلَّى ، وقال له : أَقِم على رأس كل رَجُل بحَضْرَتى من النُّدَمَاء رَجُلًا بسَيْف ، فمَنْ لم يُطَلِّق امرأَتَه منهم فاُضْرب عنقه . ففعل ذَلك ، فلم يَبْرَح من حضرته أَحَدٌ إلَّا وطَلَّق امرأتَه . قال ابن البَوَّاب : وخرج الخَدَم إلىَّ ، فأخبرونى بِذَلِك وعلى البَابِ رَجُلٌ وَاقِف مُتَلَفِّع بطَيْلَسَانه ، فخطَر بِبَالى :

خَلِيلَىَّ من سَعْد أَلِمَّا فسَلِّما على مَرْيَم لا يُبْعِد اللهُ مَرْيَمَا
وقولَا لهَا هَذَا الفراق عَزَمْته فهل من نَوَالٍ قبل ذَاكَ فنَعْلَما

فأنشدته: فيعلما بالياء ، فقال لى : فنَعْلَمَا بالنون . فَقُلْت : فما الفَرْق بَيْنَهُما ؟ فقال : إن المعانى تُحْسِن الشعرَ وتُفْسِده ، وإنَّما قال: فنَعْلَما ، ليعلَمَ هُوَ القِصَّة ، وليس به حَاجَة إلَى أنْ يَعْلَمَ الناسُ سِرَّه . فقلتُ له : أنا أعلم منك بالشِّعْرِ ؟ قال : فلِمَن هُو؟ قلت: للأَسْود بن عُمَارة . قال : أولا تعرفه ؟ قلت : لا، قال : أَنَا هُوَ. فاعتذرت إليه من مراجعتى إياه ، ثم عرَّفتُه خبرَ الخليفة فيما فَعله بندمائه ، فقال : أحسن الله عَزَاءَك[2] وانْصَرَف ، وهو يقول : هذا أحق منزل يترك[3] .

---

(١) وت: خالد « تحريف » .

(٢) فى ت : جزاءك .

(٣) فى غ : ينزل « تحريف » .

أُحَيْحَة بنُ الجلاح

هو أُحَيْحَة بن الجلاح بن الحريش بن جَحْجَبَى بن كُلْفَة بن عوف بن عمرو ابن مالك بن الأَوْس . وكُنْيَتُه أَبُو عَمْرو .

رَكِبَ الوَلِيدُ بن عبد الملك إلى المساجد ، فأتى مسجد العُصْبَة[1] فلما صلى قال للأَحْوَص : أين الزوراء التي قال فيها صَاحِبكم :

إنِّى أُقِيم على الزَّوْرَاءِ أعْمُرُها إنَّ الكريم على الأقوام[2] ذُو المَالِ

لها ثَلَاثُ بِئَار فى جوانبها فكلها عُقب تَسْقِى بإقْبَال

استغْنِ أو مُتْ ولا يغرُرْك ذُونَشَب من ابْنِ عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خَالِ

يَلْوُون[3] ما لهم عن حَقِّ أَقْرَبِهِم وعن عَشِيرَتِهم والحَقُّ للوَالِى

فأشار الأَحْوَص إليها وقال : هَا هِىَ تلك ، لو طوَّلتْ لِأَشْقَرِك لَجَالَ عَلَيْها . فقال الوليد : إن أَبَا عَمْرو كان يراه غَنِيًّا بها . فعجب الناس يومئذ مِنْ عِنَايَة[4] الوليد بالعِلْم ، حتى علم أن كُنْيَة أُحَيْحَة أَبُو عَمْرو .

أَقْبَلَ تُبَّع الأخير وهو أبو كَرِب بن حسان بن تُبَّع الحِمْيَرى من اليمن سَائِراً يريد المَشْرِق كما كانت التَّبَابِعَة تفعل ، فمرّ بالمدينة نخلّف فيها[5] ابناً له ومضى إلى الشام ، ثم سار إلى العراق فنزل بالمُشَقَّر ، فقُتِل ابنه بالمدينة غِيلَةً ، فبلغه ذلك فكَرَّ راجعاً إلى المدينة وهو يقول :

---

(١) العصبة : دار بنى جحجبى بالمدينة .

(٢) فى غ : الإخوان .

(٣) يلوون : يجحدون .

(٤) فى غ : لعناية .

(٥) فى غ : بها .

يا ذا مُعَاهِر ما تزال[1] تَرُودُ   رَمَدٌ بعَيْنِك عادَهَا أم عُودُ
مَنَعَ الرقادَ فما أُغَمِّض ساعة   نَبَطٌ بيَثْرِبَ آمنون قعُود
لا تَسْقِنى بِيَدَيْك إن لم تَلْقَها   حَرْباً كأن أشاءها مجْرُودُ

ثم أَقْبَلَ حتى دخل المدينة وهو مُجْمِع على إخرابها وقطع نخلها ، واستِئْصَالِ أَهْلِها ، وسَبْى الذُّرّية ، فنزل بسفح أُحُد فاحتفر بها بِئْرا ، فهى التى يقال لها : بِئْر المَلك ، ثم أرسل إلى أشراف أهل المدينة ليأتوه . فكان فيمن أرسل إليه زيد[2] ابن ضُبَيْعَة بن زيد بن عمرو بن عوف ، وابْن عمه زَيْد بن أُمَيَّة بن عبيد بن زَيْد — وكانُوا يُسَمَّوْن الأَزْياد — وأُحَيْحَة بن الُجلاح ؛ فلما جاء رَسُولُه قال الأَزْيَاد : إنَّما أرسَل إلينا ليملِّكَنا عَلَى أهل يَثرِب . فقال أُحَيْحَة : والله ما دَعَاكم لِخَيْر ! وقال :

ليت حَظِّى مِنْ أَبِى كربٍ   أنْ يَرُدَّ خيرُه خَبَلَهْ

فذهبت مَثَلا . وكان يقال : إنَّ مع أُحَيْحَة تابعا من الجِنّ يعلمه الأَخْبَار[3] لكثرة صَوَابه ؛ لأنّه ما كان يَظُنّ شيئاً فيُخْبِر به قومُه إلا كان كَمَا يقول ، فخَرَجُوا إليه وخرج أُحَيْحَة ومعه قَيْنَة له تُدعى مُلَيْكة ، وخِباء ، وخَمْر ، فضُرِب الخِباءُ وجُعِل فيه القينة والخمر ، ثم خرج حَتَّى استأْذن على تُبَّع ، فأذِن له ، وأجلسه معه على زَرْبِيَّته[4] وتحدَّث معه وسأَله عن أَمْوَاله بالمَدينة ، فجعل يخبره عنها ، وجعل تُبَّع كلما أخبره عن شَيْءٍ مِنهَا يَقُول : كُلّ ذلك على هَذِه الزَّرْبِيَّة ؟

(١) فى ت : ما تراك .
(٢) فى ت : يزيد « تحريف » .
(٣) فى غ : الخبر .
(٤) الزربية : كل ما بسط واتكئ عليه .

يريد بذلك قتل أُحَيْحَة ، ففَطِن أُحَيْحَةُ أنه يريد قتله ، فخرج من عنده فدخل خِبَاءه ثم شرب من الخمْرِ وقَرَضَ أبياتاً وأمر القَيْنَة أن تُغَنِّيَه بها لَيْلًا وجعل تُبَّعٌ عليه حَرَسًا فقال :

يشتاق قَلْبي[1] إلى مُلَيْكَة لو ... أمست قَرِيباً مِمَّن يُطَالِبها
لِتَبْكِنِي قَيْنَةٌ ومِزْهَـرُها ... ولْتَبْكِنِي قَهْوَةٌ وشَارِبُهـا
ولْتَبْكِنِي نَاقَةٌ إذا ارْتَحلَتْ ... أو غاب في سَرْدَح مَنَاكِبها
ولْتَبْكِنِي عُصبَةٌ إذَا اجْتَمَعَت ... لا يعلم النـاسُ ما عَوَاقِبُها[2]
ماأحسنَ الجِيدَ مِنْ مُلَيْكَةَ واللَّـ ... ـبَّات إذْ زَانَهـا[3] تَرائبها
يا لَيْتَنِي لَيْلَةً إذَا هَجَع النَّـ ... ـاس ونَامَ الكِلَابُ صَاحِبُهـا
في ليـلةٍ لا تَرَى بها أَحداً[4] ... يَسْعَى عَلَيْنَا إلَّا كَوَاكِبُهـا

فلم تزل القَيْنَة تُغَنِّيه بذلك يومَه وعَامَّة لَيْلَته ؛ فلما نَامَ الحرَسُ قال لها : إني ذَاهِب إلى أهلي فشُدِّي عليك الخِبَاء ، فإذا جاء رسول الملك فقولي : هو نائم ، فإذا أَبَوْا إلَّا أن يُوقِظُوني فَقُولِي لهم : قَدْ رَجَع إلى أهله وأَرْسَلَني إلى المَلِك بِرِسَالة ، فإن ذَهَبُوا بِكِ إليه فَقُولِي له : يَقُول لك أُحَيْحَة : «أَغْدِرْ بِقَيْنَةٍ أو دَعْ». ثم انطلق فتَحَصَّن في أُطُمِه الضَّحْيَان ، وأرسل الملك في جوف الليـل إلى الأَزْيَادِ فقَتَلَهم على فَقَارة من فَقَارِ[5] تلك الحرَّة ، وأَرْسَلَ إلى أُحَيْحَةَ ليقتله ، فخرجت إليهم القَيْنَة فقالت : هو راقد ، فانصرفوا وتَرَدَّدُوا إليها[6] مرارا كل ذلك تَقُولُ :

---

(١) في ت : شاق شوقي .
(٢) لم يرد في غ إلا الأبيات الأربعة الأولى ، وجاءت بقية الأبيات ومعها البيت الأول في تجريد الأغاني .
(٣) في ت : رأتها :
(٤) في تجريد الأغاني : لا يرى بها أحد .
(٥) الفقارة : الخرزة من خرزات الظهر ، وشبهت هنا نتوءات الحرة بفقار الظهر .
(٦) كذا في ت والتجريد ، وفي غ : عليها .

هو رَاقِد . ثم عَادُوا فقَالُوا : لَتُوقِظِنّه[1] أو لَنَدْخُلَنّ عليك ، قالت : فإنّه قد رجع إلَى أَهْلِه وأرسلني إلى المَلِك بِرِسَالة فَذَهبوا بها إلى المَلِك ؛ فلما دخلت عليه سألها عن خبره ، فأخبرته الخبر وقالت : يقول لك : « أعدِر بقَيْنَة أَوْ دَعْ » . فذهبت مثلا ؛ فجرّد له كَتِيبَة من خيله ثم أرْسَلَهم فى طَلَبه ، فوجدوه قد تَحَصَّن فى أُطُمِه فحاصروه ثلاثاً يقَاتِلُهم بالنَّهار بالحجَارة ، ويرمى إليْهم فى اللَّيل بالتَّمْر ؛ فلمّا مضت ثلاثةُ أيّام رَجَعُوا إلى تُبَّع فقَالُوا : بعَثْتَنا إلَى رَجُل يقَاتِلُنا بالنهار ، ويُضَيِّفُنا باللَّيل ، فتَرَكَه وأمرهم أنْ يَحْرِقوا نخله ونَشِبَت[2] الحرْبُ بين أَهْل المدينة : أوْسِها وخَزْرَجِها ويهُودِها ، وبَيْنَ تُبَّع ، وتَحَصَّنُوا فى الآطام ، وخرج رجل من أصْحَابِ تُبَّع حتى جاء بَنِى عَدِىّ ابن النَّجَّار ؛ وهم مُتَحَصِّنُون فى أُطُمِهم الذى فى قبلة مَسْجِدِهم ، فدَخَل حَدِيقَةً من حَدَائِقِهم ، فرَقِى عِذْقاً منها يَجُدُّه[3] ، فاطَّلع عليه[4] رجل من بنى عَدِىّ بن النَّجَّار من الأُطم يقال له : أَحْمَر أو صَحْر ابن سَلْمَان ، فلَمَّا رآه نزل إليه فضربه بمِنْجَل فقَتَله وألقاه فى بِئْر من بِئَارهم تُسَمَّى بئر إيعوان وقال : جاءنا يَجُدُّ نَخْلَنا إنَّما النَّخْل لمَنْ أَبَّرَه ، فذهَبَتْ مَثَلاً ؛ فلَمَّا أُنْتَهَى ذلك إلى تُبَّع زاده حَنَقاً وجَرّد إِلَى بَنِى النَّجَّار جَرِيدةً من خَيْله ، فقَاتَلَهم بَنُو النَّجَّار ورَئِيسهم عَمْرو بن طَلَّة أَخُو بنى مُعَارِية بن مالك بن النَّجَّار ، وجاء بَعْضُ تِلْك الْخيُول إلى بنى عَدِىّ وهم مُتَحَصِّنون فى أُطُمِهم الذى فى مَسْجِدِهم فرموا[5] بنى عَدِىّ بالنَّبْل ، فجَعَلَت نبالُهم تقع فى جِدَار الأُطُم فكانت على أطمهم مثل

---

(١) فى ت : أتوقظيه .

(٢) فى غ : وشبت .

(٣) فى ت : يجذها .

(٤) فى غ: إليه .

(٥) فى غ : فراموا .

الشَّعَر ، فسُمّى ذلك الأطم الأَشْعَر ، ولم تزَل بقايا النبل فيه حتّى جاء الإسلام ، وجاء بعضُ جنوده إلى بَنِى الحارث بن الخَزْرج فجَذَمُوا نَخْلَهم مِن أَنْصافِها ، فسُمِّيت تِلْكَ النخلُ جُذْمَان ، وجَدَعوا لهم فرساً لتُبَّع . وكان تُبَّع يقول : لقد صنَع بي أهلُ يثرب صنعا[1] ما صنعه بِى أَحَد : قتلُوا ابنِى وصاحِبى وجَدَعوا فرَسى! ثم إنّ تُبَّعاً بَيْنَا هو يُرِيد إخْرابَ المَدينة وسَبْيِ الذّرّية وقَطع النخيل[2] أَتاهُ حَبْرَان من اليهُود فقالَا : أَيُّهَا المَلِك أنصرِف عن هذه البلدة فإنّها محفُوظَة ، وإنّا نجد اسمها مكتوباً فى كِتابنا وإنها مُهاجَرُ نَبِىّ مِن بَنِى إسماعيل اسمه أحمد ، يَخْرُج من هذه الحرَّة[3] من نَحْو البَيْت الّذى بمكة ، تكون دارَه وقرارَه ، ويَتْبعه أكثرُ أَهْلها . فأَعْجَبَه ما سَمِع منهما وكَفَّ عن الّذى أرادَ بالمدينة وأَهْلها . وصَدَّق الحَبْرَيْن بما حَدَّثاه . وانصَرَفَ عما أراد وكَفَّ عن الحَرْب وآمنهم حتى دَخَلُوا عَسْكَرَهُ ودخل جندُه المدينة . ثم إنَّ تُبَّعاً استوبأ[4] بئره التى حفرها وشَكا بطنَهُ من مائِها، فدخلت عليه امرأة من بنى زُرَيق يقال لها: فَكِهَة بِنتُ زَيْد بن كلدة بن عَامِر بن زُرَيق ، وكانت ذَاتَ شرَف وجَلَدٍ فى قَوْمِها ، فشَكا إلَيْها وَبَأَ بِئْره ، فانطَلَقَتْ فأخذت قِرَباً وحِمَارين حتى أستقت له من ماء رُومة ، فشربه وأعجبه ، وقال: زِيدِينى من هذا الماء . فكانت تختلف إليه فى كل يومين بماء رُومَة ، فلما حان رَحِيلُه دَعَاهَا ، فقال لها : يا فَكِهَة ، إنّه ليس معنا شىء من الصَّفْرَاء والبَيْضَاء ، ولكن لكِ ما تركنا من أَزْوَادِنا ومَتَاعِنا ، فلما خرج تُبَّع نقلت ما كان من أَزْوَادِهِم ومَتَاعِهم ، فيقال : إنَّه لم تَزل فَكِهَة أكثرَ بَنِى زُرَيق مالًا حتى جاءَ الإسلام .

---

(١) فى غ : شيئا .

(٢) فى غ : الأموال .

(٣) فى غ : هذا الحرم .

(٤) فى ت : سوى « تحريف » .

ثم إن تُبَّعاً خرج يُرِيدُ اليمن ومَعه الحَبْرَان اللَّذَان نَهيَاه عن المَدِينة ، فقال حين شَخَص من[1] منزله : هـذه قَنَاة الأرض ، فسُمِّيَت قناة[2] الأرض . ومرَّ بالجُرُف فقال : هذا جُرُف الأرض ، فسمى جُرُفَ الأرض ؛ وهو أرفعها ، ومرَّ بالعَرْصَة وكانت تُسَمَّى السَّلِيل فقال : هـذه عَرْصة الأرض فَسُمِّيَت العَرْصَة ، ثم انحدر فى العَقِيق فقال : هذا عَقِيقُ الأرض، فسُمِّيَ العَقِيق ، ثم خرج يَسِير حتى نزل البَقِيع، فنَزَل على غَدِير ماء يقال له : بَرَاجِمُ ، فشرب منـه شَرْبَة فدخلت فى حلقه عَلَقَة فاشتـكى منها ، فقال :

ولقد شربت على بَرَاجِمَ شَرْبَة   كادت بِبَاقِيَة الحيَاة تُذِيع[3]

ثم مَضَى حتى إذا كان بِجُمْدَان جاءه نَفَر من هُذَيْل فقالوا له : اجعل لنا جُعْلًا ونَدُلُّكَ عَلَى بيت مالٍ فيه كنوز من اللؤلؤ والياقوت والزَّبرجد والذهب والفضة ليست لِأَهْلِه مَنَعَة ولا شرف ، فجَعَل لهم على ذَلِك جُعْلا فقالوا : هُوَ البَيْتُ الذى تحجُّه العرب بمـكَّة ، وأرادوا بذلك هلاكه ، فتَوَجَّه نحوَه فأخذته ظُلْمة منعته من السَّيْر [فدعا الحَبْرَين فسألهما فقالا : هذا — لما أجمعتَ][4] عليه من أَمْرِ هذا البَيْت — والله تعالى مانِعُه منك ، ولن يَصِل إليه أحد ، فاحذَر أن يُصِيبَك مثلما أَصَابَ مَن انتهك حُرُمَاتَ اللهِ ؛ وإنما أراد القوم الذين أَمَرُوكَ بِهِ هَلَاكَك ؛ لأنه لم يُرِدْه أحدٌ بشَرٍّ قَطّ إلا أهلـكه الله تعالى ، فأَكْرِمْه وطُفْ به ، واحلِق رأسَك عنده . فترَكَ الَّذى كان أجمعَ عليه ، وقَطَّع أَيْدِى الهُذَلِيِّين وأَرْجُلَهم ، ثم أَتَى مكَّة فنزل بالشِّعْبِ من الأَبْطَح ، وطَافَ بالبَيْتِ وحَلَق رأسَه وكَساه الخَصَف[5] .

---

(١) فى ت : عن .

(٢) قناة واد بالمدينة .

(٣) تذيع : تذهب بها .

(٤) ما بين القوسين عليه ترميج بالأصل .

(٥) الخصف جمع خصفة ، وهو ثوب غليظ .

وقيل : إنه لَمَّا أقبَلَ يريد هَدْمَ البيت وصَرْفَ وُجُوهِ العرب إلى اليمن ، بَاتَ صَحِيحاً ، فأصْبَحَ وقد سَالت عَيْنَاه على خَدَّيه ، فبَعَثَ إلى السَّحَرَة والكُهَّان والمُنَجِّمين ، وقال : مَا لِي ، فوالله لقد بتّ لَيْلَتي ما أَجِد شَيْئاً ، وقد صِرْتُ إلى ما تَرَوْن فقالوا : حَدِّث نَفْسَك بِخَيْر . فَفَعَل ، فأرتَدَّ بَصِيرا ، وكسا البيت الخصَف .

[وقيل : إنَّه أُتِي فى المنام فقِيلَ له : أَكْسُ البيت أحسنَ من هذا، فكَسَاه الغفَارَة][(١)] فأُتِى فى المنام فقيل له : أكْسُه أحسنَ من هذا ، فكَسَاه الوَصَائِل ؛ وهى برود العَصْب سُمِّيت الوَصَائِل لأنها كانت تُوصَل بَعضُها ببَعْض ؛ فأَقَام بمَكَّة سِتَّةَ أيام يطعم الطَّعَام وينحر فى كل يوم أَلْفَ بَعير . ثم إنه سَارَ إلى اليَمَن وهو يَقُول :

ونَحَرْنا بالشِّعْبِ سِتَّةَ آلا ... ف ترى الناسَ نَحْوَهُن[(٢)] وُرُودَا

وأقمْنَا بــه من الشهر ستًّا ... وجعلنا له بــه إقْلِيدا

وكسونَا البيتَ الَّذِى حَرَّم اللـ ... ـه مُلاءً مُعَصَّبا[(٣)] وبُرُودَا

ثم أُبْنَا منــه نَؤُم سُهَيْلًا ... قــد رفعنـا لِوَاءَنا المعقودا

قال : وتَهوَّد تُبَّع وأهلُ اليَمَن بذينك الحَبْرين .

وقال أُحَيْحَة :

تَفَهَّم أَيُّها الرجــلُ الجهولُ ... ولا يَذْهَبْ بِك الرأىُ الوَبِيل

فإنَّ الجهــلَ محمَلُه خَفِيف ... وإنَّ الحِــلْمَ مَحْمَلُه ثَقِيلُ

لعَمرُ أَبِيك ما يُغْنِى مقامى ... من الفِتْيَانِ رائحــة جهولُ

---

(١) ما بين القوسين لم يرد فى غ ولا فى التجريد . والغفارة : كل شىء يغطى به شىء .

(٢) فى ت : حولهن .

(٣) فى غ منضدا ، . وفى التجريد : معضدا .

نؤوم ما تَقَلَّص مُسْتَقِلًّا[1] على الغَايَاتِ مَضْجَعُه ثَقِيلُ
تَبُوع للحَلِيلَة حيثُ حَلَّت كما يعتاد لِقْحَتَه الفصيلُ
وقد أعددتُ للحدثَان أَصْلًا لو أنَّ المرءَ يَنْفَعُه المُقُولُ

وكان أُحَيْحَةُ قد اهتمَّ بعمارة الضَّحْيَان وحَصَّنه فأشرفَ يوماً هو وغُلَام له فقَال : لقد بَنَيْتُ حِصْناً حَصِيناً ما بَنَى مثلَه رجلٌ من العرب ، ولقد عَرَفْتُ موضِعَ حَجَر منه لو تزَعْزَعَ[2] لوقَعَ جَمِيعه . فقَالَ غُلَامُه : أنا أَعْرفه . قال : فأَرِنيه يا بُنَيَّ . قال : هُوَ هَذا . وصرف إليه رأسَه ، فلما رَأَى أُحيْحَة أنَّه قد عرفه دَفَعه من رأْس الأُطم فوقع على رأسِه فمَات ، أراد ألا يعرف ذَلِك الحجرَ أحدٌ .

وكان أُحَيْحَة إذا أمسَى جلس تحت هذا الحِصْن وأرسل كِلَاباً له تَنْبَح دُونَه على مَنْ يأْتِيه مِمَّن لا يعرف حَذَراً من أن يأْتِيه عدو يُصِيب منه غِرَّةً ، وكان أُحَيْحَة قد قتَلَ أَخَا عاصِم بن عَمْرو فأقبل عاصِم يريد قَتْلَه بأَخِيه ، وقد أَخَذَ معه تَمْراً ، فلما دنا من الكلاب نبحَتْه فألقى لهَا[3] التمرَ فوقفت ، فلما رآها أُحَيْحَةُ قد سكنت حَذِر ، فقام ودَخَل حِصْنَه ، ورماه عاصم بسَهْم فأحرزَه منه البَابُ فوقع السهم في البَاب[4] فلما سَمِع أُحَيْحَةُ وقع السهم صَرَخَ في قومه ، فخَرَجُوا إِثْر عاصِم ابن عَمْرو ، فأعجزَهُم حتى أَتَى قَوْمَه .

ثم إنّ أحيحَةَ جمع لبَنِي النَّجَّار، وأَرَادَ أن يُغِيرَ عليهم[5]، فواعده قومه لذلك . وكان عند أحيحة سَلْمَى بنت عمرو بن زَيْد[6] بن لبيد بن خِداش إحدى نساء بني عَدِيّ بن النجار ، وله منها عَمْرو بن أُحيحة ، وهي أمّ عَبْدِ المطلب بن هَاشِم

(١) في ت : مستقرا .
(٢) في غ : نزع .
(٣) في ت : إليها .
(٤) في غ : بالباب
(٥) في غ : يغترهم .
(٦) في ت : يزيد .

ابن عبد مناف ، خَلَف عليها بعد أُحَيْحَة ، وكانت امرأةً شَريفة لا تَنْكِح الرِّجَالَ إلّا وأمرُها بيدها إذا كَرِهت من رَجُل شَيْئًا تركَتْه .

فلما أجمع أُحَيْحَةُ على الغَارَة على قَوْمِها عَمِدَت إلى ابنِها عَمْرو بن أُحَيْحة ، وهو فَطِيم فربَطَتْه بخَيْط ، حتى إذا أَوْجَعَت الصَّبِيَّ تركته فبات يَبْكِي ، وهي تَحْمِله ؛ وبات أُحَيْحَة مَعَها سَاهِرا ، يقول : وَيْلَك مَالِابْنِك ؟ فتقول : لا أَدْرِي . حتى إذا ذَهَبَ الليلُ أطلقَتِ الحبلَ فَنَام الصَّبِيّ وجَعَلَت تَقُول : وارأْسَاه . فقال أُحَيْحَة: هذا من سَهَرِك هَذِه الليلة، فبَاتَ يَعْصب رأسها ويقول : ليس بك بَاس . حَتَى إذا لم يبق من اللَّيْل إلّا أَقلُّه قالت له : قم فَنَم فإنِّي أَجِدُنِي صَالِحةً قد ذَهَب عَنِّي ما كنتُ أَجِد . فقام فَنَام ، وإنَّمَا صنعت[1] به ذلك ليثقل رأسُه ويَشْتَدّ نومُه عَلَى طول السَّهر ؛ فلَمَّا نَام قامت وأخذت حَبْلًا شَدِيدا وأوثقته من رَأْسِ الحِصْن ثم تدلت منه وانطَلَقت إلى قَوْمِها حين أَصْبحَت فحَذَّرتهم وأَخْبَرتْهم بالّذي أجمع هو وقومه عليه من ذَلِك ، فحَذِر قومُها وأعَدُّوا واجْتَمعوا ؛ وأَقْبَلَ أُحَيْحَةُ فلم يكن بَيْنَهم كَثِيرُ قِتَال ثم رَجَع أُحَيْحَةُ وقد فقدَها حِينَ أَصْبَح ؛ فلَمَّا رأى قومَهَا على حَذَر قال : هذا عَمَلُ سَلْمَى ! خدعَتْني حَتَّى فَعلت ما أَرادت ، وسَمَّاها قومُها المُتَدَلِّيَة ؛ لتَدَلِّيها من رَأْسِ الحِصْن ، وقال تلك الأبيات :

تَفَهَّم أَيُّها الرَّجُلُ الجَهُولُ . . . .

كان قَيْسُ بنُ زُهَير بن جَذِيمة أتى أُحَيْحَةَ بن الجُلَاح وكان صديقاً له — لمَّا وقع الشرُّ بين قَيْس وبين بني عَامِر ؛ وخرَج إلى المدينة ليَتَّجِر[2] ويَغْزُوهم ويُغِير عليهم حين قَتَلَ خَالِدُ بن جعفر زهيرَ بْنَ جَذِيمة فقال قَيْسٌ لأُحَيْحَة : يا أَبَا عَمْرو ، نُبِئْتُ أَنَّ عندك درعا ليس بيَثْرِب مِثْلها فإن كانت فُضُلًا فبِعْنِيها أو فَهَبْها لِي . فقال : يا أَخَا بَني عَبْس ، ليس مِثْلِي مَنْ يبيع السلاح ولا مَن يَفْضُل عَنه ، ولَوْلا أنِّي

(١) في غ : فعلت .

(٢) في غ : ليتجهز .

أَكْره أن أَسْتَلِيمَ(١) إلى بَنى عامِر لوَهَبْتُها لك ، ولَحَملتك(٢) على سوابق خيلى ، ولكن اشْتَرِها(٣) يا أَبَا أيوب ؛ فإنَّ البَيْع مُرْتَخَص وغالٍ ، فأَرْسَلَها مَثَلًا ، فقال له قيس : فما تَكْرَهُ مِنَ اُستِلَامتك إلى بَنى عامر ؟ قال : وكيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر بن كلاب الذى يقول :

إذا ما أردتَ العِزَ فى آل يَثْرِب ... فنَادِ بصوْتٍ يا أُحَيْحَة تُمْنَعِ
رأيتُ أبا عمرو أُحَيْحَةَ جَارُه ... يَبِيتُ قَرِير العينِ غيرَ مُرَوَّع
ومن يأْتِه من خَائِفٍ يَنْسَ خَوْفَه ... ومن يأْتِه من جَائِع البَطْنِ يَشْبَع
فضائِلُ كانت للجُلَاح قَدِيمَةً ... وأَكْرِم بِفَخْر من خِصَالِك الأَرْبَع(٤)

فقال قيس: ياأباعمرو وما عَلَيْك بَعْدَ هذا مِنْ لَوْم ، فَلَهَا عنه ثم عاود أُحَيْحة فساومه ، فغضب أحيحةُ وقال له : بِتْ عندى ، فبات ، فلما شربا تَغَنَّى أُحَيْحَةُ وقيس يسمع غِنَاءه :

أَلَا يا قَيْسُ لا تَسُمَنَّ دِرْعِى ... فما مثلى يُسَاوَمُ بالدُّرُوع
ولولا(٥) خَلَّة لأبِى جُوَيٍّ ... وأنِّى لستُ عنها بالنَّزُوع
أنلتُكها مُصَاحِبَةً لِطِرْفٍ(٦) ... لحوقِ الإطل جَيَّاشٍ تَلِيع
ولكِن سَمِّ ما أحببتَ فيها ... فليس بمُنْكَر غَبْنُ البُيُوع
فَما هِبَةالدُّروع أَخَا(٧) بَغِيض ... ولا الخيل السَّوَابِق بالبَدِيع

فأمسك بعد ذلك عن مُسَاوَمته .

---

(١) فى ت : أستذم .
(٢) فى ت : وحملتها .
(٣) فى غ : ابترها .
(٤) فى ت : أربع .
(٥) فى غ : فلولا .
(٦) فى غ : لأبت بمثلها عشرا وطرف .
(٧) فى ت : أبا .

قصة أُحد

كانت قُرَيْش لمَّا أُصِيبَت يوم بدر بِمَن أصيبت من أصحاب القَليب ورجع فَلُّهم(١) إلى مَـكَّة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بِعِيرِه ، مشى عبدالله بن أَبِي رَبيعة ، وعكرمةُ بن أبي جَهل ، وصَفْوان بن أمية فى رجال من قريش مِمَّن أصيب آباؤُهم وأبناؤُهم وإخوانهم ببدر ، فـكَلَّموا أبَا سفيان بن حَرْب ومَنْ كان له فى تلك العِير من قُرَيْش تجارة، فقالوا(٢) : يا معشر قريش إن محمدا قد وَتَرَكم وقتل خِيارَكم فأَعِينُونَا بِهَـذَا المَال على حربه ، لعلّنا أَنْ نُدْرِكَ منه ثأرًا بمَن أُصيب منا . ففعلوا ، فاجتمعت قريش لِحَرْب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حِينَ فعل ذَلك أَبُو سُفْيَان وأصحابُ العِير بأَحَابِيشها ومَنْ أَطَاعها من قبائل كِنَانَة وأَهْل تِهَامة ، وكل أولئك مُجْمِعون على الحَرْب . وكان أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجُمَحى قد مَنّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بَدْر ، وكان فَقِيراً ذَا بَنَات ، وكان فى الأُسارى ، فقال : يا رسول إِنِّى فَقِير ذُو عِيَال وحَاجَة قد عَرَفْتَها ، فامْنُن عَلَىَّ صلى الله عليك. فَمنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صَفْوان بْنُ أُمَيَّة : يا أبا عَزَّة إنَّك امرُؤٌ شاعر فأَعِنَّا بلِسَانك واخْرج مَعَنا ، فقال : إنَّ محمدا قد مَنَّ عَلَىَّ فلا أُرِيد أن أُظَاهِر عليه . فقالوا : بلى فأَعِنَّا بنفسك ، فلكَ اللهُ إنْ رجعتَ أَنْ أُغْنِيَك(٣) وإن أُصِبْت أن أجعل بَنَاتك مع بَنَاتِنَا يُصِيبُهن ما أَصَابَهن من عُسْر أو يُسْر فخَرَج أبو عَزَّة يسير فى تِهَامة ويَدْعُو بنى كِنَانَة ، يحرِّضهم ويَدْعُوهم إلى حَرْب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) فى ت : كلهم « تحريف » .
(٢) فى غ : فقال أبو سفيان .
(٣) فى غ : أعينك .

ودَعَا جُبَيْر بنُ مُطْعِم غلاماً له يقال له وَحْشِيّ كان حَبَشياً يقذِفُ بِحَرْبَة له قَذْفَ الْحَبَشة ، قلَّ مايُخْطِئُ بِهَا ، فقال: أُخرج مَعَ الناس فإن أنت قَتَلْتَ عَمّ محمد بعَمّى طُعَيْمَة بن عدى فأنت عَتِيق . فخرجت قريش بحدِّها وحَدِيدها وأَحَابِيشها ومَنْ معها مِنْ كِنَانة وأَهْلَ تِهَامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُن التماسَ الحَفِيظَة لئَلَّا يَفِروا. وخَرَجَ أَبُو سُفْيَان بن حَرب وهو قَائِد النَّاس، معه هِنْد بنْت عُتْبَة بن ربيعة ، وخرج عكْرِمَة بن أبى جَهْل بن هِشَام ابن المُغيرَة ، وخرج صَفْوَان بن أُمَيَّة بن خَلف ومعه بَرْزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثَّقَفِيّة ، وهى أم عبد الله بن صَفْوان وخرج عَمْرُو بنُ العَاص وطَلْحَة بن أَبى طَلْحة وأَبو طَلْحَة عَبدُ الله بن عبد العُزَّى ابن عثمان بن عبد الدار بسُلَافَة بنت سعد بن سُهَيْل ، وهى أم بَنِى طَلْحَة: مُسافع ، والجُلاس ، وكلاب ، قُتِلوا يومئذ وأَبُوهم . وخرجت خُنَاس بنت مالك بن المضرّب إحدى نساء بن مالك بن حِسْل مع ابْنِهَا أَبى عَزّة بن عُمَير وَهِى أم مُصْعَب بن عُمَيْر . وخرجت عَمْرَة بنتُ علقمة إحدى نساء بنى الحارث بْن مَنَاف بْن كِنانة .

وكانت هِنْد بنتُ عُتْبَة إذا مَرَّت بوَحْشِى أو مَرَّ بها تقول له : إيه أبا دَسْمة[1] اشْفِ واشْتَفِ . فنزل القوم ببطن السَّبْخَة على شَفِير الوادى مِمَّا يَلِى المدينة ، فلما سَمِع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نَزَلُوا حيث نَزَلُوا قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى قد رأيتُ رُؤْيا فَأَوَّلْتُها[2] خَيْرًا : رأيتُ فى ذُبَابِ سَيْفِى ثَلْماً ، ورأيت أَنِّى أَدْخَلْتُ يدى فى دِرْع حَصِينة ، فأَوَّلْتُها[2] المدينة ، فإنْ رأيتم أن تُقِيموا بالمدينة وتَدَعُوهم حيث نزلوا فإن أَقَامُوا أَقَامُوا بشَرّ ، وإن هم دَخلوا علينا قاتَلْنَاهم فِيهَا . ونزلت قُرَيْشٌ منزلَها من أُحُد يوم الأربعاء وأَقَامُوا به

---

(١) فى ت : وسمة .

(٢) فى ت : فتأولتها .

إلى يوم الجمعة ، وراح النبي صلى الله عليه وسلم حين صَلَّى الجمعة فأصبح بالشِّعب من أُحُد ، فالتقوا يوم السَّبت للنِّصْفِ من شوَّال . وكان رأى عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألّا يَخْرُجَ إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَـكْرَه الخروج من المدينة ، فقال رجال ممَّن أ كرمَ اللهُ بالشهادة يوم أُحُد وغيرُهم ممن كان فاته يوم بَدْر : يا رسولَ الله اخْرُج بِنَا إلى أعدائنا لا يَرَوْنَ أنَّا جَبُنَّا عنهم وضَعُفْنا . فقال عبـد الله بن أُبَيّ بن سَلُول : يا رسولَ الله أَقِم بالمدينة ، ولا تخرُج إليهم ، فوالله ما خَرَجْنَا منها إلى عَدُوٍّ لنا قطّ إلا أصابَ مِنَّا ، ولا دَخَل علينا إلا أَصَبْنا منهم ، فدَعْهُم يا رسولالله فإن أقاموا أقاموا بِشَرّ مَجْلِس وإن دَخَلُوا قاتَلَهُمُ الرِّجالُ فى وُجُوهِهم ، ورماهم النِّسَاء والصِّبْيَان بالحجارة من فوقهم ، وإن رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبين كما جاءوا . فلم يزل برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دَخَل رسول الله صلى الله عليـه وسلم فَلَبِسَ لأْمَتَه يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . وقد مات فى ذلك اليوم رَجُل من الأَنْصَار يقال له مالك بن عَمْرو ، أحد بَنِى النَّجَّار فصَلَّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج بهم ، وقد نَدِم الناس وقالوا : قد استَكْرَهْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا ! فإن شئتَ فاقعُد. فقال النَّبىّ صلى الله عليـه وسلم : « ما يَنْبَغِى لِنَبىّ إذَا لَبِسَ لأْمَتَه أن يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِل » فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أَلْفِ رَجُل من أَصْحَابه حَتَّى إذَا كانوا بالشَّوْط[1] بين أُحُد والمدينة ، انْخَذَلَ عبـدُ الله ابن أُبَىّ بن سَلُول بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وخَرَج وعَصانى ، والله ما نَدْرِى علامَ نَقْتُل أنفسَنا هَا هُنَا . فرجع بمَن اتَّبعَه من الناس من قَوْمه ، من أَهْلِ النِّفَاق والرَّيب ، وأُتَّبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حرَام أحد بنى سلمة يقول : يا قوم أُذَكِّرُكم

---

(١) الشوط : حائط عند جبل أحد . وفى ت : بالشوحاء « تحريف » .

اللهَ أن تخذُلوا نبيَّكم وقومكم عند ما حضر من عدوكم[1] . فقالوا : لو نعلم أنَّكم تُقَاتِلُونَ ما أسلمنا كم ، ولكنَّا لا نرى أنَّه يكون قتال . فلما استعصَوْا عليه وأبَوْا إلَّا الانصرَاف قال : أبعدَكم الله يا أعداءَ الله ، فسيُغنِي الله عنْكُم .

ولما انْخَذَل عبد الله بن أُبَىٍّ بن سلول من الشيخين[2] بثلاثمائة وبَقِى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعمائة ، وكان المشركون فى ثلاثة آلاف ، والخيْلُ مائتا فارس ، والظُّعن خمسَ عَشْرَةَ امرأة . وفيهم سَبْعُمائة دَارِع ، ولم يكن مع المسلمين من الخيل سوى فَرَسَين : فرسٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرس لأَبِى بُرْدة بن نِيَار الحارثى . فأدَّلج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشَّيْخَيْن حتى طلع الحمراء ، وهما أُطُمان كان يهُودِىّ ويهودية أعْمَيان يَقُومَان عليهما فيتحدَّثان ، فلذلك سُمِّيَا الشَّيْخَيْن وهما فى طرف المدينة .

وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم المُقَاتِلَة بالشَّيْخَيْن بعد المغرب وأَجَازَ مَنْ أجاز وردَّ مَنْ رَدَّ . وكان فِيمَن رَدَّ زَيْد بن ثَابِت ، وأَبُو عَمْرو أَسِيد بن ظَهِير ، والبَرَاء بن عازب ، وعَرابة بن أَوْس .

وهو الذى يقول فِيهِ الشَّمَّاخ :

إذا ما رَايَةٌ رُفِعت لمَجْد　　　تلقَّاها عَرابةُ باليَمِين

وردَّ أبَا سَعِيد الخدرىّ ، وأجاز سَمُرَة بن جُندب ، ورَافِع بن خَدِيج . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استصغر رَافِعاً ، فقام على خُفَّيْن له فِيهِما رِقاع ، وتَطَاول على أَطْرَاف أصَابِعه ، فلمَّا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم أَجَازَه .

وكان قد ردَّ سَمُرَة أيضا فلمَّا أَجَازَ رَافِعاً قال سَمُرَة لمُرَىّ بن سِنَان بن ثَعْلَبَة عَمّ

---

(١) فى غ : عدوهم

(٢) الشيخان : موضع بالمدينة كان فيه معسكر رسول الله صل الله عليه وسلم .

أَبِى سَعِيد الْخدرى وكانت أُمّ سَمُرة تَحْتَه : يا أَبَتِ أجازَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رَافِعَ بن خَدِيج وردَّنِى وأنا أَصْرَعه ! فقال مُرَىّ : يارسول الله رددْتَ ابْنِى وأجَزْتَ رَافِع بن خَدِيج وابْنى يَصْرَعه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرافع وسَمُرة : تَصَارَعا، فصرعَ سَمُرة رَافِعاً ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان دَليلَ النبى صلى الله عليه وسلم أبو خَيْثَمة الحَارِثى .

ومَضَى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سَلَك فى حَرَّة بَنِى حَارِثة ، فذَبَّ فرسٌ بذَنَبه فأصاب كُلَّابَ[1] سيفِ فَارِس فاسْتَلَّه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِبُّ الفَأْلَ ولا يَعْتَاف ، فقال لصاحِب السَّيْف : « شِمْ سيفَك فإنّى أَرَى السيوف سَتُسَل[2] اليوم » . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: « مَنْ رجل يَخْرُج بنا على القوم من كَثَبٍ من طريق لا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهم ؟ » فقال أبو خَيْثَمَة الحارثى : أنا يا رَسول الله . فَتَقَدَّمه فنفذ به فى حرّة بنى حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك به فى مَالِ لِمَرْبَع[3] بن قَيْظِى وكان رجلا منافقا ضَرِيرَ البَصَر ، فلما سَمِع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ مَعَه من المسلمين قام يَحْثِى فى وجوههم التُّرَابَ ويقول : إن كنتَ رسول الله فلا أُحِلّ لك أن تدخُل حَائِطى . وأخذ حَفْنَة من ترابٍ وقال: لو أعلم أنّى لا أُصِيبُ غيرَك لضربتُ به وجهَك! فابتدَرَه القومُ ليَقْتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تفعلوا فهذا الأَعْمَى : أَعْمَى البَصرِ أَعْمَى القَلْب » وبَدَر إليه سعد بن زيد أَخُو بنى عَبْدِ الأَشْهَل حين نَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فَضَرَبه بالقوس فى رَأْسِه فَشَجَّه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه حَتَّى نَزَلَ الشِّعْب من أُحُد

---

(١) كلاب السيف: الحلقة أو المسمار الذى فى قائمه تكون فيه علاقته. وفى ت: ذباب بدل كلاب

(٢) كذا فى ت : والتجريد . وفى غ : ستستل .

(٣) فى فى غ : المربع .

فى عُرْعُرَةِ[1] الوَادِى مِنَ الجَبَل ، فجعل ظهر عسكره إلى أُحُد وقال : لا يُقَاتِلَنَّ أَحَد حتى آمره بالقتال . وقد سَرّحت قُرَيْشٌ الظَّهْرَ والكُرَاع فى زُرُوع كانت بالصمغة[2] من قناة المسلمين ، فقال رجل من المسلمين حين نهى رسولالله صلى الله عليه وسلم عَنِ القِتَال : أتُرعى زُرُوع بنى قَيْلَة ولَمَّا تضارب! وتَعَبَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو فى سبعمائة رجل ، وتَعَبَّأت قريشٌ وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مِائتا فَرَس قد جَنَّبُوها ، فجعلوا على مَيْمَنَة الخَيْل خَالِدَ بن الوليد وعلى مَيْسَرَتِها عِكْرِمَةُ بنُ أَبِى جَهْل ، وأَمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرّمَاة عَبْدَ الله بن جُبَيْر أَخَا بَنِى عَمْرو بن عَوْف و ضَمَّ إليه خَمْسِين رجلا وقال:«انضَحِ الخَيْلَ بالنَّبْل لا يَأْتُونا مِن خَلْفِنَا إنْ كانَت لنا أو عَلَيْنَا واُثبُتْ مكانك لا نؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِك فإن ظَهَرْنَا عليهم فَلَا تَبْرَحُوا من مَكَانِكم وإن رَأَيْتُمُوهم ظَهروا عَلَيْنا فلا تُعِينونَا فإنا لا نَزال غَالِبين ما دمتم مكانكم هاهنا » وظاهَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين دِرْعَيْن. فلمّا الْتقى القومُ هزمَ اللهُ تَعَالى المُشْرِكين حَتّى رُئيت النساء قد رَفَعن عن سُوقِهن وبَدَت خَلَاخِيلُهن فجعلوا يَقُولُون : الغَنِيمَة الغَنِيمَةَ ! ! فقال عبد الله : مهلا أما عَلِمْتم ما عَهِد إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأَبَوْا وانْطَلَقُوا ، فلما أَتَوْهم صُرِفَت وُجُوههم[3] وأُصِيبَ من المسلمين سَبْعُون رَجُلا . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أَمَّرَ الزُّبَير على الخيل ، ومعه يومئذ المقداد الكِندىّ ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللِّوَاءَ[4] رجلا من قُرَيْش يقال له مصعب بن عُمَيْر ،

---

(١) فى غ : عدوة . وعرعرة الجبل : أعلاه .

(٢) كذا فى ت ومعجم البلدان وتاريخ الطبرى . وفى جميع نسخ الأغانى : بالصمعة بالعين المهملة . وفى الروض الأنف : بالسبخة .

(٣) فى ت : فلما رأوهم ضربوا وجوههم .

(٤) فى غ : الراية .

وخرج حمزةُ بن عبد المطلب بالجَيْش . وأقبل خَالِد بن الوليد على خَيْل المشركين ، ومعه عِكْرِمة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبَيْر ، وقال : استقبل خالدَ ابن الوليد فكن بإزائه حتى أُوَافِيك ، وأمر طَائِفَة أخرى فقال : كونوا من الجانب الآخر حتى أُوذِنكم . وأقبل أبو سُفْيان يَحْمِل اللَّات والعُزَّى ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الزُّبَيْر أن يَحْمِل ، فحَمَل على خالد بن الوليد فهزَمَه الله تعالى ومن معه، فقال تعالى : « وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ » إلى قوله : « مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ » وإن الله وَعَدَ المؤمنين أن يَنْصُرَهم وأنَّه مَعَهم . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نَاساً رُمَاةً من أهل البَأْسِ فكانوا مِنْ وَرَائِهم ، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : كونوا هَا هُنا فرُدُّوا وَجْه مَنْ فَرَّ مِنَّا ، وكونوا حَرَساً لنا من قِبَل ظُهُورنا . فلما وقعت الهزيمة ورَأَوا الغَنَائم انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : نُدْرِكُ الغنيمة قبل أن يَسْبِقوا إليها . وقالت طَائِفَة : بل نُطِيع الله ونَثْبُت مكانَنا . قال ابن مسعود : ما شعرت أنَّ أَحَداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُرِيدُ الدُّنْيَا وعَرَضَها حتى يَوْمئذ . ثم إن طَلْحَةَ ابن عثمان صَاحِبَ لواء المشركين قال : يا مَعَاشِرَ أصحاب مُحَمَّد ، إنَّكم تَزْعُمون أن الله يُعَجِّلنا بسُيُوفكم إلى النَّار ويُعَجِّلكم بسُيُوفِنَا إلى الجَنَّة ، فهل منكم أَحَدٌ يُعَجِّله الله بسَيْفي إلى الجَنَّة ، أو يُعَجِّلُني بسَيْفِه إلى النَّار ؟ فقام إليه عَلِيّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : والَّذي نَفْسِي بِيَدِه لا أُفَارِقُكَ حتى أُعَجِّلَك بسَيْفي إلَى النَّار أو تُعَجِّلَني بسَيْفِك إلى الجَنَّة ! فضربه عَلِيّ فقطع رِجْلَه فسَقَط وانكشفت عَوْرَتُه فقال : أَنْشُدكَ اللهَ والرَّحِم يا ابن عَمّ . فتركه فكَبَّر النَّبيّ صلى الله عليه وسلم وقال لِعَلِيّ وأصحابه : ما منعك أن تُجْهِزَ عليه ؟ قال : إنَّ ابنَ عَمِّي نَاشَدَني حِينَ انكَشَفَت عورته ، فاستَحْيَيْتُ منه . ثم شَدَّ الزُّبيرُ والمِقْدَادُ بنُ الأَسْوَد الكِنْدي على المشركين فهزَمَاهم وحَمَلَ النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه فهزَموا أبا سُفْيَان .

فلما رَأَى ذلك خالدُ بنُ الوَلِيد وهو على خيل المشركين حَمَل فرَمَتْه الرُّمَاة فانْقَمَع، ولما نَظَر الرُّمَاةَ إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جَوْف عَسْكَر المُشْرِكين يَنْهَبُونَهم قال بعضُهُم : بَادِرُوا الغَنِيمَة ، وقال بعضُهُم : لا نترك قول(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطَلَق عامَّتُهم فلَحِقُوا بالعَسْكَر ، فلما رَأَى خالد قِلَّة الرُّماة صاح فى خَيْله ، ثم حَمَل فقَتَل الرُّماة ، وحَمَل على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما رَأَى المشركون أنَّ خَيْلَهم تُقَاتِل تَنَادَوْا(٢) وشَدُّوا على المسلمين فهَزَمُوهم وقَتَلُوهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ يأْخُذُ هذا السيفَ بحَقِّه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم(٣) حتى قامَ إليه أبو دُجَانة سِمَاكُ بن خَرَشَة أخو بنى سَاعِدَة فقال : وما حَقُّه يا رسولَ الله ؟ قال : أن تَضْرِب به فى العَدُوِّ حتى يَنْحَنِى . فقال : أنا آخُذُه بحَقِّه يا رسول الله . فأَعْطَاه إيَّاه . وكان أبو دُجَانَة رجلا شُجاعا يَخْتَال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أُعلِمَ بِعِصَابة حمراء يَعْمَلُها على رَأْسِه عَلِم النَّاسُ أنَّه سَيُقَاتِل ، فلما أخذ السيف من يَدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أخذ عِصَابَته تلك فعَصَب بها رأْسَه ، ثم جعل يَتَبَخْتَر بين الصَّفَّيْن ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنَّها لَمِشْيَةٌ يُبْغِضها اللهُ تعالى إلّا فى هذا المَوْطِن .

وأرسل أبو سفيان رسولًا فقال : يا معشر الأَوْس والخَزْرَج ، خَلُّوا بَيْنَنَا وبين ابن عمنا نَنْصرف عنكم ، فإنه لا حاجة لنا بِقِتَالِكم فرَدُّوه بما يَكْرَه .

وكان أبو عامِر بن صَيْفِىّ بن مالك بن النعمان بن أُمَيَّة ، أحد بنى ضُبَيْعَة قد خرج

(١) فى غ : أمر .

(٢) فى غ : تبادروا .

(٣) فى غ : بينهم .

إلى مكة مُبَاعِداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معه خَمْسُون غلاما من الأَوْس ، منهم عثمان بن حُنَيف ـ وقيل : كانوا خمسة وعشرين[1] غلاما ـ وكان يَعِد قريشا أنْ لو لَقِي محمَّداً وأصحابَه لم يَخْتَلِف عليه من قومه رَجُلان . فلما اُلتقَى الناسُ كان أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهم أبو عامر فى الأحابيش وعُبدانِ أهلِ مكة ، فنادَى : يا معشر الأَوْس أنا أبو عامر . قالوا : لا أَنْعَمَ الله بِكَ عَيْناً يا فَاسِق . وكان أبو عامر يُسَمَّى فى الجاهليَّة الرَّاهِب ، فسمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسِق ، فلما رَدُّوا عليه قال : لقد أصاب قَوْمى بعدى شَرٌّ ! ثم قاتَلَهم قتالا شديدا ثم راضَخَهم بالحجارة .

وقال أبو سفيان لِأَصحاب اللِّواء من بنى عَبْدِ الدَّار يُحَرِّضهم بذلك على القتَال : يا بنى عَبْد الدَّار ، إنَّـكم وَلِيتم لِوَاءَنا يوم بدر فأصابَنا ما قد رأَيتم ، وإنما يُؤْتَى النَّاسُ من قِبَل رَايَاتِهم ، إذا زالَتْ زَالُوا ، فإمَّا أن تـكفونا لواءَنا ، وإمَّا أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فَسَنَـكفيكموه . فهَمُّوا به وتوعَّدوه وقالوا له : نحن نسلم إليك لِوَاءَنا ؟ ! ستَعْلَمَ غداً إذا التقينا كيف نصنع ! وكان ذلك هو الذى أراد أبو سُفْيَان .

فلما التقى القوم ودَنَا بعضهم من بعض قامت هِنْد بنت عُتْبَة فى النِّسْوَة اللَّوَاتى معها وأَخَذْنَ الدُّفُوفَ يَضْرِبْن خَلْفَ الرِّجال ويُحَرِّضْنَهم .

وقالت هِنْدُ فيما تقول :

[نَحْن بَنَاتُ طَارِق نَمْشِى عــــلى النَّمَارِق
والـــدر فى المَخَانِق والمِسْك فى المَفَارِق[2]][3]
إنْ تُقْبِلوا نُعَانِــــق ونَفْرِش النَّمَـــارِق
أو تُـــدْبِروا نُفَارِق فِرَاقَ غَـــيْرِ وَامِق

---

(١) فى غ : خمسة عشر .
(٢) المفارق : القلائد .
(٣) لم يرد البيتان فى غ .

وقالت :

إيهاً بنى عبد الدارْ إيهاً حُمَاةَ الأَدْبَار
ضَرْباً بكُلِّ بتَّار

وقاتل الناس حتى حَمِيت الحربُ ، وقاتل أبو دُجانة حتى أَمْعَن فى النَّاس ، وحمزة ابن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين ، فأنزل الله نصره عليهم ، وصدَقَهم وَعْده فَحَسُّوهم[1] بالسيف حتى كشفوهم فكانت الهزيمة لا شَكَّ فيها .

وقال الزُّبَيْر : لقد رأيتُنى أنظرُ إلى هند بنت عُتْبة وصَوَاحِبَاتِها مُشَمِّرات هواربَ ، ما دون أَخْذهنّ قليلٌ ولا كثير ، إذا مالت الرُّمَاةُ إلى العَسْكَر[2] حَتَّى كشَفناَ القوم وانهزَمُوا يُرِيدُون النَّهْب ، وخَلَّوا ظهورَنا للخَيْل ، فأُتِينا من أدبارِنَا وصرخ صارخ : أَلَا إنَّ مُحَمَّداً قد قُتِل ! فانكفأنا وانكفأ القومُ علينا بعد أن أصبنا أصحابَ اللِّواء حتى ما يدنو إليه أَحَدٌ من القَوْم . وقيل : إنَّ اللواء لم يزل صَرِيعاً حَتَّى أخذته عَمْرة بنت علقمةَ الحارِثِيَّة ، فدفَعته لقرَيش . وكان اللواء مع صَواب : غلام لبنى أَبِى طَلْحة حَبَشِى ، وكان آخر من أَخَذَه منهم ، فقَاتَل حتى قُطعت يدَاه ، فبرك على اللِّواء وأخَذَ بصدْرِه وعُنقه فقُتِل عَلَيْه وهو يقول : اللهم هل[3] أعْذَرْت . فقال حَسَّان بنُ ثَابِت فيه حين تَعَارَضُوا بالشِّعر :

نَخرتم باللِّواء وأَىُّ[4] فخر لواءٌ حين رُدَّ إلَى صواب
جعلتم فخركم فيها لِعَبْدٍ مِن ألأَم من وَطِى عَفَر التُّرَاب
ظَنَنتُم والسَّفِيه له ظُنُون وما إن ذَاكَ من أمر الصَّوَاب

(١) حسوهم : استأصلوهم .
(٢) كذا فى ت وتجريد الأغانى . وفى غ : السكر .
(٣) فى غ : قد .
(٤) فى غ : وشر .

بأَنَّ جِلَادَنَا يـوم الْتقيْنَا   بمكة بيعُكم حُمْرَ العِيَاب
أَقَرَّ العينَ إنْ عُصِبَت يَدَاهُ   وما أن يُعْصَبَان على خِضَاب

ولما قَتَل عَلِىٌّ أصحابَ الأَلْوِيَة أَبْصرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعةً من مُشْرِكى قُرَيْش فقال لعلى رضى الله عنه : أَحمِل عليهم . فحمل عليهم ففَرَّق جمعَهم وقتل عَمْرو بن عبد الله الجمحى ، ثم أَبصَر جماعةً من مُشْرِكى قُرَيش فقال لعلى : أَحمل عليهم . فحَمَل عليهم وفَرَّقَ جماعتَهم ، وقتل شَيْبَةَ بن مَالِك أَحَدَ بنِى عامِر ابن لُؤَى ، فقال جبريل : يا رَسُولَ الله إن هَذِه الْمُوَاسَاة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّه مِنِّى وأنا منه » فقال جبريل عليه السلام : وأَنَا مِنْكُما ، فسمعوا صَوْتًا :

لا سَيْفَ إلَّا ذُو الفقَا   ر ولا فَتًى إلا عَلِى

وكان المسلمون لَمَّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثا : ثُلُثٌ قتيل ، وثُلُث جَرِيح ، وثُلُث مُنْهَزِم وقد جهدَته الحرب حتى ما يدرى ما يَصْنَع . وأُصِيبَت رَبَاعِيَةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم السُّفْلَى وشُجَّ وشُقَّت شَفَته ، وكُلِم فى وَجْنَته وجَبْهَتِه فى أصول شعره ، وعلاه ابن قمئة بالسيف على شِقه الأَيْمَن ، وكَانَ الذى أصابه عُتْبة ابن أَبِى وَقَّاص ، فجَعَل الدَّمُ يَسِيل على وَجْهه وهـو يَمْسَحُه ويقول : « كيف يُفلح قوم خَضَبُوا وَجْه نَبِيِّهم بالدَّم ، وهو يَدْعُوهم إلى الله عَزَّ وجَلَّ » فأنزل الله تعالى : « ليس لَكَ من الأَمْر شىء أَو يَتُوبَ عليهم » . الآية .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غَشِيَه القَوْم : مَنْ رَجُل يَشْترِى لنا نَفْسَه ؟ فقام زياد بن السكن فى خَمْسَة نَفَر من الأَنْصار ، وقيل : هو عُمارة بن زِياد ابن السَّكَن فقاتلوا دُونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجُلًا ثم رَجُلًا يُقتلُون دُونَه حتى كان آخرهم زياد أو عُمَارَة فقاتل حتى أَثْخَنَته[1] الجراحة ، ثم فاءت من

(١) فى غ : أثبتته .

المسلمين فِئَةَ حتى أَجْهَضُوهم عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أَدْنُوه منى . فأَدْنَوْه فوضع خده على قدمه وَوَسَّده بِهَا حتى مَاتَ وخَدُّه على قدم رسـول الله صلى الله عليه وسلم . وتَرَّس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دُجَانَة بنفسه يَقَع النَّبْـل فى ظَهْره وهو مُنْحَنٍ عليه حتى كَثُرَت فيه النَّبْـل . ورَمَى سعدُ بن أبى وقَّاص دُونَ رسولِ الله صلى الله عليـه وسلم . قال سعد : فلقد رأيتُه يُنَاوِلنى ويقول : إرْم فِدَاكَ أبىوأمى ، حتى إنَّه لَيُنَاوِلنى السهمَ ما فيه نصلٌ فيقول : ارْم به !

ورَمَى رسول الله صلى الله عليـه وسلم عن قوسه حتى اندقَّت سِيَتُها ، فأَخَذَها قَتَادَة بنُ النُّعْمَانِ فـكانت عنده وأصيبت يومئذ عينُ قَتَادَة بن النعمان حتى خَرَجَت على وَجْنَتِه ، فرَدَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم فـكانت أحسنَ عَيْنَيْه وأَحَدَّهُما .

وقاتل مُصْعَب بنُ عُمَير دُونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَعَه لِوَاؤُهحتى قُتِل، وكان الّذى أصابه ابنُ قَمِئة وهو يَظُنُّ أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرجع إلى قريش وقال : قدقَتَلْتُ مُحَمَّدًا. فلما قُتِل مُصْعبُ بنُ عُمَير أَعْطَى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللِّوَاءَ عَلِيّ بن أَبى طَالب .

وقاتل حمزةُ بن عبد المطلب حتى قتل أَرْطَاة بن شُرَحْبيل بن هاشم بن عبدمناف، وكانَ أَحَدَ النَّفر الذين يَحْمِلون اللِّوَاء ، ثم مَرَّ به سِبَاعُ بن عبد العُزَّى الغُبْشَانِى ، وكان يُكْنَى أَبَا نِيار ، فقال له حمزة : هَلُمَّ إلَىّ يا ابن مُقَطِّعَة البُظُور ـ وكانت أُمُّه مولاة شَرِيق بن عَمْرو بن وَهْب الثَّقَفِى . وكانت خَتَّانَة بمـكة ـ فلما التقيا ضربه حَمْزَة فقتله ، فقال وَحْشِى غلام جُبَيْر بن مطعم : إنى لأنظر إلى حمزة يَهُدُّ النَاسَ بسيْفه ما يُلِيق شيئا يمر به، مثل الجَمَل الأَوْرق[1] إذا ارتد يبقى إذْ تَقَدّمنىإليه سِبَاعُ

(١) الأورق : الذى لونه إلى الغبرة .

ابن عبد العزى فقال له حَمْزة: هَلُمَّ إلَيَّ يا ابنَ مُقَطِّعَة البُظُور، فضَرَبه فما أَخْطأَ رأْسَه، وهززت حَرْبَتى حَتّى إذا ما رَضِيتُ منها دفعتُها عليه فوقعت بِثُنَّتِه[1] حتّى خرجت من بين رجليه وأَقْبَل نَحْوى فغُلِب فوقع فأمهلتُه حتى إذا مات جئتُ فأخذت حربتى ثم تَنَحَّيت إلى العسكر ولم يكن لى بشىء حاجَةٌ غَيْره.

وقد قَتَل عاصِم بن ثابت بن أبى الأَقْلَح، أحد بنى عمرو بن عَوْف، مسافِعَ ابن طلحة وأخاه كلابَ ابن طَلْحة، كلاهما تابع بينهما[2] فيأْتى أُمَّه سُلَافة فيَطْرح رأسه فى حجرها فتقُول له: يا بُنَىَّ مَنْ أَصابَك؟ فيقول: سمعت رجلا يقول حين أَصابَنِى: خُــــذْها منى وأَنَا ابنُ أَبى الأَقْلح! فتقول: أَقْلَحِى؟! ونذرت لله إن أَمكَنها من رأس عاصم أن تَشْرَب فيه الخَمْر. وكان عاصم قد عاهد الله ألّا يَمَسَّ مشركا أبدا ولا يَمَسَّه.

وانتهى أَنَس بن النَّضْر، عم أَنَس بن مالك إِلَى عمر بن الخطاب وطلحةَ بن عبيد الله، فى رجال من المُهَاجرين والأَنْصار، وقد أَلْقَوا بأَيْديهم، فقال: مايُجْلِسُكم هاهنا؟ قالوا: قُتِل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال: فما تصنعون فى الحياة بعده؟ قوموا فموتوا على مَامَاتَ عَلَيْه. ثم استقبل القومَ فقاتَلَ حتى قُتِل. وبه سمى أنس بن مالك. وَوُجد فى أَنَس بن النّضر يومئذ سبعون ضَرْبَةً وطَعْنَةً وما عرفه إلا أختُه عَرَفتْه بِبَنَانِه[3].

وكان أولَ من عَرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعْدَ الهزيمة وقوْل النَّاس: قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم، كَعْبُ بن مالك أحد[4] بنى سلمة. قال: عرفت

---

(١) كذا فى ت: وتجريد الأغانى. وفى غ: فى لبته.

(٢) فى غ: كلاهما يشعره سهما، أى يخالطه به.

(٣) فى غ: بحسن بنانه.

(٤) فى غ: أخو.

عينيه تَزْهَرَان تحت المغفر ، فناديتُ بأعْلَى صَوْتى : يا مَعشَر المسلمين ، أبْشِروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فأشار إلَىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَنْ أَصْمُت . فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نَهَضُوا به ، ونَهض نحو الشعب معه عَلِى بن أبى طالب ، وأبو بكر ، وعمر ، وطلحة ، والزبير ، والحارث ابن الصِّمَّة فى رَهْط من المسلمين .

فلما أسند[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب أدركه أُبَىّ بن خَلف وهو يقول : يا محمد لا نجوتُ إنْ نَجَوْتَ ! فقال القوم : يا رسول الله أيَعْطف عليه رجل منّا ؟ فقال : دعوه . فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه الحربةَ من الحارث بن الصِّمَّة وانتَفَضَ بها انتِفَاضَةً تطايَرْنا عنه تَطَايُرَ الشَّعْرَاء[٢] من ظهر البعير إذا انْتَفَض ، ثم استقبله فطعنه فى عنقه طَعْنَةً تَدَأْدَأَ منها عن فرسه مِرَارًا وكان أُبَىّ بن خلف يَلْقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فيَقُول : يا محمد ، إنّ عندى العَوْدَ أعلِفهْ كلَّ يوم فَرْقًا من ذُرة أقْتُلك عليه ! فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنَا أقْتُلُكُ إن شاء الله عَزَّ وجَل . فلما رَجَع إلى قريش وقد خَدَشه فى عنقه[٣] خَدْشاً غير كَبير ، فاحْتَقَن الدَّمُ فقال : قتلنى والله مُحَمّد ! قالوا : ذهب فُؤَادك ، والله ما بك من بأس . قال : إنه قد كان بمكة قال لى : أنا قاتلك فوالله لو بَصَقَ عَلَىَّ لقَتَلَنى . فمات عدو الله بسَرَف[٤] وهم قافلون إلى مكة ، فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فَم الشِّعْب خرج على بن أبى طالب رضى الله عنه حتى ملأ دَرَقَته من الماء من المِهْرَاس ثم جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب منه وغسل الدم عن وَجْهِه ، وصَبَّ على رأسه

---

(١) أسند : رقى .

(٢) الشعراء : ذباب أحمر وقيل : أزرق ، يقع على الإبل ويؤذيها أذى شديدا .

(٣) كذا فى ت والطبرى . وفى غ : حلقه .

(٤) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

وهو يقول: اشتد غَضَبُ الله على من أَدْمَى وجْهَ نَبِيِّه. وكان سعد بن وقاص يقول: ما حَرَصْتُ على قتل رجل ما حَرَصْتُ على قَتْل عُتْبَة بن أَبِي وَقَّاص وإن كان ما علمت لسَيِّئ الخلق مُبْغَضًا فى قومه، ولقد كفانى منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشتد غَضَبُ الله على من أَدْمَى وجه رَسُوله.

وخرجت هند والنسوة معها يَمْثُلن بالقَتْلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يَجْدَعْن الآذان والأنوف، حتى اتَّخذت هِندٌ من آذان الرجال وأنوفهم خَدَماً وقلائد، وأعطت خَدَمَها[1] وقلائدَها وَحْشِيًّا غلام جُبَيْر بن مُطْعِم.

وبَقَرَتْ بطنَ حمزة رضى الله عنه وأخرجت كَبِدَه فلاكَتْها فلم تستطع أن تُسِيغَها فلفظتها.

ثم عَلَت على صخرة مُشْرِفَة فصاحت بأَعْلَى صَوْتِها بما قالَتْ من الشِّعر حين ظفروا بِمَا أصابُوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال عمر بن الخطاب لحَسَّان بْنِ ثَابِت: يابن الفُرَيْعَة، لو سمعتَ ما تقول هند ورأيتَ أَشَرَها قائِمَةً على صخرة تَرْتَجِز بنا وتذكر ما صنعت بحَمْزَة؟ فقال له حَسَّان: والله إنى لَأَنْظُرُ إلى الحربة تَهْوِى وإنِّى على رأس فَارِع – يعنى أُطُمَه – فقلت: والله إن هذه لسلاحٌ ما هى بسلاح العرب، وكأنَّها إنَّمَا تَهْوِى [إلى حمزة][2] ولا أَدْرِى، فأَسْمِعْنى بعضَ قولها أَكْفِكُموها. فأنشده عمر بعض ما قالت. فقال حَسَّان يهجوها:

أَشَرت لَكاعِ وكان عادتُها ... لؤماً إذا أَشِرت مع الكُفْر
لعن الإلهُ وزوجَها معها ... هِنْدَ الهنود طَوِيلَةَ البَظْر
أخرجت مرقِصةً إلى أُحُد ... فى القوم مُقْتِبَة على بَكْر

(١) الخدمة: الخلخال (ج) خدم.
(٢) التكملة من تاريخ الطبرى ٣ / ٢٣.

أَخْرجتِ ثائِرةً مبـــادِرَةً ... بأبيكِ وابنِك[1] يوم ذى بدر
وبعَمِّك المَسْتُوه فى رَدَع ... وأخيك مُنْعَفِرَين فى الجَفْرِ
ونَسِيت فاحِشَةً أتيتِ بِهَا ... يا هندُ ويحك سُبَّةَ الدَّهْرِ[2]
فرجَعْتِ صَاغِرة بلا تِرَةٍ ... مِنَّا ظَفِرْت بِها ولا نَصْر
زَعَم الوَلائِدُ أنَّهَا وَلَدَت ... ولداً صَغِيراً كان من عَهْرِ[3]

ثم إن أبا سفيان بن حَرْب أَشْرَف على القوم فقال: أَفِيكم محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم: لا تُجيبوه! ثم قال: أَفِي القَوْم عمر بنُ الخطَّاب؟ ثَلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم: لا تُجيبُوه. فالتفت إلى أصحابه فقال: أمَّا هؤلاء فقد قُتِلُوا، ولو كانوا فى الأحياء لأَجَابُوا! فلم يَمْلِك عمر بن الخطاب نفسه أنْ قالَ: كذبتَ يا عَدُوَّ الله، قد أَبْقَى الله لك ما يُخْزِيك. فقال: أُعْلُ هُبَل، أُعْلُ هُبَل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَجِيبُوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا «اللهُ أَعْلَى وأَجَلّ». قال أبو سفيان: لنَا العُزَّى ولا عُزَّى لـكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَلَا تُجِيبُوه! قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا «اللهُ مَوْلانَا ولا مَوْلَى لـكم». قال أبو سفيان: يَوْمٌ بِيَوْم بَدْر، والحربُ سِجَال أَمَا إنكم ستَجِدُون فى القوم مُثَلًا لم آمُر بها ولم تَسُؤْنى.

وقد كانَ الحُلَيْس بن زَبَّان أَخُو بنى الحارث بن عبد مَنَاة مَرّ بأبى سفيان بن حَرْب وهو يَضْرِب فى شِدق حَمْزَة بزُجِّ[4] الرُّمْح ويقول: ذُقْ عُقَق؛ ذُقْ عُقَق!

(١) فى غ: فانك بدل: وابنك.
(٢) كذا فى ت والديوان والطبرى وفى غ: سيئة الذكر، وهو تخفيف السيئة.
(٣) فى ت: عمرو بدل عهر.
(٤) الزج: الحديدة التى فى أسفل الرمح.

فقال : يا بَنِي كِنَانَة ، هذا سَيِّدُ قريش يَصْنَع بابن عمه كما تَرَوْن لَحْماً ! فقال : اكتمها عليّ فإنها زَلَّة . فَلَمَّا انصرف أبو سفيان ومَنْ معه نادى : أَنْ موعدُكم بدْر ، العام القَابِل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرَجُل من أَصْحَابه : « قل: نَعَم هِيَ بيْننَا وبيْنَك مَوْعِد » .

ثم بَعَث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعَلِيٍّ بن أبي طالب رضى الله عنه فقَال : أُخْرج فى آثار القوم فانظر مَاذَا يَصْنَعُون وما يرَوْن ، فإن كانوا قد جَنَبُوا الخيلَ وامتَطوا الإبل فهم يُرِيدُونَ مَكَّة ، وإنْ رَكِبُوا الخيل وساقُوا الإبِلَ فهم يريدون المَدِينَة ، والذى نَفْسِي بيده لئن أَرَادُوها لأَسِيرَنَّ إليهم بها ثم لأُنَاجِزَنَّهم . قال : فخرجت فى آثارهم أنْظرُ مَاذَا يَصْنَعون ، فلما اجْتَنَبُوا الخيل وامتَطَوا الإبِل توَجَّهُوا إلى مَكَّة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أَيَّ ذَلِك كَانَ فأَخْفه حتى تَأْتِيني . قال عَلِيٌّ : فَلَما رأيتُهم تَوجَّهُوا إلى مكة أقبلتُ أَصِيح ، ما أكْتُم الّذى أمرَنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لِمَا بِى مِنَ الفَرح إذ رأيتُهم انصرفوا إلى مَكّة عن المدينة ، وفَرَغَ النَّاسُ لقَتْلَاهم(١) .

ولَمَّا رَأَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحَمزة ما رَأَى وقد بُقِر بَطْنُهُ عَنْ كَبِده ، ومُثِّلَ بِهِ وجُدِعَ أنفهُ وأُذُنَاه قال : لولا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّة أو تكونَ سُنَّةً من بعدى لتركتُه حَتَّى يكون فى أجوافِ السِّبَاع وحَوَاصِل الطَّيْر ، وإن أَظْهرَنِى اللهُ على قريش فى مَوْطِن من المَوَاطن لأُمَثِّلَنّ به ثَلاثين(٢) رَجُلاً منهم .

فلما رَأَى المُسْلمون حُزْنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وغَيْظَه على ما فُعِل بَعمِّه حمزه قالوا : إنْ أَظْهرَنا اللهُ عليهم يوماً من الدَّهْر لنمَثِّلَنَّ بهم مُثْلَة لم يمثلْها

(١) فى ت : ونزع الناس لقتالهم . « تحريف » .
(٢) فى غ : لأمثلن بثلاثين .

أَحَدٌ من العَرَب بأَحَدٍ قطّ ، فأَنْزَلَ اللهُ عزّ وجَلَّ فى ذلك : « وإِنْ عاقَبْتُم فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُم بِهِ ولَئِنْ صَبَرْتُم لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِين »(١) فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصَبَرَ ونَهَى عن المُثْلَةِ .

وخَرجَت صفيةُ بنتُ عبد المطلب لِتَنْظُرَ إلى أَخِيها حَمْزة رضى الله عنهما وكان أَخَاها لأَبيها وَأمها(٢) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنِها الزُّبَيْر : أَلْقَها فارجِعْها لا تَرى ما بِأَخِيها . فلَقِيَها الزُّبَيْر فقال : يا أُمَّاه إن رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمُركِ أن تَرْجِعي . فقالت : ولِمَ وقد بَلَغَنى أنه مُثِّل بأَخِي وذلك فِى الله قَليل ، فما أَرْضَانَا بما كان من ذلك ، لأحتسِبَنّ ولأَصْبِرَنَّ إن شاء الله عز وجل ! فأخبر الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فَقال : خَلِّ سَبِيلَهَا . فأتَتْه فنَظَرت إليه وصَلَّت عليه واسْتَرْجَعَت واستغفرت له ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدُفِن .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ رَجُل ينظُر إلى ما فعلَ سَعْدُ بن الربيع أَفِى الأَحْيَاءِ هو أَمْ فى الأَمْوَات ؟ » فقال رجل من الأنصار : أَنَا أنظُرُ لك يارسول الله مافَعَل فنَظَر فوَجدَه جَرِيحاً فى القَتْلَى به رَمَق قال: فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمَرنى أن أنظر لَهُ أَفِى الأَحْيَاء أنت أم فى الأَمْوَات ؟ قال : فأنا فى الأَمْوَات، أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقُلْ لَه: إن سَعْدَ بنَ الرَّبيع يقول لك : جَزَاكَ اللهُ خَيْرَ ما جزى نَبِيًّا عن أُمَّتِه وأَبْلغ قومك عَنِّى السَّلَام وقل لهم عَنِّى : لا عُذْرَ لكم عِنْدَ اللهِ إِنْ خَلَص العَدُوُّ إلى نبيكم وفيكم عَيْنٌ تَطْرِف . ثم لم أَبْرَح حَتَّى مات فجِئْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَخْبَرْتُه بذَلك .

---

(١) النحل / ١٢٦ .

(٢) فى غ : وكان أخاها لأمها .

ولما خَرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أُحُد رجع حُسَيْل بن جابر — وهو اليَمَان أبو حُذَيْفَة — وثابت بن وَقْش(١) فجلسا فى الآطام مع النِّسَاء والصِّبْيان ، فقال أحَدُهما لصاحبه وهما شَيْخان كبيران : لا أبا لك ما تَنْتَظِر ، فوالله إنْ بَقِى لواحدٍ مِنَّا من عُمْره إلّا ظِمْءُ حِمَار(٢) ، وإنَّما نحن هَامَةُ اليَوْم أو غد ، أفلا نأخُذ أَسْيَافَنَا فنلْحَقُ برسول الله صلى الله عليه وسلم لَعَلَّ الله أن يرزقنا الشَّهَادَة معه . فأخَذَا أسيافَهما ثم خَرَجا حتى دخلا فى النَّاس ولم يعلم بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأمَّا ثَابت فقَتَلَه المشركون ، وأمَّا حُسَيْل بن جابر فاخْتَلَفت عليه أسيافُ المسلمين فقَتَلوه ولم يَعْرِفوه ، فقال حُذَيْفَة : أبى ! فقالوا : والله إنْ عَرَفْناه . وصَدَقُوا . فقال حُذَيْفَة : يَغْفِر الله لكم وهو أَرْحَم الرَّاحِمِين . فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يَدِيَه(٣) فتَصَدَّق حُذَيْفَة بدِيَتِه على المسلمين ، فزَادَتْه عند رسول الله صلى الله عليه وسلَّم خَيْرًا .

وكان رجل يُقال له قُزْمان لا يَدْرِى مِنْ أَيْنَ هُوَ ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ ، إذا ذكره : « إنَّه لَمِن أهْلِ النَّار » فلما كان يومَ أُحُد قَاتَل قِتَالًا شديدا ، وقَتَل هو وَحْدَه ثَمَانِيَةً من المشركين أو تسعة ، وكان شَهْمًا شُجاعًا ذا بَأْس ، فأثبتَتْه الجِرَاحة ، فاحْتُمِل إلى دار بنى ظَفَر ، فجعل رجال يَقُولُون : والله لقد أبليتَ اليوم يا قُزْمَانُ فأَبْشِر . قال: بِمَ أُبْشِرْ ؟ فوالله ما قَاتَلْت إلّا عن أحساب قومى ولولا ذلك لما قَاتَلْت . فلمّا اشتدَّت عليه جِرَاحَتُه أخذ سهماً من كِنَانَتِه

---

(١) فى ت قيس .

(٢) ظمء الحمار : ما بين الشربين له ، وليس شىء من الدواب أقصر ظمأ من الحمار ، يرد الماء كل يوم فى الصيف مرتين .

(٣) وداه : أدى ديته .

فقطع رَوَاهِشَه فنزَفَه الدَّمُ فمَات . فأُخْبِر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنى رَسُولُ الله حَقًّا .

وكان عَبْدُ الله بن الزِّبعرى بن قيس بن عَدِيّ بن سَعْد بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالِب ، أحدُ شُعَراء قُرَيْش المعدودين . وكان مِمَّن يُحَرِّض كُفَّارَ قريش على المسلمين بشِعْرِه ويَهْجُو المسلمين . وهو القائل فى وَقْعَة أُحُد :

يا غُرابَ البَيْن أَزْمَعْتَ فقل ... إنَّما تنطق شيئاً قد فُعِل
إنَّ للخَيْر ولِلشَّرّ مَدَى ... لِكِلَا ذينِكَ وقتٌ وأَجَل
كُلُّ بؤسٍ ونَعيم زائِلٌ ... وبَنَاتُ الدَّهر يَلْعَبْن بِكُل
والعَطِيَّات خِسَاسٌ بينهم ... وسَواء فيه[1] مُثْرٍ ومُقِل
[قد قَتَلْنَا القومَ مِن سَادَاتِهم ... وعَدَلْناه بِبَدْر فاعْتَدَل][2]

ولما كان يوم الفتح أَسْلَمَ عبدُالله بن الزِّبَعْرى ، وقَبِل رسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامَه وأَمَّنَه .

ولما كانت صَبيحَةُ يوم أُحُد يوم الأَحَد لِستَّ عَشْرَة خَلَتْ من شَوَّال أَذَّنَ مُؤَذِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النَّاس بطَلَب العَدُوّ ، وأَذَّن مؤذِّنه : ألا يخرجَ مَعَنا أحَدٌ إلّا مَنْ حَضَر بالأَمْسِ يَوْمَنا . فكَلَّمه جابر بن عبد الله بن عمرو ابن حَرَام ، فقال : يا رسول الله إنَّ أبى كان خَلَّفَنى عَلَى أَخَوَاتٍ لى سبع ، وقال : يا بُنَيَّ ، إنَّه لا ينبغى لى ولا لك أن نَتْرُك هؤلاء النِّسْوَة لا رجل فِيهنَّ ، ولستُ بالذى أُوثِرُك بالجِهَاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَفْسِى ، فتَخَلَّفْ عَلَى

---

(١) فى غ : قبر بدل فيه .

(٢) لم يرد هذا البيت فى غ .

أَخَوَاتك ، فتَخَلَّفْتُ عليهنّ . فأَذِن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الْخرُوج مَعَه وإنَّما خرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِباً للعَدُوّ ليُبَلِّغَهم أنَّه خرج فى طَلَبِهِم لِيَظُنُّوا به قُوَّة وأنّ الذى أصابهم لم يُوهِنْهم عن عَدُوّهم . وكان رجل من بنى عَبْدِ الأَشْهَل قد شَهِد هو وأَخُوه أُحُدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجَعا جَرِيحَيْن ، فلمَّا أُذِّن بالْخروج قال لأخيه : أَتَفُوتُنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما لَنَا من دَابَّة نَرْكَبُها ، وما مِنَّا إلّا جريحٌ ثَقِيل . قال : فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتُ أيسرَ جُرْحاً منه ، فكنت إذا غُلِب أحمله سَاعَة حتى انْتَهَيْنا إلى ما انْتَهى الْمُسْلمون ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد ، وهى عَلَى ثمانية أَمْيَال من المدينة فأقام بها ثلاثاً : الاُثْنَيْن والثُّلاثاء والأَرْبعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وكان مَعْبد الخزاعى قد مَرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت خُزاعة مسلمُهم ومشركُهم عيبةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] صفقتهم معه لا يُخْفُون عليه شيئا ومَعْبد يومئذ مُشْرِك ، فقال : أَمَا والله يا مُحمّد لقد عَزَّ علينا ما أصابك فى أصحابك ، ولودِدْنا أَنَّ الله كَانَ أَعَانَك عَلَيْهم ، وخرج مِن عنده بحمراء الأَسَد حتى لَقِى أَبَا سفيان بنَ حَرْب ومن معه بالرَّوْحاء قد أَجْمَعُوا الرَّجْعَة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أَصَبْنَا حِدَّ أَصْحَابه وقادَتَهم وأَشْرافهم ، ثم رجعنا قبل أن نَسْتَأْصِلَهم ، لَنَكُرَّنّ عَلى بَقِيَّتهم ولَنفرُغَنَّ منهم ! فلما رأى أبو سفيان مَعْبدا قال : ما وَرَاءك يا مَعْبد ؟ قال : محمد قد خَرَجَ فى أصحابه يَطْلُبكم فى جمع لَمْ أَرَ مثله قَطّ يتحَرَّقون عليكم تَحَرُّقا ، وقد اجتمع معه مَنْ كَانَ تخَلَّف عنه فى يومكم ، ونَدِموا على ما صَنَعوا وفيهم من الحَنَقَ عليكم شىء لَمْ أَرَ مثلَه قطّ . قال : وَيْلك

---

(١) عيبة الرجل : موضع سره .

ما تقول ؟ قال : والله ما أَرَاكَ تَرْتَحِل حتى ترى نواصيَ الخَيْل . قال : والله لقد أجمعنا الكَرَّة عليهم لنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهم(١) . قال : فإنّى أنهاكَ عن ذلك ، فوالله لقد حملنى ما رأيتُ على أن قُلْت شعرا، قال: أنشدنا فأنشدَهم:

كادت تُهَدُّ من الأصوات رَاحِلتى ... إذْ سالَتِ(٢) الأرضُ بِالْجرد الأَبَابيل

فظلْت عَدْوًا أظن الأرضَ مائِلة ... لمَّا سَمَوا بِرَئيسٍ غيرِ مَخْذُول

فقلتُ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكم ... إذا تَغَطْمَطَت البطحاء بِالجِيل

إنى نَذِيرٌ لأَهل السَّيْل(٣) ضاحيةً ... لِكُل ذِى إربَةٍ منهم ومَعْقُول(٤)

من جيش أحمدَ لا وَخْشٍ تَنَابلةٍ(٥) ... وليس يوصَف ما أنذرت بالقِيل

قال : فثَنَى ذلك أَبَا سُفْيان ومن معه .

ومَرَّ به ركبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد المدينة . قال : ولم؟ قالوا: نريد المِيرَة . قال: فهل أنتم مُبْلِغون عَنّى محمداً رسالة أرسلكم بِهاَ إليه ، وأُحَمِّل لكم إبلكم هذه غدا زَبيباً بعكاظَ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنّا قد أَجْمَعْنَا على المَسير إليه وإلى أَصْحَابه ، لنستأصِل شَأْفَتَهم . فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بالّذى قَالَ أَبُو سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوَكِيل » ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إِلَى المدينة بعد ثالثة وكان قد خَلَفَ على المدينة ابْنَ أُمِّ مكتوم .

---

(١) فى غ : شأفتهم .
(٢) فى ت : سارت .
(٣) فى ت : النسل .
(٤) المعقول : العقل .
(٥) فى ت : بنائله « تحريف » . والوخش : رذالة الناس وصغارهم والتنبل : القصير .

آدم بن عبد العزيز

هو آدم بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم وهو أَحَدُ مَنْ مَنَّ عليه أبو العبَّاس السَّفَّاح من بني أُمَيَّة لمَّا قتل مَنْ وَجَد منهم . فقال له : قَدْ عَلِمْتَ مَذْهَب أبي فيكم ، ولم يكن كآبائهم . فقال : صدقت وأَطْلَقَه .

وكان آدم من أوّل أمره خَلِيعاً ماجِناً مُنْهَمِكا في الشَّراب ، ثم نَسَك بعد ذلك وماتَ على طَرِيقَة مَحْمُودَة .

غَنَّى بهذه الأَبْيَات بين يَدَى المَهْدِيّ :

أُسقِني وأُسقِ خَلِيلي ... في دُجَى[1] اللَّيْلِ الطَّويلِ
قهوةً صهباءَ صِرْفاً ... سُبِيَت من نَهرِ بِيلِ
في لسان المَرْءِ منها ... مثلُ طَعْمِ الزَّنْجَبِيل
رِيحُها يَنفَح منها ... ساطعاً من رأسِ مِيل
مَنْ يَنَلْ منها ثَلاثاً ... يَنْسَ مِنْهَاجَ السَّبِيل
فمتى ما نَالَ خَمْسًا ... تركَتْه كالقَتِيل
ليس يَدْرِي حين ذاكُم ... ما دَبِيرٌ مِنْ قَبِيلِ
قل لمَنْ يَلْحَاك فِيهَا ... من فقيهٍ أو نَبِيل
أنتَ دَعْها وارجُ أُخْرى ... من رَحِيق السَّلْسَبِيل

فسأل عن قائلها ، فقيل : آدمُ بنُ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، فدعا به فقال : ويلك تَزَنْدَقْتَ ! قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ومتى رأيتَ قرشيًّا تزَنْدَق؟

(١) في غ : مدى .

والمِحْنَة[1] فى هذا إليك ، ولـكنّه طَرَب غَلَبنى ، وشعر طَفَح على قلبى فى حال الحداثة فنطقت به . وأنا رجل أَشْرَبُ الخمر ، ولم أقل ذلك إلا على سبيل المُجُون . ووالله ما كفرْتُ بالله قطّ ، ولا شككت فيه ، فَخَلّى سَبِيلَه . وكان المهدى يحبه ويُكْرِمه لظَرفه وطيب[2] نفسه .

وقيل : إنَّ المَهْدِىّ جَلَدَه ثلاثمائة سَوْط على أن يُقرّ بالزَّنْدَقة ، فقال : والله ماأشركتُ بالله طرفة عين ، فقال : أين قوْلك :

أُسقِنى وأُسق غُصَيْنَـا ... لا تبِـعْ بالنَّقد دَيْنَـا
أُسقِنِيهـا مُزَّةَ الطَّـ ... ـمِ تُرِيكَ الشـينَ زَيْنَـا

فقال : إن قلت ذَلك فما هو مِمَّا يَشْهَد على قائله بالزَّنْدَقة . قال : فأَين قَوْلُك :

أنتَ دَعْهـا وارجُ أخرى ... مِنْ رَحِيقِ السَّلْسَبِيل

قال : كنتُ فتًى أشرب النبيذَ وأَقُولُ ما قُلْتُ على سَبِيل المُجُون ، فخَلَّى سَبيلَه . وهو القائِلُ :

أُحِبُّك حُبَّين لِى وَاحِد ... وآخر أنـك أَهْـلٌ لِذَاكَ
فأَمَّا الذى هو حُبُّ الطِّبَاعِ[3] ... فشىء خُصِصْت به عَنْ سِوَاكَ
وأما الذى هو حُبُّ الجَمـال ... فلست أرى ذاكَ حتّى أراك[4]
ولستُ أَمُنُّ بِهَـذَا عَليـك ... لك المن فى ذا وهَـذَا وذَاكِ

---

(١) المحنة : الامتحان .
(٢) فى ت : وصف .
(٣) فى ت : الجمال .
(٤) فى ت : روى البيت : وأما الذى هو حبى فلست أرى الحسن فى الناس حتى أراك .

قال فُلَيْح بْنُ سُلَيْمان : مررنا يوما مع خَالِصَة فى موكبها ، فوَقفَت على آدم ابن عبد العزيز فقالت : له : يا أخى طلبتَ مِنَّا حَاجَةً فرفعناها إلى السَّيِّدة وأمرت بها وهى فى الديوان ، فساءَ ظَنُّك بنا فقعَدْتَ عن تَنَجُّزِها . قال : فوه لها عُذْرًا اعْتَذَر بِهِ فوقَفْتُ عن الموكب حتى مَضَت ، ثم قلت له : أَخْمَلْتَ ذِكْرَك[1] والله ما أَحْسَبُ أنه حبسك عنها إلا الشراب ، أنتَ ترى الناس يَرْكُضُون خلفها وهى تَقِفُ[2] عليك لحاجتك ، قال : هو واللهِ ذَاك ، إذا اصطبَحْتَ[3] فَكُلْ كِسْرَة ولو بملح ، وافْتَح دَنَّك فإن كان حَامِضاً دَبَغ مَعِدَتَك ، وإن كان حُلْوًا أخرَطَك ، وإنْ كَانَ مُدْرِكاً فهو الذى أردت . فقلت : لا بَارَكَ الله عَلَيْك . ومضيت ، ثم تَابَ بعد ذلك وأَقْلَع.

واستأْذَنَ يوما على يعقوب بن الرَّبيع فقال : ارْفَعُوا الشَّرَاب فإنَّ هذا قد تَاب وأَحْسَبُه يكره أن يرَاه . فرُفِع وأُذِنَ له فدخل ، فقال : « إنِّى لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لولَا أن تُفَنِّدُون » . قال يعقوب : هو الذى وجدت ، ولكنا ظننا أنه يَثْقُل عليك لتَرْكِكَ الشرابَ . قال : إى والله ، إنه ليَثْقُل علىّ . قال : فهل قلت فى ذلك شيئا منذ تَرَكْتَه؟ قال : نعم قلت :

ألا هل فتى عن شربها اليومَ صَابِرٌ ليَجْزِيَه يوما بذلك قَادِرُ
شربتُ فلمَّا قيل ليس بنازع نزعتُ وثوبى مِنْ أذَى اللَّوْم طَاهِرُ

---

(١) فى غ : نفسك بدل ذكرك .

(٢) فى غ : ترف .

(٣) فى غ : أصبحت .

أم حكيم

هى أمُّ حَكِيم بنت يَحْيَى بن الحَكم بن أبي العاصى بن أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس. وأمُّهازَيْنَب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

كانت هى وأمُّها من أَجْمل نساء قريش ، وكانت قريش تقول لأُمّ حَكِيم : الوَاصِلة ؛ لأنها وصَلَت الجمَال بالكَمَال .

وأم أمها زَيْنَب سُعْدى بنت عَوْف بن خَارِجة بن سِنان بن أَبِي حَارِثة بن عوف ابن أبى حارثة بن لأْم الطَّائِى .

وكانت سُعدى عند عَبْدِ الله بن الوليد بن المُغِيرة ، فولدت له سَلَمة ورَيْطَة ، ثم توفِّى عنها . فخلف عليها طَلْحَةُ بن عُبَيْدِ الله ، فولدت له يحي وعيسى ؛ ثم قُتِل عنها . فخطبها عبدُ الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ فتكَلَّم بنُوها وكرهوا أن تتزوَّج، وهم رِجَال . فقالت : إنه قد بقى فى رَحم أمكم فَضْلة شَرِيفة لا بُدَّ من خروجها. فتزوّجها فولَدَت له المُغيرة بن عبد الرحمن الفَقِيه وأُمّ حكيم . وكان المُغِيرة أحدَ أجواد قريش والمُطْعِمِين الطَّعام مِنْهم ، وقد وفد [إلى الكوفة][1] على عَبْدِ الملك بن بِشْر بن مروان . وكان صَدِيقَه ، وبها جماعة يُطعِمُون الناسَ من قُرَيْش وغَيْرها[2]. فلمَّا قدم تغيّبوا فلم يَخْرج[3] أحد منهم حتى خرج ، وبَثَّ المغيرةُ الجفَانَ فى السِّكك والقبائل يُطْعِم الناسَ ، وهو مُطْعِم الجَيْش بمِنًى ، وإلى الآن يُطْعَم عَنْه ، وكانت زَيْنَبُ هذه أحسنَ النِّساء قدًّا ووَجْهًا ، كأن أَعْلاَهَا قَضِيب ، وأَسْفَلَها كَثِيب .

---

(١) ساقطة من ت ، والتكملة من غ .

(٢) فى غ : وغيرهم .

(٣) فى غ : يظهر .

فتزوجت زينبُ أبانَ بن مَرْوَان بن الحَكَم ، فولدت له عبدَ العزيز بن أبَان ثم مات عنها فخطبها عَبْدُ الملك[1] [بنُ مَرْوَان ويحْيَى بنُ الحَكَم فَمَالُوا إلَى عَبْد الملك ، فأَرْسَل يَحْيَى إلى المُغِيرة بْنِ عَبْدِ الرحْمَن][2] : كم الذى تأمُل من عبد الملك ؟ فوالله لا يَزِيدُها على أَلْفِ دِينار ، ولا يَزِيدُكَ على خَمْسِمَائة ، ولها عندى خَمْسُون أَلْفَ دينار ، ولك عَشَرة آلاف دِينَار إن زَوَّجْتَنِيها ، فزوَّجه إياها على ذَلِك ، فغَضِب عبد الملك ، وقال : دخل عَلَيَّ فى خِطْبَتِى ! والله لا يَخْطُب على مِنْبر ما دُمْت حَيّا ، ولا يَرَى مِنِّى ما يُحِب ، فقال يحي: ما أبالى ، كَعْكَتَان وزَيْنَب .

وقيل : إنها لَمَّا خُطِبت قالت : والله لا أتَزَوَّج إلَّا مَنْ يُغنى أَخِى المُغِيرة ، فأرسل إليها يحي بن الحكم : أيُغْنِيه خَمْسون ألف دينار ؟ قالت : نعم . قال: هى له، ولكِ مثلها . فقالت : ما بعد هذا شيء ، فأَرسل إلى أهلك بِشَيْء مِنْ طِيب وشَيْء من كُسْوة .

ولما تزوَّجها يَحْيَى قال عبدالملك : لقد تزوجتْ أفوه غَلِيظَ الشَّفَتَين. فقالت : هو خير من أبى الذباب فمَاَله يعيبه بفمه؟ وقال أبو يحي: قولوا له: إنَّ الَّذى خَبَرْتَ من فِيَّ كرِهَتْه مِنْ فِيك. ولما تزوَّجها يحي عَزَله عبدُ الملك عن عَمَله وخلَمه مِنْ ماله، فجعل يحي يقول:

ألا لاأُبَالِى اليوم ما فعل الدهرُ   إذا بقيت لى كَعكتان وزينب

وكانت أُمّ حكيم تَحْتَ عبد العزيز بن الوَلِيد بن عبد الملك تزَوَّجها فى حياة جده عبد الملك .

ولما عُقِدَ النكاح بيْنَهما فى مَجْلِس عَبْد الملك أَمَرَ بإدخال الشُّعَرَاء ليهنئوهم بالعقد ويَقُولُوا فى ذلك أشعارا يرويها الناس فاُخْتِير منهم جَرِير وعَدِيّ بْنُ الرِّقاع فدَخلا .

---

(١) فى ت : عبد الرحمن « تحريف » .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ت والتكملة من غ .

وقد بَدَأَ عَدِىٌّ لِمَوْضِعِه منهم فقال :

قَمَرُ السَّماءِ وشَمْسُها اجْتَمَعَا ... بالسعد ما غَابَا وما طَلَعَا
ما وَارَت الأَسْتَار مِثْلَهُمَا ... مَنْ ذَا رَأَى هَذَا ومَنْ سَمِعا

وقال جرير :

جَمَع الأميرُ إليه أكرمَ حُرَّة ... فى كُلِّ ما حال من الأحوال
حَكَمِيَّةً علَتِ الرَّوابِىَ كُلَّها ... بمفاخر الأَعْمَام والأَخْوَال
وإذا النِّسَاء تفاخرت بِبُعُولَة ... فخرتهُم بالسَّيِّد المِفْضَال
عبد العزيز ومَنْ يكَلِّف نفسه ... أَخْلاقَه يلْبَثْ بأكسف بالِ
هَنَأْتُكم بمَوَدَّة ونَصِيحَة ... وصدقْتُ فى نَفْسِى لكم ومقالى
فلتَهْنِك النِّعَمُ التى خُوِّلْتَهَا ... يا خيرَ مَأْمُول وأَفْضَلَ وَالِى

فأمر لها عَبْدُ الملك بعِشرِينَ ألفَ درهم ، وقضى لأَهْلِه ومَوَالِيه يومئذ مِائَةَ حاجَة ، وأَمَر لجميع مَنْ حَضَر مِنَ الْحَرس(١) والكُتَّاب بِعَشْرةِ دَنَانِير عَشْرَة دَنَانِير .

ولم تزَل أُمُّ حكيم عند عبد العزيز مدة ، ثم تزوج مَيْمُونَة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر ، فملكَتْه وأحبها وذَهَبت بعَقْلِه كل مَذْهَب ، فلم ترْضَ منه إلا بطلاق أُمِّ حَكِيم ، فطلَّقها ، فتزوجها هِشَام بن عبد الملك ، ثم مات عَبْدُ العَزِيز فتَزَوَّج هِشَام مَيْمُونَة أيضا ، وكان شَدِيدَ المحبة لأُمِّ حكيم ، فَطَلَّق مَيْمُونَة اقْتِصَاصاً لها منها بما فعلته معها فى اجْتِماعِهما عند عبد العزيز ، وقال لها : هل أرضيتُك مِنْها ؟ قالت : نعم . فولدت أُمُّ حَكِيم من هشام ابنَه يَزِيد بن هشام ، وكان من رِجَالات بنى أمية ، وكان أحدَ مَنْ يَطْعَنُ على الوَلِيد بن يَزِيد بن عَبْدِ الملك ويُغْرِى به الناس . وكانت أُمُّ حَكِيم مُدْمِنة على الشَّراب لا تَكَادُ تُفَارِقه ، وهى القَائِلة :

(١) ى ت : الجيش .

ألا فاسقياني من شَرَابِكما الوَرْدِي
وإن كنتُ قد أنفدْتُ فاسترهُنَا بُرْدِي
سِوَارِي ودُمْلُوجي وماملكتْ يَدِي مُباحٌ لكم نَهْبٌ ولا تقطعُوا وِرْدِي

وكأسها التي كانت تشرب بها مَشْهُورة عند الناس إلى اليوم ، وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن .

وفيه يقول الوليد بن يزيد :

عَلِّلَانِي بصافيات[1] الكُرُوم وأسْقِيَانِي بكأس أُمِّ حَكِيم
إنَّها تَشْرَب المُدَامَةَ صِرْفا في إنَاء من الزجاج عظيم
جَنِّبُونِي أَذَاةَ كل لَئِيم إنــــه ما علمت شَرُّ نَدِيم

فلما بلغ هَذَا الشعرُ هِشَامًا قال لأُمِّ حَكِيم : أَوَ تَفْعَلين ما ذَكَره الوَلِيد ؟ فقالت : أَوَ يَصْدُق الفَاسِق في شَيْءٍ حتى تُصَدِّقه في هذا ؟ قال : لا . قالت : هو كبَعْضِ كَذِبه .

وكانت كأس أمِّ حكيم كَأْساً كَبيرة من زُجَاج أخضر ، مَقْبِضُها من ذهب .

قال إسماعيل بن مُجَمِّع : كنا نُخرج ما في خزائن المأمون من الذهب والفضة فنُزَكِّي عنه ، وكان فِيما يُزَكَّى عنه كأس أُمِّ حكيم ، وكَانَ فِيها من الذَّهَب ثَمانُون مِثْقَالا .

ولما أَخْرَجَ المُعْتَمِد ما في الخَزَائِن ليُبَاع في أيام ظهور النَّاجِم بالبصرة أُخْرِجَت كَأْسٌ مُدَوَّرة على هيئة القِحْف تَسَعُ ثلاثةَ أَرْطال ، فقُوِّمت بأربعة دَرَاهم ، فتُعُجِّبَ من حصول مِثْلِها في الخزائن مع خَسَاسَتِها ، فسُئِل الخَازِنُ عنها ، فقال : هذه كأس أمِّ حكيم ، فَرُدَّت إلى الخِزَانة ، ولَعَلَّ الذهبَ الَّذى كان عليها أُخِذَ يومئذ .

---

(١) في غ : بعاتقات .

وكان لِهِشَام من أُمِّ حَكِيم ابنٌ يقال له. مَسْلَمة ، وكُنيَتُه أَبُو شَاكِر ، وكان هشام يُنَوِّه باسمه ، وكان أَرَادَ أن يُوَلِّيَه العهد بَعْدَه ، فوَلَّاه الحجَّ فحَجَّ بالنَّاس . وفرَّق فى الحِجَاز على أَهْلِهَا مالًا كثيرا وأحبه كثيراً الناسُ ومَدَحُوه، وفيه يقول عُروه بن أُذَيْنَة :

أَتَيْنَا نَمُتّ بأرحَامِنا وجئنا بأَمْرِ أَبى شَاكِرِ

وفيه يقول الوَلِيدُ بْن يَزِيد بن عبد الملك فى حَيَاة أَبيه وأشاع ذلك وأَشْهَرَه :

يا أَيُّها السَّائِلُ عن دِينِنا نحن على دِينِ أَبى شاكِرِ

فلما أراد هشام أن يُوَلِّيَه العَهْد كَتَبَ بذلك إلى خالد القَسْرى ، فقال خالد : أنا بَرِىءٌ من خليفة كُنْيَتُه أبو شاكِر ، فبلَغَ ذلك هِشاماً ، فكانَ ذلك سَبَبَ إيقَاعِه به .

قال ابنُ الأغر : كُنَّا مع محمد بن الجُنَيْد الخُتَّلِىّ نَشْرَبُ ذاتَ لَيْلَة فى أيَّام الرَّشيد وكان صوته :

عَلِّلَانى بعاتِقَات الكُرُوم واسقِيانى بكَأْس أُمِّ حَكِيم

فلم يزل يقترحه ويشرب عليه حَتّى السَّحَر ، فوافاه كِتاب خَلِيفته فى دَارِ الخليفة[1] يُخبِره أن الرَّشيد[2] على الركوب . وكان مُحَمَّد أحد أصحاب الرَّشيد ومَنْ يُقدّم دَابَّته ، فقال : كيفَ أَعْمَلُ والرَّشيد لا يَقْبَل لى عُذْرا وأَنَا سَكْرَان ؟ فقالوا : لا بُدَّ من الركوب ، فركب على تِلْك الحالِ ، فلما قدَّم إلى الرَّشيد دَابَّته قال له : يا مُحمّد ، ما هذه الحالُ التى أراكَ فيها ؟[3] قال : لم أَعْلَم رَأْىَ أَمِير المؤمنين

---

(١) فى غ : الرشيد .
(٢) فى غ : الخليفة .
(٣) فى غ : عليها .

فى الرُّكُوب فشَرِبْت لَيْلَتى أَجْمَع ، قال : فما كان صَوْتُك ؟ فأخبره ، فقال له : عُدْ إلى منزلك فلا فَضْلَ فيك ، فرجع إلينا وأَخْبَرَنَا بِمَا جَرَى وقال : خُذُوا بِنا فى شَأْنِنا ، فجَلَسْنَا على سَطْح ، فلما أرتفع[1] النهار إذَا خَادِم من خُدَّام أمير المؤمنين قد أَقْبَـل عَلَى بِرْذَوْن ، ومعه شىْءٌ مُغَطًّى بمنديل قد كادَ يَنَالُ الأرضَ ، فصَعِد إليْنَا وقال : أمير المؤمنين يَقْرَأ عَلَيْكَ[2] السَّلام ، ويقول لك : قد بَعَثْنَا إليك بكأْس أُمِّ حَـكِيم لِتَشْرَبَ فِيها، وبألف دِينَار تُنْفِقُها فى صَبُوحِك ، فقام محمد فأَخَذَ الـكَأْس من يَد الخادِم، وقبَّلَها ، وصَبَّ فيها ثَلاثَةَ أرطال وشَرِبَها قَائِمًا ، وسَقَانَا مِثْلَ ذلك ، ووَهَبَ الخادِم مِائَتى دِينَار وغَسَل الـكَأْس ورَدَّها إلى موضعها ، وجعَلَ يُفرِّق عَلَيْنا تِلْكَ الدَّنانيرَ حتى بَقِىَ معه أقَلُّها .

(١) فى غ : متع .

(٢) فى ت : عليكم .

أحمد المكي

هو أحمد بن يَحْيَى بن مَرْزُوق المَكِّي كُنيته أَبُو جَعْفر ، ولقبه طَنِين ، وجَمَع أبوه كِتَابًا فى الغناء .

جرى ذِكْرُ أحمد بن يحيى ، فقال عَلِيُّ بْنُ يحيى لإسحاق بنِ إبراهيم المَوْصِلِيّ : يا أبا مُحَمد ، لَوْ كان أبو جعفر أحْمَد بن يَحْيى مملوكا كَمْ كَانَ يُسَاوِى ؟ قال: أخبرك عن ذلك . أنصرفتُ ليلةً من دار الواثِق ، فاجتزت بدار الحسن بن وهب ، فدخلت عليه فإذا أَحْمَدُ عنده ، فلما قَامُوا لصَلَاة العشاء الأخيرة قال لى الحَسَنُ بْنُ وَهْب: كم يساوى أحمد لو كان مَمْلُوكا ؟ قلت: يساوى عشرة آلاف[1] دينار ، ثمَّ رجع فغَنَّى صوتا ، فقال لى الحَسَن : كَم يُسَاوِى ؟ قلت : يساوى ثلاَثِين أَلْف دينار ، ثم تَغَنَّى صوتا آخر:

أليس عندك شُكْرٌ لِلَّتى جَعَلَت ... ما ابيضَّ من قَادِمَاتِ الرَّأسِ كالحَمَم

فقلت للحسن : يا أَبا عَلِى أَضْعِفْها ، ثم لمَّا أردتُ الانصراف قلت لأحمد : غَنِّ :

لَوْلاَ الحياءُ وأَنَّ السِّتْر من خُلُقِى ... إذاً قصدتُ إليك الدهرَ لم أقُم

فغنَّاه فأحسن فيه كُلَّ الإحسان ، فقلت : يا أَبَا عَلى ، أَضْعِف الجَمِيع ، فقال له أَحْمد : ما هذا الذى أَسْمَعُكَا تقولانه ولست أدْرى مَعْنَاه ؟ قال : نحن نَبِيعك ونَشْتَرِيك مُنْذ اللَّيلة وأنت لا تَدْرِى .

قال محمد بن أحْمَد بن يحيى المَكّى : ناظر أبى بعضَ المُغَنِّين يوماً فى دار المُعْتَصم وطَال تلاحِيهما فى الغِنَاء فقال أبى للمُعْتَصم : من شاءَ منهم فليغنِّ عَشْرَة أَصْوات لا

---

(١) فى غ : عشرين ألف .

أعرف مِنْها ثَلاَثَة وأَنَا أُغَنِّى ثَلاَثِين[1] صوتا لا يعرف أحدٌ منهم منها صوتا فقال إسحاق: صَدَق ياأَمِيرَ المؤمنين وصَدّقه عَلُّوية، فأمر له بعشرين أَلْفَ درهم. ثم عادذلك الرجل إلى مُمَاحَكَته[2] يوما فقال له: قد دعوتك إلى المَنْصَفَة فلم تقبل، وأنا أبدأبما دعوتك إليه، فابتدأفغَنَّى عشرة أصوات، فلم يعرف أحدٌ منها صوتا واحدا، وكُلُّها من الغِنَاء القديم، فاستَحْسَنَ المُعْتَصم منها صَوْتاً وأَسْكَتَ المُغَنِّين له، واستعادَه مَرَّات عِدَّة[3]. ولم يَزَل يَشْرَبُ عليه سَحَابَة يَوْمِه، وأمر ألا يُرَاجِعَه أحَدٌ من المُغَنِّين كَلاماً ولا يُعَارِضُه.

وكان الصوت الذى أطرب المعتصم وأَعْطَاهُ عليه أَلْفَى دِينَار:

لَعَن اللهُ مَنْ يــلوم مُحِبًّا ... ولَحَى اللهُ مَنْ يُحب فيَأبَى

رُبَّ إلفَيْن أضمرا الحُبَّ دَهْراً ... فعفا الله عنهمــا حين تَابا

قال: وكان المعتصم قد خلع عليهم فى ذلك اليوم مَمَاطِر[4] لهَا شَأْنٌ من أَلْوان شَتَّى، فسألنى عبد الوهاب بن على أَنْ أُرَدِّدَ عليه الصوتَ، وجعل مِمْطَرَة لِى، فغَنَّيْتُه إيَّاه، فلمَّا خَرَجْنا أَمَر غلامَه فدفع المِمْطَر إلَىَّ.

قال أحمد المكى: قال المُعْتَصم يوماً ونحن جُلُوس عنده: خلعتُ اليوم على فَتَى، شَرِيف نَظِيف، حَسْن الوجْه، شُجَاع القلب، ووليته المَصِيَّصَة ونواحيها، فقلت[5]: من هَذَا يا أَمِير المؤمنين؟ فقال: خالد بن يَزِيد بن مَزْيد، فقال عَلُّوية: يا أحمد، غَنِّ أميرَ المؤمنين صوتَك فى مَدْح خالد، فأمسكت عنه، فقال المعتصم: مالك

---

(١) فى غ: أغنى عشرة وعشرة وعشرة.

(٢) المماحكة: المخاصمة ومثلها المماظة.

(٣) فى ت: عديدة.

(٤) مماطر جمع ممطرة؛ وهى ما يلبس فى المطر.

(٥) فى غ: فقلنا.

لا تُجيبه ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين لَيْسَ هو مما يُغَنَّى به بحَضْرة الخليفة ، فقال : ما من أن تُغَنِّيَه بُدّ ، فغنّيته :

عـلَّمَ النَّاسَ خالدُ بْنُ يَزِيدِ ... كُلَّ حلم(١) وكُلَّ بأْسٍ وجُود

فتَرى الناس هيبة حين يَبْدُو ... من قِيَام وركْع وسُجُود

فقال المعتصم: ياثُمامة ، خذ بأَحْمَد يُلقِى هَـذَا الصَّوْت على الجَوَارِى فى غد وأمر له بعشرة آلاف درهم .

قال محمدُ بْنُ أَحْمَدَ المَـكّى : غَنّى أَبى يوما مُحَمَّداً الأَمِين :

فَمِشْ عُمرَ نُوح فى سُرُورٍ وغبْطَة ... وفى خَفْض عَيْش ليس فى طُولِه إِثْم

تساعدك الأقــدَارُ فيه وتَنْثَنِى ... إليكَ وتَرْعَى فَضْلَكَ العُرْبُ والعُجْمُ

فأمر له بخَمْسِمائة دِينَار .

وتوفى أَحْمَدُ المَـكّى فى خلافة المُسْتَعِين كما روى جَحْظَة ، وعُمِّرَ أبوه يحيى المكى مائَة وعِشْرِينَ سنة ، وأَصاب بالغناء ما لم يُصِبْه أحـد من نظرائه ، ومات وهو صَحِيحُ العَقْل والبَصَر والسَّمْع .

(١) فى ت : علم .

أَرْبَدُ بنُ قَيْس[1]

هو أَرْبد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن كلاب[2] وهو أخـو لَبيد بن ربيعة العامرى لأمه وكنيته أبو حداد .

قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وَفْدُ بَنِى عَامِر بن صَعْصَعَة ، فيهم عَامِرُ ابن الطفيل وأَرْبَدُ بن قَيْس وجَبّار بن خَالِد[3] بن جَعْفَر بن كِلَاب ، وكان هَؤُلَاء رُءُوسَ القَوْمِ وشَيَاطِينهم .

وكان عامِرُ بن الطفيل قد هَمَّ بالغَدْر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له قومُه : يا عَامِر ، إنَّ الناسَ قـد أَسْلَمُوا فأَسْلِم ، فقال : واللهِ لقد كنتُ آليت ألا أَنْتَهِى حَتَّى يَتْبَع العربُ عَقِبى فأَتَّبِـع أَنَا عَقِب هَذَا الفَـتَى من قريش ، ثم قال لأَربد : إذا أقبَلْنا على الرَّجل فإنى مُشَاغِل عنك وجهه ، فإذا فعلتُ أنا ذلك فاُعلُه أنتَ بالسَّيْف ، فلما قَدِمُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له عامر : يا مُحَمَّد ، خَالّنى ، قال : لا والله حتى تُؤْمِنَ بالله وَحْدَه ، قال : يا محمد خَالنى[4] ، وجعل يكلّمه وينتَظِر من أَرْبَد ما كان أمرَه به ، فجعل أَرْبَدُ لا يُحِير شيئاً ، فلما رَأَى عامر ما يَصْنَع أَرْبَد قال : يا محمد خَالنى ، قال: لا والله حتى تُؤْمِنَ بالله وَحْدَه لا شريك له . وقيل : لَمَّا أتى إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم وَسَّده وسدم له وقال له : أَسْلِم ،

---

(١) جاءت ترجمة أربد فى الأغانى تحت عنوان : أخبار لبيد فى مرثية أخيه .

(٢) فى معجم الشعراء للمرزبانى / ٧٨ : اسم أربد : عمرو بن قيس بن جذيعة بن جزء بن خالد بن جعفر .

(٣) فى غ : طبع بيروت: جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب .

(٤) خالنى «بتخفيف اللام» : تفرد لى خاليا أتحدث معك ، وبتشديد اللام: اتخذنى خليلا مصاحبا .

فقال : عَلَى أنَّ لى الوَبَرَ ولك المَدَرَ[١] ، فأَبَى رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، وقامَ عامر مُغْضَباً ، فلَمَّا أَبَى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : أمَا والله لَأَمْلَأَنَّها عليك خَيْلًا حُمْرًا ورَجْلًا سُمْرًا[٢] ، ولَأَرْبِطَنَّ بكل نَخْلَة فَرَساً ، فلَمَّا وَلَّى دَعَا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ، وقال : يا قوم ، إذا دَعَوْتُ فأَمِّنوا ، فقال : اللهم اهْدِ بنى عامر ، واشْغَل عنى عامر بن الطُّفَيْـل بما شئت وكيف شئت ، فلمَّا خرَجُوا قال عامر لِأَرْبد : ويلك يا أَرْبَد ، أينَ ما كنت أَوْصَيْتُك به ؟ فوالله ما كان على ظَهْرِ الأرض رَجُلٌ هو أَخْوَفُ عنـدى على نَفْسِى مِنْك ، وأيم الله لا أَخَافك بعد اليـوم أبدًا . قال : لا تعْجَل عَلَيَّ لا أبا لك ، والله ما هَمَمْتُ بالذى أمَرْتَنى به من مَرَّة إلَّا دخَلْتَ بينى وبين الرَّجُل حتى ما أرى غيرَك ، أَفأَضْرِبُك بالسَّيْف ؟ فقال عامر :

بُعِثَ الرَّسولُ بما تَرَى[٣] فـكأنّما عَمْدًا أَشُـدُّ على المَقَانِب غارا
ولقد وردْنَ بِنَا المَدِينةَ شُزَّبا ولقـد قتلن بجَوِّها الأَنْصَارَا

وخَرَجوا راجعين إلى بلادِهم حتى إذا كانوا ببعض الطَّرِيق بعَثَ الله تعالى عَلَى عامر الطَّاعُون فى عُنُقه ، فقتَلَه الله تعالى ، وإنَّه لَفِى بَيْتِ امرأَة من سَلول ، فجعل يَشِبّ ويَغْزُو[٤] فى السماء ويقول : يا موتُ ابْرُزْ لى ، ويقول : يا بنى عامر ، غُدَّة كَغُدَّة البَعِير ومَوْتٌ فى بَيْتِ سَلُولِيَّة ! بأَىِّ وجْهٍ أُفاخِر العرب ، ثم مات . وخرج أصحابُه حين وَارَوْه حتى قَدِموا أرض بنى عامر ، فلما قَدِموا أتاهم قَوْمُهم فقالوا : ما وراءك يا أَرْبَد ؟ فقال : لقد دعانا إلى عبادة شَىْء لَوَدِدْتُ أنَّه عندى الآن فأَرْمِيه

(١) المراد بالوبر أهل البادية والمدر أهل المدن .
(٢) فى غ : خيلا جردا ورجالا مرد .
(٣) فى ت : أرى .
(٤) فى ت : يشتد ويعرو « تحريف » .

بنَبْلِي هذه حتى أَقْتُلَه ، ثم خرج بعد مَقَالَتِه هذه بيوم أو يومين مع جَمَل يَبِيعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صَاعِقَة فأَحْرَقَتْهُما .

وقال ابنُ دأب : أصابَ عامر بن الطُّفَيْل دُبَيْلة[1] فبعث لَبيد بنَ ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأَهْدَى له رَوَاحِل ، فقَدِم بها لَبيد ، وأمره أن يَسْتَشْفِيَه من وَجَعِه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قَبِلْتُ من مشرك لَقَبِلْتُ منه ، وتناوَل من الأرض مَدَرَة فتفَلَ عليها ، ثم أعطاها لَبيداً وقال: دُفْها له بماء ثم اسقه إيّاه[2] ، وأقام عندَه[3] لَبيدٌ يَقرأُ القرآن ، وكَتَب « الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآنَ ... » فخرَج بها ، ولَقِيَه أخوه أَرْبَد على ليلة من الحيّ ، فأنزلَه وقال له : يا أخي أَخْبِرْني عن هذا الرَّجُل ، فإنه لم يأْتِه رجلٌ أوثقُ عندي فيه قَوْلًا منك ، فقال : يا أخي ، ما رأيتُ مثلَه ، وجعل يذكر صِدْقَه وبِرَّه وحُسْنَ حَدِيثه ، فقال له: مَعَك من قوله شيء ؟ قال : نعم ، وأخرج له سُورَةَ الرَّحمن ، فقرأها عليه ، فلما فرَغ منها قال له أَرْبَد : لَوَدِدْتُ أنِّي أَلْقَى الرحمن بتلك البُرْقة ، فإن لم أَضْرِبه بسَيْفي فعَلَيَّ وعَلَيَّ . ونَشَأَت سَحَابة وقد خَلَّيَا بَعِيرَيهما ، فخرج أَرْبَدُ يريد البَعِيرَين فغَشِيَتْه صاعِقَة فمات .

وقَدِم لَبِيد على عامر ، فأخبره الخبَر ، قال : فما فعل فيما أَستَشْفَيْته ؟ قال : والله ما رأيتُ منه شيئاً كان أضعفَ عندي من ذلك ؛ وأخبره الخبَر ، قال: أين هي ؟ قال : ها هِيَ معي ، قال : هاتِها ، فأخرجها له فَدَافَها وشَرِبَها فبرأ .

ولَمَّا أصاب عامرَ ما أصابه ، بَعَث بنو عامر لَبيدا ، وقالوا له : أقْدِم لَنَا

---

(١) الدبيلة : داء في الجوف أو خراج ودمل يظهر فيه .

(٢) في ت : إياها .

(٣) في غ : عندهم .

على هـذا الرَّجُل فأَعْلَمَ لنا عِلْمه ، فقَدِم عليه فأَسْلَمَ ، وأصابه هناك وَجَعٌ شديد من حُمَّى ، فرجع إلى قومه بفَضْل تلك الحُمَّى ، وجاءهم بذِكْر البَعْثِ والجَنَّة والنَّار .

ولما ماتَ عامرُ بنُ الطفيل ، لم يُرَ يوم كانَ أَكثرَ باكِياً وباكِيَة وخَمْش وُجُوه وشَقّ جُيُوب من ذلك اليوم .

ولما ماتَ عامرُ بنُ الطُّفَيْل ، نَصَب بنو عامر على قبره أَنْصَاباً مِيلًا فى مِيل ، حتى لا تَمْشِى فيه مَاشِيَة ، ولا يُرْعَى ، ولا يَسْلُكه راكب ولا ماشٍ ، وكان جَبَّار ابن سُلْمى بن عامر بن مالك بن جَعْفر بن كلاب غائبا ، فلمَّا قَدِم قال : ما هـذه الأنصاب ؟ قالوا : حِمًى لقبر عامر بن الطُّفَيْل ، فقال : ضَيَّقتم على أبى عَلِيّ . إنَّ أَبَا عَلِيّ بَانَ من النـاس بثَلَاث : كان لا يَعْطَش حتى يَعْطَش الجَمَل(١) ، ولا يَضِلّ حتى يَضِلّ النَّجْم ، ولا يَجْبُن حتى يَجْبُن السَّيْل .

وكان قُدُوم عامر على النبيّ صلى الله عليـه وسلم وهو ابنُ بِضْع وثمانين سنة .

ومِمَّا رَثَى به لَبِيد أخاه أَرْبَد :

ألا ذهب المُحافِظُ والمُحامِى ... ودَافِعُ ضَيْمنا يوم الخِصَام
وأَيْقَنْتُ التَّفَرُّق يوم قالوا ... تُقَسَّم مَالَ أَرْبَد بالسِّهام
فودِّع بالسَّـلام أبا حُرَيْز ... وقَلَّ وداعُ أَرْبَد بالسَّـلام

ومن ذلك :

ما إن تَعَدَّى المنونُ من أَحَدٍ ... لا وَالدٍ مُشْفِق ولا وَلَدِ
أَخْشَى على أَرْبَد الحُتُوفَ ولا ... أرهب نَوْءَ السِّمَاكِ والأَسَد
فَجَّعَنى الرَّعْدُ والصَّواعِق بالـ ... فَارِس يوم الـكريهة النَّجُدِ
كُلّ بَنى حُرَّة مَصِـيرُهم ... قُلٌّ وإن أَكْثرتْ من العَدَدِ

---

(١) فى غ : البعير .

يا عينُ هَلَّا بكيتِ أَربدَ إذ قُمْنَا وقَامَ الخصُومُ فى كَبَد
إن يَشْغَبُوا لا يُبَالِ شَغْبَهم أو يَقْصِدوا فى الخِصَام يَقْتَصِد

ولمَّا أَنْشد أبو بكر رضى الله عنه قوْلَ لَبِيد فى أخيه أَرْبَد :

لَعَمْرِى لئِن كانَ المُخَبِّر صادِقا لقد رُزِئَتْ فى حادِث الدهر جَعْفَرُ
أَخٌ لِيَ أَمَّا كُلُّ شَيْءٍ سألته فيُعْطِى وأَمَّا كُلّ ذَنْبٍ فيَغْفِر

فقال أبو بكر رضي الله عنه : ذاك رسول الله صلى الله عليـــه وسلم لا أَرْبَد ابن قيْس .

ومن مختار مراثيه قوْلُه :

طَرِب الفؤادُ وليتَه لم يَطرَبِ وعَنَاه ذِكرى خُلَّة لم تُصْقِبِ(1)
فتعَزَّ عن هـــذا وقُلْ فى غَيْره واذكر شَمائِل من أَخيك المُنْجِبِ
ياأَرْبدَ الخيْر الـكريمَ جُدُودُه(2) أَفْرَدْتنى(3) أَمْشِى بقَرْن أَعْضَب
إنَّ الرَّزِيَّة لا رَزِيَّة مثلها فُقدانُ كُلِّ أخٍ كضَوْء الـكَوْكَب
ذهب الذين يُعَاش فى أَكْنَافهم وبَقِيتُ فى خَلْفٍ كجِلْدِ الأَجْرَب
من كلِّ كَهْل كالسِّنَان وسَيِّد صَعْب المَقَادَة كالفَنِيق المُصْعِب(4)
فبَرَى عِظامى بعد لحمى فَقْدُهم والدهرُ إنْ عاتَبْتَ ليس بمُعْتِب
مِن مَعْشَرٍ سَنَّت لهم آباؤُهم والعزّ قد يأْتِى بغَيْر تَطَلُّبِ

ومن مراثيه فى أَرْبَد أيضاً :

بَلِينا وما تَبْلَى النجــومُ الطوالعُ وتَبْقَى الجبــالُ بعــدنا والمَصَانِعُ

---

(١) تصقب : تقرب .
(٢) فى ت : الـكريمة صدقه « تحريف » .
(٣) فى ت . أرأيتنى .
(٤) الفنيق : الفحل من الإبل ، والمصعب الذى لم يركب .

وقد كنتُ في أكنافِ دارِ مَضَنَّةٍ[1] ... فَفَارَقَنى جارٌ بأَرْبَدَ نافِعُ
فلا جَزَعٌ إن فرَّق الدهرُ بيننا ... فكُلُّ فتًى يوماً به الدهرُ فَاجِعُ
وما المرء إلَّا كالشِّهَابِ وضَوْئه ... يَحُورُ رَماداً بعد إذْ هو ساطِع
أليسَ وَرَائى إن تَرَاخَتْ مَنِيَّتى ... لُزُومُ العصا تُحْنَى عليها[2] الأَصابعُ
أُخبِّرُ أخبارَ القُرُونِ الَّتى مَضَت ... أَدِبُّ كأنِّى كلَّما قُمْتُ راكِعُ
فأصبحتُ مثلَ السيفِ أَخْلَقَ جفنَه ... تقادُم عَهْد القَيْن والنَّصْلُ قَاطِعُ
فلا تَبْعَدنْ إنَّ المَنِيَّة مَوْعِدٌ ... علينا ، فَدَانٍ للطُّلُوع وطالِعُ
أَعاذِلُ ما يُدْرِيك إلَّا تَظَنِّياً ... إذا رَحَلَ السُّفَّارُ مَنْ هو رَاجِعُ
أتجزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدهرُ لِلْفَتَى ... وأَىُّ كريم لم تُصِبْه القَوَارِعُ

قال أبو الفرج مُصَنِّف الأَصْل : حدَّثَنا مُحَمّد بنُ جرير الطَّبرى ، قال : حدّثنا أبو السَّائِب سَالِم[3] [بن جنادة][4] حدَّثنا وكيع ، عن هِشَام عن أَبيه عُرْوَة عن عائشة — رضِيَ الله عنها — أنها كانت تُنْشِد بيتَ لَبِيد :

ذَهَب الذين يُعَاشُ فى أَكْنَافِهم ... وبَقِيتُ فى خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ

وتقول : رحم اللهُ لَبيداً ، فكيف لو أَدْرَكَ مَنْ نحنُ بين ظَهْرَانِيهم ؟ وقال هِشام : رحم الله أبى : عُرْوَةَ ، فكَيْف لو أدْرَكَ مَنْ نحنُ بين ظَهْرَانِيهم ؟ وقال وكيع : رحم الله هِشَاماً ، فكيف لو أدرك مَنْ نحنُ بين ظَهْرَانِيهم ، وقال أبو السائب : رحم الله وَكِيعاً فكيف لو أَدْرَكَ مَنْ نحنُ بين ظَهْرَانِيهم ؟ وقال

(١) فى ت : مطية .
(٢) فى ت : لزوم النضا تحنى عليه . « تحريف » .
(٣) فى ت : سلمة .
(٤) التكملة من غ .

مُحَمَّدَ بنُ جَرِير : رحم الله أبا السَّائب ، فكَيْف لو أَدْرَكَ مَنْ نحنْ بين ظَهْرَانِيهم ؟ وقال أبو الفرَج الأَصْبِهَانى : ونحنُ نَقول : الله المُسْتَعَان ، فالقِصَّة أعظم من أن تُوصَف .

قال محمد بن مكرم مُختصِر هذا المُخْتَصَر : رحم الله أَبَا الفرَج ، أين هو مِمَّا نحنُ فيه ! وأعتقد أَنَّ هذا الخبَر لو استَمَرَّت روايته إلى يوم النُّشُور على ألسنة آلاف من الرُّواة ، لترَحَّم كلُّ آتٍ على كلِّ ماض ، فلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِالله العَلِىِّ العَظِيم .

أبو قَيْس بن الأَسْلَت

لم يُعرف اسمه. واسم الأَسلت عامِر بن جُشَم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عُمارة ابن مُرّة بن مالك بن الأوس بن حارِثة بن ثَعْلبة بن عَمْرو بن عامر، شاعرٌ من شعراء الجاهلية .

وكانت الأَوْس قد أَسْنَدَت حَرْبَها إليه ، وجعلته رَئيساً عليها ، فكَفَى وساد .

وأَسْلم ابنُه عُقبة بن أبي قَيْس ، واستشهد يوم القَادِسِيّة . وكان يزيد بن مرداس السُّلَمى أخو عبّاس[1] ، قتَل قيسَ بنَ أَبي قَيْس في بعض حُرُوبِهم ، فطَلَبه بثأْره هارونُ بنُ النعمان بن الأَسْلَت حتّى تَمكَّن من يزِيد بن مرداس فقتَله بِقَيْس بن أبي قيس ، وهُو ابنُ عَمّه .

ولقَيْس يقول أَبوه : أَبُو قَيْس بن الأسلت :

أقيسُ إن هلكتُ وأنتَ حَيٌّ فلا يَعْدَم فواضلَكَ[2] الفقيرُ

وكانت الأوسُ يوم بُعَاث قد أسندت أمْرَها إلى أبي قَيْسِ بن الأَسْلَت ، فقام في حَرْبهم وآثرها على كل أمر ، حتى شَحَب وتَغيّر ، ولبث أشهرا لا يقرب امرأَته ؛ ثم إنه جاء ليلة فدَقّ على امرأَته : كبشَة بنتِ ضَمْرَة بن مالك بن عَمْرو ، ففتحت له فأَهْوَى إليها بيده ، فدفعَتْه وأنكرَته ، فقال لها : أنا أَبُو قَيْس ، فقالت : والله ما عَرَفْتُك حتى تَكلَّمتَ فقال أبو قيْس :

قالت ولم تَقْصِد لِقِيل الخَنَا مَهْلًا فقد أبلغْت أسماعى

---

(١) في ت : العباس .

(٢) في غ : فلا تعدم مواصلة .

استنْكرَتْ لونًا له شــاحبًا ... والحرب غُولٌ ذاتُ أوجاع
قد حَصَّتِ البيضةُ رأسى فما ... أطعَمُ نَوْمًا غيرَ تَهْجَـاع
أسعَى على جُلِّ بنِى مالِك ... كلُّ امرئٍ فى شأنِه ساعى
مَنْ يَذُقِ الحربَ يَجِد طعمَها ... مُرًّا وتـتركه بجَعْجَـــاع
لا نَألَم القتلَ ونَجْزِى بِه الْـ ... أعْداء كيلَ الصَّاع بالصَّاع

قال الهَيْثَم بنُ عَـدِى : كُنَّا جُلوساً عند صالح بن حسان ، فقال لنا : أنشدونى بَيْتاً خَفِرا فى امرأةٍ خَفِرة شَرِيفة ، فقلنا : قول حاتم :

يُضِىء لها البَيْتُ الظَّلِيلُ خَصاَصَهُ ... إذا هى يوما حاوَلت أن تَـكلَّمـا[1]

فقال : هذه من الأَصْنام ، أريد أحسن من هذا ، قلنا : قول الأعشى :

كأَنَّ مِشْيَتَها من بيت جارَتِهـا ... مَرُّ السَّحابَةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

فقال : هذه خَرَّاجة وَلَّاجة ، كثيرةُ الاختِلاف ، قلنا: بيت ذِى الرُّمة :

تَنُوء بأُخْراها[2] فَلأْياً قِيامُها ... وتَمْشِى الهُوَيْنا مِنْ قريب فتَبْهَر

فقال : ليس هذا ماأردْت ، إنما وصف هذه بالسِّمَن وثقل البدن ، فقلنا: ماعِنْدَنا شىء . فقال: قول أبى قيس بن الأسلت:

ويُكرِمُهـا[3] جاراتُها فيَزُرْنَهَا ... وتَعْتَلُّ[4] عن إتْيانِهن فتُعْذَر
وليس بهـا أَنْ تَسْتَهِين بجارَة ... ولـكنَّها منهن أَحْيَا وأَخْفَرُ[5]

---

(١) فى غ : تبسما .
(٢) فى ت : بأولاها .
(٣) فى ت : ويكرمنها .
(٤) فى ت : وتقعد .
(٥) فى غ : تحيا وتخفر .

ثم قال : أَنْشِدُونِي أحسن بَيْتٍ وُصِفَت به الثريَّا، قلنا: بيتَ ابن الزَّبير الأَسَدِي:

وقد لاَحَ في الغَرْب(١) الثريَّا كأنها ... به راية بيضاء تَخْفُق للطَّعْن

قال : أريد أحسنَ من هذا ، قلنا : بَيْتَ أمرئ القَيْس :

إذا مَا الثريَّا في السَّماء تعرَّضت ... تَعَرُّض أَثْنَاءِ الوشاح الْمُفَصَّل

قال : أُريد أحسنَ من هذا . قلنا : بيت ابن الطَّثْرِيَّةِ :

إذا ما الثريَّا في السَّماء كأَنَّهَا(٢) ... جُمَانٌ وَهَى من سِلْكه فتسرَّعا

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : ماعِنْدَنَا شَيْء . قال : قول أبي قَيْس ابنِ الأَسْلَتِ :

وقد لاَحَ في الصبح الثريَّا لمن رأى ... كَعُنْقُود مُلاَّحِيَّةٍ حِينَ نَوَّرَا

فحكم له عليهم في هذين المنيَّيْن بالتقدم .

لما قَتَل عبدُ الملك بنُ مروان مصعبَ بنَ الزُّبَيْر، خطب الناس بالنُّخَيْلة ، فقال في خطبته : يا أيها الناس ، دَعُوا الأَهْواءَ المُضِلة ، والآراء المُشَتَّتة(٣) ، ولا تُكَلِّفُونَا أَعْمال المُهاجرين وأنتم لا تَعْمَلُونَ بِهَا ، فقد جارَيْتُمونا إلى السَّيْف ، فرأَيْتم كيفَ صنَع الله بكم ، ولا أعرفكم(٤) بعد المَوْعظَة تَزْدادُون جَرَاءَةً فإنِّي لا أَزْدَادُ بَعْدَهَا إلاَّ عقُوبة ، وما مَثَلي وَمَثَلكم إلاَّ كما قال أبو قيس بن الأَسْلَت :

من يَصْلَ نَارِي بِلَا ذَنْب ولا تِرة ... يَصْلَ بنار كريم غير عوّار(٥)

أنا النذير لكم مِنِّيَ مُجَاهَرةً ... كيلا ألام على نَهْي وإعذار

---

(١) في غ : القور .

(٢) في ت : تعرضت .

(٣) في غ : المتشتتة .

(٤) في غ : أعرفنكم .

(٥) في غ : غدار .

فإن عصيتُم مقالى اليومَ فاعترفُوا أَنْ سوف تَلقَون خزْياً ظاهر العار
لتُتركُنّ (١) أحاديثاً ومَلْعَبَة عند المُقيم وعند المُدْلِج الساري
[مَنْ كان فى نفسِه حَوْجاء يَطْلُبُها عِنْدى فإنّى له رَهْنٌ بإصحَارِ] (٢)
وصاحبُ الوِتر ليس الدّهر مُدرِكَه (٣) عنـدى وإنّى لَطلَّاب لأوتَارِ
أُقِيم عَوْجَته (٤) إن كان ذا عِوَج كما يُقَوِّم عُودَ (٥) النَّبْعَة البَارِى

(١) فى ت : لتركبن « تحريف » .
(٢) لم يرد هذا البيت فى ح .
(٣) فى ت : يتركه . « تحريف » .
(٤) فى ت : نجوته « تحريف » .
(٥) فى غ : قدح .

أبو عطاء السندى

أبو عَطَاء كُنْيَتُه ، وهو أَفْلَحُ بن يَسَار مَوْلَى بَنِى أَسَد ، ثم مَوْلَى عَنْبَر بن سِمَاك[1] بن حُصَيْن الأَسَدِى ، مَنْشَؤُه بالكوفة مخضرم مدح بنى أمية وبنى هاشم . وكان أبوه يسار سِنْدِيًّا أعجميا لا يُفْصِح .

وكان فى لِسان أَبى عطَاء عجمة[2] شديدة ولثغة فلا يكاد يفصح .

وكان له غلام فصيح سَمَّاه عطاءً وَتَكَنَّى به ، فكان يُرَوِّيه شعرَه ، فإذا مدح من يَجْتَدِيه أمره بإنشاد ماقَالَه فيه . وكان يقول له : قد جَعَلْتُك ابنِى وكَنَيْتُك بكُنْيَتِى .

قيل : إنه كاتب مَوَاليه ، وكان قد كَثُر مالُه بعد أن أُعْتِق ، فأَعْنَتَه[3] مواليه ، وطمعوا فيه وأدعوا رِقَّه ، فشكا ذلك إلى إخوانه ، فقالوا له : كاتِبْهم[4] ، فكاتبهم[5] على أربعة آلاف دِرْهَم ، وسَعَى له أهل الأدب فيها ، فتركهم وأتى الحُرَّ بن عبد الله القرشى حَلِيفَ قريش . فقال فيه :

أتيتُك لا من قُرْبَةٍ هى بَيْنَنَا ... ولا نعمةٍ قَدَّمتُها أَستَثِيبُها
ولكن مع الراجين[6] إذ كنتَ موردا ... إليه بُغَاةُ الرِّىِّ[7] تهفو قلوبُها

---

(١) فى ت : عنتر بن شمال . وفى ا : عنتر بن سماك ، والتصويب من شعره .

(٢) فى غ : لكنة .

(٣) كذا فى غ و ا . وفى ت : فأعتقه « تحريف » .

(٤) كاتب العبد : كتب على نفسه بثمنه ، فإذا أداه صار حرا .

(٥) كذا فى ا وت . وفى غ : فكاتبوه .

(٦) فى غ : أن .

(٧) كذا فى ا وت . وفى غ : الدين .

أغثْني بسَجْلٍ من سماكَ[1] يفكّني[2] وقاكَ الرَّدَى مُرْدُ الكِرَام[3] وشيبُها
تسَمَّ أبنُ عبدِ الله حُرًّا كوَصْفِه وتلك العُلاَ يُمْنَى بها مَنْ يُصيبُها[4]

فأعطاه أربعة آلاف دِرْهم ، فأدَّاها فى مكاتبته فأُعْتِق .

ومن شعره :

إذا المرء لم يَطلب معاشاً لنَفْسه شكا الفقر أو لامَ الصَّديق فأكثرا
وصار على الأدْنَيْن كَلًّا وأوشكَت حِبالُ ذَوِى القُرْبى بِه أن تنَكَّرا
فسِرْ فى بلاد الله والْتمس الغِنَى تَعِش ذَا يَسار أو تَمُوتَ فتُعْذَرَا
ولا ترضَ من عَيْشٍ بدُونٍ ولا تَنَمْ وكيف يَنامُ الليلَ مَنْ كان مُعسرا

وأتى أبو عطاء سُليمان[5] بن سُلَيْم الكلابىّ فقال :

أعوزَتْنى الرواةُ يا بن سُلَيم وأَبَى أن يُقيم شِعْرِى لِسَانى
وغَلَى بالذى أُجمجم صَدْرِى وجَفَانى لعُجْمَتِى سُلْطَانى
وازْدرَتْنى العيونُ إذ كان لَوْنى حالكا مُجْتَوًى من الألْوانِ
فضربتُ الأمورَ ظهراً لبَطْن كيف أحتالُ حِيلَةً لبَيَانى[6]
وتمَنَّيْتُ أنَّنى كنتُ بالشِّعْـ ـر فَصيحاً وبَانَ بعضُ بنانى
ثم أصبحت قد أنخْت رِكابى عنـد رحب الفِنَاءِ والأعْطَانِ
فاكْفِنِى ما يَضِيقُ عنه رُوَاتى بفَصِيحٍ من صَالِحِى الغِلْمَان

---

(١) فى غ : نداك . والسجل : الدلو العظيمة ، فيها ماء قل أو كثر .
(٢) فى غ : يكفنى .
(٣) فى غ : الرجال .
(٤) فى ا و ت : يعيبها .
(٥) فى ت : سليم . « تحريف » .
(٦) كذا فى ا و ت . وفى غ : لسانى .

يُفهِم النـاسَ ما أقول من الشِّعْـ ر فإنَّ البَيَان قد أعْيَانى
فاعتَمِدْنى بالشُّكْر يا ابن سُلَيْم فى بلادى وسائر البُلْدَانِ
ستوافيهم قَصَائِد غُـــرٌّ فيك سَبَّاقَةٌ بِكُلِّ لِسَان
فقديمـا جعلتُ شكرى جَزَاءً كلِّ ذى نِعْمَة بمـا أوْلانى
لم تزَلْ تَشْتَرِى المدائحَ[1] قِدْماً بالرَّبيح الغَالِى من الأثمَانِ

فأمر له بوَصِيف ، فسماه عَطاء ورَوَّاه شِعرَه وكان يُنشد عنه قصائده .

وكان أبو عَطَاء من مَدَّاحِى بنى أُمَيَّة والمُنْضَبِّى الهوى إليهم ، ولم تـكن له نَبَاهَةٌ فى دولة بنى العبَّاس ، فهجاهم ، وماتَ فى آخر أيام المنصور . وكان من أَحْسَنِ الناسِ بَدِيهة وأشَدِّهم تقَدُّمًا وهو من فُحُول طبقته والمَعْدُودِين من أَهْل عصره .

وشَهِدَ حربَ بنى أُمَيَّة وبنى العبَّاس فأَبْلَى ، وقُتِل غلامُه عَطاء مع ابن هُبَيْرَة وانهزَم هو .

ولمـا قاتل المُسَوِّدَة كان بين يديه رَجُلٌ من بنى مُرَّة يُكنى أبا يَزِيد ، فعُقِر فرسُ المُرِّى ، فقال لأَبى عطَاء : أَعْطِنى فرسَك لِأُقَاتِلَ عَنِّى وعَنْك فقد أَيْقَنَّا بالهلاك ، فأعطاه فرسَه ، فركبه المُرِّى ومَضَى على وجهه ناجيا . فقال أبو عَطَاء من أبيات :

لَعَمْرُكَ إننى وأَبَا يَزِيد[2] لَـكالسَّاعِى إلى وَضَحِ السَّرَاب
رأيت مُخيلَةً[3] فطَمِعْت فيها وَفِى الطَّمع المَذَلَّةُ لِلرِّقَاب

ولما أعْتَقَه سَيِّده عنبر[4] واشترى منه نفسه قال يهجوه :

إذا ما كُنتَ متَخِذاً خَلِيلا فـلا تَثِقَن بكل أَخِى إخَاء

---

(١) فى غ : المحامد .
(٢) فى ا و ت : لعمرى . . وأبو زياد ! .
(٣) المخيلة : السحابة تحسبها ماطرة .
(٤) فى ا و ت : عنتر .

فإن خُيِّرتَ بينهم فألْصِق ... بأهل العَقل منهم والحياء
فإن العقلَ ليْسَ له إذا ما ... تُذُوكرت الفضائل من كِفاء
وإنَّ النوْكَ للأحْساب(۱) غُول ... بـه تأوِى إلى داء عَيَاء
فلا تثِقَنْ من النَّوْكَى بشىء ... ولو كانوا بَنِى مَاء السماء
كمَنْبَرِ الوَثِيقِ بناءَ بَيْتٍ ... ولكِن عقلُه مثلُ الهبَاء
وليس بقابلٍ أَدَباً فدَعه ... وكُنْ منه بمُنْقَطِع الرَّجاء

قال المدائنى : كان بَيْن يَحْيَي بن زِيَاد الحارثىّ وبين حَمَّاد الرَّاوية ومُعَلّى بن هُبيرة ما يكون مثلُه بين الشعراء والرواة من النَّفَاسة ، وكان مُعَلّى بن هبيرة يحب أن يَطْرحَ حَمَّادا فى لسان شاعر يهْجُوه .

قال حماد : فقال لى يوما بحَضْرة يَحْيي بن زياد : أتقول لأبى عطَاء السندى أن يقول فى : زُجٍّ وجراده ومَسْجد بنى شَيْطان ؟ قال : فقلت له : فما تَجْعَل لى على ذلك ؟ قال : بغلتى بسَرْجها ولِجَامها ، قلت : فعَدِّلْها على يدَىْ يحيى بن زياد ، ففعل وأخذت عليه بالوفاء مَوْثِقاً . وجاء أبو عَطَاء السِّنْدِى فجَلَس إلينا فقال : مَرْهَباً مَرْهَباً هَيَّاكم الله ، فرحبت به وعَرَضت عليه العشاء فقال : لا هَاجَة لى به ، فهل عندكم مِنْ نَبِيذ ؟ فأتيناه به فشَرِب حَتّى احمرت عَيْناه . فقلت له : يا أَبَا عَطاء إنّ إنسانا طرح عَلَيْنا أبياتاً فِيهَا لُغز ، ولستُ أقدِر على إجابته البَتَّة ، ومنذ أمس إلى الآن ما يَسْتَوى لى مِنْها شىء فَفَرِّج عَنِّى . فقال : هات ، فقلت :

أَبِنْ لى إن سُئِلت أَبَا عَطَاء ... يَقِينا كيف عِلْمُك بالمَعَانى

فقـال :

خبيرٌ عـالم فاسأل تَجِـدنى ... بهـا طَبًّا وآياتِ المَثَانِى

---

(۱) فى ا : للإنسان.

فقلت :

فما اسم حَدِيدَةٍ فى رأس رُمْحٍ ... دُوَيْن الكَعْبِ لَيْسَت بالسِّنَان

فقــال :

هو الزُّجُّ الذى إن بَاتَ ضَيْفاً ... لصَدْرِكَ لم تزَل لك عَوْلتَان

يريد الزُّجَّ . فقلت : فرج الله عَنْك .

فمــا صفراء تُدْعَى أُمَّ عَوْفٍ ... كأنَّ رُجَيْلَتيها مِنْجَلَان

فقال :

أردتَ زرادَةً وأَزُنُّ زَنّاً ... بأنَّك ما أردتَ سِوَى لِسَانِى

يريد جرادةً وأَظُنُّ ظَنّاً. فقلت: فرَّج اللهُ عنك ، وأطال بَقَاءَكَ :

أتعرف مَسْجِداً لِبَنِى تميم ... فُوَيْق المِيل دَونَ بَنِى أَبَانِ

فقال :

بنو سَيْطَان دون بنى أبَان ... كقُرب أَبِيك من عَبْدِ المَدان

قال حماد : ورأيت عَيْنَيه قد احمرتا ، وعرفت الغضب فى وَجْهِه ، وتخوفتُه ، فقلت : يا أبا عَطَاء هذا مقام المُسْتَجِيرِ بِك ، ولك النصف مما أخذتُه . قال : فأَصْدِقْنِى ، فأخبرتُه فقال : أَوْلَى لك قد سَلِمت وسَلِم لك جُعْلُك ، خُذْه لا بورك[1] لك فيه ، فأخذتُه وانقلب يَهْجُو مُعَلَّى بن هُبَيْرَة .

كان أبو عَطاء قد مدح أبا جعفر فلم يُثِبْه ، وأَظْهَرَ الانحراف عنه لِعِلْمه بِمَذْهبه فى بنى أُمَيَّة ، فماوَدَه المَدِيح ، فقال له : يا مَاصَّ كذا من أمه ، ألستَ القائل فى عَدُوِّ الله : نَصرِ بن سَيَّار :

فاضَتْ دُمُوعِى على نَصْرٍ وما ظَلَمَت ... عَيْنٌ تفيض على نَصْر بن سيار

---

(١) كذا فى ا و ت . وفى غ : بورك بدون لا .

يا نَصْرُ مَنْ لِلقَاءِ(١) الحرب إن لَقِحَت ... يا نَصْرُ بعدَكَ أو لِلضَّيْفِ والجارِ

الخِنْدِفِيّ(٢) الذي يحمى حَقِيقَتَه ... فى كل يوم مَخُوفِ الشَّرِّ والعارِ

والقائدُ الخيل قُبًّا(٣) فى أَعِنَّتِها ... بالقوم حتى تَلُفَّ الغَارَ بالغَارِ

مِن كلِّ أبيضَ كالمِصْبَاح من مُضَرٍ ... يَجْلُو بسُنَّته الظلماءَ لِلسَّارِى

ماضٍ على الهَوْلِ مِقْدَام إذا اعترَضَتْ ... سُمْرُ الرماح ووَلَّى كلُّ فَرَّار

إن قَالَ قَوْلًا وَفَى بالقول مَوْعِدهُ ... إنَّ الكِنَانِى وَافٍ غيرُ غَدَّارِ

والله لا أعطيك بعد هذا شيئاً أبدا ، فخرج من عنده وهجاه بِعِدَّة قصائد منها :

فليتَ جَوْرَ بنى مَرْوَانَ عادَ لَنا ... وليتَ عَدْلَ بنى العَبَّاس فى النَّارِ

ومنها قوله :

أليس اللهُ يعلَمُ أنَّ قَلْبى ... يُحِبّ بنى أُمَيَّة ما استَطَاعا

وما بى أن يكونوا أَهْلَ عَدْل ... ولكنِّى رأيتُ الأمرَ ضَاعَا

كان أبو عَطاء مع ابن هُبَيْرَة ، وهو يبنى مَدِينَته التى على شاطئ الفُرَات ، فأعطى ناساً كثيراً صِلَات ، ولم يُعْطِه شيئاً ، فقال :

قصائد حُكْتُهُنَّ(٤) لِعُدْم قَيْس ... رَجَعْنَ إلَىَّ صِفْرًا خَائبات(٥)

رجعن وما أَفَاءَ(٦) عَلَىَّ شَيْئاً ... سوى أنى وُعِدْتُ التُّرَّهَاتِ

أقامَ على الفُرَات يَزِيدُ شهرا(٧) ... فقال النَّاس أَيُّهما الفُرَاتِى

---

(١) كذا فى ا و غ . وفى ت : يلتقى .

(٢) خندف : اسم قبيلة . والخندفى : المنسوب إليها .

(٣) القب : الضامرة البطن ، الدقيقة الخصر .

(٤) فى ت : حليهن لقوم . . وفى ا : حكتهن لقوم . .

(٥) فى غ : خاليات .

(٦) فى ا و ت : أفدن .

(٧) فى غ : حولا .

فيـــا عجبـــا لبحرٍ بَاتَ يَسْقِي   جَمِيعَ الخلْق لم يبْلُل لَهَاتِي

فقال له يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة : وكم يبلُّ لَهَاتك ؟ فقال : عشرة آلاف درهم ، فأمر ابنه فدفعها إليه ، فقال يمدح ابنَه :

أمَّا أبوك فعيْن الجودِ نَعرِفُه   وأنت أشْبَه خَلْق الله بالجودِ

لولا يَزِيدُ ولولا قبـله عُمَر   ألقت إليك مَعَدٌّ بالمَقَاليـد

ما يَنْبُتُ العُودُ إلّا فى أرُومته   ولا يكونُ الجَنَى إلّا من العُودِ

كان أبو دُلَامَةَ قد باع بَغْلَتَه وهجاها بقَصِيدَته المشهورة . وكان سَبَبُ بَيْعها أن أبا عَطَاء هجاها ، فخاف أبو دُلَامَة أن تشتهر بذلك ، فباعها .

وكان الذى هجاها به :

أبغلَ أَبِى دُلَامَةَ متَّ هُزْلًا   عليـه بالشَّحِيح(١) تُمَوِّلينَا

دوابُ النَّاس تَقْضِم فى المخالى(٢)   وأنت مُهانة لا تَقْضِمينـا

سَليه البيعَ واسْتَعْدِى عليه   فإنَّكِ إن تُبَاعِى تَسْمَنِينا

قال حَمَّادٌ الراوية : أنشدتُ أبا عطاء السِّنْدِىَّ يوما هذا البيت :

إذا كنتَ فى حاجـة مُرْسِلا   فأرسل حكيما ولا تُوصِهِ

فقال أبو عطاء : بئس ما قال ، قلت : فكيف تقول أنت ! قال : أقول :

إذا أرسلتَ فى أمرٍ رَسُولًا   فأفْهِمْه وأرْسِـلْه أَدِيبـا

فإن ضَيَّعْتَ ذَاكَ فـلا تَلُمْه   على أَنْ لَمْ يَكُن عَلِم الغُيُوبَا

كان أبو عطاء مُنْقَطِعاً فى طَرِيق مَـكَّة ، وخِبَاؤه مَطْروح ، فمرَّ به نَهِيك بنُ مَعْبَد العُطَارِدِىّ ، فقال : لمن هذا الخِبَاءُ المُلقى ؟ فقيل له : لأَبِى عَطَاء السِّندى ؟

---

(١) كذا فى ا و ت . وفى غ : بالسخاء .

(٢) فى ت : بالخالى .

فبعث غلمانَه فضربوا له خِباَء ، وبعَث إليه بألطاف كَثِيرة ، فقال :.مَنْ صَنَع هَذا ؟ فقالوا : نَهِيكُ بنُ معبد العُطَارِدِيّ ، فنادى بأعْلَى صَوْته :

إذا كنتَ مرتادَ الرِّجَال لِنفْعِهِم ... فنادِ بصَوْتٍ يا نَهِيكُ بن مَعْبَدِ

فبعث إليه بدَنَانِير ، وقال : يا أبَا عَطَاء ، إنَّما أعطيْنَاكَ على قَدْر ما أَعْطَيْتَنَا ، وإنْ زِدْتَنَا زِدْنَاكَ .

قال النَّوْفَلِيّ : كنتُ جَالِسا عند سليمان بن مجالد(1) ، وعنده أبو عطاء السّندى وراويته يُنْشِد سليمان مديحا لأَبِى عطاء فيه ، وأبو عطاء جَالِس لا يتكلم ، إذْ قال الرَّاوِيَة فى إنشاده :

فما فَضَلَت يَمِينُك مِنْ يَمِين ... ولا فضلت شمالُك من شِمَال

هكذا بالرَّفْع فغَضِب أبوعطاء وقال : فما مَدَهْته(2) إذَن إنما هزَوته ، يُرِيدُ إنَّمَا هَجَوْته . ثم أَنْشَدَ أَبُو عطاء :

فما فدلت(3) يمينك عن يمين ... ولا فدلت(3) شمالك عن شمال

يريد: فما فضلت ولا فضلت، فكدت أضحك ولم أَجْسُر ؛ لأَنِّى رأيتُ القومَ جَمِيعا بهم مِثْل الَّذِي بِى وهم لا يَقْدِرون على الضَّحك خوفا منه .

وفد أبو عَطَاء على نَصْر بن سَيَّار ، فأنْشَدَه :

قالت تَرِيكَةُ(4) بيتى وهى عَاتِبَةٌ ... إن المُقَام على الإفْلاسِ تَعْذِيب
إنِّى دَعَانِى إليك الخيرُ من بَلَدِى ... والخيرُ عندذوى الأَحْسَاب مَطْلُوبُ

فأمر له بأربعين ألف درهم .

---

(1) فى ا و ت : مخلد .
(2) كذا فى غ . وفى ت و ا : مدحته .
(3) فى غ : فزلت .
(4) فى ت : رميلة .

دخل عَلَى أبي العطاء ضَيْف ، فأتاه بِطَعَام فَطَعِم ، وبِشَرَابٍ فشَرِب ، وجلسا يَتَنَادَمَان ، فنظر أبو عطاء إلى الرَّجل يُلَاحِظُ جارِيته ، فأنشأ أبو عطاء يَقُول :

كُلْ هَنِيئاً وما شربت مَرِيئاً ثم قُمْ صاغِرا فغـــير كريم[1]

لَا أُحِبُّ النَّدِيم يُومِض بالطَّرْ فِ إِذَا ماخَلَا لعِرْسِ[2] النَّدِيم

---

(١) كذا فى ا وت . وفى غ : وأنت ذميم .

(٢) فى غ : بعرس .

الأضبط بن قريع

كان الأَضْبَطُ بن قريع مُفَرَّكا ، وكان إذا لقى فى الحَرْب تَقدَّم أمام الصف ، ثم قال :

أنا الفتى تَفْرُكُه[1] حلائِلُه ... ألا فَتًى مُعَشَّقٌ أُنازِلُه

قال: فاجتمع نساؤه ذات ليلة يَتَسامَرْن ، فتعاقدن على أَنْ يَصْدُقن الخبَرَ عن فَرْكِ الأَضْبَط ، فأجمن أَنَّ ذَلِك لأَنه بَارِدُ الكَمْرة ، فقالت لإحداهن خالَتُها : أفتعجز إحداكُن إذا كانت ليلته منها أن تُسخِن كمرتَه بشىء من دُهْنٍ ؟ فلما سَمِع قولَها صاح : يا آل عَوْف ، فثارَ الناسُ وظَنُّوا أنه قد أُتِى فقالوا له : ما حالُك ؟ قال : أوصيكم بأَنْ تُسخِنُوا الكَمرة بالدُّهن ؛ فإنه لا حُظْوَة لِبارِد الكمرة . فانصرفوا يَضْحَكُون وقالوا : تَبًّا لك ، ألِهَذا دَعَوْتَنا .

وكانت أُمُّه عَجَبَة[2] بنتَ دَارِم بنِ مالِك بن حنظلة ؛ وخالَتُه الطَّمُوح بنْت دَارِم أم[3] جُشَم وعَبْد شَمْس ابنى كعب بن سعد . وهو القائل :

لِكُلِّ هَمٍّ من الهُمُوم سَعَه ... والصّبْح والمُسْىُ لا بَقاءَ[4] معه

لا تحقرَنَّ الفقيرَ عَلَّك أن ... تركع يوما والدهرُ قد رَفَعَه

وصِلْ حبالَ البَعِيد إن وَصَلَ الحَبْـ ... ـلَ وأقْصِ القريبَ إنْ قَطَعَه

قد يَجْمَعُ المالَ غيرُ آكِلِه ... ويأكل المالَ غيرُ مَنْ جَمَعَه

فاقبَل مِنَ الدَّهْر ما أتاكَ به ... مَنْ قَرَّ عيناً بعَيْشِه نَفَعَه

---

(١) تفركه حلائله : تبغضه زوجته

(٢) كذا فى ا و ت . وفى غ : عجيبة .

(٣) فى غ : بن .

(٤) فى غ : فلاح .

أَشْجَعُ السُّلَمِى

هو أشجَعُ بنُ عمرو السُّلَمِى ، وكُنْيَتُه أبو الوَلِيد ، من ولد الشَّرِيد بن مَطْرود السُّلَمِى ، تزوَّج أبوه امرأةً من اليَمَامَة ، فشَخَص معها إلى بلدها ، فولدت له هناك أشجع ، ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه ، فقدِمت أُمُّه به البصرة تطلب ميراث أبيه ؛ وكان له هناك مال فماتت أمّه بها ، ورُبِّى[1] أشجع بالبصرة ، ونشأ بها وكان من لا يعرفه يَدْفَع نَسَبَه ، ثم كبر وقال الشِّعر فأَجَادَ وعُدَّ فى الفُحُول ، وكان الشعر يُوجَد فى ربيعة واليمن ؛ ولم يكن لقيس شاعر[2] مَعْدُود ، فلما نَجَم أَشْجَع وقال الشعر افتَخَرَت به قيس وأثبتَت نسبه .

وكان له أخوان : أحمد وحريث أبنا عمرو ، وكان أحمد شاعرا ولم يكن لحُرَيث شِعْر .

ثم خرج أَشْجَع إلى الرَّقَّة والرَّشِيد بها ، فنزل على بنى سُلَيْم[3] ، فقبلوه وأكرموه ، ومدح البرامكة ، وانقطع إليهم وإلى جعفر خاصّة ، وأصفاه مدحه ، فأوصله إلى الرَّشِيد فمدحه فأُعْجِب به ، وأَثْرَى وحَسُنَت حاله فى أيامه ، وتَقَدَّم عنده.

قال أَشْجَع : خرجتُ من البصرة إلى الرَّقَّة . فوجدتُ الرَّشِيد غازيا [ونالتنى خلة][4] فخرجت حتى لَقِيته مُنْصَرِفاً من غزوه ، وكنت قد اتّصلت ببعض أَهْل داره ، فصاح صائح ببابه : مَن كان ها هنا من الشُّعَرَاء فليحضر يوم الخميس ،

(١) فى ت : وبقى .
(٢) كذا فى ا و ت . وفى غ : شعر .
(٣) فى ا : سلم .
(٤) الزيادة من ا .

فحضرنا سبعة غيري[1] ، وأُمِرْنا بالبُكور يوم الجمعة فبكَّرْنا ، وأُدْخِلْنا وقُدِّم واحد بعد واحد[2] منّا ينشد على الأسنان ، وكنتُ أحدثَ القوم سِنًّا ، وأرقَّهم[3] حالًا ، فما بلغ إليَّ حتى كادت[4] الصلاةُ تجب ، فقدِّمتُ والرشيدُ على كرسيّ ، وأصحابُ الأعمدة بين يديه سِماطان ، فقيل لي : أنشِد ، فخفت أن أبتدئ من أوّل[5] قصيدتي بالتشبيب فتجبُ الصلاةُ ويفوتني ما أردتُ ، فتركتُ التشبيبَ وأنشدتُ من موضع المديح في قصيدتي التي أوّلها :

تذكّر عهد البِيض وهْو لها تِرْبُ ... وأيّام يُصبِي الغانياتِ ولا يَصبُو

فابتدأتُ قولي في المديح :

إلى ملك يَستغرق المالَ جودُه ... مكارمُه فينا[6] ومعروفُه سَكْب
ومازالَ هارُونُ الرِّضا بنُ مُحمَّد ... له من مياه النصر مَشرَبُها العَذْبُ
متى تَبْلُغُ العِيس المَراسيلُ بابَه ... بنا فهناكَ الرُّحْبُ والمنزلُ الرَّحْبُ
لقد جُمِعَت فيكَ الظُّنُونُ ولم يكن ... لغيرك[7] ظَنّ يَستريحُ له قلبُ[8]
جمعتَ ذوِي الأهواء حتى كأنّهم ... على منهجٍ بعْدَ افتراقِهم رَكْب
جهدت فلم أبلغ عُلاكَ بمدْحةٍ ... وليس عَلَى مَنْ كان مُجتهداً عتبُ

فضحك الرشيد، ثم قال : خفتَ أن يَفوتَ وقتُ الصلاة ويَنقطعَ المديح عليك،

---

(١) كذا في ا و ت . وفي غ : وأنا ثامنهم .
(٢) في ا : وقدم واحد واحد .
(٣) في غ : وأرثهم .
(٤) في ت : كانت « تحريف »
(٥) في ا : أول .
(٦) في غ : نثر .
(٧) كذا في ا و ت : وفي غ : بغيرك .
(٨) في غ : القلب .

فبدأت به ، وتركت التَّشبيب . وأمرني أن أنشده التَّشبيب ، فأنشدته ، فأمر لكل واحد من الشُّعَراء بعشرة آلاف درهم ، وأمر لي بضعفها .

قال أحمدُ بن سيَّار الجرجاني وكان راوية شاعرا مدّاحا ليزيدَ بن مَزْيد : دخلتُ أنا وأشجعُ السُّلَمي والتَّيْمي وابنُ رزين على الرَّشيد في قصر له بالرَّقَّة، وقد كان ضرب أعناق[1] أقوام في تلك السَّاعة ، فجعلنا نتخلَّل الدِّماء حتى وصلنا إليه . فأنشده أبو محمَّد التيمي قصيدةً له يذكر فيها نقفور ووقعته ببلاد الروم ، فنثر عليه مثلَ الدُّرّ من جودة شعره ، وأنشده أشجع:

قصرٌ عليه تحيَّةٌ وسلامُ ألقتْ عليه جمالها الأيَّامُ
قصرٌ سقوف المُزْن دونَ سقوفه فيه لأعلام الهُدَى أعلامُ
تُثني على أيَّامك الأيَّامُ والشَّاهدان الحِلُّ والإحرامُ
[أدنتك من ظِلّ النبي وصيَّةٌ وقرابةٌ[2] وشجتْ[3] بها الأرحامُ
برقت سماؤك في العدو وأمطرت هاماً لها ظِلُّ السيوف غمامُ
وإذا سيوفك صافحت هامَ العِدَى طارتْ لهن عن الرؤوس الهامُ][4]

فجعلت أتعصَّبُ له بالقيسية وأرفع منه إلى أن انتهى إلى قوله :

وعلى عدوِّك يا ابْن عمِّ محمد رصدان ضوءُ الصُّبْح والإظلامُ
فإذا تنبَّه رُعْتَه وإذا غفا سلَّت عليه سيوفك الأحلامُ

فاستحسن ذلك الرَّشيدُ ، وأومأت إلى أشجع أن يقطع الإنشاد[5] ، وعلمت

---

(١) كذا في ا و غ . وفي ت ، رقاب .
(٢) في ت : وقراءة « تحريف » .
(٣) وشجت به قرابته : اشتبكت .
(٤) الأبيات الثلاثة الأخيرة لم ترد في الأغاني .
(٥) في غ : الشعر .

أنّه لا يَأْتِي بِمِثْلِهِما ، فلم يفعل ، ولما أنشد مابعدهما فترَ الرَّشيد ، وضرب بمخْصرة كانت بيده فى الأرض ، واستنشد منصورا النمرى فأنشده:

ماتنقضى حَسْرةٌ مِنى ولا جزَعُ إذا ذكرتُ شبابا ليس يُرتَجع

فمرَّ فى قَصيدَة ماتقُولُ العربُ مِثْلَها ، وجَعَل الرشيدُ يضرب بِمخْصَرِته الأَرْضَ ويقول : الشِّعْرُ فى ربيعة سائِر اليَوْم ، فلماخرَجْنا قلت لأشجع : غمزْتُك أن تقطع فلم تفْعَل ، ولَمْ تَأْتِ بِشَىْء ويلك هَـلَّا مُتَّ بعد البَيْتَيْن أو خَرِسْتَ فكُنْتَ أشعرَ النَّاسِ .

جلس جَعْفَر بن يحيى بالصَّالِحية ، يشرَبُ على مُسْتَشْرَف له ، فجاءه أعرَابِى من بَنِى هِلاَل ، فاشتكى واستماح بلَفْظ فَصِيح وكَلاَم يَعْطِف المَسْئُول ، فقال له جعفر بن يحيى : أتقُولُ الشعرَ ياهِلاَلِى ؟ قال : كنتُ أقوله وأنا حَدَث أتملَّح به ثم تَرَكْتُه لـما صرت شيخا ، قال : فأَنْشِدْنا يا أعرابى لِشَاعِرِكم حُمَيْدِ بْنِ ثور فأنشده قولُه :

* لَمِن الدِّيار بِجَانِب الُحمْسِ *

حتى أتى على آخرها. قال : فاندفع أشْجَع فأنشده مَدِيحاً على وزْنِها وقافيَتِها :

ذهبت مَكَارم جعفر وفِعَالُه فى الناس مِثْلَ مَذَاهِبِ الشَّمْسِ
مَلِك تسوس له المَعَالِىَ نفسُـه والعقلُ خـير سِيَـاسَـة النَّفْسِ
[وترى المُلُوكَ إذا رَأَيْتَهُم كُلٌّ بَعيدُ الصَّوْت والَجرْسِ
فإذَا بَدَا لهم ابنُ يَحْيَى جَعْفَر رَجَعُوا الكلامَ بمَنْطقٍ هَمْس][1]

---

(١) كذاورد البيتان فى ا و ت . وفى غ جاء مكان البيتين البيت :
فإذا تراءته الملوك تراجعوا جهر الكلام بمنطق همس
وجاء البيتان فى الأغانى فى خبر آخر كما أوردها ابن منظور .

سادَ البرامكَ جَعْفَر ، وَهُم الأُلى بَعْدَ الخلائِف سادَةُ الإنْس
ماضَرَّ مَنْ قَصَدَ ابنَ يَحْيَى راغبا بالسَّعْدِ حَلَّ به أم النَّحْس

فقال له جعفر : صِفْ موضِعَنا هذا ، فقال :

قُصُور الصَّالِحِيَّة كالعَذَارَى لَبِسْن ثِيابَهُن ليوم عُرْس
مُطِلاَّتٌ على قصر [1] كَسَتْه أَيَادِى المَاءِ وَشْياً نَسْجَ غَرْس
إذا ما الطَّلُّ أَثَّرَ فى ثَراه تنفَّس نَوْرُه من غير نَفْس
فتَصْبُغُه [2] السماءُ بصِبْغ وَرس وتُصْبِحُه بأكْؤُسِ عَيْنِ شَمْس

فقال جعفر للأَعْرَابى : ياهِلاَلِىّ كَيْفَ تَرَى صاحِبَنا ؟ قال : أرى خاطِره طوعَ لِسانِه ، وبيانَ النَّاس دُونَ [3] بيانِه ، وقد جعلتُ له ماتَصِلُنى به ، قال : نبرُّكَ [4] ياأعرابى ونُرْضِيه ، ثم أمرَ للأَعرَابِى بمِائة دِينَار ، ولأَشْجَع بمِائتى دِينار .

وكان أَشجَعُ يُحِبّ الثيابَ ، وكان يَكْتَرى الخِلْعَةَ فى كلِّ يوم بدِرْهَمَين فيَلْبَسها أَيَّاماً ، ثم يَكْتَرِى غيرها فيفْعَلُ بِهَا مِثْلَ ذَلِك .

لمَّا خَرَج جَعْفَر بن يحيى ليُصلح أمرَ الشَّام ونَزَلَ فى مَضْربه ، أمَرَ بالطَّعام للناس ، فقام أشجع فأَنْشَدَه :

فئتان طَاغِيَةٌ وبَاغِيَة [5] جَلَّت أمورُهُما عن الخطْب
قد جاءكم بالخيل شَازِبَةً يَنْقُلْن نحوكم رَحَى الحَرْب
لم يبق إلَّا أن تدور بكم قد قام هَادِيها [6] على القُطْب

---

(١) فى غ : بطن .
(٢) فى غ : فتغبقه .
(٣) فى غ : تحت .
(٤) فى غ : نقرك .
(٥) فى غ : باغية وطاغية .
(٦) كذا فى غ وت . وفى ا : هاربها .

فأمر له بِصِلَة لَيْسَت بالسَّنِيَّة [1] ، وقال له : دَائِمُ القَلِيل خيرٌ من مُنقطع الكثير ، فقال له : ونَزْرُ الوَزِير أكْثَرُ من جزيل غَيْره ، فأمر له بِمِثْلِها. وكان يُجْرِى عليه فى كل جُمُعة مائَةَ دِينَار مدة مُقَامه بِبَابِه .

قال إسحاق الموصلى : دخلتُ عَلَى [2] الرشيد يوما ، وهو يُخَاطِب جعفر بن يحيى بِشَىء لم أَسْمَع ابتداءه وقد عَلَا صَوْتُه ، فلما رآنى مُقْبِلا قال لجعفر : أتَرْضَى بإسْحاق ؟ فقال جعفر : والله مافى حُكْمِه [3] مَطْعَن إنْ أنْصَف ، فقال لى : أىّ شَىْء تَرْوِى للشُّعَراء المُحْدَثِين فى الخمر ؟ أنْشِدنى مِنْ أفْضَل ماعِنْدَك وأَشَدِّه تَقَدُّما ، فعلمت أنهما كانا يَتَمارَيَان فى تَقْدِيم أَبِى نُوَاس ، فَعَدَلْت عنه إلى غيره لِئَلاَّ أُخالِف أَحَدَهما . فقلت : لقد أحسن أشجع فى قوله :

ولقد طَعَنْتُ اللَّيْلَ [4] فى أَعْجازه ... بالكأسِ بين غَطَارِفٍ كالأَنْجُمِ
يَتَمَايَلُون من [5] النعيم كَأَنَّهُم ... قُضُب من الهِنْدِىّ لم تَتَثَلَّمِ
وسَعَى بها الظبىُ الغَرِيرِ يَزِيدُها [6] ... طِيباً ويَغْشِمُها إذا لم تَغْشِم [7]
والليلُ منتَقِب بفضْلِ رِدَائِه ... قد كاد يَحْسَر عن أغرِّ أرثَم [8]
فإذا أدَارَتْها الأكُفُّ رأيتَها ... تَثْنِى الفَصِيحَ إلى لِسَانِ الأَعْجَمِ
وعلى بَنَان مُدِيرِها عِقْيَانُه ... من سَكْبِها وعلى فُضُول المِعْصَمِ

---

(١) فى ت : سنية .
(٢) فى غ : إلى .
(٣) فى ا وغ : علمه .
(٤) فى ت : الكأس « تحريف » .
(٥) فى غ : على .
(٦) فى ا و ت : يزيده .
(٧) غشم : ظلم .
(٨) رثم : كان فى طرف أنفه بياض فهو أرثم .

تَغْلِي إِذَا ما الشِّعْرَيَانِ تَلَظَّيَا صيفا وتَسْكُن فى طُلُوعِ المِرْزَمِ[1]
ولقد فَضَضْنَاها بخاتم رَبِّها بِكْرا وليس البكر مثلَ الأَيِّمِ
ولها سكون فى الإناء وخلفها[2] شَغَب يُطوِّح بالكَمِيِّ المُعْلِمِ
تُعطِي على الظلم الفَتَى بِقيادِها قَسْرًا وتَظْلِمُه إذا لم يَظْلِمِ

فقال لى الرشيد : قد علمتُ تَعَصُّبَك على أبى نواس ، فإنَّك عَدَلْتَ عنه مُتَعَمِّدًا[3] ، ولقد أَحْسَن أَشْجَع ، ولكنه لا يقول أبداً مِثْلَ قول أَبِى نُوَاس :

يا شَقِيقَ النَّفْسِ[4] من حَكَمٍ نمتَ عن[5] ليلى ولم أَنَمِ

فقلت : ما علمت ما كنتما[6] فيه يا أَمِيرَ المؤمنين ، وإنما أنشدتُ ما حَضَرَنِي ، فقال : حَسْبُك قد سمعتُ الجوابَ .

وكان فى إسحاق تَعَصُّب على أبى نواس لشَىْء جرَى بينَهُمَا .

دَخَلَ أَشْجَعُ على الرَّشِيد وقدْ مَاتَ له ابْنٌ والناس يُعَزُّونه ، فأنشده :

نَقْصٌ من الدِّين ومن أهله نقصُ المنايا من بنى هاشمِ
قدَّمتَه ــ فاصبِر على فَقْدِه ــ إلى أَبِيه وأَبِى القَاسِمِ

فقال الرَّشِيدُ : ما عَزَّانِي اليوم أحدٌ أحسن من تعزية أشجع ، وأَمَر له بِصِلَة .

كتب أَشْجَع السلمى إِلَى الرَّشيد وقد أَبْطأ عنه شَىء مِمَّا أَمَر لَهُ بِهِ :

أبلغْ أميرَ المؤمنين رِسَالَة لها عَنَقٌ بين الرُّواة فَسِيح

---

(١) الشعريان والمرزم : نجوم .
(٢) فى ا وت : وخلفه .
(٣) كذا فى غ . وفى ا و ت : معتمدا !
(٤) فى ت : الروح .
(٥) فى ا : من .
(٦) فى غ : كنت .

بأنَّ لِسَانَ الشِّعر يُنطقه النَّدى ويُخرِسُه الإبْطَاء وهو فَصِيح

فضَحِك الرشيد وقال له : لن يخرس لِسَانُ شِعْرِك ، وأمر بتَعجِيل صِلته .

لما وَلّى الرشيدُ جعفرَ بن يحيىَ خُرَاسَانَ جلس للناس ، فدخلوا عليه يُهَنِّئُونه ، ثم دَخَل الشُّعَرَاء فأنْشَدُوه ، وقَامَ أَشْجَع آخرَهم ، فاستَأْذَن فى الإنشاد فأُذِن له فأنشده :

أَتَصْبِر للبَيْن أم تَجْزَعُ فإنَّ الدِّيَارَ غَداً بَلْقَعُ
غداً يَتَفرَّقُ أهلُ الهوَى ويكثر بَاكٍ ومُسْتَرْجِع

حتى انتهى إلى قوله :

ودَوِّيَّة [1] بين أقطارهـا مَقَاطِيع أَرْضِين لا تُقْطَع
تجاوزتُها فوق عَيْرَانَة من الريح فى سيرها أَسْرَعُ
إلى جعفر نزعت رَغْبَةٌ وأيّ فتى نَحْوَه تَنْزِع [2]
فما دُونَه لامْرِئٍ مَطْمَع وَلَا لامْرِئٍ غيره مَقْنَع
ولا يَرْفَعُ الناسُ مَن حطَّه ولا يضَعُون الَّذى يَرْفَع
يُرِيدُ الملوكُ مَدَى جَعْفَر ولا يَصْنَعُون كما يَصْنَعُ
وليس بأَوْسَعِهم فى الغِنَى ولكِنَّ مَعْرُوفَه أَوْسَع
تلوذ الملوك بآرَائه [3] إذا نالَها [4] الحدَثُ الأَفْظَعُ
بَدِيهتُه مثلُ تَدْبيره إذا رُمْته [5] فهو مُسْتَجْمِعُ

---

(١) فى ت : ودونه « تحريف »
(٢) فى ا : ينزع .
(٣) فى غ : بأبوابه .
(٤) فى ا : نابها .
(٥) فى غ : متى .

وكم قائلٍ إذ رأى ثروتى ... وما فى فضول الغِنى أصنعُ
غدا فى ظلال نَدى جَعْفر ... يَجُرُّ ثيابَ الغِنَى أشْجَـعُ
فقل لخراسان تَحْيا فقد ... أتاها ابنُ يَحْيى الفتى الأرْوَعُ

فأقبل عليه جعفر ضاحكا ، واستَحْسَنَ شِعْرَه ، وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ ، ثم أَمَرَ له بألف دِينار .

ثم بَدَا لِلرَّشيد(١) فى ذلك التدبير ، فعزَل جَعْفراً عن خراسان بعد أنْ أعطاهُ العَهْدَ والكُتُبَ وعقد العَقْدَ وأَمَر وَنَهَى ، فوجم لذلك جعفر ، فدخل عليـه أشْجَع فأنْشَدَه :

أمست خراسان تُعزَّى بمـا ... أخطأها من جعفرِ المُرْتَجَى
كان الرشيــدُ المعتَلِى أمرُه ... ولَّى عَلَيْها المُشْرِقَ(٢) الأبْلَجا
ثمَّ أراه رأيُه أنَّه ... أمْسَى إليـه منهم أحْـوَجَا
فكم فكَّ بِهِ الرحمن(٣) من كُرْبَةٍ ... فى مُـدَّة تقصُر قـد فَرَّجَا

فضحك جَعْفر ، وقال : لقد هوَّنْتَ علىَّ العَزْلَ ، وقمت لأمير المؤمنين بالعُذْر ، فسَلْنى ماشئْت ، فقال : كَفَانِى جودُك ذُلَّ السُؤَال ، فأمَرَ له بألف دِينَار .

قال أشْجَع : دخلتُ على مُحَمَّد الأمِين حين أُجْلِس مَجْلِس الأدَب للتعليم ، وهو ابنُ أرْبَـعِ سِنِين ، وكان يجلس فيه ساعة ويقُوم ، فقلت :

ملك أبُوه وأُمُّه من نَبْعَـةٍ ... مِنْها سِرَاجُ الأُمَّةِ الوَهَّاجُ
شَرِبَتْ بمَكَّة فى رُبَا بَطْحَائِها ... ماءَ النُّبُوَّة لَيْسَ فِيهِ مِزاجُ

---

(١) فى ا : الرشيد .
(٢) فى ا و ت : على مشرقها .
(٣) كذا فى ت . وفى ا و غ : فكم به الرحمن من كربة .

فأمرت له زُبَيْدةُ بِمائة أَلْفِ دِرْهم. قال : ولم يملك الخلافة أحد ، أبُوه وأمُّه من هَاشِم إلّا أميرُ المؤمنين عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِب والحسَنُ بن عَلِى رضى الله عنهما ومُحَمَّد بن زُبَيْدة .

انقطع أَشْجَعُ إلى العبَّاس بن مُحَمّد بن عَلِيٍّ بن عَبْدِ الله بن العبّاس ، فقال الرَّشِيد للعبَّاس يَوْماً: ياعمّ ، إن الشعراء قد أكْثروا فى مُحَمَّد المَدَائِح بِسَببي وبِسببَ أمِّ جَعْفَر ، ولم يقل أحدٌ منهم فى المَأْمُون شَيْئاً ، وأنا أحب أن أقع على شاعر فَطِن ذَكِى يقُولُ فيه . فقال العباس ذلك لأشْجَع ، وأمره أن يَقُولَ فيه ، فقال :

بيمنة المأمون آخذة ... بِعِنان الحَقِّ فى أُفُقِه
لن يَفُكَّ المرء رِبْقَتَها ... أو يفُكَّ الدّينَ من عُنُقِه
وله من وَجْهه وَالِده ... صُورَةٌ تمّتْ ومن خُلُقه

فأتى بها العباس الرشيد ، وأنْشَدَهُ إيَّاهَا ، فاستَحْسَنَها وسأله : لِمَنْ هِيَ ؟ فقال : هى لى. فقال : سررتني مرَّتَيْن : بإصابَتِك مَا فِى نَفْسِى ، وبأَنَّهَا لكَ ؛ وما يكون لك فهو لى ، وأمَرَ له بِثلاثين ألف دِرْهم ، فدفع إلى أشجع منها خمسة آلاف دِرْهَم ؛ وأخذ باقيها لنفْسِه .

وَعَد يَحْيَى بنُ خالد أَشْجَع السُّلَمِى وعدا فأخَّره عنه ، فقال له :

رأيتُك لا تَسْتَلِذُّ المِطال ... وتُوفِى إذا غَدَر الخائِنُ
فماذا تُؤخِّر من حَاجَتِى ... وأنت لتَعْجِيلها ضَامِنُ
ألمْ تَرَ أَنَّ احتباسَ النَّوال ... لمعروف صاحبه شَائِنُ

فلم يَتعَجَّل له ما أراد فكَتَب إليه :

رُوَيْدَكَ إنّ عِزَّ الفقرِ أدْنَى ... إلىّ من الثراء مع الهوَانِ
وماذَا يَبْلُغ الأعداء مِنّى ... بِرَيْب صُرُوفِها ومَعِى لِسَانِي

فبلغ قولُه جعفر ، فقال : ويلك يا أَشْجَع هَذَا تَهَدُّدٌ ، فلا تَعُد إلَى مِثْله ، وكلم أباه فَقَضَى حاجَته ، فقال :

كَفَانِى صروفَ الدَّهرِ يَحْيَى بن خالد ... فأصبحتُ لا أرتَاعُ للحَدَثَانِ
كَفَانِى كفاهُ اللهُ كلَّ مُلِمَّة ... طِلَابَ فُلَان مرَّةً وفُلَانِ
فأصبحت فى رَغْد من العيش وَاسِع ... أقلب فيه نَاظِرِى ولِسَانِى

كان أَوّلَ ما نَجَم به أشجع أنَّه اتَّصلَ بجعفر بْنِ المَنْصور وهو حَدَث . وَصَلَه به أحمدُ بنُ يَزِيد السلمى وابنه عوف فقال أَشْجَع فى جَعْفَر بن المنصور مِنْ قَصِيد :

أَذْكروا حُرْمَةَ العَوَاتِك فينا[1] ... يا بنى هَاشِم بْنِ عَبْدِ مَنَافِ
قد وَلَدْنَا كم ثَلَاثَ . . . وِلَادَا ... تِ خَلَطْنَ الأشرَافَ بالأَشْرَافِ
مَهَّدتْ هاشماً[2] نجومُ قُصَىّ ... وبَنُو فَالِجٍ[3] حجورُ عفافِ
إنَّ أَرمَاحَ[4] بُهْثة بن سُلَيْمٍ ... لعِجَافُ الأَطْرَافِ غيرُ عِجَافِ
ولأَسْيَافِهم فِرَىّ من نَجِيعٍ[5] ... رَاجعٌ من مَرَاجع[6] الأَكْتَافِ
مَعْشَرٌ يُطْعِمُون من ذِرْوَة الشَّوْ ... ل ويسقون خَمْرَةَ الأَقْحَافِ[7]
يَضْرِبُونَ الجبَّارَ فى أَخْدَعَيْه ... ثُمَّ يُسْقُونَه[8] نَقِيعَ الذُّعَافِ

---

(١) كذا فى ا وت . وفى غ : منا .
(٢) فى ا و ت : نجوم .
(٣) فى ا وت : من بنى فالج .
(٤) فى ا وت : إن أرواح « تحريف » .
(٥) كذا فى ا وت . وفى غ : فرى غير لذ .
(٦) فى ت : تراجع .
(٧) فى ت : الأحقاف « تحريف » .
(٨) كذا فى ا و ت . وفى غ : ويسقونه .

فشاع شعره وبلغ البَصْرَةَ[1] . ولم يزل يَتَرَقَّى إلى أن وَصَلَته زُبَيْدَةُ بعد مَوتِ أَبِيها بزَوْجِها[2] الرَّشِيد ، فأَسْنَى جَوَائِزَه وأَلْحَقه بالطبقة العُلْيَا مِنَ الشُّعَراء .

وكان أَوَّل مَنْ أدخل أَشْجَع إِلَى الرَّشِيدالفضلُ بْنُ الرَّبِيع ، فإنَّه وصَفَه له وقال : هو أَشْعَر شُعَرَاء هَذَا الزَّمان ، وقد اقتطَعَه[3] عنك البرامكة ، فأمر بإحضاره وإيصاله مع الشعراء . فلما وَصَل إليه أنْشَدَه قَوْلَه :

* قصر عليه تَحِيَّةٌ وسَلَامُ *

فاستَحْسَنها وَوَصَلَه بِعشرِين ألف درهم ، فمَدَح الفضلَ بْنَ الرَّبيع ، وشَكر له إيصالَه إِلَى الخليفة فقال فيه :

غَلَبَ الرُّقَادُ على جُفُونِ المُسْهَدِ ... وغَرِقْتَ فى سهر وليل سَرْمَدِ
قد جدَّ بى سهر فلم أرقد له ... والنومُ يلعَب فى جُفُونِ الرُّقَّدِ
أَأُقِيم مُحْتَمِلًا لضَيْمِ حَوَادث ... مع هِمَّةٍ مَوْصُولة بالفرْقَدِ
وأَرَى مَخَايِلَ لَيْسَ يُخْلِف نَوْؤُها ... للفضل إن رعدَت وإن لم ترْعَدِ
للفَضْلِ أموالٌ أطاف بها النَّدَى ... حتى جُهِدن وجُودُه لم يَجْهَدِ
يا ابْنَ الربيع حَسَرْتَ شُكْرِى بالذى[4]
أَوْلَيْتَنِى فى عَوْدِ أَمْرِى[5] والبَدِى
أَوْصَلْتَنِى ورَفَدْتَنِى وكِلَاهُمَا ... شرف فَقَأْت به عُيُونَ الحُسَّدِ
وكفَيْتَنى مِنَ الرِّجَالِ[6] بنائل ... أَغْنَى يَدِى عَنْ[7] أن تُمَدَّ إِلَى يَدِ

---

(١) فى ا و ت : المنصور .
(٢) فى ا و ت : وتزوجها .
(٣) فى غ : اقتطعته .
(٤) فى غ : بالتى .
(٥) فى غ : أمرك .
(٦) فى ت : الرجاء « تحريف » .
(٧) فى ت : من .

وكان أَحْمَد أَخُو أَشْجَع قد مَدَح مُحَمَّدَ بْنَ جَمِيل بشِعْرٍ ، وسأَلَ أخَاه أَشْجَع إيصاله ، ودفع القَصِيدَة إِلَيْه ، فتوَانَى عن ذَلِك ، فقال أحمدُ يَهْجُوه :

وسَائِلةٍ لى ما أشجَعُ فقلت يضرُّ ولا ينفَعُ
قريب من الشَّرّواعٍ[1] له أَصَمُّ عن الخيْرِ لا يَسْمَعُ
بَطِيءٌ عن الأمر أَحْظَى بِهِ إلَى كُلِّ ماسَاءَنِى مُسْرِعُ
شَرُود الوِدَادِ على قُرْبِه يُفرِّق منه الَّذِى أَجْمَع
أُسَبُّ بأنِّى شَقِيقٌ لـه فأَنفِى بـه أَبَداً يُجْدَع[2]

قال إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلِى : دخلتُ إِلَى الفَضْل بْنِ الرَّبيع وقد بَلَغ الرشيدَ إطلاقهُ يَحْيَى بْن عَبْد الله بن حَسَن ، وقد كان أمر بقتله . فلم يُظْهِر له أنَّه بلغه [إطلاقه] وسأله عن خَبَره : هل قتله ؟ فقال: لا. قال : فأين هو ؟ قال : أطلقتُه ، قال : ولِمَ؟ قال : لأنّه سأَلَنِى بحَقِّ الله ورسولهِ وقرَابَته مِنْه ومِنْك، وحلف لى أَنَّه لا يُحدث حَدَثاً ، وأنّه يَجِيئنى متى طَلَبْته . فأطرق ساعة ، ثم قال له : امض بنفسك فى طلبه حتى تجيئنى به ، واخرُج السَّاعة . فخرج . قال : فدخلتُ عليه مُهنِّئاً بالسَّلامَة ، فقلت له : مارأيت أثبتَ من جأشِكَ[3] . ولا أَصَحَّ من رَأْيك وأَنْت والله كَمَا قال أَشْجَع :

بَدِيهَتُه وفِكرَتُه سَواءٌ إذا مانَابَه الخطْبُ الكَبِيرُ
وأَحْزَمُ مايَكُونُ الدهرَ رأياً إذا عَيَّ المُشَاوِرُ والمُشِيرُ
وصَدْرٌ فيه للهَمِّ اتِّسَاعٌ إذا ضَاقَت بما تَحْوِى الصُّدُورُ

فقال الفَضْلُ : أنظروا كم أَخَذَ أشجعُ على هذه القَصِيدة ، فاحْمِلُوا إلى أبى مُحَمَّد[4] مِثْلَه ، فوجده قد أخذ ثَلاثِين أَلْفَ دِرْهم ، فحُمِلَت إلَيَّ .

(١) فى ت : داع .
(٢) فى غ : أجدع .
(٣) فى غ : جنانك .
(٤) فى ا و ت : أبى أحمد « تحريف .

كان أَشْجَعُ إذا قَدِمَ [1] بَغْدَادَ ينزل على صديق له من أَهْلِها ، فقدمها مَرَّةً فوجده قد مَاتَ ، والنَّوْحُ والبُكَاء في دَارِه ، فجَزِع لذلك وبكى وأَنْشَأَ يَقُول :

وَيْحَها هل دَرَتْ علَى مَنْ تَنُوحُ ... أَسَقِيمٌ فؤادها أم صَحِيحُ

قُم أطبقُوا عَلَيْه ببَغْدَادَ ... ضَرِيحاً مَاذَا أجَنَّ الضَّرِيحُ

رَحِمَ اللهُ صَاحِبِي وصَدِيقِي [2] ... رَحْمَةً تَغْتَدِي وأُخْرَى تَرُوحُ

مَرَّ أَشْجَعُ وأَخَوَاه أَحْمَد ويَزِيد على قَبْرِ الوَلِيد بن عقبة وقبر أَبِي زَبِيدٍ الطَّائِي النَّصْرَانِي ، وكَانُوا قد شَرِبوا وانْتَشوا ، وكان أَبُو زَبِيد قد أَوْصى لَمَّا احتُضِر أن يُدْفَنَ إلى جَنْبِ الوَلِيد بالبَلِيخ ، والقَبْرَان مُخْتَلِفان ، كُلٌّ وَاحد منهما مُتَوَجِّه إلَى قِبْلَة أهْل مِلَّته . قال : فوَقَفُوا على القَبْرَين ، وجعلوا يَتَحَدَّثُون بأَحَادِيثهما وَيتَذَاكَرون أَخْبَارَهما ، فأَنْشَأَ أَشْجَع يَقُول :

مررتُ على عِظَام أَبِي زَبِيدٍ ... وقد لَاحَتْ بِبَلْقَعَة صَلُودِ

وكان له الوليدُ نَدِيمَ صِدْقٍ ... فنادم قبرُه قبرَ الوَلِيدِ

أَنِيسَا أُلفةٍ ذهبَا فأَمْسَت ... عِظامهما تآنس بالصَّعِيد [3]

وما أَدْرِي بمن تَبْدَا المَنَايَا ... بأَحْمَدَ أم بِأَشْجَع أم يَزِيدِ

قال : فمَاتُوا كَمَا رَتَّبَهم في شعره ، وكان أولهم أَحْمد ، ثم أَشْجَع ، ثم يَزِيد .

---

(١) في ت : دخل .

(٢) في غ : نديمي .

(٣) في ا : في الصعيد .

إبراهيم بن عَبْدِ الله بن الحسنِ بن الحسنِ بنِ عليّ رضي الله عنهم

قال المُفَضَّل الضَّبي : خرجتُ مع إبراهيم فلما صَارَ بالمِرْبَد وقف على باب[1] سُلَيْمان بن عَلِي فأخرج إليه صبيان من ولده فضمَّهُما إليه وقال : هؤلاء واللهِ منَّا ونَحْنُ منهم إلَّا أنّ آباءهم فَعَلُوا وصَنَعُوا ، وذكر كَلَاما يَمْتَدُّ عليهم فِيهِ بعضَ الإسَاءَة ، ثم تَوَجَّه لوِجْهَتِه ، وتَمثّل :

مهلا بنى عمنا ظلامتنا إنَّ بِنَا سَورَةً من القَلَق

لمثلكم تُحْمَل السُّيُوف ولا تُغْمَزُ أحسابنا من الرَّقَق[2]

إنى لأُنْمَى إذا أُنْتَمَيْتُ إلى عِزٍّ عَزِيز ومَعْشَرٍ صُدُق

بِيضٌ سِبَاطٌ الأَكُفِّ أَعينُهم[3] تُكْحَلُ يوم الهِيَاج بالعَلَق[4]

فقلت : ما أَفْحَلَ هَذِهِ الأبيات ! فلمَنْ هيَ ؟ قال : لِضِرارِ بن الخطَّابِ الفِهْرِي ، قالها يوم حفر الخَنْدَق فى اجْتِمَاع المُشْرِكين عَلَى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّم .

وتَمَثَّلَ بها عَلِيُّ بنُ أبى طالب رَضِي الله عنه يوم صِفِّين ، وتمثل بها الحُسَيْن ابنُ عَلِيٍّ رضى الله عنهما يوم قُتِل ، وتَمثَّل بها زَيْدُ بنُ عَلِي ، وهانحن تَمَثَّلْنا بِهَا اليوم ، ثم مضى إلى بَاخَمْرَى[5] فلما قَرُب منها أَتَاه نَعْيُ أَخِيه مُحَمَّد فتمثَّل :

---

(١) فى غ : رأس .

(٢) الرقق : الضعف .

(٣) فى غ : كأن أعينهم .

(٤) كذا فى غ : والعلق : الدم : وفى ا وت : بالزرق .

(٥) باخرى : بلدة قرب الكوفة بها قبر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على (القاموس) .

نُبِّئْتُ أَنَّ بَنى ربيعة(١) أجْمَعُوا أَمْراً خَــلا لهم لتَقْتُلَ خَالِدا

إن يَقتلُونِي لا تصب أرماحهم نَارِى ويَسْعَى القومُ سَعْياً جَاهِدا

أَرْمى الطَّرِيقَ وإن صددت(٢) بضيقة وأُنَازِلُ البَطَلَ الكَمِيَّ الحَارِدَا(٣)

فقلت : لِمَنْ هَذِهِ الأَبْيَات ؟ فقال : للأَحْوَص(٤) بن جَعْفَر بن كِلاب تمثل بها يوم شعب جبلة وهو اليوم الذى لقيت فيه قَيْسٌ تَمِيماً .

قال: وأقبلت عَسَاكِر أَبِى جَعْفر فقُتِل من أصحابه وقَتَلَ من القَوْمِ وكَادَ يَكُونُ الظَّفَر له .

قال المُفَضَّل : فقال لى : حَرِّكْنِى بشَىْءٍ . فأنشدته هذه الأَبْيَاتَ :

ألا أَيُّهَا النَّاهِى فَزَارة بَعْدَ ما أَجدَّت(٥) بِسَيْرٍ إنما أَنْتَ حَالِم

أبَى كُلُّ حُرٍّ أنْ يَبِيتَ بوَتْرة ويُمْنَعَ منه النَّوْمُ إذْ أنْتَ نَائِم

أقُولُ لفِتْيَان العَشِى(٦) تَرَوَّحُوا على الجُرْد فى أفْواهِهِن الشَّكَائِم

قِفُوا وقفةً مَنْ يَحْيِ لا يَخْزِ بَعدَها ومن يُخْتَرم لا تَتَّبِعْه اللَّوَائِم

وهل أنْتَ إنْ بَاعَدْتَ نَفْسَك مِنْهم لتَسْلَم فِيمَا بَعْدَ ذَلِك سَالِم

فقال لى أعد فتنبهت ونَدِمت وقُلْت : أَوَ غَيْرَ ذلك ؟ فقال : أعِدْها فأعَدْتُها ، فتمطَّى فى رِكَابَه حتى خِلْتُه قد قطَعَهُما ، ثم حَمَلَ فَكَانَ آخِرَ العَهْدِ به وقيل : إنه طَعَنَ وَطعَنَ مَرّةً أُخْرَى . فقال له المُفَضَّل : أتُبَاشِر الحَرْبَ بنَفْسِك والعَسْكَر

---

(١) فى مقاتل الطالبين / ٣٧٥ : بنى خزيمة .

(٢) فى مقاتل الطالبين : رصدت .

(٣) كذا فى ا وت : ومقاتل الطالبين وفى غ: الجاحدا .

(٤) فى مقاتل الطالبين : خالد بن جعفر بن كلاب .

(٥) فى ا : أخذت .

(٦) فى مقاتل الطالبين : كرام .

مَنُوط بك ! فقال : إليكَ يا أخَا بَنِى ضَبَّة كأَنَّ عُوَيفاً أخَا بَنِى فَزَارَة كان يَنْظُر إلَيْنَا فى يَوْمِنا هَذَا إذْ يَقُول :

أَلمَّت خُنَاسُ [1] وإلمَامُها أحادِيثُ نَفْس وأسقامُهَا [2]

يَمَانِيَّةٌ من بَنِى مَالِك تَطَاوَل فى المَجْدِ أعْمَامُها

وإنَّ لَنَا أصلَ جُرْثُومَة تَرُدُّ الحوَادثَ أيامُهَا

تَرُدُّ الكَتِيبة مَغْلُولَةً بها أفْنُها وبِهَا ذَامُها

(١) كذا فى ا و ت و غ وفى ابن أبى الحديد : سعاد.

(٢) فى مقاتل الطالبين : أحلامها .

أبو عُيَيْنة

هذا اسمه ، وكُنْيَتُه أبو المِنْهَال ، وهو أبو عُيَيْنَة بن مُحَمَّد بن أَبى عُيَيْنَة بن المُهلَّب بن أَبى صُفْرة . واسم أَبى صُفْرَة : ظالم بن سُرَاق وقيل: غَالِب بن سُراق بن صُبْح بن كِندى بن عَمْرُو بن عَدِى بن وائل بن الحارث بن العَتيك[1] بن الأَسَد ابن عِمْران بن الوَضَّاح بن عَمْرو بن مُزَيْقِيا[2] بن حَارِثة بن الغِطْرِيف بن امرئ القيس [البطريق][3] ثعلبة البَهْلُول بن مَازِن زَاد الرَّكب بن الأَزْد .

شَاعِر مَطْبوع ظَرِيف غَزِل هَجَّاء أَكثَر هِجَائِه فى ابن عمه خَالِد ، وهو من سَاكِنى البَصْرة من شُعَرَاء الدَّوْلَة العَبَّاسية ، من أَطْبَع النَّاسِ وأَقْرَبِهم مَأْخَذا من غير أَدَب مَوصُوف ولا رِوَاية كَثِيرة . كان يُقرِّب البَعِيد ويحذِف الفُضُول ويُقِلّ التَّكَلُّف[4] ، وكان أصغرَ من أخيه عبد الله ومات قبله .

وقيل لعبد الله : أَيُّما أَشعَرُ أنتَ أم[5] أَخُوك ؟ فقال : لو كان له عِلْمى لكان أَشْعَرَ منى .

تولى الرَّىّ لأَبى جَعْفر المَنْصور ، ثم قبَضَ عليه وحَبَسَه وأَخَذَ مِنْه مَالًا .

وكان أبو عُيَيْنَةَ يَهْوَى فاطمة بنت عمرو[6] بن حفص الملقب هَزَار مَرْد ، وكانت امرأةً جَمِيلة نبيلة شريفة ، وكان يخاف أهلها أن يَذْكُرَها تَصْرِيحا ،

(١) فى ت : عتيك .

(٢) فى ت : ساف . وفى غ : مزيقا . وما أثبتناه فى ا .

(٣) ساقطة من ت .

(٤) فى ا وت : التكليف

(٥) فى ا : أو .

(٦) كذا فى ا وت . وفى غ : عمر .

ويرهب زوجها عِيسىَ بنَ سليمان . وكان يقول الشِّعرَ فى جارية لها يقال لها : دُنيا ، وكانت قيِّمة دارِها ووالية أُمُورِها كلها ، فمما قَالَ فيها وكَنى عنها بدُنْيا هذه الجارِية :

ما لقلبي أرقّ من كل قَلْب ... ولُحِبِّى أَشَدّ من كُلِّ حُب
ولدُنْيا عــلى جنونى بِدُنْيَا ... أَشْتَهِى قُربَها وتـكره قُربِى
نَزلت بى بَلِيَّة من هوَاها ... والبَلَايا تَـكُونُ مِن كُلِّ ضَرْبِ[1]
قل لدُنْيا ألم تَجِئْك لمـا بِى ... رَطبةٌ من دموع عينىّ كتبى
فعَلَام انتهرتِ بالله رُسْلِى ... وتهدَّدْتِهم بحَبْسٍ وضَرْب
أَىّ ذنْبٍ أذنبتهُ ليت شعرى ... كان هــذَا جزَاءه أَىَّ ذَنْب

وقيل : إن أبَا عُيَينة كنى عنها بِهـذَا الاسْم ، ولَيْسَت لها جَارِية تُسَمَّى دُنْيَا ، وكانت هذه فاطمة سَرِيَّة من النساء ، وكان أَبُوها من أَشَدِّ الفرسان وشجعانهم .

قال عِيسَى بْن مُوسَى للمهلب بن المُغيرة بن المهلب : أَكَانَ يَزِيد بن خالد أَشْجَعَ أم عمرو بن حَفْص ؟ يعنى أبا فَاطِمة هَذه . فقال المُهَلَّب : لم أشهد من يَزِيد ما شاهدته من عمرو بن حَفْص ، وذلك أنِّى رأيتهُ يركض فى طلب صَيْدِ حِمَار وَحْش ، حَتَّى إذَا حاذَاه جمع جرَامِيزَه[2] وقفزَ فصَارَ على ظَهرِه ، فقمص الحِمَار ، وجعل عمرو يحز ناصيته إمَّا بسَيْفه أو بِسِكِّين معه حتى قتَلَه .

ومما قاله أبو عيينة فى فاطمة :

ضَيَّعْتِ عهدَ فتَى لعهدك حافِظٌ ... فِى حِفْظِه عَجَبٌ وفى تضييعِك
ونأيتِ عنه فمـا له من حِيلَةٍ ... إلَّا الوقوف إلى أَوانِ رُجُوعك

---

(١) فى ت : ثلاثة بدل بلية والثلاثاء بدل البلايا « تحريف » .
(٢) الجراميز : القوائم .

متخَشِّعاً يُذْرِى عليك دُمُوعَه   أسفا ويَعْجَبُ من جُمُودِ دُمُوعك
إن تَقْتُليه وتَذْهَبِي بفؤاده   فبحُسن وَجْهِك لا بِحُسْنِ صَنِيعك

قال الفَضْلُ بن الرَّبيع لجلسائه : من أَشْعَرُ أَهْلِ عَصْرِنا ؟ فأكْثَرُوا . فقال الفضل : الَّذِى يقولُ فى قَصْرِ عيسى بن جعفر بالخُرَيْبَة يعنى ابن أبى عُيَيْنَة :

زُرْ وادِىَ القَصْرِ نِعْمَ القصرُ والوَادِى
وحبذا أهــلُه من حَاضِرٍ بَادِى
تُرَى قَرَاقِيرُه[1] والعِيسُ وَاقِفَةً   والضَّبُّ والنُّونُ والمَلَّاحُ والحَادِى

تزوج سَعِيدُ بنُ عَبَّاد بن حَبِيب بن المهلب بنتَ سُفْيَان بن معاوية بن يَزِيد ابن المهلب ، وقد كان تزوجها قَبْله رَجُلَان فدفنتهما . فكَتَبَ أَبُو عُيَيْنَة إلى سَعِيد :

رأيتَ أثاثَها فرَغِبْتَ فِيــه   فكم نَصَبت لِغَيْرِك بالأَثَاثِ
إلى دَارِ المَنُون تُجَهِّزَتْهُم   تَحُثُّهم بأَرْبَعَــةِ حِثَاثِ
فَصَيِّرْ أمرَها بِيَدَىْ أَبِيهَا   وعَيشك من حيَاتك[2] بالثَّلَاثِ
وإلَّا فالسَّــلام عليك مِنِّى   سأبْدَأُ مِنْ غَدٍ لَكَ بالمَرَاثِى

ومِن شعر أبى عُيَيْنَةَ :

ما لا يَــكُون فَلَا يكون بحيلَةٍ   أبدا وما هو كائِنٌ سَيَــكُونُ[3]
سيكون ما هو كائِنٌ فى وَقْتِه   وأخو الجهالة مُتْعَب مَحْزُونُ
يسعى القوىُّ فلا ينال بِسَعْيِه   حظا ويسعد[4] عاجِزٌ ومَهِين

(١) كذا فى معجم البلدان. وفى غ : ترفى قراقيره . وفى ت : ترفى قراقره . وفى ا: تروا قراقره.
(٢) فى غ : حبالك.
(٣) فى غ : فيــكون .
(٤) فى غ : ويحظى .

وقد قيل : إن هذه الأَبْيَات وُجِدَت مكتوبة على حَجَر وُجِد فى بعض أَفْنِيَة مَكَّة ، حرسها الله تعالى .

وَفَد ابن أبى عُيَيْنَة إلى طَاهِر بن الْحُسَيْن يَسْأَله أن يعزل أميرَ البَصْرة ، وكان من قِبَله ، فدافعه عنه وعَرَض عليه عِوَضاً خَطِيراً من حاجته ، ووعده أَنْ يَسْتَصْلِح له ذلك الأَمير ويزيل عنه ما يكرهه ، فأبى ، فعزله وأَجْزَل صِلَته ، فقال :

يَا ذَا اليَمِينَيْن قد أَوْقَرْتَنِى مِنَناً ... تَتْرى هى الغاية القُصْوَى مِنَ الِمنَن
ولست أَسْطِيع من شُكْر أَجىء به ... إلا استطاعة ذِى رُوح وذِى بَدَنِ
لو كنتُ أعرِف فوقَ الشُّكْر مَنْزِلَةً ... أَوْفَى من الشُّكر عندَ الله فى الثَّمَن
أخلَصْتُها لكَ من قَلْبِى مهذَّبَةً ... حَذْوًا على مثل ما أوليت من حَسَن

وكان ابنُ أبى عُيَيْنَة هَجَا نِزَارا ، فلما بَلَغ المأمونَ شعرُه فيهم هَدَر دَمَه[١] ، فهرب من البصرة ، وركب البحر إلى عُمان ، فلم يزل بها متواريا فى نواحى الأَزْد حتى مات المأمون ، ومن شعره :

يا حُسْنَها يوم قالَتْ لى مُوَدِّعة ... لا تنس ما قلت مِن فِيهَا إلى أُذُنى
كأننى لم أَصِلْ دُنْيا عَلَانِيَــة ... ولم أَزُرْ أهلَ دُنيا زَوْرَةَ الَحَزَن
جِسْمِى معى غيرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُم ... فالجِسْم فى غُرْبَةٍ والرُّوحُ فى وَطَن[٢]
فليَعْجَبِ النَّاسُ مِنِّى إنَّ لى جَسَدًا ... لا روح فيــه ولى رُوحٌ بِلَا بَدَنِ

وكان عبدُ الله بن محمد بن عُيَيْنَة أخو أبى عُيَيْنَة شَاعِرا . وهو القَائِل يُعَاتِب مُحَمَّدَ بن يحيي البرمكى :

عليك منى السلام هــذا ... أَوَانُ ينأى بِىَ المَزَارُ

---

(١) هدر دمه : أبطله .

(٢) كذا فى ا و ت . وفى غ : فالروح فى وطن والجسم فى وطن .

ما كنتَ إلا كلَحْمِ مَيْتٍ دعا إلى أَكْله اضطرار
أسلَمَ وإن كان فِيكَ عَنِّى قَبْضٌ لـكَفَّيْك وازْوِرَار
تَلْحَظُنِى عابسا قَطُوباً كأنما بى إليك[١] ثار
قد أصبحَ الناسُ فى زَمَان أعلامُه السِّفْلَة الشِّرَارُ
يستأخِرُ السَّابِقُ الذكِّى فيه ويَسْتَقْدِمُ الحِمَارُ
وليس للمَرْء ما تَمَنَّى يوما وما إن له اخْتِيَار
ما قدَّرَ اللهُ فهْوَ آتٍ وفى مَقَادِيرِه الخِيَارُ

ولابن أبى عُيَيْنَة مع ابن عَمِّه خالد بن يَزِيد بن حاتم بن قَبيصَة أَخْبَار ، وزبدتها[٢] أنّ خَالِداً لما توَلَّى جُرْجَان[٣] سأل يزيد بن حاتم أبا عيينة أن يصحبه ، ووعده الإحسانَ والوِلَاية ، وأوسَع له المَوَاعِيدَ ، وكان أبو عُيَيْنَة جُندِيًّا ، فجرّد معه ، وأَخْرَج رزقَه معه ، فلما حصل بجُرْجَان أعطاه رِزْقه لشَهْر واحد واقْتَصَر به على ذَلِك ، وتشاغل عنه وجفاه ، فبلغه أنه هجاه ، وبسط فيه لسانه ، وذكره بكل قبيح عند وجوه[٤] أَهْلِ عَمله . فلم يقدر على مُعَاقَبَته لموضع أبيه وسِنِّه ومَحَلِّه ، فدعا به ، وقال له : بلغَنى أنَّك تُرِيد أن تهرب ، فإمَّا أن تقيم لى كَفِيلًا بِرِزْقك أو تَرُدَّه ، فأتاه بكفيل ، فأعْنَتَه ولم يقبله ورده حتى ضجر ، وجاءه بما قبَض من الرزق فأخذه ولجَّ أبو عُيَينة فى هجائه حتى فَضَحَه . فمن ذلك هذه القصيدة وأنشدها دِعْبِلًا :

يا حفصُ عَاطِ أخاكَ عَاطِه كاسا تُهيِّج من نَشَاطِهْ
صِرْفاً يَعـــود لوَقْعِها كالظبى أُطلق من رِباطِهْ

---

(١) فى غ . لديك .
(٢) فى ت : وبدؤها .
(٣) فى ت : خراسان .
(٤) فى ت : وجود « تحريف » .

صَبًّا طــوت عنه الهُمُو م نعيمَه بعــد انبِسَاطِه
فبــكَى وحَقّ له البُــكَا لشقائه بعــد اغْتِبَاطِه
جَزِعَ الُمخَنّث خَالِــدٌ لمـا وقَمْتَ على قِمَاطِهْ
فانظر إلى نزَوَاتِـــه من مَنْطِقٍ وإلى اخْتِلَاطِه
دَعْنِي وإيَّا خالـــدٍ فلأَقْطَعَنّ عُرَى نياطِـــه
إنِّي وجــدتُ كلامَه فيه مَشَابهَ[1] من ضُرَاطِه
رجل يُعِد لَكَ الوعيـ ـد إذا وطئت على بِسَاطِه
وإذا انتظرتَ غـــداءه نَخفِ البوادرَ من سياطِهْ
يا خَالُ صَدَّ المَجْدُ عَنْـ ـك فلن تجوز على صِرَاطِهْ
وعَرِيتَ منْ حُلَل النَّدى عُرْيَ اليَتِيمِ ومن رِيَاطِه[2]
فإذا تطَاوَلَت الرُّءو سُ فغَطِّ رأْسَك أو فَطَاطِه[3]

فقال له دعبل : أغرقتَ والله وأَسْرَفْت فى التَّسَرّع ، وهتـكتَ ابن عمك ، وغَضَضْت منه . ولو علمتُ أنك تبلغ به هكذا لَمَا سَمِعْتُ إنشادَكَ .

قال الرشيد للفضل بن الربيع : مَنْ أَهْجَى المحدِّثين عندكَ فى عصرنا هـذا ؟ فقال : الذى يقول فى ابن عمه :

لو كا ينقص يزداد إذا نَالَ السَّمَـــاء
خالد لولا أبوه كان والـكلبُ سَوَاء
أَنَا ما عِشْتُ عليه أسوأُ النَّاسِ ثَنَـاء

---

(١) فى ت : تشابه « تحريف » .

(٢) الرياط جمع ريطة ، وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجا واحدا .

(٣) فى غ : ثم طاطه .

إنَّ مَنْ كانَ مُسيئاً[1] لَحَقِيقٌ أنْ يُسَاء

فقال الرَّشِيدُ : هذا ابن أبى عُيَيْنَة ، ولَعَمْرِى لقد صَدَقْت .

قال أبو العباس محمد بن يَزيد : لم يجتَمِع لِأَحَدٍ من المحدثين فى بَيْتٍ واحد هِجَاءُ رَجُل ومَدْحُ أبيه كما اجتَمَع لأبى عُيَيْنَة فى هَجْوِ ابْنِ عَمِّه . حيث يَقُول من أبيات :

أبوكَ لنا غَيْثٌ نَعِيش بوَبْلِه[2] وأنت جَرَادٌ ليس تُبْقى ولا تذر

---

(١) فى ا و ت : إن يكن كان مسيئا .

(٢) فى ت : نؤمله بدل نعيش بوبله .

إبراهيم بن أبي مُحَمَّد اليزيدي

هو إبراهيم بن أبي مُحمد يَحْيَي بن المُبَارك أحد بني عَدِيّ بن عبد شَمْس بن زَيْد مَنَاة بن تَمِيم . يقال : إنهم من رَهْط ذِي الرُّمَّة .

كتب إبراهيم إلى بعض أصحابه ، وقد رأى منه جفوة ، ثم استصلحه :

مَنْ تاه واحِدَةً فَتِهْ عَشْرا ... كَيْلَا يَجُوزَ بنفْسه القَدْرَا

وإذا زَهَا أحدٌ عليك فكُن ... أزهَى عليه ولا تَكُن غَمْرَا

أرأيتَ مَنْ لم ترجُ مَنْفَعَةً ... منه ولم تَحْذَر له ضُرًّا

لم تَسْتَرِقُّ[1] وتَسْتَذِلُّ له ... بل كُنْ أشدَّ إذا زَها كِبرا

دخل إبراهيم بن أبي مُحَمَّد على المأمون وهو يشرب ، فأمرَه بالجلوس ، فجلس وأمر له بشَرَاب ، فشَرِب وزاد في الشُّرب ، فسكر وعربد ، فأخذ عليّ بن صالح صاحبُ المُصَلَّى يدَه فأخرجه . فلمَّا أصبح كتب إليه :

أنا المُذْنِبُ الخطَّاء ، والعفوُ وَاسِعٌ ... ولو لم يَكُن ذَنْبٌ لَمَا عُرِف العَفْوُ

ثملت[2] فأبدَتْ مِنّيَ الكأس بَعْضَ مَا ... كَرِهْتُ وما إن يَسْتَوِي السُّكْرُ والصَّحْوُ

ولولا حُمَيَّا الكأس كان احْتِمالُ مَا ... بُدِهْتُ به لا شك فيه هو السَّرْوُ[3]

ولا سِيما إذ[4] كنت عند خَلِيفَةٍ ... وفي مَجْلِسٍ مَا إنْ يجوز[5] به اللَّغْوُ

---

(١) كذا في ا و ت . وفي غ تسترك .

(٢) كذا في ا و ت و غ . وفي معجم الأدباء : سكرت .

(٣) السرو : الفضل .

(٤) كذا في غ ومعجم الأدباء . وفي ا و ت : إن .

(٥) في معجم الأدباء يليق :

تنصَّلت من ذنبي تَنَصُّل ضـــارِع   إلى مَنْ لديه يُغْفر العَمْدُ والسَّهْوُ
فإنْ تَعفُ عَنِّي تُلْفِ خَطْوِيَ وَاسِعا   وإلَّا يَـكُنْ عفو فقَدْ[1] قَصُر الخَطْوُ

زَامَلَ المأمونُ في بعض أَسْفاره بين يحيي بن أَكْثم وَعَبَّادَة المُخَنث .

فقال إبراهيم بن أبي مُحمَّد :

وحاكم زَامَـل عَبَّاده   ولم تزل تِلْكَ له عادَه
لو كان[2] لي حُـكْم لما جازَ أنْ   يَحْـكُم في قِيمة لُبَّادَه
كَمْ من غلام عَزَّ في أَهْلِه   وافَتْ قفاه منك[3] سجَّادَه

وقال إبراهيم بن أبي مُحَمَّد فيه أيضاً :

وكُنَّا نُرَجِّي أَنْ نَرَى العَدْلَ ظاهِرا   فأَعْقَبَنا بَعْدَ الرَّجَاءِ قُنُوطُ
مَتَى تَصْلُحِ الدُّنيا ويَصْلُحُ أَهْلُها   وقَاضِي قُضَاةِ المُسْلِمِينَ يَلُوطُ

قال أبو العَيْناء : نظرَ المأمونُ إلى يحيي بْنِ أَكْثم وهو يَلْحَظُ خادِماً ، فقال للخَادِم : تَعرَّضْ له إذا قُمت ، فإنى سأقُوم للوضوء — وأمره ألا يَبْرَح — وعُدْ إلَيّ بما يقُول ، وقام المأمونُ وأمر يَحْيَى بن أَكْثم بالجُلوس ، فلما قام غَمزَه الخادِم بعَيْنِه ، فقال يحيي : « لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ »[4] فمضَى الخادِم إليه وأَخْبَرَه ، فقال له المأمون : قل له : « أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ »[5] فخرج الخادِمُ إليه ، فقال ذلك له ، فأَطْرَقَ يحيي وكادَ يموتُ جَزَعاً ، وخَرَج المأمونُ وهو يَقُول :

---

(١) في ت : وقد « تحريف » .
(٢) في غ : جاز .
(٣) كذا في ا و ت . وفي غ : منه .
(٤) سورة سبأ ٣١ .
(٥) سورة سبأ ٣٢ .

متى تَصْلُحِ الدُّنْيا ويَصْلُحُ أهلُها ... وقَاضِي قُضَاةِ المُسْلِمِينَ يَلُوطُ

قُم فَانصَرِف واتَّقِ اللهَ وأَصْلِح نِيَّتَكَ .

[كتب إبراهيم بن أبي محمد اليزيدى إلى محمد بن محمد الكاتب يهْجُوه ويُعَيِّره بأَنَّ الحسَن بْنَ إبراهيم بْنَ رَبَاح والحسَن بنَ وَهْب يَعْشقَان جَارِيَته ويَتغَايَرَان عليهـا :

لِي خَلِيلان مُحْكِمَان مُجِيدَا ... ن لمـا يَعْمَـلَانِه حَاذِقَانِ

واحـــد يَعْمَـل القِسِيّ فيأْتيِـ ... كَ بها فى استِقَامَة المِيزَانِ

وفَتًى يَعْمَلُ السَّكَاكِين فى القَرْ ... نِ مُقِرٌّ بِحِذْقِه الثَّقَلَانِ

وهُما يَطْلُبَان شَيْئًا على رَأْ ... سك فافْهَم لبَعْضِ تِلْكَ المَعَانى

قلتُ: هل يُؤْلِم الفتَى قَطعُ ما منـ ... ـه تُرِيدَانِ أَيُّهَـا الفتَيَانِ

فأَجَابَا بلُطْف قَوْلٍ وفَهْم ... ثم قَامَا إذًا لنوكامدان[1]

فاقْطعِ الآنَ ما برأْسك منْهَا ... إنَّ فِيمَا تَرَى لَمَحْضَ بَيَان

ذاك خَيْر من أن تُسَمَّى بسُوءٍ ... فيُقَال انْظُرُوا إلَى القَرْنَان][2]

---

(١) كذا فى ا و ت ولم يرد الخبر فى غ ولم أجده فى مرجع من المراجع التى ترجمت لإبراهيم اليزيدى

(٢) ما بين القوسين لم يرد فى غ .

أَحْمَدُ بنُ محمد بن أَبِي مُحَمَّد اليَزِيدِى

كان أحمدُ هذا رَاوِيَةً للعلم : علم أهله ، فاضلًا أَدِيباً . وكان أَسَنَّ إخوته ، وكان إخوتُه جميعاً يَأْثِرون عنه جميع عُلُوم جدّهم وعُمومتهم ، وأدرك جَدَّه أبا مُحَمَّد ، ورُبَّما روى عنه ، وكُنْيَتُه أبو جَعْفر . ومِن شِعْره :

شوقى إليك عَلَى[1] الأيام يَزداد ... والقلب مُذ غِبْت للأحزان معتادُ

يا لَهْفَ نَفْسِي على دَهْر فُجِعت به ... كأَنَّ أيامه فى الحُسْنِ أَعْيَادُ

قال أحمدُ بنُ مُحَمَّد اليَزِيدى : كنتُ عند جَعْفر بن المأمون مُقيما ، فلما أردتُ الانصرافَ منعنى فبِتّ عنده ، وأصبحنا فوافتنا عَرِيب وجَوَارِيها ، فأقمتُ عنده ، وبِتّ ، وأَوْصلتها بغد[2] ، واُستطيب المقام أيضاً فأقمتُ .

فكتَبَ إلَىَّ عَمِّى إبراهيمُ بنُ أبى محمد :

شردتَ يا هذا شُرُودَ البَعِير ... وطالَتِ الغيبة عنــد الأَمِيرْ

أقمتَ يومَيْن ولَيْلَيْهِمـــا ... وثالثاً تُحْبَى بِبِرٍّ كَثِيرْ

يوم عَرِيب مع إحْسَانِهـــا ... إن طالَتِ الأيَّامُ يَوْمٌ قَصِيرْ

لها أغانٍ غير مَمْلُولَةٍ[3] ... منها ولا تَخْلَقُ عند الكُرُورْ

غـــيرَ مَلُوم يا أَبَا جَعْفَر ... أَنْ تُؤْثِر اللَّهْوَ ويوم السرورْ

فاجْعَل لنـا مِنْك نَصِيباً فمَا ... إن كنت عَنْ مَجْلسنا بالنَّفُور

---

(١) فى ت : مع .

(٢) فى ا : واحتبسها من غد .

(٣) فى ت : مملوكة « تحريف » .

وصِر[1] إلينا غير ما صَاغِرٍ   أصارَكَ الرحمنُ خَيْرَ[2] المَصِيرْ
إن لم يَكُن عِنْدى غِناءٌ ولا   عود فعندى القَمْرُ بالنَّرْدَشِيرِ[3]
والذِّكْرُ بالعِلْمِ الذى قَدْ مَضَى   بأَهْله[4] حادِثُ صَرْفِ الدُّهُورِ

قال أبو جَعْفَر أحمدُ بن مُحَمَّد اليَزِيدى : دخلتُ على المأمون وهو فى مجلسٍ غَاصٍّ بأهله ، وأنا يومئذ غلام ، فاستأذَنْتُ فى الإنشاد ، فأذِن لى ، فأنشدْتُه مَدِيحاً لى فيه ، وكان يسمع الشِّعر ما دَامَ فى نَسِيبٍ[5] أو وَصْفٍ لِضَرْبٍ من الضُّرُوب ، فإذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلَّا بَيْتَيْن أو ثلاثة ثم يقول للمُنْشِد : حسبُك ، ترفُّعاً ، فأنشدتُه :

يا من شَكَوْتُ إليه ما أَلْقَاه   وبذلت من ودى[6] لَهُ أَقْصَاهُ
فأجابَنِى بخِلاف ما أَمَّلْتُه   ولرُبَّما مُنِعَ الحَرِيصُ مُنَاه
أَتَرى جَمِيلاً أَنْ شَكَا ذُو صَبْوةٍ   فهجرتَه وغضبتَ من شكوَاهُ
يكفِيكَ صمتٌ أوجواب مُؤْيِسٌ   إن كنت تكره وَصْلَه وهَوَاه
موت المحب سَعادَةٌ إن كان من   يهواه يزعم أن ذاك رضاه

فلما صرت إلى المديح أنشدت :

أبقَى لنا الله الإمام وزادَه   شرفا إلى العِزِّ الذى أعطاه
فالله أكرمَنَا بأَنَّا معشَر   عُتَقَاء من نِعَمِ العِبَاد سِوَاهُ

---

(١) فى ت : فصر .
(٢) فى ت : غير « تحريف » .
(٣) النردشير : لعبة النرد .
(٤) كذا فى ت و غ . وفى ا : بأمره .
(٥) فى غ : تشبيب .
(٦) فى غ : وجدى .

فسر بذلك وضحك ، وقال : جعلنا الله وإياكم ممن يشكر النِّعْمَةَ(١) ويُحْسِن العَمَلَ .

قال أبو جَعْفَر أحمد بن محمد اليزيدى : دخلت يوما على المأمون بقارا وهو يريد الغزو فأنشدته :

يا قصر ذِى النخلات من بارَا　　إنى حُبِيت إليك من قارا
أبصرت أشجاراً على نَهَر　　فذكرت أشجاراً وأَنْهارَا
لِلّه أيامٌ نَعِمْت بها　　بالقُفْص أحياناً وفى بارَا
إذ لا أَزَالُ أزورُ غَانِيَةً　　أَلْهُو بها وأَزُورُ خَمّارا
أَعْصِى النَّصِيحَ وكُلَّ عاذِلَة　　وأُطِيعُ أوتاراً ومِزْمارَا

فغَضِب المأمونُ وقال : نحنُ فى وَجْه عَدُوٍّ ، وأنا أَحُضُّ الناسَ على الغزو ، وأنت تذكرهم نزه بغداد ولذاتها ! فقلت : الشيء يا أمير المؤمنين بتمامه ثم أنشدت :

فصحوتُ بالمأمون عَنْ سَكَرِى　　ورأيت خيرَ الأَمْرِ ما اُخْتَارَا
ورأيت طاعَتَه مؤدِّية　　للفَرْض إعلانا وإسْرَارا
فخلعتُ ثوب الهزل عن عُنُقِى　　ورضيتُ دَارَ الجِدِّ لى دَارَا
وظَلِلتُ معتصما بطاعَتِه　　وجوارِه وكفى به جَارَا
إن حلَّ أرضا فهى لى وطَنٌ　　وأسيرُ عنها حَيْثُمَا سَارَا

فقال له يَحْيَي بنُ أَكْثم : ما أحسَنَ ما قال يا أمير المؤمنين ، أخبر أنه كان فى سُكْر وغزَل ، فترك ذلك وارعوى ، وآثر طاعة خليفته ، وعلم أن الرشد فيها ، فسَكَن وأَمْسَكَ عنه .

---

(١) فى ا : النعمى .

دعا المُعْتَصِمِ المأمونَ ذات يوم فَجَاءه ، فأجلَسَه فى بيت على[1] سقفه جَامَات ، فوقع ضوء الشَّمْس من وراء تِلْك الجامَات على وَجْه سِيما التركى غلام المعتصم ، وكان أوجدَ النَّاس بِه ، ولم يكن فى عَصْرِه[2] مِثْلُه ، فصاح المأمون : يا أحمد بن محمد اليزيدى ، وكان حَاضِراً ، فقال : نعم . فقال : أُنظُرْ ويلَك إلى وجه سِيماَ التُّرْكِى ، أرأيت أحسن مِنْ هَذا قَطّ ؟ وقد قلتُ :

قــد طلعَت شمسٌ على شمسِ   وزالَتِ الوَحْشَةَ بالأنسِ

أجز يا أحمد فقال :

قد كنتُ أَشْنَاَ الشمس فِيماَ مضى   فصرتُ أشتــاقُ إلى الشمس

قال : وفطن المعتصم وعَضّ على شَفَته لأحمد ، فقال أَحْمَد للمأمون : واللهِ لئن لم يعلم أخوك[3] حقيقة أمر أمير المؤمنين لأقعن معه فيما أكره ، فدعاه المَأْمُون ، وأخبره الخبر ، فضحك المعتصم ، فقال له المأمون : كثر الله فى غِلْمَانِك مثله ، إنَّمَا استَحْسَنْت شيئاً فجرى ما سَمِعْتَ لا غَيْر .

---

(١) فى ت : فى .

(٢) فى ا : حضرته .

(٣) فى ت . أجزك .

أيْمَن بن خُرَيْم الأَسَدى

هو أَيْمَنُ بن خُرَيم بن فاتك الأَسَدى ، نسب إلى فَاتِك وهو جَدّ أَبيه ، لأنه أيْمَن بن خُرَيْم بن أَخْرَم بن عَمْرو بن فَاتِك بن عَمْرو بن أَسَد بن خُزَيمة بن مُدْرِكَة .

صحب هو وأبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وَرَوَيَا عنه . وكان أيمن يَتَشَيَّع .

وكان أَبُوه أحدَ من اُعتزَل حَرْبَ الجَمَل وصِفّين وما بعدهما من الأَحْدَاث فلم يَحْضُرْها .

كان عبد الملك شَديدَ الشَّغَفِ بالنساء ، فلما أَسَنَّ ضعف عن الجماع ، وازداد غرامه بِهِن ، فدخل عليه[1] أيمن بن خُرَيْم يوما ، فقال له : كيف أنت يا أَيْمَن ؟ قال : بخير يا أمير المؤمنين . قال : كيف قوتك ؟ قال : كما أُحِب ولله الحَمْد ، إنّى لآكُلُ الجَذَعَة من الضأن بالصَّاع من البُرّ ، وأَشْرَبُ العُسَّ المَمْلُوّ أعبّه عَبّا ، وأرتَحِلُ البَعِيرَ الصعب فأُنصِبه ، وأَرْكَبُ المهر الأَرِن فأُذَلِّله ، وأفترع العَذْراء لا يُقْعِدُنى عنها الكِبَر ، ولا يَمْنَعُنِى منها إلّا السَّحَر . ولا يُرْوِينى منها الغُمَر[2] ، ولا يَنْقَضى[3] منى الوطر ، فغاظ عبدَ الملك قولُه ، وحسده ومنعه العطاء ، وحجبه وقصده بِمَا كَرِه حتى أَثَّر ذلك فى حَالِه ، فقالت له امرأتُه : ويحك ، أصدِقْنى عن حَالِك ، هل لك جُرْم ؟ قال : لاوالله . قالت : أَىُّ شَىْءٍ دَارَ بينَك وبيْنَ أمير المؤمنين آخر ما لَقِيتَه ؟ فأخبرها . فقالت : إنَّا لِله، من هَا هُنا أُتيتَ ، أنا أحتَالُ لك فى ذلك

---

(١) فى غ : إليه .

(٢) الغمر : القدح الصغير .

(٣) فى غ : ينقص .

حتى أُزِيلُ ما جرَى عَلَيك ، فقد حَسَدكَ الرجلُ على ما وصفتَ به نَفْسَك . فتَهيَّأت ولَبِسَت ثِيَابَها ودَخَلَت على عَاتِكَة زَوْجَته ، فقالت : أسألك بِاللهِ أَنْ تستعدى لى أميرَ المؤمنين على زَوْجى ، قالت : وما شأْنُه ؟ قالت : ما أدرى أَنَا مع رَجُل أو حائِط ؟ فإنَّ له سَنَتَيْن[1] ما يعرف فِرَاشى فسَلِيه أن يُفرِّق بينى وبينه ، فخرجت عَاتِكَة إلَى عَبدِ الملك فأخبرته ، وسألته فى أَمْرها ، فوجَّه إلَى أيمن فأحضَرَه ، وسأله عما شَكَت منه فاعترَفَ بِذَلك له ، فقال : ألم أَسْأَلْك عَامَ أَوَّل عن حَالِك ، فوصفْت كَيْتَ وكَيْت ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الرجل لَيتَجَمَّل عند سُلْطَانه ، ويتَجلَّد على[2] أعْدَائه بأكثر مِمَّا وصفتُ به نَفْسى وإنِّى أَنَا القَائل :

لقيت من الغانيات العُجَابا ... لو اُدْرِكَ مِنِّى النِّسَاء[3] الشَّبَابَا
يَرى الشيبَ جمعُ النِّسَاءِ الحِسَانِ ... عَيْباً شَـــدِيداً إذا المرْءُ شَابَا
ولو كِلْتَ بالْمُدِّ للغـانِيَـات ... وضَاعفْتَ فوقَ الثِّيـَابِ الثِّيَابَا
إذا لم تُنِلهُنَّ من ذاك ذاك ... بغَيْنَك عند الأَمِير الكِذابَا[4]
يَذُدْن بكل عَصـاً ذَائِدٍ ... ويُصبِحْن كُلَّ غداة صِعَابـا
إذا لم يُخالَطْنَ كلَّ الخلا ... طِ أصبحن مُخْرَنْطِمات غِضَابَا
علامَ يُكحِّلْن حُورَ العيونِ ... ويُحدِثْن بعد الخضَاب الخِضَابَا
ويَعرُكْنَ بالمسْك أجيـادَهُن ... ويدْنِين عند الحِجَال العِيـابَا
ويُبْرِقْن[5] إلَّا لِمَا تَعْلَمُون ... فلا تَمْنَعُنَّ النِّسَاءَ[6] الضِّرَابـا

(١) فى غ : لسنين .
(٢) فى ب : عند .
(٣) فى غ : الغوانى .
(٤) فى غ : جحدنك عند الأمير الكتابا .
(٥) فى ت : ويرقبن « تحريف » .
(٦) فى غ : فلا تحرموا الغانيات .

فجعل عبد الملك يَضحَكُ من قوله ، ثم قال : أَوْلَى لَكَ ياأبْنَ خُرَيم ، لقد لقيتَ مِنْهن بَرحاً[١] ، فما تَرَى أن نَصْنَع بَيْنَكَ وبَيْنَ زَوْجَتِك ؟ قال : تستأْجِلُها إلى أجل العِنِّين ، فأُدَارِيها لعَلّى أستطيع إمْسَاكَها ، قال : أَفْعَلُ ذلك ، ففعل وردَّها ، وأمَرَ له بما فَاتَ من عَطائه ، وعاد إلى بِرِّه وتقْرِيبِه .

ولما فَرَغَ أيمنُ من إنشاد هَذِه الأبيَات قال له عَبْدُ المَلك : ماوصف أحدٌ النساءَ بِمثْلِ هذا ، ولا عرفهُن أحدٌ مَعْرِفَتَك . فقال له أيْمَنُ : لئن كنتُ صدقتُ فى ذَلك ، لقد صَدَقَ الّذى يقُول :

فإنْ تَسْأَلُونى بالنِّسَاءِ فإنَّنى خَبِيرٌ بأَدْوَاءِ النِّسَاء طَبِيبُ
إذَا شَابَ رأسُ المرء أو قَلَّ ماله فليس له فى[٢] وُدِّهن نَصِيبُ
يُرِدْن ثَرَاءَ المال حيث وَجَدْنَه[٣] وشَرْخُ الشَّبَابِ عندهُنَّ عَجِيبُ

فقال عَبْدُ الملك : لعمرى لقد صَدَقْتُما وأحسنْتُماَ .

قال عَبْدُ الملِك يوما : يامَعْشَر الشُّعَرَاء ، تشبِّهُوننَا مرَّةً بالأَسَدِ الأبْخَرِ ، وَمرَّة بالجَبَلِ الأوْعَرِ ، ومرَّة بالبَحرِ الأُجَاجِ ، ألا قلتم فينا كما قال أيْمَنُ بنُ خُرَيْم فى بَنى هاشِم :

أَأَجْعَلُكم وأقْواماً سَوَاء وَبَيْنَكُم وَبَيْنَهم الهَوَاءُ
وهُمْ أرضٌ لأرْجُلِكم وأنْتُم لأرؤُسِهِم وأعينهم[٤] سَمَاءُ

دخل نُصيْب يوما على[٥] عبد العزيز بن مروان ، فأنشده قَصِيدَةً له مدحه بها ،

(١) فى غ : ترحا .
(٢) فى غ : من .
(٣) فى غ : علمنه .
(٤) فى ا و ت . وأرجلهم .
(٥) فى غ : إلى .

فأعجبته ، فأقبل على أَيْمنَ بن خُرَيم فقال له : كيفَ تَرَى شِعْرَ مَوْلَاى هذا ؟ قال : هو أشعر أهل جِلْدَته فَقَط، قال : هو واللهِ أشعرُ مِنْك . قال : أمِنّى أيُّهَا الأمِير . قال : إى والله ، قال : لا والله ، ولكنك ملول ، قال : لو كنتُ كذلك ما صبرت على مُوًا كَلَتِك سَنَة وبك من البَرَص[1] ما بِك ، وكان بهِ وَضَح ، قال : ائذن لِى أَيُّها الأمير فى الانصراف ، قال : ذلك إليك ، فمضَى لوجهه إلى بِشْر ابن مَرْوان وهو عَلَى العِرَاق ، وقَالَ:

رَكبتُ من المُقَطَّم فى جُمَادى ... إلى بشر بن مروان البَرِيدا
ولو أعطاكَ بشرٌ ألفَ ألْف ... رأى حَقًّا عليه أن يَزِيدا
أميرَ المؤمنين أقِم بِبشْر ... عمودَ الدّين إنَّ لهُ عَمُودا
ودَعْ بِشْراً يُقَوِّمهم ويُحْدِث ... لأهْلِ الزَّيْغ إسلاما جَدِيدا
وإنَّا قد وَجَدْنا أمَّ بِشْر ... كأُمِّ الأُسْدِ مِذْكَاراً[2] وَلُودَا
كأنَّ التاجَ تَاجَ بَنِى هِرَقْل ... جَلَوْه لأعْظَم الأيَّام عِيدَا
يُحَالِف لونُه دِيبَاجَ بِشْر ... إذَا الألوانُ خَالَفَت الخُدُودَا

يعرِّض بنَمَش كان بِوَجْه عبد العزيز ، فوصله بشر بمائة ألف دِرْهم ، ولم يَزَل عِنْدَه .

ولما أَتى أيمنُ بنُ خُرَيم بِشْرَ بن مَرْوَان ، نظر إلى الناس يدخلون أَفْوَاجاً إليه، فقال : مَنْ يُؤْذِن بِنا[3] الأميرَ وَيَسْتَأْذِن لَنا ؟ فقِيلَ له : ليس على الأمِير حُجَّاب ولا ستر ، فدَخَل وهو يقول :

---

(١) فى ت : المرض .

(٢) كذا فى ا وفى ت : كلثوا .

(٣) فى غ : لنا .

يُرَى بَارِزاً للنَّاس بشرٌ كأنَّه إذا لاح فى أثوابه قمرٌ بدر
ولو شاء بشر أغلقَ البَابَ دُونَه(١) طَمَاطِمُ سُودٌ أو صَقَالِبةٌ شُقْر
أَبى ذَا ولَكِن سَهَّلَ الإذْنَ لِلتى يَكُون له فِى غِبِّها الحَمْدُ والشُّكْر

فضحك بِشْر إليه وقال: ياقَوْم إنما نَحْجُبُ الحُرَم ، فأَمَّا الأموالُ والطعَام فلا .

وأمر له بعشرة آلاف دِرْهم .

(١) فى ت : ولو أن بشرا غلق الباب دونه .

أَبُو نُخَيْلة الحمانى

أَبُو نُخَيْلة اسمٌ لا كُنْيَةٌ(١)، وكُنْيَتُه أَبُو الجُنَيد، وقيل: أبو العِرْمَاس وهو ابن حزن بن زَائِدَة بن لَقِيط بن هَرِم بن أثربى بن ظَالم بن مُجَاشِر(٢) بن يقدم بن يثربى بن حِمَّان(٣) بن عَبْدِ العُزَّى بن كَعْب بن سَعْدِ بن زيد مَنَاة بن تميم.

وكان عَاقًّا بأَبيه، فنفَاه أَبُوه عَنْ نَفْسه، فتأَدَّبَ بالبَادِيَة حَتَّى شَعَر، وسَارَ شِعْرُه فى البَدْوِ والحضَر فَخَرَجَ إِلَى الشَّام فأَقَام هناك إِلَى أَنْ مَات أبُوه، ثم عاد وبقى مَشْكُوكًا فى نَسَبه مَطْعُونًا عَلَيْه. وكان الأَغلبَ على شِعْرِه الرَّجَزُ، وله قَصيد ليس بالكَثِير.

ولمَّا خَرَج إِلَى الشام اتصل بِمَسْلَمة بْنِ عَبْدِ المَلِك فاصْطَنَعَه وأحسنَ إِلَيْه وأَوْصَلَه إِلَى الخُلَفاء وَاحِداً بعد وَاحِد واسْتَمَاحَهم له فأَغْنَوْه.

وكان بَعْدَ ذلك قَلِيلَ الوَفَاء لَهُم وانْقطع إِلَى بَنى هَاشِم ولَقَّبَ نفسه شَاعِر بَنى هَاشِم فمدح بنى العَبَّاس وهَجَا بَنى أُمَيَّة فأكثر.

وكان طَامِعا فحَمَله ذَلِك على أَنْ قَالَ فى المَنْصُورِ أُرْجُوزَةً يُغرِيه فِيهَا بِخَلْع عِيسَى بن مُوسَى وبعَقْد العَهْد(٤) لابنه مُحمَّد المَهْدِى فوصَلَه أَبُو جَعْفَر

---

(١) قال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ٥٨٣ : اسمه يعمر، وإنما كنى أبا نخيلة، لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة. وقال ابن دريد فى الاشتقاق : كنى بهذا لأن أمه ولدته فى أصل نخلة، وكان يطعن فى نسبه.

(٢) كذا فى غ و ا و ت، ولعله مخاشن فقد قال ابن دريد : بنو مخاشن : بطن من العرب من قضاعة ومنهم أبو نخيلة.

(٣) فى خزانة الأدب ١ / ٧٩ : حمان « بكسر المهملة وتشديد الميم ».

(٤) كذا فى غ وتاريخ الطبرى ؛ وفى ت : العقد.

بألفَى دِرْهم ، وأمرَه أن يُنْشِدَها بحَضْرة عِيسَى ، ففعل فطَلَبه عِيسَى فهرَب مِنْه ، فبعَثَ فى طَلَبِه قَطَرِيًّا مَوْلًى لَهُ فأدرَكَه فى طَرِيق خُرَاسَان فذَبَحه وسَلَخَ جلده(١) وأَقْسَم لايَرِيمُ مَكانَه حتى تمزّقَ الطيرُ والسِّباعُ لحمَه ، فأقام حتّى لم يَبْقَ إلّا عِظَامُه وانصرَف . بَنى أبو نُخَيْلَة دارَه فمرَّ به خَالِدُ بْنُ صَفْوَان ، فوَقَفَ عَلَيْه . فقال أبو نُخَيْلة : ياأبْنَ صَفْوَان كَيْفَ تَرَى دَارِى ؟ قال: رأيتُك سأَلْتَ فِيهَا إلْحَافاً وأنفقْتَ مِمَّا جمعْتَ لَهَا إسْرَافاً ، وجعَلْتَ إحْدَى يدَيْك سَطْحًا ومَلأْتَ الأخرى سَلْحًا وقلتَ : مَنْ وضع فى سَطْحِى وإلّا ملأته بسَلْحِى ، ثم وَلّى وتركه ، فقيل له : ألَا تَهْجُوه ؟ فقال : إذًا واللهِ يرْكَب بَغْلَته ويَطُوفُ فى مَجالس البَصْرة يَصِفُ أَبْنِيَتى بما يَعِيبُها ، وما عَسَى أن يَضُرَّ الإنسانَ صِفَةَ أَبْنِيَته بما يَعِيبُها سنة ، ثم لا يُعِيدُ فيها كَلِمَة .

قال أبو نُخَيْلة : وفَدْتُ على مَسْلَمَة بن عبد الملك فمدَحْتُه وقُلْتُ فِيه :

أَمُسْلِمِ إنِّى يا ابْنَ كلِّ خَلِيفَة(٢) ... ويا فَارِسَ الهَيْجَا ويَا جَبلَ الأَرْضِ
شَكَرْتُكَ إنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى ... وما كُلُّ مَنْ أَقْرَضْتَه نِعْمَةً يَقْضِى
وأَلْقَيْتَ لَمَّا أَنْ أَتَيْتُكَ(٣) زَائِراً ... عَلَىَّ لِحَافاً سَابِغَ(٤) الطُّولِ والعَرْضِ
وأَحْيَيْتَ لى ذِكْراً وما كُنْتُ خَامِلاً(٥) ... ولَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

فقال لى مَسْلَمَة : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فقلتُ : مِن بنى سَعْد . فقال : ما لكم يا بنى سَعْد والقَصَائد ؟ إنما حَظُّكم فى الرَّجَز ، فقلت له : أنا واللهِ أَرْجَزُ العرب . قال : فأَنْشِدْنى

---

(١) كذا فى ت وغ . وفى ا والخزانة : وجهه .
(٢) كذا فى ا وت وغ . وفى كتاب الحيوان للجاحظ ٢ / ١٠٠ : خير خليفة .
(٣) كذا فى غ وفى ا و ت : رأيتك .
(٤) كذا فى غ وفى ا و ت : واسع
(٥) فى كتاب الحيوان للجاحظ ٢ / ١٠٠ : فأحييت من ذكرى وما كان خاملا .

من رَجَزِك فكأنّى لمّا قال لى ذلك لم أَقُلْ رَجَزاً قطّ وأُنْسِيتُه كلَّه ، فما ذكرتُ منه ولا مِن غيره شَيْئاً سِوَى أُرْجُوزَةٍ لِرُؤْبَةٍ كان قَدْ قَالَها فى تِلْك السَّنَة وظَنَنْت أنها لم تَبْلُغ مَسْلَمَة ، فأنشدتُها فنَكَّس وتَعْتَعْتُ ، فرفع رأْسَه إلَىّ وقال : لا تُتْعِب نَفْسَك ، فأنا أَرْوَى لها مِنْك ، قال : فانصرَفْتُ وأنا أَكْذَبُ النَّاسِ عِنْدَه وأَخْزَاهم عند نَفْسِى حتّى تَلَطَّفْتُ بعد ذلك ومَدَحْتُه برَجَزٍ كثير[1] فعرَفَنى وقَرَّبَنى ، وما رأيتُ ذلك فِيه رحمه اللهُ قطّ ولا قرّعَنى به حتّى افْتَرَقْنا .

قَدِم أبو نُخَيْلَة على المُهَاجِر بن عبد الله الكِلَابى وكان أبو نُخَيْلَة أَشْبَه خَلْق الله به وَجْهاً وجِسْماً وقَامَةً لا يكادُ النّاظِرُ إلى أحدهما يُفرّق بينَه وبين الآخر ، فامتدَحَه بأُرْجُوزة ، فأمر له المُهَاجِر بِنَاقَة فرَدَّها وهَجَاه ، فبَلَغ ذلك المُهَاجِر فبعَث وتَرَضَّاه ، وقَامَ فى أمره بما يُحِبّ وَوَصَلَه ، فقال أبو نُخَيْلَة : هذه صِلَةُ المَدِيح فأَيْنَ صِلَةُ الشَّبَه ، فإنَّ التَّشَابُه فى النَّاسِ نَسَب ، فوَصَلَه حتى أَرْضَاه ، فلم يزَل يَمْدَحُه بعد ذلك إلى أنْ ماتَ ورَثَاه بعد وفاته .

[2][قال أبو نُخَيْلَة : وفدت على هِشام بن عبدالملك ، فصادَفْتُ مَسْلَمَة قد ماتَ ، وكنت بأَخْلاق هِشَام غِرًّا وأنا غَرِيب ، فسألتُ عن أَخَصّ النَّاس به ، فذُكِرَ لى رَجُلان ، أحدُهما من قَيْس ، والآخَرُ من اليَمَن ، فعَدَلْتُ إلى القَيْسِى بالنِّزَارِيَّة وقُلْتُ : هو أَقْرَبُهما إلَىّ وأَجْدَرُهما بما أُحِبّ ، فجَلَسْتُ إليه ، وَوَضَعْتُ يَدِى على ذِراعه ، وقلتُ له : إنى مَسَسْتُك لتَمَسَّنِى رَحِمُك ، وأنا رَجُل غَرِيب شاعر من عَشِيرَتِك ، وأنا غَيْرُ عارِفٍ بأَخْلاقِ هذا الخليفة ، وأَحْبَبْتُ أنْ تُرْشِدَنى إلى ما أَعْمَل ، فيَنْفَعَنِى عِنْدَه ويَشْفَع لى وتُوصِلُنى إليه ، فقال : ذلك كلُّه لَكَ ،

(١) كذا فى ت وغ . وفى ا : كبير .
(٢) الخبر كله ساقط من ت وقد أثبته عن ا .

عَلَى أنَّ الرَّجُل فيه شِدَّة ليسَ كَمَن عَهِدْت من أهْلِه ، وإذا مُدِحَ[1] وخُلِطَ مَدْحُه بطَلَب حَرَم الطَّالِب ، فأَخْلِص له فى المَدْح ، فإنَّه أَجْدَرُ أن ينفَعَك ، واغْدُ إلَيْه غداً ، فإنى منتَظِرُك بالبابِ حتَّى أوصلك إليه ، والله يُعِينُك ، فصِرْتُ من غده إلى بابِ هِشَام ، فإذا أنا بالرَّجُل يَنْتَظِرُنى ، فأَدْخَلَنى مَعَه ، وإذا أنا بأبى النَّجْم قد سَبَقَنى فأَنْشَدَه :

إلى هِشامٍ وإلَى مَرْوَان   بَيْتَان مَامِثْلُهُمَا بَيْتَـان
كفَّاكَ بالجُـــودِ تبارَيَان   كما تَبَارَى فَرَسا رِهَان
مَالَ علَىَّ حَدَثُ الزَّمَان   وبعْتُ[2] ما يَغْلُو من الغِلْمَانِ
بالثَّمَن الوَكْسِ مِنَ الأَثْمَان   والمُهر بَعْدَ المُهر والحِصَانِ

قال : فأَطَالَ فِيهَا ، وأَكْثَر المَسْأَلَة حتى ضَجِر هِشَام ، وتَبَيَّنْتُ الكَرَاهَةَ فى وَجْهِــه ، ثم استأْذَنْتُه فى الإنْشَاد ، فأَذِنَ لِى ، فأنشــدتُه أرْجُوزَتى الَّتى فِيهَا :

إلى أميرِ المُؤْمِنِين المُجْـــدى   ربِّ مَعَدٍّ وسِوى مَعَــدٍّ
مِمَّن دَعَا من أَصْيَد وَعَبْــدِ[3]   ذِى المَجْد والتَّشْرِيفِ بَعْدَ المَجْدِ
فى وَجْهِه بَدْرٌ بَدَا بالسَّعْدِ   أنت الهمَام القَرْم عِنْــدَ الجِد
طَوَّقتها مُجتمِــعَ الأَشُدِّ   فانهلَّ لَـمَّا قمت صوبُ الرَّعْدِ

حتى أتيتُ عليهــا ، وهَمَمْتُ أنْ أَسْأَلَه فيها ، ثم عَزَفَتْ نَفْسِى ، وقلت : قد اسْتَنْصَحْتُ رجلًا فأَخْشَى أن أُخَالِفَه فأُخْطِئ ، وحانَت مِنِّى الْتِفَاتَة ، فرأيتُ

---

(١) فى ا : سئل .
(٢) فى غ : وبيع .
(٣) فى غ ونجد : .

وجهَ هِشام مُنْطَلِقاً ، فلما فرَغتُ أَقْبَل على جُلَسائه ، وقال : الغُلَامُ السَّعْدِى أشعَرُ من الشَّيْخ العِجْلى ، وخَرَجْتُ . فلما كان بعد أيَّام أتتنى جائِزَتُه .

ثم دخلتُ عليه بعد ذلك ومَدَحْتُه بقَصِيدَة فأنْشَدْتُه إيَّاها ، فألْقَى عَلَىَّ جُبَّة خَزٍّ من جِبَأٍ به مُبَطَّنَة بسَمُّور . ثم دخَلْتُ عليه يوماً آخر فكَسَانى دُوَاجاً[1] كان عليه من خَزٍّ أحمر مُبَطَّن بسَمُّور . ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلم يأْمُر لى بشَىْء ، فحمَلْتُ نَفْسِى على أن قُلْتُ له :

كَسَوْتَنِيها فَهِىَ كالتِّجْفافِ ... مِن خَزِّك المَنْصُوبَة[2] الكِتَافِ

كأنَّنى فيهـا وفى اللِّحَافِ ... مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ أو بنى مَنَافِ

والخزُّ مُشْتَاقٌ إلى الأفْوَافِ

قال : فضَحِك ، وأَدْخَلَ يَدَه فيها فنَزَعَها ورَمَى بها إلىَّ وقال : خُذْها لا بَارَكَ اللهُ لكَ فيها][3] .

كان عُمَرُ بنُ هُبَيْرَة قد حَبَس الفرزدق وهو أميرُ العِرَاق وأَبَى أن يُشَفِّع فيه أَحداً ، فدخَل عليه أبو نُخَيْلَة فى يوم فطر ، فوَقَفَ بين يديه وقال :

أَطْلَقْتَ بالأَمْسِ أَسِيرَ بَكْرِ ... فهل فِدَاكَ نَفَرِى وَوَفْرِى

مِنْ سَبَبٍ أو حُجَّةٍ أو عُذْرِ ... تُنْجِى التَّمِيمِىَّ القَلِيلَ الشُّكْرِ

مِن حلَقِ القَيْدِ الثِّقَال السُّمْرِ ... ما زالَ مَجْنُوناً تَمرَّ الدَّهْرِ[4]

ذا حَسَبٍ يُعْلِى وعَقْلٍ يُزْرِى ... هَبْه لأَخْوَالِك يَوْمَ الفِطْرِ

فأمَر بإطْلاقه وكان قد أَطْلَقَ قَبْلَه رجلا من عِجْل ، جِىءَ به من عَيْنِ التَّمْرِ ،

---

(١) الدواج كغراب ورمان : اللحاف الذى يلبس .

(٢) كذا فى ا و ت وفى غ : المصونة .

(٣) الخبر كله ساقط من ت والتكملة من ا .

(٤) كذا فى ا وت وفى غ : على است الدهر . بدل تمر الدهر .

قد أفسد ، فشفعت فيه بكر بن وائل فأطلقه ، وإياه عنى أبو نخيلة . فلما خرج الفرزدق سأل عمن شفع فيه ، فأخبر فرجع إلى الحبس وقال : لا أريمه ولو مت ، أيطلق قبلي بكري وأطلق بشفاعة دعي ، والله لا أخرج هكذا ولو من النار . فأخبر ابن هبيرة بذلك فدعا به وأطلقه ، وقال : قد وهبتك لنفسك ، وكان سبب حبسه أنه هجاه .

ولما عزل ابن هبيرة وحبس مدحه الفرزدق فكان يقول : ما رأيت أكرم منه [هجاني أميراً ، ومدحني أسيراً . وقيل : إن هذه الأرجوزة قيلت في غير الفرزدق](١) .

دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح وكان لا يجترئ عليه لما كان السفاح يعلمه من اصطناع مسلمة لأبي نخيلة وكثرة مديحه له ولبني أمية(٢) حتى علم أنه قد عفا عن أكبر جرماً وأعظم محلاً منه ، فلما وقف بين يديه سلم عليه ودعا له ، وأثنى عليه ، ثم استأذن في الإنشاد فقال له : ومن أنت ؟ قال: عبدك يا أمير المؤمنين أبو نخيلة الحماني . فقال : لا حياك الله ولا قرب دارك يا نضو السوء ألست القائل في مسلمة :

أمسلم إني يا ابن كل خليفة ويا فارس الهيجاء ويا جبل الأرض(٣)

أما والله لولا أنني قد أمنت نظراءك لما ارتد إليك طرفك حتى أخضبك بدمائك . فقال له أبو نخيلة :

كنا أناساً نرهب الأملاكا إذ ركبوا الأعناق والأوراكا
قد ارتجيناا زمناً أباكا ثم ارتجينا بعده أخاكا

---

(١) بياض بالأصل ، والتكملة من ا .
(٢) في غ : لبني مروان .
(٣) في غ : يا من ساد كل خليفة . . ويافقر الأرض .

ثم ٱرتَجَيْنَاكَ لَهَا إِيَّاكَا وَكَانَ ما قُلْتُ لِمَنْ سِوَاكَا
زُورًا وقَدْ كَفَّر هذا ذاكا

فتبَسَّم أبو العَبَّاس ثم قال له : أَنْتَ شَاعِر وطَالِب خَيْر ، وما زالَ النَّاسُ يَمْدَحُونَ المُلُوكَ فى دوَلِهِم ، والتَّوْبَةُ تُكَفِّر الخَطِيئَة ، والظَّفَر يُزِيلُ الحِقْد ، وقد عَفَوْنا عنك ، واستأْنَفْنَا الصَّنِيعَة لَكَ ، فأنتَ الآنَ شاعِرُنا فتَسَمَّ بذلك لِيَزُول عنك مِيسَم بنى مَرْوَان ، فقد كَفَّر هذا ذاكَ كما قُلْتَ . ثم ٱلتفَتَ إلى أبى الخصِيب فقال : يا مَرْزُوق أَدْخِلْه دارَ الرَّقيق فخَيِّره جارِيَةً يأخُذْها لنفْسه ، ففَعَل فاخْتَار جارِيَة وَطْبَاء[1] كثيرة اللَّحْم فلَمْ يَحْمَدْها ، فلما كان من الغَدِ دَخَل على أبى العَبَّاس وكان على رَأْسِه وَصِيفَة حَسْنَاء تَذُبُّ عنه ، فقال له : قد عَرَفْتُ خَبَر الجارِيَة التى أخذتَها وهى كَذَّبَا دَنَوَّكَه فاحتفظ بها فأنشأ يقول :

إِنِّى وَجَدْتُ الكَذَّبَا دَنَوَّكَا[2] غَيْرَ مَنِيك فَٱبْغِنِى مُنَيَّكَا
حَتَّى إذا حرَّكْته تَحَرَّكا

فضَحِك أبو العباس وقال له : خُذْ هَذِه الوَصِيفَة؛ فإنَّك إذا خَلَوْت بِهَا تحرَّك من غير أن تُحَرِّكه .

وكَانَ أَبُو نُخَيْلة بذلا يُرْضِيه القَلِيلُ ويُسْخِطهُ وكان الرَّبِيعُ ينزله عنده ويأْمُرُ سَائِساً له يَتَفَقَّدُ فرسَه فمَدَحَ الرَّبِيعَ بأُرْجُوزَة ومَدحَ مَعَه سَائِسه فقَالَ :

ومن صَلَاحِ رَاشِدٍ أَصْطَبْلُه نِعْمَ الفَتَى وخَيْرُ فِعْلٍ فِعْلُه
يَسْمَنُ مِنْه طِرْفُه وبَغْلُه

فضحك الرَّبِيع وقال لهُ : يا أَبَا نُخَيْلة أتَرْضَى أن تَقْرِنَ بِىَ السَّائِس فى مَدِيح ؟ كأنَّك لولم تَمْدَحْهُ مَعِى كان يُضَيِّعُ فَرَسَك.

---

(١) الوطباء : العظيمة الثدى . وفى ت : وطفاء .

(٢) كذا فى ا وت . وفى غ : الأنديان الـكودكا . وكودك معناها فى الفارسية فتى .

قال أَبَان بنُ عَبْدِ الله النُّمَيْرِى يوماً لُجلَسَائه وفيهم أبو نُخَيْلة : والله لَوَدِدْتُ أنه لَوْ قِيلَ فِيّ مَا قِيل فى جَرِير بْنِ عَبْدِ الله :

لَوْلَا جَرِيرٌ هَلَكَت بَجِيلَهْ   نِعْمَ الفَتَى وبِئْسَتِ القَبِيلَهْ

وأَنَّنِي أُثَبْتُ(١) على ذلك . فقال له أَبُو نُخَيْلة : هَلُمَّ الثَّوَاب فقد حَضَرَنِى مِنْ ذَلِكَ ما تُرِيد ، فأمر له بدراهم فَقَالَ : [اسمع يا طالب ما يجزيه](٢) :

لَوْلَا أَبَانٌ هَلَكَت نُمَيْرُ   نِعْمَ الفَتَى ولَيْسَ فِيهم خَيْرُ

أَقْحَمَت السنةُ أَبَا نُخَيْلة فأَتَى القَعْقَاع بن ضِرَار وهو يَوْمَئِذ على شُرْطَة الكُوفَة ، فمَدَحه فأَنْزَلَه القَعْقَاع وأَبْنَيْه وعَبْدَيْه وَرِكَابهم فِي دَار ، وأقام لَهُم الأَنْزَالَ ولركابهم العُلوفة ، وكان طَبَّاخ القَعْقَاع يأْتِيهم فى كُلِّ يوم بأَرْبعِ قِصَاع ، فيها أَلوَانٌ مَطْبُوخَة من لُحُومِ الغَنَم ، ويأْتِيهم بتَمْرٍ وزُبْد ، فكان أَبُو نُخَيْلة يُكْثِر الأَكْلَ مما يأتيه فتُخِم ، فدَخَل عَلَى القَعْقَاع فسَأَله : كيف أَصْبَحْتَ ؟ فقال : أصبحتُ والله بَشِماً أمرت خبازك فأَتَانِي بهذَا الرُّقَاق الَّذِى كَأَنَّه الثِّيَابُ المَبْلُولَة قد غَمَسَه فى الشحم غَمْساً وأَتْبَعَه بِزُبْدٍ كرأس النعجة الخوسيّة(٣) ، وتمر كَأَنَّه عَنْزٌ رَابِضَة إذَا أَخَذَتِ التَّمْرَة مِنْ مَوْضِعِها تَبِعها من الرُّب كالسُّلُوك المَمْدُودَة ، فأمعنت من ذلك(٤) وأعجبنى حتى بشمت فهل من أقداح جِيَاد ؟ وبَيْنَ يَدَى القَعْقَاع حَجَّام وَاقِف وسُفْرَة(٥) موضوعة فيهَا المَوَاسِي فإِذَا أَتَى بِشُرَّاب النَّبِيذ حَلَق رءوسهم ولِحَاهم . فقال لى القَعْقَاع : أتطلب مِنِّى النَّبِيذَ وأَنْتَ تَرَى ما أَصْنَع بشُرَّابه ؟ عليكَ بالعَسَل والمَاء البَارِد. فوثب أَبُو نُخَيْلَة فَقَالَ :

---

(١) بياض بالأصل : والتكملة من ا وغ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ت موجود فى ا وغ .

(٣) فى غ : الخرسية ! والخوسية : السمينة .

(٤) فى ت : الزبد .

(٥) كذا فى ا و ت وفى غ : صفرة .

قد عَلِم المَظَلُّ والمَبِيت ... أنِّى من القَمْقَاعِ فيما شِيتُ
إذَا أتتْ مائدةٌ أُتِيتُ ... بِبِدَعٍ ليس بها غُذِيتُ
ولو تمنَّيْتُ الَّذِى أُعْطِيت ... ما أزددْتُ شَيْئاً فَوْقَ ما لَقِيتُ[1]
أيَا ابْنَ بَيْتٍ دُونَه البيُوت ... أقصِر فقَدْ فوقَ القِرَى قُرِيت
ما مِنْ شَرَابِى عَسَل مَنْعُوت ... لَكِنَّنِى فى القوم[2] قَدْ أُرِيت
رِطْلَ نَبِيذ مُخْفِسٍ[3] سُقِيت ... صُلْباً إذا جاذَبْتُه رَوِيتُ

فغمزه على ابن أَخِيه[4]، وأَومأَ إلى إسْماعيل، فأخذَه بِيَدِه ومضى به إلَى مَنْزِله، فسَقَاه حَتَّى صلح .

---

(١) كذا فى ا وغ وفى ت : أعطيت .

(٢) فى ا وت : فى النوم .

(٣) شراب مخفس : سريع الإسكار .

(٤) فى ا و ت : فغمزه على إسماعيل ابن أخيه وأومأ إلى إسماعيل .

أُمَيَّة بن الأَسْكَر (١) اللَّيْثِي

هو أُمية بن حُرْثَان بن الأَسْكَر بن عَبْد الله بن سَرَابيل المَوْت (٢) بن زُهْرة ابن زبيبة (٣) بن جُنْدَع بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة بن كِنَانَة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكَة ابن إلْيَاس بن مُضَر شاعِر فَارِس مُخَضْرَم ، أدرك الجاهِلِيَّة والإسْلَام . وكان من فرسان قومه وسَادَاتِهم ، وله أيام مأثورة مذكورة.

وكان له أخ يقال له: لاعق الدم (٤) وكان من فرسان قومه وشعرائهم .

وابنه كِلَاب بن أُمَيَّة أَدْرَكَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأَسْلَمَ مع أَبيه ، ثم هَاجَر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أَبُوه فيه شعرا ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بِصِلَةَ أَبيه وطَاعَته ومُلَازَمته .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعْمَل كِلَابا ، وعاش حتى وَلِي لِزِيَادٍ الأُبُلَّة ، ثم استعفاه عن الأُبُلة ، وكان أبواه يَنْتَابَانه (٥) ، يأْتِيه أَحدُهما فى كُلِّ سَنَة ، ثم أبطآ عليه وكبرا وضعفا عن لقائه ، فقال أبياتا أَنْشَدَها عُمَر - رَضِي الله عنه - فرَقَّ له وردّه إِلَيهِما ، فلم يلبَث مَعَهُما إِلَّا مُدَّة حتى نَهَشَتْه أَفْعَى فمات ، قالوا : وهذا وَهْم ؛ لأنْ كِلابا عَاشَ حَتَّى وَلِيَ لِزِياد الأُبُلَّة ، ثم استَعْفَاه فأَعْفَاه .

---

(١) فى ترجمته فى الإصابة رقم ٢٥١ : الأسكر بالسين المهملة فيما صوبه الجيانى ، وضبطه ابن عبد البر بالمعجمة .

(٢) كذا فى ا و ت وخزانة الأدب . وفى غ : زينبة ، وفى الإصابة : ربينة وفى هامش سمط اللآلى / ١٢ : زبينة .

(٣) كذا فى ا و ت . وفى غ : أبو لاغق الدم .

(٥) كذا فى غ و ا . وفى ت : يأتيانه.

وكان كِلاب بن أُمَيَّة قد هاجَر إلى المدينة فى خِلافَة عُمَر — رضى الله عنه — فأَقامَ بها مُدَّة ، ثم لَقِيَ ذاتَ يوم طَلْحَةَ والزُّبَيْر ، فسأَلَهُما : أَيُّ الأعمالِ أَفْضَل ؟ فقالا : الجِهاد ، فسَأَلَ عُمَر ، فأَغْزَاه فى جَيْش ، وكان أَبُوه قد كَبِر وضَعُف ، فلما طالَتْ غَيْبَتُه عنه قال :

لمَنْ شَيْخَان قد نَشَدا كِلاباً ... كِتَابَ الله لو قَبِلَ[1] الكِتَابَا

أُنَادِيه فيُعْرِض فى إبَاءٍ[2] ... فَلَا وأَبِى كِلابٍ ما أَصَابَا

تَرَكْتَ أَباكَ مُرْعَشَةً يَدَاهُ ... وأُمَّك ما تُسِيغُ لها شَرَابَا

وإنَّكَ وَالْتِماسَ[3] الأَجْرِ بَعْدِى ... كَبَاغِى الماء يَلْتَمِس[4] السَّرَابَا

فبلَغَت أبياتُه عُمَرَ — رَضِيَ اللهُ عنه — فلم يردُد كِلابا ، وطال مقامه فأَهْتَر[5] أُمَيَّةُ وخَلَّطَ جَزَعاً عليه ، ثم أتاه يوماً وهو فى مَسْجِد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَوْلَه المُهَاجِرون والأَنْصَار فوَقَفَ عليه فأَنْشَأَ يَقُول :

أعاذل قد عَذَلْت بغَيْرِ قَدر[6] ... ولا تَدْرِين عَاذِلُ ما أُلَاقِى

فإمَّا كُنتِ عَاذِلَتِى فرُدِّى ... كِلَاباً إذْ توجَّــه للعراق

ولم أَقْضِ اللُّبَانَةَ من كِلَاب ... غداة غَدَا وآذن[7] بالفِرَاقِ

فَتَى الفِتْيان فى عُسْر ويُسْر ... شَدِيدُ الركن فى يوم التَّلَاقِى

فلا وأَبِيك مابَاليتُ وَجْدِى ... ولا شَغَفِى عليك ولا اشْتِيَاقِى

---

(١) فى غ : إن . وفى ذيل الأمالى / ١٠٨ : إن رقب .
(٢) فى ذيل الأمالى : أناديه وولانى قفاه .
(٣) فى خزانة الأدب : وابتغاء.
(٤) فى غ وخزانة الأدب : يتبع .
(٥) فى غ : فاهتز .
(٦) كذا فى ا وت وفى الخزانة : علم.
(٧) كذا فى ا و ت والخزانة . وفى غ : وأذن .

وإبقـائي عَلَيْك إذَا شَتَوْنَا ... وضَمّكَ تحت نَحْرِي واعْتِنَاقِي

فلو فلقَ الفؤادَ شديدُ وَجْدٍ ... لَهَمَّ سوادُ قَلْبِي بانْفِلاَقِ

سأسْتَعْدِي عَلَى الفَارُوقِ رَبًّا ... له عَمَدَ الحَجِيجِ إِلى بُسَاقِ(١)

وأَدْعُو اللهَ مُجْتَهِدا عَلَيْـه ... ببَطْنِ الأَخْشَبَيْنِ إلى دُفَاقِ(٢)

إن الفـارُوق لم يَرْدُد كِلاَباً ... إلى شَيْخين هَامُهُمـا زَوَاقِ(٣)

قال : فبَكَى عمر رضي الله عنـه بُكَاء شـديدا وكَتَب بِرَدِّ كِلاَب إلَى المَدِينة .

فلما قدم دخَلَ عليه فقال : مابَلَـغ من بِرِّك لأبيك ؟ قال كنت أَبُرُّه(٤) وأَكْفِيه أمرَه ، وكنت أَعْتمِد إذا أردتُ أن أحلُب له لَبَناً أَغْزَرَ نَاقَةٍ وأَسمَنَها فأُرِيحها وأَتْرُكها حتى تَسْتَقِر ثم أَغْسِل أخْلاَفَها حَتّى تبرد ثم أَحْتَلِب لَهُ وأَسْقِيه ، فبعث عمر إلى أبيه مَنْ جاء به فدخَل يتَهادى وقد ضَعُف بصَرُه وانْحَنَى ، فقال له : كيف أنْتَ يا أبا كلاب ؟ فقال : كما تَرَى يا أَمِيرَ المُؤْمِنين . قال : فهل مِنْ حَاجة ؟ قال : نعم ، كنت أَشْتَهِي أن أَرَى كِلاَباً فأشمّه شَمَّةً وأَضُمّه ضَمَّةً قبل أن أَمُوت ، فبكى عمر رضي الله عنه وقال : سَتَبْلُـغ في هَذَا ما تُحِب إنْ شَاءَ الله تعالى ، ثم أمر كِلاَباً أن يَحْلِب لأبيه نَاقةً كما يَفْعَل ويَبْعَثَ إليه بلَبَنِها فَفَعَل فناوله عمر الإِنَاء وقال : دُونَكَ هَذَا يا أَبَا كِلاَب ، فلما أَخَذَه وأَدْنَاه إلى فمه قال لِعُمر : والله يا أَمِيرَ المُؤْمنين أني لأَشمّ رَائِحَة يَدَي كِلاَب من هَذَا الإِنَاء . فبَكَى عُمَر

(١) كذا في معجم البلدان ١ / ٦٠٩ وبساق: جبل بعرفات. وأورد ياقوت القصة عند ذكر الجبل ، وفي طبقات الشعراء : له عمد الحجيج الى سباق. وفي ا وت وغ : له دفع الحجيج إلى سباق وفي الخزانة: له رفع الحجيج إلى سياق .

(٢) الأخشبان : جبلان . ودفاق : موضع قرب مكة .

(٣) زقت الهامة. ونحوها : صاحت . وفي طبقات الشعراء : رواق.

(٤) في غ : أدثره .

وقال : هذا كلاب عندك حَاضِر وقد جِئْنَاك به ، فوَثَب إلَى أبيه فضَمَّه إليه وقَبَّلَه وعُمَر يَبْكِي ومَنْ حَضَره وقال لِكلاب : اَلْزَم أبَوَيْك فَجَاهِد فِيهما مَا بَقِيا ثم شَأْنَك ونَفْسَك بَعْدَهُما ، وأمر له بعَطَائه ، وصرفه إلَى أبَوَيْه ، فلم يزل مقيما حتى مَاتَ أبَوَاه .

وعُمِّر أُمَيَّةُ بنُ الأسْكر طويلا حتى خَرِف :

وكان ذات يوم جَالِسا فى نَادِى قومه وهو يُحدِّث نَفْسَه إذ نَظَر إلى رَاعِي ضَأْن لبَعْض قَوْمه يتَعَجَّب منه فقام لينهض فسَقَطَ على وَجْهه فضَحِك الرَّاعى منه ، وأَقْبَل ابْنَاه إليه فلما رَآهُما أنشأ يَقُول :

يا ابْنَىْ أُمَيَّة إنِّى عَنْكُما غَانٍ ... وما الغِنَى غَيْر أَنِّى مُرْعَشٌ فَانِ

يا ابنَى أُمَيَّة إلَّا تَحْفَظَا [(١)] كِبَرِى ... فإنَّما أَنْتُما والثُّكْل سِيَّانِ [(٢)]

أصبحتُ فرداً لرَاعى الضَّأن يَلْعَبُ بى [(٣)] ... ماذا يَرِيبُك مِنّى رَاعِيَ الضَّان

أعجَب لغَيْرى إنِّى تَابِع سَلَفِى ... أَعْمَام مَجْدٍ وإخْوانِى وأَخْدَانى [(٤)]

وهذه الأبيات تَمَثَّل بها أميرُ المؤمنين عَلِىُّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه فى خُطْبة له على مِنْبَر الكُوفَة .

قال عبدُ الله بنُ عَدِى : شَهِدْتُ الحَكَمَيْن ، ثم أتيتُ الكُوفَةَ وكَانَتْ لى إلى عَلِىٍّ رَضِى الله عنه حَاجَة فلما دخَلْت عليه قال لى : مَرْحباً بِكَ ياابن أم قتّال

---

(١) فى ذيل الأمالى : تشهدا .

(٢) فى ذيل الأمالى ١٠٨ : فإن نأيكما والثكل مثلان

(٣) فى ذيل الأمالى : أصبحت هزءا لراعى الضأن أعجبه . وفى غ . يسخر بى بدل يلعب بى.

(٤) فى غ : أعمام مجد وأجدادى وإخوانى .

أَزائِراً جئتنَا أم لِحاجَة ؟ فقلت : كُلٌّ جاءَ بى ، جئتُ لِحاجَة وأحببْتُ أن أجدِّدَ بك عهدًا ، وسألته عن حديث فحدَّثنى على ألا أُحدِّثَ به أحداً ، فبينما أنا يوما بالمَسْجدِ فى الكُوفة إذا عَلِىٌّ رَضِى الله عنه مُتنكِّبا قرْناً فجعل يقول : الصَّلاة جامِعَة ، وجلَس على المِنْبَر ، واجْتَمَع النَّاس ، وجاءَ الأشْعَثُ بنُ قيْس ، فجلَس إلى جانِب المنْبَر ، فلما اجْتَمَع الناسُ ورضى منهم ، قام فحمد الله وأثْنى عَليه ، ثم قال : أيُّها النَّاس إنَّكُم تزْعُمُون أن عِنْدِى مِنْ رسُول الله صلى الله عليه وسلم ماليْسَ عِندَ النَّاس ! ألَا وإنَّه ليْس عندى إلَّا مافى قرْنى هذَا ، ثم نكَتَ كِنانَته ، فأخرَجَ مِنْهَا صَحِيفة فِيها : «المُسْلِمُون تتكَافأُ دِماؤُهم ، وهُم يدٌ على مَنْ سِوَاهم ، ألا لايُقْتَل مُؤْمِنٌ بكافِر ، ولاذُو عَهْد فى عَهْدِه ، ومَنْ أحدثَ حَدَثاً أو آوى مُحدِثاً فعلَيْه لعنةُ اللهِ والملائِكَةِ والنَّاسِ أجْمَعِين» . فقال له الأشْعَثُ بْنُ قيْس : هذه واللهِ عَلَيْك لا لَكَ ، دَعْها ترْحَل (١) ، فخفَضَ علىٌّ إليْه بَصرَه وقال له : مايُدْرِيك ما علىَّ مِمَّا لِى ، عليك لعْنَةُ الله ولعْنة اللَّاعنين حائِك ابنُ حائك مُنافِقٌ ابنُ كافِر ، واللهِ لقد أسرَكَ الإسْلَامُ مرَّة والكُفْرُ أُخْرَى ، فما فدَاكَ من وَاحدة مِنْهُما حَسَبُك ولا مالُك ، ثم رَفَع بصرَه وقالَ :

أصبحتُ فردًا لِراعِى الضَّأْنِ يلْعَبُ بى
ماذا يَرِيبُك منى راعِىَ الضَّأن

قلت : بأبى أنتَ وأمِّى ، قد كنتُ واللهِ أُحِبّ أن أسمعَ هذا مِنْك ، قال : هُوَ واللهِ ذَاكَ :

فما قِيلَ فيها بَعْدَنا مِنْ مَقالَة ولا عَلِقَت منا جَدِيداً ولا دَرْسا

---

(١) فى غ : نترحل .

ولَمَّا ماتَ أُمَيَّةُ بنُ الأَسْكَر عادَ ابنُه كِلاب إلى البَصْرَة ، وكان يَغزُو مع المسلمين ، وشهد فُتُوحَاتٍ كثيرة إلى أنْ بَقِي إلى أيَّام زِيَاد ، فوَلَّاه الأُبُلَّة ، فسَمِع يوماً عُثْمَانَ بن أبي العَاصِ يُحَدِّث أن دَاوُدَ النَّبِيَّ صلوات الله عليه كان يَجْمَع أهلَه في السَّحَر فيقول : ادعُوا رَبَّكم فإن في السَّحَر ساعةً لا يدعو فيها عبدٌ مؤمن إلَّا غُفِر له إلَّا أن يكون عَشَّاراً أو عَرِيفاً ، فلما سمع ذلك كلاب ، كَتَب إلى زِيَاد ، فاستَعْفَاه من عَمَله فأَعْفَاه .

ولم يزل كِلاب بالبَصْرَة حتى ماتَ بها . والمَرْبَعَةُ المَعْرُوفَة بمَرْبَعَة كِلاب مَنْسُوبَة إليه .

الأَغْلَبُ العِجْلِيّ

هو الأَغْلَبُ بن جُشَم بن سَعْد بن عِجْل بن جُشَم(١) بن صَعْب بن عَلِي بن بَكْر ابن وَائِل ، وهو أحد من عَمَّر فى الجاهلية طويلا وأدرك الإسلام فأسلم وحَسُن إسلامُه وهَاجَر .

وكان فِيمَن تَوَجّه إِلَى الكوفة مع سَعْد بن أَبِي وَقَّاص ونزَلها واُسْتُشْهِد فى وقعة نَهَاوَنْد فقَبْرُه هناك مع قُبُور الشُّهَدَاء .

وهو أَوَّل من رَجَزَ الأَرَاجِيز ، وسَلَك الناسُ طَرِيقَه ، وكانت العربُ تقول الرَّجَز فى الحَرْب والجِدّ والمُفَاخَرة وما جَرَى هذا المَجْرَى ، فتَأْتِى منه بأبيات يَسِيرة ، والأَغْلَبُ أولُ من قَصَّدَ الرجز .

قال الشَّعْبِي : كنتُ عند عمرَ بن الخطَّابِ رضى الله عنه وقد كَتَب إِلَى المُغِيرة ابن شُعْبة وهو على الكُوفَة : أن اُستَنْشِد مَنْ قِبَلك مِنْ شُعَراء أهل مِصْرك ما قَالُوا فى الإِسْلَام ، فاستَنْشَدَ الأَغْلَب ، فأنشده شَيئاً من شِعْره ، واستَنْشَدَ لَبِيداً ، فاُنْطَلَق وكَتَب سُورَةَ البَقَرة فى صَحِيفة وقال : أَبْدَلَنِى اللهُ عزَّ وجَلَّ هذه فى الإسلام مَكَانَ الشِّعر . فكتب المُغِيرة بذلك إِلَى عُمَر ، فنَقَص من عَطَاء الأَغلب خَمْسَمِائة وجَعَلَها فى عَطَاء لَبِيد ، فكتب الأَغْلَب إلى عمر : يا أَمِيرَ المؤمنين ، أَتَنْقُص عَطائى أن أَطَعْتُك ؟ فرَدَّ عليه خَمْسَمِائة ، وأقر عَطاءَ لَبِيد على أَلْفَين وخَمْسمِائة درهم .

وقيل : إِنَّ الأَغْلَب لَمَّا دخل على عُمَرَ رضى الله عنه قَالَ له : هِيهِ أنتَ القَائِل :

أرجَزاً تُرِيدُ أم قصِيدا ... لقد سألتَ هَيِّناً مَوْجُودا

---

(١) فى ا : الجيم .

فقال : يا أمير المؤمنين لَقَدْ أطمتُك ، فرَدَّ عليه الخمسَمائة .

وهو القائل فى سَجَاح لمَّا تزوجت مُسَيْلِمَة الكَذَّاب :

كأنَّ عِرْقَ أيْرِه إذَا وَدَى[1] حَبْلُ عَجُوز ضَفَرت سَبْعَ قُوَى
يَمْشِي عَلَى قَوائم خمس بَظَا[2] يَرْفَع وُسْطَاهُن من بَرْد النَّدَى
قالت مَتَى كنتَ أبَا الخَيْر مَتَى قال حديثاً لم يُغَيِّرْنِي البِلَى
ولم أُفَارِق خُلَّة لِي عن قِلَى فانتفشت[3] فَيْشَتَهُ ذَاتُ الشوى
مازَالَ عنها بالحديث والمُنَى قال ألا تَرَيْنَه قَالَت : أرَى
قَالَ ألا أُدْخِلُه[4] قالتْ : بَلَى فَشَام فيهاَ مثل مِحْرَاث الغَضَا
يقول لَمَّا غابَ فيها واستَوَى لِمِثْل ذا[5] كنتُ أحسِّيك الحَسَا

---

(١) الودى : الماء الذى يخرج أبيض رقيقا على إثر البول من الإنسان . وودى : سال .

(٢) كذا فى ا و ت . وفى طبقات الشعراء : يمشى على قوائم له خشى وفى غ : زكا بدل بظا .

(٣) فى غ : فانتسفت وكذلك ا وت . وفى طبقات الشعراء : فانتفشت فيشه ذات الشذى .

(٤) فى طبقات الشعراء : أشيمه .

(٥) كذا فى ا وت . وفى غ وطبقات الشعراء : لمثلها .

أَوْسٌ القُرَظِيّ

هوأَوْسُ بن دَنِّى القُرَظِيّ رجلٌ مِنْ بَنِى قُرَيْظَةَ ، وبنو قُرَيظة وبَنُو النَّضِير يقال لهم : الكاهِنانِ ، وهم من ولد الكاهن بن هارون بن عمران أخى موسى بن عمران عليهما السَّلام .

[وكانوا نزولا بنواحى يثرب بعد وفاة موسى بن عمران عليه السلام][1] وقيل : تفرّق الأزْد عند انفجار سَيْل العَرِم ونُزُولِ الأَوْس والخزرج بيثرب .

وكان سَاكِنُو المدينة فى أَول الدهر قبل بَنِى إسرائيل قوما من الأمم الماضية يقال لهم : العَمَالِيق ، وكانوا قد تفرقوا فى البلاد ، وكانوا أهل عز ومنعة وبغى شديد ، وكان ساكنو المدينة منهم بنوسعد وبنو الأزرق وبنو هفّ وبنو مَطْرُوق[2] ، وكان ملك الحجاز منهم رجل يقال له : أَرْقَم ينزل تَيْمَاء إلى فَدَكَ ، وكانوا قد ملأُوا المدينة ولهم بها نخل كثير وزَرْع .

وكان موسى عليه السلام قد بعَثَ الجنودَ إلى الجبابرة من أَهْل القُرى يغزوهم ، فبَعَث إلى العماليق جيشاً من بنى إسرائيل ، وأمرهم أن يقتلوهم جميعا إذا ظَهروا عليهم ، ولا يستبقوا منهم أحدا ، فقدم الجيشُ الحجازَ ، فأظهرهم اللهُ عزّ وجلّ على العَمَالِيق فقتلوهم أجمعين إلا ابناً للأَرْقَم ، فإنه كان وَضِيئاً جميلًا ، فضَنُّوا به على القتل ، وقالوا : نذهب به إلى موسى فيَرَى فيه رأيه ، فرجعوا إلى الشَّام ، فوجدوا موسى عليه الصلاة والسلام قد مات ، فقال لهم بنو إسرائيل : ما صنعتم ؟ فقالوا :

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ت والتكملة من ا .

(٢) كذا فى ت و غ . وفى ا : مطروف .

أظهرَنا الله عليهم فقتلناهم فلم نُبْقِ منهم أحداً غيرَ غلام كانَ شاباً جميلًا نَفِسْنا به عن القتل(١) ، فقلنا: نَأْتِي به مُوسَى فيَرَى فيه رأْيَه ، فقالوا لهم: هذه معصية وقد أُمِرْتُم ألا تَسْتَبْقوا أحداً منهم ، والله لا تدخلوا علينا الشَّامَ أبداً ، فلما مُنِعوا من ذلك قالوا : ما كان لنا خيراً من منازل القوم الذين قتلناهم ، نَرجعُ إليها فنُقيم بها ، فرجعوا على حاميتهم حتى قدموا المدينة فنزلوها ، فكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود المدينة(٢) ، فانتشروا فى نَوَاحِى المدينة كلها إلى العالِيَة ، فاتخذوا بها الآطام والأموال والمزارع ، ولَبِثوا بالمدينة زمانا طويلا .

ثم ظَهَرَت الرُّوم على بنى إسرائيل جميعاً بالشَّام ، فوطئوهم وقتلوهم ، ونَكَحوا نساءَهم ، فخرج بنو النَّضِير وبنو قُرَيْظَة وبنو بهدل هاربين منهم إلى مَنْ بالحجاز مِنْ بنى إسرائيل فلما فَصَلوا عن الشام بأهليهم بَعَث ملك الروم فى طلبهم لِيَرُدَّهم ، فأَعْجَزُوه ، وكان ما بين الشَّام والحجاز(٣) مَفَاوِز ، فلما بلغ طَلَبُ(٤) الروم الثَّمَدَ انقطعت أعناقهم عَطَشًا فماتُوا ، وسُمِّيَ الموضعُ ثَمَد الروم ، فهو اسْمُه إلى اليوم .

فلما قَدِم بنو النَّضِير وبنو قُرَيْظَة وبهدل المدينة نزلوا الغابة فوجدوها وَبِيئَةً ، فكَرِهُوها ، وبعثوا رائداً وأَمَرُوه أن يَلْتَمِس لهم منزلا سواها، فأتى العَالِيَة وهى بُطحانُ ومَهْزُورٌ واديانِ يهبطان من حَرَّةٍ على تِلَاع عذبة تُنْبِت حُرَّ الشَّجَر ، فرجع إليهم فقال : وجدتُ لكم بلداً طَيِّباً نَزِهاً على حَرَّة يَصُبُّ منها وَادِيَان على تِلاع عَذْبَة ومَدَرَةٍ طَيِّبَة فى مُتَأَخَّرِ الحَرَّة(٥) فتَحَوَّلوا إليها من منزلهم ذلك ، فنَزَل بنو النَّضِير

---

(١) فى غ : على القتل .

(٢) كذا فى ا وغ . وفى ت : المدينة اليهود .

(٣) فى ا : ما بين الشام وبين الحجاز .

(٤) فى ت : صاحب « تحريف » .

(٥) فى ا و ت : الحرم .

ومَنْ معهم على بُطْحَان ، وكانت لهم إبل نواعم ، فاتَّخَذُوها أموالًا ، ونزلت قُرَيْظَة وبنو بهدل ومَن معهم على مَهْزُور ، فكانت لهم تِلَاعُه وما سَقَى من بُعَاثَ وسمرات ، وكان مِمَّن يسكن المدينة الأَوْس والخَزْرَج . ومن قبائل بنى إسرائيل بنو عَكْوة وبنو ثَعْلَبَة ، وبنو محمر ، وبنو زَعُورَاء ، وبنو قَيْنُقَاع ، وبنو زيد ، وبنو النَّضِير ، وبنو قُرَيْظَة ، وبنو بَهْدَل ، وبنو عَوْف ، وبنو القَصِيص . وكان يسكن يَثْرِب جماعةٌ من أُمَنَاء[1] اليهود فِيهم الشَّرَفُ والثَّرْوَةُ والعِزُّ على سائر اليهود .

ولما أرسل الله تعالى سَيْلَ العَرِم على أهل مَأْرِب ، وهم الأَزْد ، قام رائدهم فقال : مَنْ كان ذَا جَمَل مِفَنّ وَوَطْب مدنّ ، وقِرْبَة وشَنّ ، فلينقَلِب عن بقرات النعم ، فهذا اليوم يوم هَمّ ، وليَلْحَق بالثِّنْى من شنّ ـ قال وهو بالسَّرَاة ـ فكان الذى نزلوه أَزْد شَنُوءَة ، ومَن كان ذَا فَاقَة وفقر[2] ، وصبر على أزمات الدَّهر ، فَلْيَلْحَق ببَطْن مُرّ ، فكان الذى سكنوه خُزَاعَة ، ثم قال لهم : مَنْ كان يريد الخمرَ والخَمِير ، والأمْرَ والتَّأْمِير ، والدِّيباجَ والحَرِير ، فَلْيَلْحق ببصرى وغوير[3] ، وهى [من] أرض الشام ، فكان الذى سكنوها[4] غَسَّان ، ثم قال: مَنْ كان منكم ذا هَمٍّ بعيد ، وجَمَل شديد ، ومزاد جديد ، فليَلْحَق بقصر عمَّان الحديد[5] ، فكان الذى نزلوه أزدعمان ، ثم قال : [و] مَن كان [منكم] يريد الراسيات[6] فى الوَحْل ، المطعمات فى المَحْل فليَلْحَق بِيَثْرِب ذاتِ النَّخْل ، فكان الذين نزلوها[7] الأَوْس والخَزْرَج ،

(١) فى ا و ت : أفناء .
(٢) فى ت : ضر .
(٣) كذا فى ا و ت ، وفى غ : الحفير .
(٤) فى غ : سكنوه .
(٥) فى ت : المشيد .
(٦) كذا فى ا وت . وفى غ : الراسخات .
(٧) كذا فى غ : وفى ا و ت : نزلوه .

فلما توجّهوا إلى المدينة ووردوها نزلوا فى صرار[1] وتفرّقوا ، فكان منهم مَن لجأ إلى عَفَار من الأرض لا ساكن فيه فنزلوا به ، ومنهم من لجأ إلى قرية من قراها ، فكانوا مع أهلها ، فأقامت الأَوْس والخَزْرج فى منازلهم التى نزلوا بها بالمدينة فى جَهْد وضيق فى المعاش ، ليسوا بأصحاب إبل ولا شاء ؛ لأنّ المدينة ليست بلادَ نَعَمْ ، وليسوا بأصحاب نَخْل ولا زرع ، وليس للرجل إلّا الأَعْذَاقُ اليسيرة ، والمزرعة يستخرجها من أرض موات ، والأموال لليهود ، فلبثت الأَوْس والخَزْرج بذلك حينا .

ثم إن مالك بن العِجْلان وفَدَ إلى أبى جَبَلَة[2] الغَسَّانى ، وهو يومئذ ملك غَسَّان ، فسأله عن قومه وعن منزلهم ، فأخبره بحالهم وضيقهم فى معاشهم ، فقال له أبو جَبَلة : والله ما نزل منا قوم بلداً قط إلّا غلبوا أهلَه عليه ، فما بالكم ؟ ثم أمره بالمُضِيّ إلى قومه وقال له : أعلِمْهم أنى سائر إليهم ، فرجع مالك بن العِجْلان فأخبرهم بأمر أبى جَبَلة ، ثم قال لليهود : إن الملك يريد زيارتكم فأَعِدُّوا نُزُلًا ، فأَعَدُّوه له ، وأقبل فنزل بذى حُرُض ، ثم بعث إلى الأَوْس والخَزْرج ، فذكر الذى قدم له ، وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رءوسهم وأشْرَافهم ، وخَشِى إن لم يمكر بهم أن يتحصَّنوا فى آطامهم فيطول[3] حِصَارُه لهم ، فأمر ببناء حائر[4] واسع ؛ ثم أرسل إلى اليهود : إن أبا جَبَلَة الملك قد أحَبّ أن تَأْتُوه ، فلم يبق وَجِيه[5] من وُجُوهِ القوم إلّا أتاه ، وجعل الرجل يأتى معه بخاصّته[6] وحشمه ، رجاء أن يَحْبُوَهم ، فلما اجتمعوا ببابه

(١) صرار : موضع قرب المدينة .

(٢) كذا فى ا و ت والقاموس . وفى غ : جبيلة .

(٣) فى ا : فيطول .

(٤) كذا فى ا و غ . وفى ت : حاجز .

(٥) فى غ : وجه .

(٦) فى غ : بخاصه .

أمر رِجَالًا من جنده أن يدخلوا الحَائِر الذى بَنَاه ، ثم يقتلوا كلَّ مَن دَخَل عليهم من اليهود ، ثم أمر حُجَّابه أن يأذَنوا لهم فى دخول الحَائِر ويُدْخِلُوهم رَجُلًا رَجُلًا ، ولم تزل الحُجَّاب يأذَنُون لهم كذلك ، ويقتُلُهم الجُنْد الذين فى الحائِر حتى أَتَوْا على آخرهم ، وقال للأَوْس والخَزْرج : إن لم تَغْلِبوا على البلاد بعد مَن قَتَلْتُم من أشراف أَهْلِها فلا خير فيكم ، ثم رَحَل فرجع إلى الشام . ثم إنهم أَقَاموا زمانا بعد ما صنع أبو جَبَلة ما صنع واليهود تَعْتَرِضُ عليهم وتناوئهم . فقال مالك بن العجْلان للقوم : والله ما أَثْخَنَّا يهودَ غَلَبَةً كما نُرِيد ، فهل لكم أن أَصْنَع طعاما ، ثم أرسل إلى مائة[1] من أَشْرَاف يهود ، فإن جَاءونى قَتَلْتُهم فيَذِلُّوا حينئذ جميعاً ، فلما جَاءهم رسولُ مَالك قالوا : والله لا نَأْتِيهم أبداً ، وقد قَتَل أبو جَبَلة منا مَن قَتَل ، فقال لهم مالك : إن ذلك كان من غير هَوًى مِنَّا ، وإنما أَرَدْنَا أن نمحُوَه وتَعْلَمُوا حالَكم عِنْدَنا ، فأجابوه ، فجعل كلَّما دَخَل عليه رجلٌ منهم أُمر به فقُتِل ، حتى قَتَلَ منهم بِضْعَةً وثمانين رَجُلًا ، فأقبل رجل منهم حتى قام على بَابِ مالك ، فتَسَمَّعَ فلم يسمع صوتاً ، فقال : أَرَى أَسْرَع وِرْد وأبعد صَدَر ، ورجع وحذَّر أصحابَه الذين بقوا ، فلم يأت منهم أحد . فقال رجل من اليهود لمالك :

فسَفَّهْتَ قيلةَ أحلامَهَا ... فَفِيمَن بقيتَ وفيمن تَسُود

فقال مالك :

إنى امرؤ من بَنِى سَالِم[2] بْنِ عوفٍ وأنتَ امرؤٌ من يَهُود

وصوَّرَت اليهودُ مَالِكاً فى بِيَعِهم وكَنَائِسِهم ، وكانوا يلعنونه كلما دخلوها . ولما قتل مالك من اليَهُود من قَتَل ذَلُّوا وقَلَّ امتناعهم ، وخافوا خوفا شديدا ،

(١) كذا فى ا و غ . وفى ت : ثم آتى مائة .

(٢) فى ت : من بنى قيس مالك بن عوف . وفى ا من بنى مالك بن عوف .

وجعلوا كلما هَاجَهم أحدٌ من الأَوْس والَخزْرج بشيء يكرهونه لم يَمْشِ بعضهم إلى بعض كما كانوا يفعلونه قبل ذلك ، ولكن يذهب اليهودى إِلَى جِيرَانه الذين [هو بين] أظهرهم فيقول : إنَّما نحن جِيرَانُكم ومواليكم ، فكان كل قوم من اليهود قد لجأوا إلى بطن من الأوس والخزرج يتعززون بهم .

وكان لأوس القرظى امرأةٌ من بنى قُرَيْظَة ، فأسلمت وفارقته ، ونازعتْها نفسها إلَيْه ، فأَتَتْه وجعلت ترغبه فى الإسلام فقال فيها :

دَعَتْنِى إِلَى الإسلام يومَ لَقِيتُها ... فقلتُ لها : لا بَلْ تَعَالَىْ تَهَوَّدِى
فنحنُ علی توراةِ مُوسَى ودِينِه ... ونِعْمَ لعَمْرُ الله[1] دِينُ مُحَمَّدِ
كِلَانَا يرى أنَّ الرَّشَادَةَ دِينُه ... ومَنْ يُهدَ أبوابَ المراشد يرشُدِ

(١) فى ا و غ : لعمرى الدين دين محمد .

إبراهيم بن المدبِّر

كُنيتُه أبو إسحاق ، كاتِب شاعر متقدِّم ، من وجوه كُتَّاب العِرَاق وذَوِى الجاه المُتَصَرِّفين فى كِبَار الأعمال . وكان المتوكل يُقدِّمه ، ويُؤْثِره ويفضِّله ، وكان بينه وبين عَرِيبٍ حَالٌ مشهورة ، كان يهوَاها وتهْوَاه .

مَرِض المتوكل مَرْضة خِيفَ عليه منها ، ثم عُوفِى ، وأَذِن للناس فى الوصول إليه ، فدخلوا على طَبَقَاتِهم ، ودخل إبراهيمُ بنُ المُدبِّر معهم . قال: فلما رَآنِى المُتوكِّل استدْنَانِى حتى قمت وراء الفَتْح ، ونظَر إلىَّ مُسْتَنْطِقا ، فأنشدته :

يـــومٌ أتانَا بالسُّرُور ... فالحمـــدُ[1] لله الــكَبِير
أخلَصْتُ فيـــه شُكْرَه ... ووفَيْتُ فيـــه بالنُّذُور
لَمَّا اعتــلَلْتَ تصدَّعَت ... شُعَبُ القلوب من[2] الصدور
من بين مُــكْتئب الفُؤا ... د وبين مُلْتَهِب الضَّمِير[3]
يا عُــدَّتِى للـــدِّين والدُّ ... نيا وللخَطْب الخَطِـــير
كانت جفــونى ثرَّةَ الْـ ... آماق بالدمـــع الغزير
لو لَمْ أمُت جزَعــا لعَمْـ ... رُكَ إنَّنى عينُ الصَّبُور
يومى هنـــالك كالسِّنيـ ... نَ وسَاعتى مِثْلُ الشهور
يا جَعْفرُ المتـــوكل الـ ... عالى عـــلى البَدْرِ المُنير
اليوم عاد المـــلك[4] غَضَّ ... العود ذا وَرَق نضـــير

(١) فى ا و ت : والحمد .

(٢) فى غ : مع .

(٣) كذا فى ا وت . وفى غ : ملتهب الفؤاد ، وبين مكتئب الضمير .

(٤) فى غ : الدين .

والیوم أَصْبَحَتِ الخِلاَ فَةُ وهی أَرْمَی من ثَبِیرِ
قـدحا لفتْكَ و ـاقدَتْـ ـك علی مُطَاوَلَةِ الدُّهُورِ
یا رحمـةً للعالمـ ـینَ ویا ضیاءَ المُسْتَنِیرِ
یا حُجَّـةَ اللهِ الّـتی ظهرتْ لـه بهُدًی ونُورِ
للهِ أنتَ فـما نُشَا هِدُ منك من كرمٍ وخیرِ
حتی نَقُـولَ ومَنْ بِقُرْ بك منْ ولیٍّ أو نَصِیرِ
البـدر ینطِـقُ بیننَا أو[1] جَعْفَرٌ فَوْقَ السَّرِیرِ
فإذا تَـواتَرت العطا ءُ كنتَ منقطِعَ النَّظِیرِ
وإذا تعَـذَّرت العَطَا یا كُنتَ فیَّاضَ البحُورِ
تُمضِی الصوابَ بِـلاَ ظَهِیـ ـرٍ أو وَزِیرٍ[2] أو مُشِیرِ

فقال المتوكل للفتْح: إنَّ إبراهیم لینطق عن نیَّة خالصة وود مَحْض، وماقضینا حقَّه؛ فاحمل إلیه الساعة خمسین ألْف دِرْهم، وتقدَّم إلی عَبْدِ الله بن یحیی بأن یُوَلِّیَه عَمَلا سَنِیًّا[3] یَنْتَفِع به.

كان أحمدُ بنُ المدبِّر وَلِیَ لعُبَید الله[4] بن یَحْیی بن خاقان عَمَلًا فلم یَحْمَد أثَرَه فیه، وعَمِل علی أن یَنْكُبَه، وبَلَغ ذلك أحمدَ فهرَب؛ وكان عُبَیْد الله مُنْحَرِفا علی[5] إبْرَاهیم، شدیدَ النَّفَاسَة علیه؛ لِرَأْی المتوكل فیه، فأغرَاه به، وعرّفه خَبَر أخیه، وادَّعی علیه مالًا جَلِیلًا، وذكر أنَّه عند إبراهیم أخیه، وأَوْغَرَ صَدْرَه علیه حتی أَذِن له فی حَبْسه. فقال فی مَحْبِسه أشعاراً منها:

(١) فی غ: أم.
(٢) كذا فی ا و ت. وفی غ: بلا وزیر أو ظهیر..
(٣) فی غ: سریا.
(٤) كذا فی غ وفی ا و ت: عبد الله.
(٥) فی غ: عن.

أَدُمُوعُها أم لُؤْلُؤٌ مُتَنَاثِرُ ... يَبْدُو به الوَرْدُ الجَنِيُّ الزَّاهِرُ[١]
لا تُؤْيِسَنَّك من كريم نَبْوَةٌ ... فالسَّيْفُ[٢] ينبو وهو عَضْب باتر
هــذا الزَّمانُ تَسُومُنِى أَيَّامُه ... خَسْفاً وها أَنَا ذَا عليــه صَابِر
إن طَالَ لَيْلِى فى الإِسَارِ فَطَالَمَا ... أفنيتُ دهراً ليلُه متقاصِرُ
والسِّجن[٣] يَحْجُبنى وفى أكنافه ... مِنِّى على الضَّرَّاء لَيْثٌ خَادِر
عَجَباً له كيف الْتقَتْ أَبْوَابُه ... والجودُ فيه والرَّبيعُ[٤] البَاكِر
هلا تَقَطَّع أو تَصَدَّع أو هَوَى[٥] ... فَعَذَرْته لـكِنَّه بِىَ فَاخِـــر

وممَّا قاله فى الحَبْس :

هو الحَبْسُ مَا فِيه علىَّ غَضَاضَــة ... وهل كانفى حَبْسِ الخليفة منْ عَار
ألستِ تَرِينَ الخمرَ يظهرُ حُسنُها ... وبَهْجَتُها بالحبس فى الطِّين والقَارِ
وما أَنَا إلَّا كالجَوَادِ يَصُــونُه ... مُقَوِّمــه للسَّبق فى طيِّ مِضْمَـار
أو الدُّرَّةِ الزهراءِ فى قَعْر لُجَّـة ... فلا تُجْتَلى إلا بِهَوْل وأَخْطَـار
وهَلْ هو إلَّا منزِلٌ مثلُ منزلى ... وبيتٌ ودارٌ مثل بَيْتِىَ أَوْ دَارِى
فلا تُنْكِرِى[٦] طولَ المَدَى وأذى العِدَا ... فإن نهاياتِ الأمور لإقصـارِ
لعَلَّ وراءَ الغيبِ أمراً يسُرُّنَا ... يُقَدِّره فى عِلْمه الخَـالِقُ البَارِى
وإنِّى لأَرجو أن أصـول بِجحفلٍ ... فأهـضم أعدائِى وأُدرِكَ بالثَّـارِ

(١) كذا فى ا و ت . وفى غ يندى به ورد جنى ناضر .
(٢) فى ا : كالسيف .
(٣) كذا فى ا . وفى غ : والحبس . وفى ت : والحى .
(٤) كذا فى ا و ت . وفى غ : والغمام .
(٥) كذا فى ا و ت . وفى غ : وهى .
(٦) كذا فى غ وتهذيب الأغانى . وفى ا وت : تنـكرن .

ثم إنّ حَبْسه طَالَ ، ولم يكن لأحد فى خَلَاصِه حِيلَة مع عُبَيْدِ الله وقَصْدِه إيّاه، حتى تخلّصَه[1] محمدُ بْنُ عبدِ الله بن طاهر وجَرَّد[2] المسألةَ فى أَمْرِه ولم يلْتفت إلى عُبَيد الله[3] ، وبَذَلَ أن يَحْتَمِل فى مَالِه ، كلّ ما يُطْلَبُ[4] به ، فأعفاهُ المتوكّل من ذلك ، ووهَبَه له . وكان مِمَّا قَالَه فيه إبراهيمُ بْنُ المُدَبِّر :

دَعَوتُكَ من[5] كَرْبٍ فلبَّيْت دعوتى ... ولم تعْترِضْنى[6] إذ دعوتُ المَعَاذِر
إليكَ وقد حُلِّئْتُ[7] أوردْتُ همَّتى ... وقد أَعْجَزَتْنِى عن هُمُومى المصَادِر
نَمَى بك عبدُ الله فى العِزِّ والعُلَا ... وحازَ لكَ المَجْدَ المُؤَثَّلَ طَاهِر
فأنتم بنُو الدنيا وأمْلاكُ جَوِّها ... وسَاسَتُها[8] والأعظَمُون الأكابر
مآثِرُ كانت للحُسَيْن ومُصْعَبٍ ... وطَلْحَةَ لا تَحْوِى مَدَاها المَفَاخِرُ
إذا بَذَلُوا قِيلَ الغُيوثُ البواكِرُ ... وإنْ غَضِبُوا قِيل اللُّيُوثُ الهوَاصِر
تُطِيعُكُم يوم اللقاء البواتِرُ ... وتُزْهَى[9] بكم يوم المُقَام المنَابِر
وما لكم غيرَ الأسِرَّة مجالسٌ ... وما لكم غيْرَ السُّيُوف مخَاصِر
ولى حاجَةٌ إنْ شئت أحرزتَ مَجْدَهَا ... وسرُّكَ منها أوَّلٌ ثم آخِرُ
كلامُ أمِير المؤمنين وعَطْفُه ... فمَا لِىَ بعدَ اللهِ غيرَكَ نَاصِر

---

(١) كذا فى ا و غ . وفى ت : خلصه .
(٢) كذا فى ا و ت وفى غ : جود .
(٣) فى ت : عبد الله .
(٤) كذا فى غ وتهذيب الأغانى . وفى ا وت : يطلب .
(٥) كذا فى غ ، وفى ا و ت : عن .
(٦) فى ت : تعرضنى « تحريف » .
(٧) كذا فى ا وتجريد الأغانى أى منعت . وفى ت و غ : جليت .
(٨) فى ت : وسادتها .
(٩) كذا فى ا وت . وفى غ : وتزهو .

فإن ساعَدَ المقدار[1] فالنُّجْحُ وَاقِــع وإلّا فإنّى مُخْلِص الودِّ شــاكِرُ

قال عليُّ بْنُ العبَّاس بن طلحة الـكاتب : كنتُ عند ابْن المُدَبِّر ، وقد زارته ، بِدْعة وَتُحْفة جاريتا عَرِيب ، وأخرجَتا إليه رقعة من عَرِيب فقرأ ها[2] فإذا فيها: بنَفْسِي أنت وبِسَمْعِي[3] وبَصَرِى ، وقَلَّ ذَلِك لك منى ، أصبح يومنا هذا طَيِّباً ، طَيَّبَ اللهُ عيشَك قد احتجبَت سَماؤُه ، ورَقَّ هواؤُه ، وتــكامل صَفاؤُه ، فــكأنَّه أنت فى رِقَّة شمائلك ، وطِيبِ مَحضَرك ومَخْبرِك[4] ، لا فقَدْت ذلك أبدا منك، ولم يُصَادِف حُسْنُه وطِيبُه مِنّى نشَاطًا ولا طَرَباً ، لأمور صَدَّتْنى عنها ، أكْرهُ[5] تنغيص ما أشتهيْتُ[6] لك من السرور بشرْحِها[7] ، وقد بعثْتُ إليك ببدعة وتحفة ؛ لِيؤْنِسَاكَ وتُسَرَّ بهمَا ، سرَّكَ الله وسَرَّنى بك. فـكتب إليها :

كيفَ السرورُ وأنتِ نَازِحَةٌ عنى وكيف يَسُوغ لى الطَّرَبُ
إنْ غِبْت غابَ العيشُ وانقطعَتْ بِأسبــابه وألَحَّتْ الـكُرَبُ

وأنفذَ الجوَاب ، فلم تلبَثْ أَنْ جَاءت ، فبادَرَ إليهَا ، وتلقَّاها حَافياً ، حتى جاء بها على حِمَارٍ مصرى كان تحتَها إلى صدْر مجلسه وأجْلسَها ، ووطئْ الحمــارُ مجلسه وما عليه ، وأخذ رِكَابها وأنزلَها ، وجَلَس بين يدَيْها . ثم قال :

---

(١) كذا فى ا وت ، والمقدار : القدر . وفى غ : المقدور بدل المقدار .
(٢) فى ت : فقرأها .
(٣) كذا فى ا وت . وفى غ وتهذيب الأغانى : وسمعى .
(٤) كذا فى ا و غ . وفى ت : مجدك « تحريف » .
(٥) فى ت : أكثره « تحريف »
(٦) كذا فى ا و ت . وفى غ : أشتهيه .
(٧) فى غ : بنشرها .

ألا رُبَّ يومٍ قصَّر اللهُ طَولَه ... بقُرب عَرِيب حَبَّذَا هو من قُرْب

بها تحسُن الدّنيَا وينعَم عيشُهَا ... وتجتمع السَّرَّاء للعَيْن والقلْبِ

كتبت عَرِيب إلى إبراهيم رُقْعةً تسأله عن أخباره فكَتَب بين سُطُورها :

وساءلْتموه[1] بعدكم كيف حالُه ... وذلك أمر بيِّن ليس يشكِلُ

فلا تسألوا عن قلْبه فهو عندَكم ... ولكن عن الجِسْم المُخَلَّف فاسْألوا

(١) كذا في ا وت و غ ، وساءل : سأل . وفي تهذيب الأغاني : وسألتموه .

يوم أُوَارَه

كان عَمْرُو بنُ المُنْذِر بن ماء السماء ، وهو عَمْرُو بنُ هِند يعرف بأُمِّه هِنْد بنت الحارث المَلِك المَقْصُور بن حجر آكل المُرَار الـكِنْدى ، وهو الذى يقال له : مُضَرِّطُ الحِجَارة ، وكان قد عاقَد هـذا الحىّ من طَيِّئ على ألا يُنَازِعوا ولا يُفاخِروا ولايغزوا ، وإن عمرو بن هند غزا اليمامة ، فرجع مُنْفَضًّا ، فمر بطيئ ، فقال له زُرَارَة بن عُدُس بن زَيْد بن عَبْدِ الله بن دَارِم : أبيتَ اللعنَ ، أَصِبْ من هذا الحى شيئا ، قال : وَيْلك ، إنَّ لهم عقدا ، قال : وإن كان ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأَذْوَاداً . فقال قَيْس بن جِرْوَة الطَّائِى :

ألا حَيِّ قبل البين مَنْ أنت عاشقه ... ومن أَنْتَ مشتاق إليه وشَائقُه
ومن لا تُوَاتِى دَارَه غَيْرَ فَيْنَة ... ومن أنت تَبْكِى كُلَّ يوم تفارِقُه
تَخُبُّ[1] بصحراء الثَّوِيَّةِ نَاقتى ... كعَدْو رَبَاع قد أبحّت[2] نَوَاهقُه
إلى الملك الخـيْر بن هِنْد نَزُوره ... وليس من الفوت الذى هو سَابِقُه
وإن نِسَاءً هُنَّ ما قَالَ قَائل ... غَنيمَةَ سَـوْء بَيْنَهُنَّ مَهَارِقُهْ
ولو نِيلَ فى عَهْد لنا لَحْمُ أَرْنَب ... رَدَدْنا وهـذا العَهْد أنت مُعَالقُه
فهبْك ابنَ هِنْد لم تعقْك أَمَانَة ... وما المرء إلّا عَهْدُه[3] ومَوَاثِقُه

(١) فى غ : وتعدد .

(٢) فى غ : النحرس قد أبحت . والرباع : الفرس السريعة العدو الواسعة الخطو ، وأبحه الصياح : غلظ صوته وخشنه . والنواهق من الخيل والحمر : حيث يخرج النهاق من حلقه « لسان العرب » .

(٣) فى غ : عقده .

وكنا أُناسا خَافِضِين بنعمة يَسِيل بنا[١] تَلع المنى[٢] وأبارقُه
فأقسَمْتُ جَهْدًا بالمنــازل من منًى وما خَبَّ فى بَطْحَائِهن دَرادِقه
لئن لم تغــيِّر بعضَ ما قد فعَلْتُم لأَنْتَحِيَنَّ المظمَ ذُو أنَا عارِقُه

فسُمِّىَ عارِقاً بهذا البيت ، فبلغ شعره عمرو بن هِنْد ، فقال له زُرَارة بن عُدس : إنَّه يتوَعَّدُك. فقال [عمرو بن هِنْد : والله لأَقْتُلَنَّه، فبلغ ذلك عارِقًا، فأنشأ يقول][٣]:

ألا فابلغا[٤] عَمْرَو بن هِنْــد رِسَالة إذا استَحْقَبَتْها العيسُ تُنْضَى من البُعْد
أَيُوعِدُنى والرَّمْلُ بَيْنِى وبَيْنَــه تأَمَّل[٥] رُوَيْدًا ما أُمامَةُ من هِنْد
ومن أَجَإٍ دُونى رِعَانٌ كأنَّهــا قنَابِلُ خَيْل[٦] من كُمَيْت ومن وَرْدِ
غَدَرْتَ بأمرٍ أنتَ كُنتَ[٧] اجْتَذَبْتَنَا إليــه وبئس[٨] الشِّيمَةُ الغَدْرُ بالعَهْد
وقد يترُكُ الغــدرُ الفــتى وطَعَامُه إذا هو أَمْسَى حَلْبَة من دَمِ الفَصْدِ

فبلغ عمرُو بنُ هِنْد شعرَه فغزَا طَيِّئًا ، وأَسَر أَسْرَى من طَيِّءٍ من بنى عَدِىّ بن أَخْزم رَهْط حَاتِم بن عبد الله ، فيهم رجل [من الأَجَئِيِّين][٩] يقال له : قَيْسُ بن جَحْدَر ؛ وهو جَدّ الطِّرِمَّاح بن حَكِيم ، وهو ابن خالة حاتِم ، فوفد حاتِم فيهم إلى

---

(١) فى ا : لنا .
(٢) فى غ : الملا .
(٣) ما بين القوسين ساقط من ت .
(٤) كذا فى ت وفى ا وفى غ : من مبلغ .
(٥) كذا فى ا و ت ، وفى غ : تبين .
(٦) فى ت : قبائل خيل . والقنابل : الجماعة .
(٧) كذا فى ا و غ . وفى ت : كنت أنت .
(٨) فى غ : وشر .
(٩) ما بين القوسين ساقط من ا .

عمرو بن هِند ، وكذلك كان يَصْنَع ، فسأله إيّاهم[1] ، فوهَبهم إلَّا قَيْس بن جَحْدَر ؛ لأنّه كان من الأَجَئيِّين من رَهْط عارِق ، فقال :

فكَكْتَ عَدِيًّا كُلَّهَا من إسَارِها ... فأنْعِم وشَفِّعْنى بقَيْسِ بْنِ جَحْدَر

أبُوهُ أَبِى والأُمَّهات أُمَّهَاتُنا ... فأنْعِم فِدَاكَ اليومَ أَهْلى[2] ومَعْشرِى

فأطْلَقَه له .

وكان المُنْذِر بنُ ماء السماء وضَع ابنًا له أو أخًا يُقال له مالِك عند زُرَارَة ، وأنّه خَرَج ذات يوم يَتَصَيَّد ، فأخفَق ولم يُصِب شيئاً ، فرجع فمرّ بإبِل لرَجُل من بنى عبد الله بن دَارِم يُقال له سُوَيْد ، وكانت عند سُوَيْد ابنة زُرَارَة بن عُدس ، فولدت له سبعة غِلْمَة[3] فأمر مالِك بن المنذر بناقةٍ سمينة منها فنحرَها ، ثم اشتوى. وسُوَيْد نائم ، فلما انْتَبَه شَدَّ على مالك فضرَبه فأمَّه ، ومات الغلام ، وخرج سُوَيْد هارِبا فلحِق بمَكَّة ، وعلِم أنه لا يأْمَن ، فحالَف بنى نَوْفَل بن عبد مَنَاف واختَطَّ بمَكَّة ، فمِن وَلَده أبو إهاب بن عُدس بن قَيْس بن سُوَيْد .

وكانت طَيِّئ تَطْلُب عَثَرات زُرَارَة وبنى أبيه ، حتى بلغهم ما صنعوا بأخى الملِك ، فأنشأ عَمْرُو بنُ [ثَعْلَبَة بن][4] مِلْقَط الطَّائِىّ يقول :

مَنْ مُبْلِغ عمراً بأنْ ... المَرْءَ لم يُخْلَق صُبَارَهْ

وحَوادِثُ الأَيَّام لا ... يَبْقَى لَهَا إلَّا الحِجَارَهْ

إنّ ابْنَ عِجْزَةِ أُمِّـه ... بالسفح أسفَل من أُوَارَهْ

---

(١) فى ت : لقاءهم .

(٢) كذا فى ا و ت . وفى غ : فدتك اليوم نفسى .

(٣) فى ت : أغلمة .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ت .

تَسْفِي الرِّيَاحُ خِلَالَ كَشْـ حَيْهِ[1] وقد سَلَبوا إِزَارَهْ
فاقْتُلْ زُرَارَةَ لا أَرَى فى القَوْمِ أَفْضَلَ من زُرَارَهْ

أَوَّلُ وَلَد المَرْأَة يقال له تِـكْمه والآخر عِجْزَة .

فلما بَلَـغَ الشعرُ عمرو بْنَ هِنْد بَـكَى حتى فاضت عَيْنَاه ، وبلغ الخَبَرُ زُرَارةَ ، فهرَب ، وطلبه عمرو بن هند فلم يَقْدِر عليه ، فأخَذَ امرأتَه وهى حُبْلى ، فقال : أَذَكَرٌ فى بَطْنِك أم أُنْثى ؟ فقالت : لا عِلْم لى بذلك ، قال : فما فعل زُرَارَةَ الغَادِر الفَاجِر ؟ قالت : إن كان ماعَلِمت الطَّيِّب العرَق ، السَّمِين المَرَق ، يأكل ماوَجَد ، ولا يسأل عما فَقَد[2] لا ينامُ ليلة يُخاف ، ولا يشبع ليلة يُضاف ، فبَقَر بطنَها ، فقال قومُ زُرَارة لِزُرَارة : والله ماقتلتَ أخاه ، فأْت الملك فاصدُقه الخَبَر ، فأتاه زُرَارة فأَخْبَره الخبَر ، فقال: جِئْنى بسُوَيْد ، فقال : قد لَحِق بمكَّة ، قال : فَعَلَيَّ بِبَنِيه، فأتاه ببنيه السَّبْعَة وبأمّهم بنت زُرارة وهم غِلْمَةٌ بَعضُهم فوق بعض ، فأمر بقتلهم ، فتناولوا أَحدَهم فضربوا عنقه ، وتَعَلَّق بزُرَارة الآخرون ، فَتناوَلُوهم ، فقال زرارة : يا بَعْضِي سَرِّح بَعْضى[3] . فذهَبَت مَثَلًا ، وقُتِلوا.

وآلى عمرو بن هند أَلِيَّةً لَيَحْرِقَنَّ من بَنِى حَنْظَلَة مائة رجل ، فخرج يُرِيدهم ، وبعث على مُقدِّمته [المطائى][4] عمرو بن ثعلبة بن غِياث بن مِلْقط ، فوجد القومَ قد نَذِروا بهم ، فأخذ منهم ثمَانِيةً وتِسْعين رجلا [بأسفل أوارة][5] من ناحية البَحْرَين ، فحبسهم ، ولحقه عمرو بن هند حتى انتهى إلى أُوَاره وضُرِبت فيـه

(١) فى غ : خلاله سخيا بدل: خلال كشحيه .

(٢) كذا فى ا و غ . وفى ت : عهد .

(٣) فى غ : يا بعضى دع بعضا .

(٤) ساقطة من « ت » .

(٥) ما بين القوسين ساقط من « ت » .

قبته ، فأمر لهم بأُخْدود فجُعِل لهم ، ثم أَضْرَمَه نارا ، فلمَّا اضطرمت[1] وتلظَّت قذف بهم [فيها][2] فاحترَقُوا .

وأقبل راكب من البَرَاجم — وهم بَطْن من حَنْظَلَة — عند المساء ، لا يدرى بشَىْء مِمَّا كانَ يَصْنَع عمرو ، فوَضَع به بَعِيرُه ، فأناخَ فقال له عمرو : ماجَاءَ بك ؟ فقال : حبُّ الطعام ، قد أقوَيْتُ ثلاثاً لم أَذُق طعاماً ، فلمَّا سَطَعَ الدخانُ ظَنَنْتُه دُخَان طعَام ، فقال له عمرو : مِمنْ أَنت ؟ قال : من البَرَاجِم . فقال عَمْرو : إنَّ الشقىَّ وَافِدُ البراجم . فذَهَبت مَثَلًا ، ورَمَى به فى النَّارِ ، فهجَت العرب تميماً بذلك . فقال ابن الصَّعِق العامِرى :

أَلَا أَبْلِغْ لَدَيْك بنى تَميم ... بآيَةِ ما يُحِبُّون الطَّعَاما

وأقام ابن هند لا يرى أحداً ، فقيل له : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، لو تحلَّلْتَ بامرأة منهم ، فقد أحرَقْتَ تِسْعَةً وتسعين رجلا ، فدَعَا بامرأةٍ من بنى حَنْظَلَة ، فقال لها : مَن أنتِ ؟ فقالت : أنا الحمراء بنتُ ضَمْرة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل بن دَارِم ، فقال : إنّى لأَظُنُّكِ أَعْجَمِيَّة ، قالت : ما أنا بأَعْجَمِيَّة ولا ولدتنى العَجَم :

إنِّى لَبِنْتُ ضَمْرة بن جابر ... سَادَ مَعَدًّا كابِراً عن كابِر

إنِّى لأُخْت ضَمْرَةَ بن ضَمْرَهْ ... إذا البِلاد لُفِّحَت[3] بجمْرَهْ

قال عمرو : أَما واللهِ لولا مَخافَةَ أنْ تَلِدِى مِثْلَك لصَرَفْتُك عن النار . قالت : أما والذى أَسْأَلُه أن يَضَع وِسَادَك ويَخفِض عِمَادَك ويَسْلُبَك مُلْكَك ويُقَرِّب هُلْكَك ما أُبَالِى ما صَنَعْتَ ، فقال : اُقذِفُوها فى النَّار ، فالتفتَتْ فقالت : أَلَا فَتًى

---

(١) كذا فى ا . وفى غ : احتدمت ، وفى ت : أضرمت .

(٢) ساقطة من « ت » .

(٣) فى غ : لفعت .

يكون مكان هذه العَجُوز ؟ فلما أبطأوا عليها قالت : صارَ الفِتْيَانُ حُمَماً ، فذَهَبَت مَثَلًا فأُحْرِقَت ، وكان زوجُها هَوْذَةَ بنَ جَرْوَل بن نَهْشَل بن دَارِم . فقال لَقِيط بنُ زُرَارة يُعَيِّر بنى مالك بن حَنْظَلَة بأَخْذِ(١) مَنْ أَخَذَ منهم الملك وقَتْلِه إيَّاهم ونُزُولِهم معه .

لمن(٢) دِمْنةٍ أقفرَت بالجنابِ ... إلى السَّفْح بَيْنَ الملا فالهِضَابِ

بكيتَ لعرفانِ آياتِها ... وهاج لك الشوقَ نعبُ الغُرَابِ

فأَبْلِغ لدَيْك بنى مَالك ... مُغَلْغَلَةً وسَرَاةَ الرِّبَابِ

فإنِ امرأً أنتم حَوْلَه ... تَحُفُّون قُبَّتَه بالقِبَابِ

يُهِينُ سَرَاتكم عَامِداً ... ويَقْتُلُكم مِثْلَ قَتْلِ الكِلابِ

فلو كُنْتُم إبِلًا أَمْلَحَت ... لقد نَزَحَت(٣) للمِيَاه العِذَابِ

ولكنكم غَنَم تُصْطَفَى ... ويُتْرَكُ سَائِرُها للذِّئَابِ

لعَمْرُ أبيك أبى الخَيْر مَا ... أردتَ بقَتْلهمُ مِن صَوَابِ

ولا نعمةً إنَّ خير الملو ... ك أفضلهم نِعْمَةً فى الرِّقَابِ

وفيها يقول الطِّرِمَّاحُ بنُ حَكِيم :

واسأَلْ زُرارة والمأمومَ(٤) ما فَعَلَتْ ... قَتْلَى أُوَارَةَ من رعلان باللَّدَدِ(٥)

ودَارِماً قد قَذَفْنا(٦) مِنهم مِائَةً ... فى جَاحِمِ النَّار إذ يُلْقَوْن بالخُدَدِ

يَنْزُون بالمُشْتَوى منها ويُوقِدها ... عمرٌو ولولا شُحُومُ القَوْم لم تَقِدِ

---

(١) فى غ : فى أخذ .

(٢) كذا فى ا و ت . وفى غ : أمن .

(٣) فى غ : نزعت .

(٤) فى غ : المأمون .

(٥) فى غ : واللدد .

(٦) فى غ : قتلنا .

وكان زُرَارة بن عُدس رجلا شريفا فنظر إلى ابنه لَقِيط يوما ، فرأى منه خُيَلاء ونَشَاطا ، وجَعَل يضرب غِلْمَانه ، وهو يوْمَئِذ شابٌّ فقال له زُرَارةُ : لقد أصبحتَ تَصْنَع صَنِيعاً كأنَّما جِئْتَنى بمائة مِن هِجَان المُنْذِر بن ماءِ السماء أو نَكَحْتَ بِنْتَ ذى الجَدَّيْن قَيْس بن خالد . فقال لَقِيط : لِلهِ عَلَيَّ ألا يَمَسَّ(١) رَأْسِى غُسْل ، ولا آكُل لحماً ، ولا أشرب خَمْراً حتى أَجْمَعَهَا ، جميعاً أو أَمُوت ، فخرج لَقِيط ومعه ابْنُ خَالٍ لَه يقال له : القُرَاد بنُ إهاب ، وكِلَاهُمَا كان شَاعِراً شرِيفاً ، فسارَا حتى أَتَيَا بنى شيبان ، فسَلَّما على نَادِيهم ، فقال لَقِيط : أَفِيكم قَيْسُ بن خالِد ذُو الجَدَّين ؟ وكان سَيِّدَ رَبيعَة يومئذ ، قالوا : نَعَم ، قال : فأيُّكم هو ؟ فقال قيس : أنا قَيس فما حَاجَتك ؟ قال : جِئْتُ(٢) خَاطِباً أبنَتَك ، وكان على قَيْس عين ألا يَخْطب أحدٌ ابنتَه علانيَةً إلا أَصابَه بِشَرّ وسمّع به ، فقال له قَيْس : مَنْ أنت ؟ قال : أنا لَقِيط بنُ زُرَارة بن عُدس ، فقال له : عَجَباً منك ياذَا القُصَّة هَلَّا كانَ ذَا بَيْنى وبَيْنك؟ قال : لِمَ يَاعَمّ والله إنَّك لَرَغبَة وما بِى من قَصَاة(٣). أى مَا بِى عَار ، وإن نَاجيْتُك لا أَخْدَعُك ، وإنْ عالَنْتُك لا أفْضَحك ، فأَعْجَب قيسًا كَلامُه ، وقال: كُفءٌ كَرِيم ، إنِى قد زَوَّجْتُك ، ومهرتك مائةَ نَاقَةَ ليس فيها مُطَايَرَة ولا نَاب ولا كَزُوم(٤) ، ولا تَبيت عِنْدَنا عَزَباً ولا مَحْرُوما ، وأرسل إلَى أُمِّها أَنِّى قد زوَّجْت لَقِيط بن زُرَارة ابْنتى القَدُور ، فاصْنَعيها واضْرِبى لَهَا ذَلك البَلَق ، فإنَّ لقِيط ابنَ زُرَارة لا يبيتُ عندنا عَزَبا ، وجَلَس لقِيط يتَحَدَّث عندهم(٥) فذَكَرُوا الغَزْو ،

---

(١) فى غ : يلمس .

(٢) فى غ جئتك .

(٣) فى غ : نضاة .

(٤) فى غ: مصابرة. بدل مطايرة. والمطايرة : الهائجة. والناب والكزوم : المسنة الهرمة .

(٥) فى غ : معهم .

فقال لقيط : أما الفزو فأرْذَلُها(١) ، لِلّقاح ، وأهزلُها للجمال ، وأما المقام فأسمنهـا للجمال ، وأحبها للنساء ، فأعجب ذلك قيسا ، وأمر لقيطا فذهب إلى البَلَق وجلس فيه ، وبعثت إليه أمُّ الجارية بجمْر و بَخُور ، وقالت للجارية : اُذهَبى بها ، فإن ردها فوالله مافيه خَيْر ، وإن وضَعَهـا تحته مَافِيه خير ، فلما جاءته الجَارِيةُ بخَّر شعرَه ولِحيْته ، ثم ردَّها عليها ، فلما رجعت الجارية خَبَّرتها بمَا صَنَع ، فقالت : إنَّه خليق للخير ، فلمَّا أمسى لقيط أُهدِيت الجارية اليه ، فمَازَحها بكلام اشمأَزَّت منه ، فنام وطرَح عليها[طرف] خميصتِه(٢) ونامت(٣) إلى جَنْبه ، فلما استَثْقَل انسلَّت فرجعت إلى أُمِّها ، فانتبه لقيط فلم يرها ، فخرَج حتَّى أَتى ابن خَالِه قُرَاداً ، وهو فى أَسْفَل الوَادِى ، فقال : أرحَلْ بِعِيرَيْك(٤) وإيَّاكَ أن يسمع رُغاؤُهما ، فرحلا متوجِّهَين إلى المُنْذِر بن مَاءِ السَّماء ، وأصبح قيس ففَقَد لقيطا ، فسكت ولم يدْر ما الَّذِى ذَهَب به . ومَضَى لقيط حتى أَتى المُنْذِر ، فأخبره بما كان من قول أبيه ومن قوله ، فأعطاه مائة من هِجانه ، فبَعَث بها مَعَ قُرَادٍ إلى أَبيه زُرَارة ، ثم مَضَى إلى كِسْرى فكساه ، وأَعْطَاه جَوْهَراً(٥) ، ثم انصرف [لقيط](٦) فأتى أباه فأخْبَرَه خَبَره ، فأقام ، ثم خرج هو وقُرَادحتى جاءَا مَحَلَّة بَنِى شَيْبان ، فوجَدَاهم قد أنتجعوا ، فخرجا فى طَلَبهم حتى وَقَعا فى الرمل ، فقال لقيط :

أُنظر قُرَاد وهاتا نظرة جـزِعا ... عُرْضَ الشَّقَائِق هل بَيَّنْتَ أَظْعَانَا ؟
فيهنَّ أُتْرُجَّةٌ نَضْحُ العَبِير بهـا ... تكسى تَرائبهـا شَذْرًا ومَرْجَانا

(١) فى غ : فأودؤها .
(٢) الخميصة : كساء أسود مربع .
(٣) فى غ : وباتت.
(٤) فى غ : بعيرك .
(٥) فى غ : جواهر .
(٦) ساقطة من « ت » .

فخرَجَا حتى أَتَيا قيس بن خالد ، فَجَهَّزها أبوها ، فلما أرادت الرحيل قالت[1] لها أُمُّها : يا بُنَيَّة : كُونِي لزوجك أَمَةً يَكُن لك عَبْدا ، ولْيَكُن أكثر طِيبِك الماء ، فإنك إنما يذهَبُ بك إلى الأَعْدَاء ، وأراك إن وَلَدْت فستَلِدين لنا غَيْظاً طَوِيلا ، واعْلَمِي أنّ زوجَك فَارِسُ مُضَر ، وأنَّه يُوشِك أن يُقْتَل أو يَمُوت ، فلا تَخْمِشِي عليه وَجْهاً ، ولا تَحْلِقِي عليه شعرا ، قالت لَهَا : أَمَا والله لقد رَبَّيْتنى صَغِيرَة وأَقْصيْتِنِي كبيرةً وزَوَّدْتِنِي عند الفراق شَرَّ زَاد ، وارتحل بها لَقِيط إلى حيه ، فجعلت لا تَمُرّ بحَيٍّ من العَرَب إِلَّا قَالَت : يا لقيطُ أَهَؤُلَاءِ قَوْمك ؟ فيقول : لا ، حتى طَلَع على مَحَلَّةِ بنِي دَارِم ، فرأت القِبَاب ، والخَيْلَ العِرَاب، فقالت: يا لَقِيط أهؤلاء قومك ؟ قال : نعم ، فأقام أياما يُطْعِم وينْحَر ، ثم بَنَى بِهَا ، فأقامت أيَّاماً عنده حتى قُتِل يوم جَبَلة ، فبعَث إليها أَبُوهَا أَخاً لها ، فَحَمَلَها ، فلما ركبت بَعِيرَها أقبلت حَتَّى وَقَفَت على نَادِى بنِي عَبْدِ الله بْنِ دَارم فقالت : يابني دَارِم . [أوصيكم بالغَرَائب خيرا][2] فو الله ما رأيت مِثْل لَقِيط ، لم تَخْمِش عليه امرأةٌ وجهاً ، ولم تَحْلِق عليه شعَراً ، ولولا أني غَرِيبة[3] لَحلَقْتُ وخَمَشْت ، فحَبَّب اللهُ بين نِسَائِكم ، وعادى بين رِجَالِكم[4] ، فأثْنَوا عَلَيْها خَيْراً . فمَضَت حتى قدمت على أَبِيهَا فزَوَّجها رَجُلًا من قومه ، فجعل زوجها يَسْمَعُها تذكر[5] لَقِيطاً وتَحْزَن عليه ؛ فقال لها : أَيَّ شَيْء رأيتِ مِنْ لَقِيط أحسن في عَيْنِك؟ قالت : خرج في يوم دَجْن ، وقد تَطَيَّب وشرب، فطَرَد البقر وصَرَعَ منها[6] ، ثم أتاني وبه نَضْح الدّم من صيده ، فضَمَّنِي ضمة

(١) في غ : قال ، والضمير يعود على أبيها .

(٢) بياض في ت ، والتكملة من غ . وفي ا : شرا بدل خيرا .

(٣) في ت : ولو فعلت .

(٤) في غ : رعائكم .

(٥) في ت : يعنع ذكرها .

(٦) كذا في ا و غ . وفي ت : مهاة .

وشَمَّنِي شَمّة ، فلَيْتنِي متّ ثَمَّة ، فلم أَرَ مَنْظَراً كان أحسنَ مِنْ لَقِيط ، فمكث عنها ، حَتّى إذا كانَ يوم دَجْن شَرِب وتَطَيَّب ، ثم ركب فطَرَد البقر ، ثم أتاها وبه نَضْح الدم والطِّيب وريح الشَّراب ، فضَمَّها إليه وقَبَّلَها وقال : كيف ترين ؟ أأنا أحسن أم لقيط ؟ فقالت: ماء ولا كصَدَّاء ومَرْعًى ولا كالسَّعْدَان ، فذهبت مَثَلاً. وصَدَّاء : رِكِيَّة ليسَ فِي الأَرْض ماءٌ أطيبَ منها . وقد ذكرها التَّمِيميُّ في شعره فقال :

وإنى وتَهْيامى بزينبَ كالّذى ⁂ يُخالِس من أحواض صَدَّاء مَشْربا
يرَى دون وِرْد[1] الماءَ هَوْلًا وَذَادَة ⁂ إذا شَدَّ صاحُوا قبل أن يتَحَبَّبا

[التحبب : الرى][2] .

(١) كذا في ا و ت . وفي غ : برد .
(٢) ساقطة من ت .

أحمد بن صَدَقَة الطُّنْبُورِى

هو أَحْمَدُ بن صَدَقة بن أَبى صَدَقة ، كان أَبُوه حِجَازِيًّا مُغَنِّيا طُنْبُورِيًّا مُحْسِنا حَاذِقا ، قَدِم على الرشيد وكان يَنْزِل الشام ، ووُصِف للمتوكل فأَمَرَ بإحضاره فقَدِم عليه وغَنَّاه ، فاستَحْسَن غناءه[1] ، وأجزل صلتَه ، واشتهاه الناسُ ، وكَثُر مَنْ يدعوه وكسب بذلك أكثر مما كسبه مَعَ المُتَوَكِّل .

قال أحمد بن صدقة : اجتَزْتُ بِخَالد بْنِ يَزِيد الكاتِب ، فقلت : أنشِدْنى بيتين من شِعْرِكَ أُغَنِّى فيهما ، فقال : وأى حظ لى فى ذلك ؟ تأخذُ أنت الجائزَةَ وأُحَصِّل أنا الإثمَ ، فحلفتُ له لأنى إن أخذتُ[2] بشعْره فائدة جماتُ له منها حَظًّا ، وأَذْكُرْتُ به الخَلِيفة ، وسألتُه فيه ، فقال : أما الحظُّ من جهتك فأنت أَنْذَلُ من ذلك ، ولكن عسى أن تُفْلِح فى مسألة الخليفة . وأنشدنى :

تقول سَلَا فمَن المُدْنَفُ . ومن عينُه أَبداً تَذْرِف
ومن قلبُه قَلِق خَافِقٌ عليك وأحشَاؤُه تَرْجُفُ

فلما جَلَس المأمونُ للشّرب دعانى ، وقد كان غَضِب على حَظِيَّة له ، فحضرت مع المُغَنِّين ، فلما طابَتْ نفسُه وجَّهت إليه حَظِيَّتُه بتُفَّاحة من عَنْبَر عليها مكتوبٌ بالذهب : يا سيِّدى سَلَوْتَ . وعلم الله أنى ما عرَفْتُ شيئا من خَبَرِها[3] وانتهى الدَّوْرُ إلَىَّ فغنيَّتُ البَيْتَين فاحمَرّ وجهُ المأمون ، وانقلَبَتْ عيناه ، وقال : يا ابْن الفَاعِلة ! أَلَكَ عَلَىّ وعلى حُرُمى صاحِبُ خَبَر ؟ فوثبْتُ وقلت : يا سَيِّدى : ماالسبب ؟

---

(١) فى غ : فاستحسنه .

(٢) فى غ : أفدت .

(٣) فى ا و ت : وما علم الله أنى عرفت شيئا من خبرها .

فقال : مِنْ أَيْنَ عرفتَ قِصَّتى مع جَارِيتى حتى غَنَّيْتَ فى معنى مَا بَيْنَنَا ؟ فحلفتُ له أَنِّى لم أَعْرِف شيئاً من ذلك ، وحدثته حَدِيثى مع خَالِد ، فلما انتهيتُ إِلَى قَوْله : أَنْتَ أَنْذَلُ من ذلك ، ضَحِك وقال : صَدَق وإنَّ هذا لَاتِّفَاقٌ ظَرِيف ، وأَمَرَ لى بخَمْسَةِ آلاف دِرْهم وللخالد بمِثْلِها .

قال أحمدُ بن صَدَقَة : دخلتُ على المأمون فى يَوْم الشَّعَانِين[١] وعنده[٢] عِشْرُون وَصِيفَة جَلَبَاً[٣] رُومِيَّات مُزَنَّرَات ، قد زُنِّرْنَ[٤] بالدِّيبَاج الرُّومِىّ و [عَلَّقْنَ فى أعناقهنَّ][٥] صُلْبَان الذَّهَب ، وفى أَيْدِيهِنَّ الخُوصُ والزَّيْتُون ، فقال لى المأمون : وَيْلَك يا أحمد ، قلتُ فى هؤلاء أبياتاً فغَنِّنى فيها ، ثم أَنْشَدَنى :

ظِبَاءٌ كالدَّنَانِير   مِلَاحٌ فى المَقَاصِير
جلاهُنّ الشَّعَانِين   علينا فى الزَّنَانِير
وقد زَرَّفْنَ أصداغاً   كأذْنَابِ الزَّرَازِير
وأَقْبَلْنَ بأَوْسَاطٍ   كأَوْساط الزَّنَابِير

فحَفِظتُها وغَنَّيْتُه فيها ، ولم يَزل يَشْرَب وترقص الوَصَائف بين يديه بأنواع الرقص حتى سَكِر ، وأمر لى بأَلْفِ دِينَار ، وأمر بأن يُنْثَر على الجَوَارِى ثلاثةُ آلاف دِينَار ، فقبضت الأَلْفَ ، وانتهبْتُ مَعَهن من الثلاثة الآلاف دِينَار .

ولم يَزل أحمدُ مقيما حتى بلغه موت ابنَةٍ له بالشَّام فشَخَص نحو مَنْزِله ، فخرج عليه الأَعْرابُ فأخذوه وما معه وقَتَلُوه .

---

(١) الشعانين : عيد الأحد الذى قبل الفصح عند النصارى ويقال له : السعانين ، والمشهور بالشين .
(٢) فى ا و غ : وبين يديه .
(٣) فى ا و ت : جلب .
(٤) فى غ : تزين .
(٥) ساقطة من ت .

أبو دُهْمَانَ الغلابى

شاعِرٌ من شُعَراء البصرة مِمَّن أدرك دَوْلة بنى أُمَيَّة وبنى العَبَّاس ، ومدح المَهْدِى ، وكان طيباً ظَرِيفاً مَلِيح النَّادِرة . وهو القائِل لَمَّا ضَرَب المهدىُّ أبا العَتَاهِيَة بسبب [عشقه][1] عُتْبَة :

لولا الذى أَحْدَثَ الخَلِيفَةَ فى العُشَّاق من ضَرْبِهم إذا عَشِقوا
لبُحْتُ بِاْسْم الذى أُحِبُّ ولكِنِّى امرؤٌ قد ثَنَانِىَ الفَرَقُ

قال رجل لأبى دُهْمان : ألا أُحَدِّثُك بطَرِيفَة ؟ قال : بلى ، قال : كنتُ عند فلان فمَدَّ رِجْلَه هكذا فضَرط ومَدَّ المُحَدِّث رِجْلَه لِيَحْكِيَه فضَرط ، فقال أبو دُهْمان : يا هذا أنتَ أَحْذَقُ خَلْق الله بِحكاية .

مَرَّ أبو دُهْمَان وهو أَمِير بنَيْسَابور على رجل جالس ومعه صديق له يُسَامِره[2] ، فَقَامَ النَّاسُ إليه ودَعَوا له إلّا ذلك الرَّجُلُ . فقال أبو دُهْمَان لصَدِيقه : ما ترَى ذلك الرَّجل فى النَّظَّارَة ، وترَى تِيهَه عَلَىَّ ؟ فقال له : وكيف يَتِيهُ عليك وأنتَ الأمير ؟ قال : لأنَّه قد نَاكَنِى وأنا غُلَام .

ومرض أبو دُهْمَان مرَضا أَشْفَى منه [على الموت][1] ، فأَوْصَى وأَمْلَى وَصِيَّته على كاتِبه ، وأَوْصَى بِعِتْق غُلَام كان واقفا ، فلما فرَغ الكاتب غدَا الغُلَام بالرُّقْعَة فأَتْرَبها ، ونَظَر إليه أبو دُهْمَان فقال له : نعم أَتْرِبها يا أبن الزَّانِيَة ، حتى تكون أَنْجَح للحاجة لا شَفَانِى الله إنْ أنجحت ، وأَمَر به فأُخْرِج من وَقْتِه وَبِيع ، وهو القائل :

لَئِنْ مِصْرُ فَاتَتْنِى بِمَا كُنْتُ أَرْتَجِى وأَخْلَفَنِى فيها الَّذِى كُنْتُ آمُلُ
فما كُلُّ ما يَخْشَى الفتى بمُصِيبِه ولا كلُّ ما يَرْجُو الفَتَى هو نَائِلُ

---

(١) التكملة من غ .

(٢) فى ا و غ : يسايره .

أبو شراعة

هو أَحْمدُ بنُ مُحمَّد بن شُرَاعة بن ثَعْلَبة بن محمد بن عُمَير بن أبى نُعَيم بن خالد ابن عَبْدة بن مالك بن مُرة بن عبّاد بن ضُبَيْعة بن قَيْس بن ثَعْلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن عَلِى بن بَكْر بن وائل ، شاعر بَصْرى من شعراء الدَّوْلةِ العَبَّاسيّة ، جَيِّدُ الشِّعْر جَزْله ، ليس برقيق الشِّعْر[1] ولا سَهْلِ اللَّفْظ ، وهو كالبَدَوِىِّ فى مَذْهَبِه ، وكان فَصِيحاً يتعَاطى الرَّسَائِل والْخُطَب مع شِعْرِه ، وكانت به لُوثَة وَهَوج. وأُمُّه من بَنى تميم بن مُرّ من بنى العَنْبر .

وكان أبو شُرَاعة قَبِيحَ الوَجْه جِـدا ، فنظر يوماً فى المرآة فأطال ، ثم قال : الحمدُ للهِ الذى لا يُحْمَدُ على الشَّرِّ غيرُه .

وابنه أبو الفَيَّاض سَوَّارُ بنُ أَبى شُرَاعة أَحَـد الشُّعَراء الرُّواة قَدِم مَدِينَـة السَّلام بعد سنة ثلاثمائة ، فمَّا كَتَب إلينَا من أَخْبَار أبيه أنه كان جَواداً لا يُسْأَلُ ماقَدر عليه إلَّا سَمَح به ، وأنه وقف عليه سَائِلٌ يوماً فرَمَى إليه بنَعْـله وانصرَف حَافِياً ، فعثر فدَميَت إصْبَعُه . فقال فى ذلك من أبيات :

ألا لا أبالى فى العُـلَا ما أصَابنى ... وإن نَقِبَتْ نَعْلَاى أوحَفِيتَ رجْـلى
فلم تَرَ عَيْنِى قَطّ أحسنَ منظرا ... من الرِّجْل تَدْمى[2] فى المُواسَاةِ والبَذْل

وبلغه أنَّ أخاه يقول : إنَّ أَخى مَجْنون قد أَفْقَرنَا ونَفْسَه ، فقال :

أَنبَزُ مَجْنُوناً إذا جُدْتُ بالَّذى ... ملكتُ وإن دافعتُ عنه فَعَاقِلُ

---

(١) فى غ : الطبع .

(٢) كذا فى ا ، وفى غ : من النكب يدمى .

فداموا على النّبْز [1] الذى قرَفُوا [2] به ... ودُمْتُ على الإعْطاء ماجاءَ سائِل
أبَيْتُ وتأبى لِى رِجالٌ أشحّــةٌ [3] ... على المَجْدِ تنميهم تَمِيمٌ ووائلُ [4]

وقال أيضا :

[لئن كنت فى الفِتْيانِ آلوتَ [5] سيّداً ... شَديد [6] شحوب اللون مُخْتلِط [7] العَصْب] [8]
فمالك من مولاك إلا حِفاظُه ... وما المرء إلا باللسان وبالقلْب
هما الأصغران الذّائِدان عن الفتى ... مكارهَه والصاحبان على الخطْبِ
فإلَّا أطِق سعىَ الكِرام فإنّنى ... أفُكُّ عن العانى وأصبر فى الحرْبِ

وتَمارَى رجلٌ من أهل بغداد وأبو شُراعة فى النّبيذ ، فجعَل البَغْدادِى يَذُمّ نَبيذَ التمر والدِّبس ، فقال أبو شُراعة :

إذَا انتخبْتَ حَبَّه ودِبْسَهُ ... ثم أجَدْتَ ضربَه ومَرْسَهُ
ثم أطَلْتَ فى الإناء حبْسَهُ ... شربتَ منه البَابِلىَّ نَفْسَهُ

قال سوّارُ [9] بن أبى شُراعة : حَلَفَ أبى بالطّلاق ألا يشْرَب النّبيذَ ، فهجره حوْلَيْن ، ثم حَنَث فشَرِبَ وطَلّق امرأته ، وقال :

---

(١) كذا فى ا ، وفى غ : الزور .
(٢) قرفوا : كذبوا .
(٣) كذا فى ا وفى غ : أعزة .
(٤) ما بين القوسين ساقط من ت ، والتكملة من ا .
(٥) كذا فى ا ولعلها واليت .
(٦) فى غ : كثير .
(٧) فى غ : مختلف .
(٨) البيت ساقط من ت موجود فى ا .
(٩) فى ا : أبو سوار « تحريف » .

فمَنْ يَكُ لم يسمع عَجيبا فإنَّنى عَجيبُ الحديث يا أُميمُ وصادِقُهْ
وقد كان لى أنسانِ يا أمّ مالك وكُلٌّ إذا فتّشتنى أنا عاشِقُهْ
عَزِيزةُ والكأسُ التى من يُحِلُّها تُخادِعه عن عَقْلِه وتُسارِقُه
تَحارَبَتا عندى فعطَّلت دَنَّهـا وأكوابَها والدَّهرُ جَمٌّ بوائِقُه
فحرمتُها[1] حَوْلَيْن ثم أزالَنى[2] حديثُ النَّدامى والنَّشيد أُوافِقُه
[فلما شربتُ الكأسَ بانَتْ بأُخْتها فبان الغزال المستحبُّ خلائقه
فما أطيبَ الكأسَ التى اعتَضْتُ منكم ولكنها ليست بريمٍ أُعانقه] [3]

[كان إبراهيم بن المهدى][4] تولَّى البَصْرَة، وكان مُحْسنا إلى أَهْلها إحْسانا يَعُمُّهُم، ويشمل بنفعه[5] جَماعتهم، وكان أبو شُراعَة لا يُفارِقُه فى سائِر أحْوالِه، ولا يَمْنعه حاجَة يَسْأَلُه إيَّاها ولا يَشْفَع لأحد إلا شَفَّعَه.

فلما صُرِف إبراهيمُ عن البَصْرة، شيَّعه أهلُها، وتَوَجَّعُوا[6] لفراقِه، وساءهم صَرْفُه، فجَعَل يَرُدُّ الناسَ مِمّن يُشَيِّعه على قَدْر مَنازِلهم حتى لم يَبْق لَهُ إلَّا أبو شُراعة. فقال له: يا أبا شُراعة، إنّ غايَةَ كُلِّ مودِّع الرُّجُوع[7]، وقد بَلَغْت أَقْصَى الغَايَة[8]، فَبِحقِّى عليك إلّا انصرفْتَ، فانْصَرِف راشِداً مَكْلُوءاً

(١) فى غ : وحرمتها .
(٢) فى غ : أزلنى .
(٣) البيتان ساقطان من ت موجودان فى ا .
(٤) ما بين القوسين ساقط من ت موجود فى ا .
(٥) كذا فى ا، وفى ت : ويشفع فيهم جماعتهم .
(٦) كذا فى ت ، وفى ا : وتفجعوا .
(٧) فى غ : الفراق .
(٨) فى ت : الغايات .

من غيرِ قِلًى واللهِ ولا مَلَل ، ثم قال : ياغُلَام ، أُحْمِل إلى أبى شُرَاعة ما أمرتُك به ، فأحضر له ثِيَاباً وطِيبا ومالًا ، فعانقه أبو شُرَاعة وَبكَى وأطَالَ ، وأنشد :

يا أبا إسْحَاق سِرْ فى دَعَةٍ وأمضِ مَصْحُوباً فما منكَ خلَفْ

ليت شعْرى أىّ أَرْض أَجْدَبت فأُغِيثت بك من جهد العَجَفْ

نزل الرّحْمُ من الله لَهُمْ (١) وحُرِمْنَاك بذنب (٢) قد سَلَف

إنما أنت ربيع باكر حيثما صَرَّفَه الله انصرفْ

(١) فى غ : بهم .
(٢) فى غ : لذنب .

أَحْمَدُ بنُ يُوسف الكَاتِب

هو أَحْمَدُ بن يُوسف بن صُبَيْح الكاتب ، أصله من الكُوفَة ، وكان مَذْهَبُه الرَّسَائِلَ والإنْشَاء ، له رَسَائِلُ مَعْرُوفَة ، وكان يَتَوَلَّى ديوانَ الرَّسَائل للمَأْمُون ، وكُنْيَتُه أَبُو جَعْفر . وكان مُوسَى بْنُ عَبْدِ المَلِك غُلَامَه وخِرِّيجَه .

فروى عن موسى بن عبد الملك أنه قال : وَهَبَ لِي أَحْمَدُ بن يُوسف أَلْفَي أَلْف دِرْهَم تفَارِيق على[1] ظَهْرِ يَدٍ .

وأخوه القَاسِم بنُ يُوسف شَاعِر مَلِيحُ الشِّعر ، وكان يَنْتَمِي إلى بَنِي عِجْل ، ولم يكن أخوه أحمد يَدَّعي ذلك .

وكان القاسم قد جعل وَكْدَه[2] فى مدح البهائم ومَرَاثِيها ، فاستغرق أكثر شعره فى ذلك ، فمن ذلك قوله فى شاة :

عينُ جُودِي لعَنْزِنَا السَّوْدَاء ... كالعروس الأَدْمَاءِ يومَ الجِلَاءِ

كان أَحمدُ بْنُ يُوسف قد تَبَنَّى جَارِيَة للمأمون اسْمُها مُؤْنِسَة ، فأراد المأمون أن يُسَافِر وخَلَّفها[3] ، فكَتَبَ إليه أحمدُ بْنُ يُوسف بهذا الشعر على لِسَانِها ، وأَمَرَ بَعْضَ المُغَنِّين فغنَّاه به فلما سَمِعَه وقرأ الكتاب أمر بإخْرَاجها إليه :

قَدْ كَانَ عَتْبُك مرَّةً مَكْتُوما ... فالآن[4] أَصْبَحَ ظَاهِراً مَعْلُوما

نَالَ الأَعَادِي سَعْيَهم لا هُنِّئُوا[5] ... لمَّا رأَوْنَا ظَاعِناً ومُقِيماَ

---

(١) فى غ : عن .

(٢) كذا فى ا و غ وفى ت : فكره . والوكد : القصد .

(٣) فى غ : ويخلفها .

(٤) فى غ : فاليوم .

(٥) فى غ ومعجم الأدباء ٥ / ١٦١ : نال الأعادى سؤلهم لا هنئوا .

واللهِ لو أبصرتني لأَوَيْتِ لِي[١] والدمعُ يَجْرِي كالجُمانِ سُجوما
هَبْنِي أسأتُ فَعَادَةٌ لك أن تُرَى مُتَطَوِّلًا مُتَجاوِزا[٢] مَظْلُوماَ

وعَتَبَ المأمونُ على مُؤْنِسَة ، فخرَجَ إلى الشَّمَّاسِيَّة مُتَنَزِّها ، وخَلَفَها عند أحمد ابن يوسف الكاتب ، فرَجَتْ أن يَذْكُرَها إذا صار فى مُتَنَزَّهه فيُرْسِل فى حَمْلِها ، فلم يَفْعَل ، وتَمَادَى فى عَتْبه ، فسألت أحمدَ أن يَقُولَ على لسانها شعرا يُرَقِّقه به[٣] فقال :

يا سَيِّدًا فَقْدُه أَغْرَى بِيَ[٤] الحزَنا ما ذُقْتُ بعدَكَ نوماً لا ولا وَسَنَا[٥]
ما زِلْتُ بعدَكَ مَطْوِيًّا على حُرَق أَشْنَا المُقَامَ وأَشْنَا الأَهلَ والوَطَنَا
ولا التذَذْتُ بكَأْس من[٦] مُنادَمَة مُذْ قِيلَ لى : إنَّ عبدَ الله قد ظَعَنا
ولا أَرَى حَسَنًا تَبْدُو محاسِنُه إلَّا تَذَكَّرْتُ شوقاً وجهَكَ الحسَنَا

وبَعَثَتْ به إلى إسحاقَ الموصلى فغَنَّى به . وقيــل : بَعَثَت به إلى سُنْدُس فغَنَّتْ به[٧] فاستَحْسَنَه وقال : لمَنْ هذا الشِّعر ؟ فقال أحمدُ بنُ يوسف : لمُؤْنِسَة يا سيِّدى تَتَرَضَّاك وتَشْكُو إليك البُعْدَ منك . فرَكِبَ من ساعَته حتى تَرَضَّاها وصَالَحَها .

---

(١) فى غ : لوجدتنى . وأوى له : رق له ورحمه .
(٢) كذا فى ا وت وغ . وفى معجم الأدباء ٥/١٦١ : متجاوزا متفضلا .
(٣) فى غ : ترققه .
(٤) فى ت : بنا .
(٥) فى غ : ما ذقت بعدك لا نوما ولا وسنا .
(٦) فى غ : فى .
(٧) فى غ : فغنته .

كان أحمدُ بنُ يوسُف فى مَجْلِس وفيه قَيْنَة فتَحَلَّاها ، وكَتَب إلى صاحب المنزل:

أنا رَهْنٌ للمَنَايَا بين إبرامٍ ونَقْض
مِن هَوَى ظَبْي غَرِيرٍ مُونِق المَنْظَرِ غَضٍّ
ليتَها جادَتْ بِتَقْبِيـ ـل لخـدَّيْهَا وعَضّ
إنْ عجزتم عن شِرَاها لى بفَرْضٍ أو بِقَرْض
فتَمَنَّوْا لى جميعـا أنها تَقْبر بَعْضِى(١)

[ومن شِعْرِه :

قَلْبِي يُحِبُّك يا مُنَى قَلْبِي ويُبْغِض مَنْ يُحِبُّك
لِأَكُونَ فَرْدًا فى هَوَاكَ فَلَيْـ تَ شِعْرِى كيفَ قَلْبُك](٢)

كان أحمد بن يوسف يَتَعَشَّق مُحَمَّدَ بن سعيد أحَدَ أَوْلادِ الكُتَّاب « بِسُرَّ مَنْ رَأَى » ومن شعره فيه :

كم ليلةٍ فيكَ لا صَبَاح لها أحييتُها قابضاً على كَبِدِى
قد غَصَّتِ العينُ بالدُّمُوع وقد وضَعْتُ خَدِّى على بَنَان يَدِى
كأنَّ قَلْبِي إذا تَذَكَّرَكُم(٣) فَرِيسَةٌ بين سَاعِدَىْ أَسَـدِ

قال حسين بن الضحاك : دخلتُ على الوَاثِق ذَاتَ يَوْم وفى السماء لَطْخ غَيْم فقال : يا حُسَيْن ما الرَّأْيُ عِنْدَكَ فى هذا اليَوْم ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ما حَكَمَ به أحمدُ بن يوسُف وأشارَ به من قبل ؛ فإنَّه حَكَم برَأْيٍ لا يُرَدّ ، وجعل ذلك فى شِعْر لا يُعَارَض ، فقال : وما هو ؟ قلتُ : قوله :

---

(١) فى غ : قبر لبعضى .
(٢) ما بين القوسين جاء فى ا ولم يرد فى ت ولا فى غ .
(٣) فى غ : ذكرتكم .

أَرَى غَيْماً تُؤَلِّفُه جَنُوب ... وأحسبه سَيَأْتِينا(١) بِهَطْلِ
فعَيْنُ الرَّأْيِ أَن تَدْعُو بِرَطْلٍ ... فَتَشْرَبَه وتَدْعُو لى بِرِطْل
[وتَسْقِيه نَدَامَانَا جَمِيعـا ... فينصرفون(٢) منه بغير عَقْل
فيَوْمُ الغَيْمِ يَوْمُ الغَمِّ إِنْ لم ... تُبَادِرْ(٣) بالمُدَامَةِ كلَّ شُغْل
ولا تُكْرِه مُحَرِّمَها عليها ... فإِنِّى لا أراهُ لها بأَهْل](٤)

فقال : أَصَبْتُما ودَعَا بالطَّعَام والشَّرَاب والمُغَانى والنُّدَمَاء واصْطَبَحَا .

---

(١) كذا فى ا وت و غ . وفى معجم الأدباء ٥ / ١٦١ : وأحسب أن سيأتينا .

(٢) فى غ : فيغترفون .

(٣) فى ا تبارز .

(٤) ما بين القوسين لم يرد فى الأغانى .

أَبَان اللَّاحِقِىّ

هو أَبَانُ بْنُ عَبْد الحميد بْنِ لَاحِق بن عُفَيْر اللَّاحِقِي مَـوْلَى رَقَاش ، وبَنو رَقَاشٍ ثلاثة نَفَر يُنسَبُون إلى أُمِّهم واسمُها رَقَاش ؛ وهم مَالِك وزَيْد مَنَاة وعامر بنو شَيْبَان بن ذُهْل بن ثَعْلبة بن عُـكَابَة بن صَعْب بن عَلِىّ بن بَـكْر بن وَائِل .

شَـكَا مَرْوَان بن أَبِى حَفْصَة إلى بَعْض أصحابه تَغَيُّرَ الرَّشيد عليه وإمساكَ يَدِه عَنْه ، فقال له : ويحك أَتَشْـكُو الرَّشيد بعد ما أَعْطَاك ؟ فقال : أَوَ تَعْجَب من هَذَا[1] ؟ هذا أَبَانُ اللَّاحِقِي ، قد أخذَ من البَرَامكة بقَصِيدَة وَاحِدَة مِثلَ ما أَخَذْتُه من الرَّشِيدِ فى دَهْرِى كُلِّه ، سوى ما أَخَذَه مِنْهم ومن أَسْبَابِهم[2] بَعْدَها .

وكان أَبانُ نَقَل للبَرَامِكَة كِتابَ كَـلِيلَة ودِمْنَة ، فجعله فى شِعْر ؛ لِيَسْهُل عليهم حِفْظُه ، وهو معروف ، وأَوَّله :

هـــذا كِتَاب أَدَبٍ ومِحْنَهْ ... وهو الذى يدعى كليلَ دِمْنَه

فِيهِ احتِيَالَات وفيـــه رُشْدُ ... وهو كِتابٌ وضعَتْه الهِنْدُ

فأعطاه يَحْـيَى بنُ خَالِد عَشَرة آلَاف دِينَار ، وأعطاه الفَضْلُ خَمْسَةَ آلاف دِينَار ، ولم يُعْطِه جَعفرٌ شيئا ، وقال : ألا يَـكْفِيك أَنْ أحفظَه فأَكُونَ رَاوِيَتَك ؟

وعَمِل أيضاً القصيدةَ التى ذَكَرَ فيها مُبْتَدَأ الخلق ، وأَمْرَ الدُّنْيَا ، وشيئاً من المَنْطِق ، وسماهـا : ذَات الحُلل ، ومن النَّاس مَنْ يَنْسِبها إِلَى أَبِى العَتَاهِية ، والصَّحِيحُ أَنَّها لأَبَانٍ .

---

(١) فى غ : ذلك .

(٢) كذا فى ا و ت . وفى غ : أشباههم .

كان يَحْيَى بْنُ خَالِدِ البَرْمَكِي قد جَعَل أمر الشعراء وامْتِحَانَ أشعارِهم وتَرْتِيبهم فى الجوائز إلى أَبانِ بْنِ عَبْدِ الحَمِيد ، فلم يرضَ أبُو نُوَاس المرتبةَ الّتى جَعَله فيها أبان ، فقال يهْجُوه :

جالستُ يوماً أَبَانَا ... لا درَّ درُّ أَبانِ
حتى إذَا ما صلاة الْ ... أُولَى دَنَت لأَوَانِ[1]
فقـام ثَمَّ بِهَا ذُو ... فَصَاحةٍ وبيَانِ
وكُلّمَا قـال قلْنَا ... إِلَى انقِضَاء الأَذَانِ
فقال كيف شَهِدْتُم ... بِـذا بغير عِيَانِ
لا أشهدُ الدهرَ حَتَّى ... تُعَايِنَ العَيْنَانِ
فقُلْتُ سبحانَ رَبِّي ... فقال : سُبْحَانَ مَانِي

فقال أبانُ يُجِيبُه :

إن يكُن هَـذَا النُّوَاسِيُّ ... بـلا ذَنْب هَجَانَا
فلقـد نِكْناه حِيناً ... وصَفَعْنَاه زَمَانـا
هانِئُ الجِرْبِى[2] أَبُوه ... زَادَه الله هَـوَانَا
سَائِل العَبَّاس واسمَعْ ... منه فى أُمِّـك شَانَا
عجنوا من جُلَّبَانٍ ... لِيَكِيدُوكَ عِجَـانَا

وجُلَّبان اسم أُمِّ أَبِى نُوَاس ، والعَبَّاس زَوْجُها بَعْدَ أَبِيه .

كان لأبان جَار ، وكان يُعَادِيه ، فاعْتَلَّ عِلَّة عظيمة طويلة ، وأَرْجَفَ أبان

---

(١) كذا فى غ : وفى ا وت : لأذان .

(٢) فى غ : الجون !

بعونه ، ثم صحّ[1] من عِلّته ، وخرج فجلس على بابه ، وكانت عِلّتُه من السّل ، وكان يُكْنَى أبا الأطول ، فقال له أبان :

أبَا الأطْــــوَلِ طوّلْتَ وما يُنجِيك تطْــوِيلُ
بِكَ السُّلُّ ولا واللـــــه ما يَــبْرَأُ مَسْلُولُ
فـلا يَغرُرْكَ من ظَنِّــك أقْوَالٌ أباطِيــلُ
أرَى فِيــكَ عَلامـاتٍ وللأشْيَاءِ[2] تأوِيـــلُ
هُزَالٌ قــد بَرَى جِسْمَــك والمَسْلُولُ مَهْزُولُ
وحُمّى منــك فى الظهرِ وأنتَ اليومَ[3] مَمْلُولُ
وذِبّانًا[4] حَوالَيْــك فموقوذٌ[5] ومقتُــولُ
وأعــلامًا سِــوَى ذاكَ تُوارِيها السّرَاوِيــلُ
ولو بالفِيــلِ مِمّا بِــكَ عُشْرٌ ما نجَا الفِيــلُ
فما هـــذا على فِيكَ قُلاعٌ[6] أو دَمَامِيــلُ
وما بَالُ مُنَاجِيــكَ تَوَلّى وهو مَمْــلُول
لئِنْ كَانَ[7] مِنَ الخوفِ لقد سَــال بك النِّيل
وذَا دَاءٌ يوحّيــكَ[8] فلا قال ولا قيــل

(١) فى ا وت : صلح .
(٢) فى غ : وللأسباب .
(٣) فى غ : وأنت الدهر .
(٤) فى ا و ت : وذبان .
(٥) الموقوذ : المشرف على الموت .
(٦) القلاع : داء فى الفم .
(٧) فى غ : لقد كاد .
(٨) وحاه : عجله . وفى غ : يزجيك .

فلما أَنْشَدَه هــذا الشِّعْرَ ارْتَعَدَ واضْطَرَب ودخـل منزله فـا خَرَج منه[1] حَتَّى مَات

وكان أَبَان اللَّاحِقِيّ صَدِيقاً للمُعَذَّل بن غَيْلان ، وكانَا مع صداقتهما يتَعَاتبـان بالهجـاء ، فيهْجُوه المعذَّل بالـكُفْر ، وينسبه إلى الشؤْم ، ويَهْجُوه أبان بالفساء وبالقِصرَ [الّذِى تُهْجى بِهِ عبْد القَيْس] [2] .

فقال أَبَانُ يَهْـجو المُعَذَّل :

أحاجيكُم ماقوْس لَحْم سِهامُها من الرِّيح لم تُوصَل بِقِدٍّ ولا عَصَب[3]
وليست بشَرْيَانٍ وليست بِشَوْحَطٍ وليست بنَبْـعٍ لا ولَيْسَت من الغَرَبْ
تَصكُّ خَيَاشِيمَ الأُنُوف تَعَمُّدًا وإن كان رَامِيها يُرِيدُ بهــا العُقَب
ألا تلك قوسُ الدَّحْدَحِيِّ مُعَــذَّلٍ بها صار عَبْدِيًّا وتَمَّ له النَّسَب

وقال له المعذَّل في جَوَاب ذلك :

رأيت أبانًا يوم فطر مُصَلِّيـا فقسَّم فِـكْرِى واسْتفزَّنى الطَّرَب
وكيفَ يُصَلِّى مُظْلِمُ القَلْب دِينُه على دِين مَانى إنَّ هذا[4] من العجَب

خَرَج أبانُ بن عبْد الحميد من البصرة طَالِبا للاتِّصَال بالبَرَامكة ، وكان الفَضْلُ ابن يحيي غائِباً ، فقَصَده فأقامَ بِبَابه مُدَّة لا يَصِل إليه فتوَسَّل[5] إلى بعْض بَنِى هاشم مِمَّن شَخَص مع الفضل وخَاطبه بشعر وسأله إيصَال مَدْحه إلى الفَضْل فقال : هَاتِ مدِيحك ، فأعطاه شعرا من جُمْلَتِه :

---

(١) فى ت : من منزله .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ت موجود فى ا .

(٣) فى غ : عقب .

(٤) فى غ : ذاك .

(٥) كذا فى غ . وفى ا و ت : فتوصل .

أَنَامَنْ بُغْيَةُ الأميرِ وكَنْزٌ ... من كُنُوزِ الأميرِ ذو أَرْباحِ
كاتبٌ حاسبٌ أديبٌ ظريفٌ(١) ... ناصِحٌ زائدٌ على النُّصَّاحِ
شاعرٌ مُفْلِقٌ أخفُّ من الرِّيــشَةِ مما يكون تَحْتَ الجَناحِ(٢)
إنْ دعانى الأميرُ عاينَ مِنِّى ... شِمَّرِيًّا(٣) كالبُلْبُلِ الصَّيَّاحِ

فدعا به وَوَصَله ، وخُصَّ بالفَضْل ، وقُدِّم مَعَه ، فقرُب من قلب يَحْيي بن خَالِد ، وصار صاحِبَ الجماعة وذَا أَمْرِهم(٤) .

كان أَبَانُ بن عبْد الحميد قد عَاتَب البَرَامِكَةَ على تركهم إيصالَه إلى الرَّشيد ، وإيصَال مَدْحِه ، فقالوا له : وما تُرِيدُ من ذَلِك ؟ قال : أُرِيدُ أنْ أَحظى بما حَظِى به مروانُ بن أَبى حَفْصة فقالوا له : إن لذاكَ مَذْهَباً فى هِجاء آل أَبى طالب وذَمِّهم ، به يُحْظَى وعليه يُعْطَى ، فاَسلُكه حتى نَفْعل(٥) ، فقال : لا أستحل ذَلِك ، قالوا : فما تَصْنع ؟ لا يجىء طَلَبُ الدُّنيا إلا بِفِعْل ما لَا يَحِلّ . فقال أَبانُ :

نَشَدْتُ بِحَقِّ اللهِ(٦) من كان مسلما ... أَعُم بما قد قُلته العُجْمَ والعَرَبْ
أعمُّ رَسُولِ اللهِ أقربُ زُلْفَةً ... لَدَيْه أم ابن العَمِّ فى رُتْبَةِ النَّسَبْ
وأَيُّهُما أَوْلَى به وبعَهْدِه ... ومن ذَا له حَقُّ التُّرَاثِ بِمَا وَجَبْ
فإن كانَ عَبَّاسٌ أَحَقُّ بتلْكُم ... وكان علىٌّ بعد ذَاكَ على سَبَبْ
فأبنَاءُ عَبَّاسٍ هُمُ يَرِثُونَه ... كما العَمُّ لابْن العَمِّ فى الإرْث قد حَجَب

---

(١) فى غ وخزانة الأدب ٣ / ٤٥٩ : خطيب أديب مكان أديب ظريف .
(٢) فى غ : مما يكون عند الجناح . وفى خزانة الأدب : فيما يكون تحت الجناح .
(٣) الشمرى : الماضى فى الأمور .
(٤) فى غ : زمام .
(٥) فى ت : تقبل .
(٦) فى ت : بحمد الله .

وهى طويلة ، فقال له الفضْل : مايَرد عَلَى أَمير المؤمنين اليوَم شىء أَعْجَبُ من أَبْيا تِك ، فركِب وأنشدَها الرَّشيدَ ، فأمر لأبان بِعشْرِين ألف درهم ، ثم اتَّصَل مَدْحُه للرشيد بعد ذلك وخُصَّ بهِ .

ذُكر أبان بن عبد الحميد فى مجلس أبى زَيْد الأنْصَارِى فقِيل : كانَ كافِراً ، فغَضِب أَبو زَيْد ، وقال : كان جَارِى فما فَقَدْت قِرَاءته فى ليْلة قطّ .

إسماعيل القَراطيسى

هو إسماعيل بنُ مَعْمَر الـكُوفِى ، مَوْلَى الأَشَاعِثَة ، كان مَأْلَفاً للشُّعَرَاء .

وكان أبو نُوَاس وأبو العَتَاهِيَة ومُسْلِم وطَبَقَتهم يَقْصِدُون منزله ، ويجتمعون عِنْدَه ويَقْصِفُون ، ويدعو لهم القِيَانَ وغيرَهُنّ من الغِلْمَان .

قال القَرَاطِيسِى : قلتُ للعَبَّاس بن الأَحْنَفِ : هل قلتَ شيئاً فى مَعْنَى قوْلى :

وَيْلى على ساكن شَطّ الصَّرَاه مَرَّر حُبِّيهِ عَلَىَّ الحياهْ[1]
ما تَنْقَضِى من عَجَب فِكْرَتى فى خَصْلة فَرَّط فيها الوُلَاهْ
تَرْكُ المُحِبِّين بلا حَاكِمٍ لم يَنْصِبُوا[2] للعَاشِقِين القُضَاهْ
وقد أَتَانى خَـبَرٌ ساءَنى مَقَالُها فى السِّرِّ : « واسَوْأَتَاهْ
أَمِثْلُ هــذا يَبْتَغِى وَصْلَنا لم يَرَ هذا وَجْهَه[3] فى المِرَاهْ »

فقال : نعم ، وأَنْشَدَنى :

جَارِيَة أَعْجَبَها حُسْنُهــا ومِثْلُها فى النَّاس لم يُخْلَق
خَبَّرْتُهــا أَنِّى مُحِبٌّ لهــا فأَقْبَلَتْ تَضْحَك من مَنْطِقى
والْتَفَتَت نحــوَ فَتَاة لهــا كالرَّشَأ الوَسْنَان فى قُرْطُقِ
قالَتْ لهــا قُولِى لهذا الفَتَى أُنظُرْ إلى وَجْهِك ثم اعْشَقِ

---

(١) كذا فى ا و ت . وفى غ : من وجنتيه شمت برق الحياة .

(٢) فى غ . لم يقعدوا .

(٣) فى غ : أما يرى ذا وجهه .


مدح إسماعيل القَرَاطِيسى الفَضْلَ بنَ الرَّبيع . فقال فيه :


ألا قُلْ لِلَّذِى لم يَهْـ   ـده اللهُ إلى نَفْعى

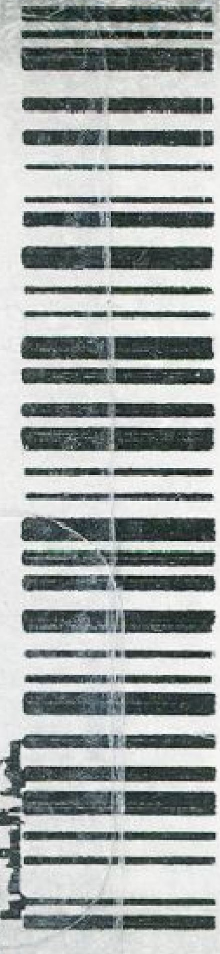
لئن أخطأتُ فى مَدْحِـ   ـك ما أخطأتَ فى مَنْعِى

لقــد أحْلَلْتُ حاجَاتى   بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْع

فهرست تراجم الكتاب






Bibliotheca Alexandrina
0615051
